

تقدّمه لطلابه لصفوفها بالعلماء
والسبب لعمز من السبب لعمز

بجاءت لطلابه من صفوفها بالعلماء

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

الحرف

د/فواز بن علي الدهاس

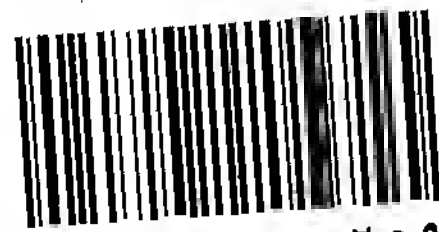
١٤١٥/١٧٤٥

دراسة لآراء ابن خلدون في الدولة الأموية

(٤١ - ١٣٢٢هـ / ٦٦١ - ٧٤٩م)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

في التاريخ الإسلامي



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٠٢٥٩٧

اعداد الطالبة

فوزية صعب على الفوزان

اشراف

الدكتور/فواز بن علي بن جنيد الدهاس

مكة المكرمة

١٤١٥هـ / ١٩٩٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا

إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

(سورة البقرة : آية ٣٢)

ملخص لرسالة الماجستير المقدمة من الطالبة / فوزية بنت صعب الفوزان .

والموسومة بـ " دراسة لآراء ابن خلدون في الدولة الأموية "

تحت إشراف الدكتور / فواز بن علي الدهاس .

تكمن أهمية هذا البحث في أن العلامة عبدالرحمن بن خلدون المتوفي سنة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م . كان مدرسة متميزة في علم التاريخ ، وقد قدم هذا المؤرخ الفقيه للناس علمين جديدين هما علم الأُجتماع - العمران - ، وتفسير التاريخ أو ما يعرف باسم - فلسفة التاريخ - وقدم في كلا العلمين نظريات جديدة بقيت حتى اليوم موضع دراسة كل علماء التاريخ والإجتماع في العالم كله . وقد كان إهتمامي في هذا البحث دراسة آراء ابن خلدون عن الدولة الأموية فكراً من خلال مقدمته وتاريخاً من خلال ما ورد في العبر . وقد جاءت خطة الموضوع في مقدمة وتمهيد وخمسة فصول ثم الخاتمة . وقد أوضحت في المقدمة سبب اختياري للموضوع وأهميته وما اعترضني فيه من صعوبات . وفي التمهيد تحدثت عن ابن خلدون وعصره . أما الفصل الأول فقد تحدثت فيه عن منهجية ابن خلدون في تدوين التاريخ وقسمته الى أربعة مباحث ، أما الفصل الثاني فقد جعلته للحديث عن : التقويم التاريخي لقيام دولة بني أمية وقسمته إلى مبحثين ، أما الفصل الثالث فهو عرض تاريخي للدولة الأموية عند ابن خلدون وقسمت هذا الفصل إلى أربعة مباحث ، وفي الفصل الرابع تحدثت عن التطور الحضاري لدولة بني أمية عند ابن خلدون وقسمته إلى مبحثين ، أما الفصل الخامس والأخير فقد خصصته للحديث عن أسباب سقوط الدولة الأموية ورأي ابن خلدون في أسباب سقوطها وجاء هذا الفصل في ثلاثة مباحث . وفي الخاتمة تحدثت عن أهم ما توصل إليه البحث من نتائج وكيف استطاع ابن خلدون أن يقدم دراسة تاريخية حضارية لدولة بني أمية جعلته من أفضل مفسري التاريخ خلال القرون الثمانية من التاريخ الاسلامي .

وقد اعتمدت في هذا البحث على كتب ابن خلدون - وهي الاساس في البحث - وعلى مجموعة أخرى من كتب التاريخ القديم والحديثة كتاريخ خليفه بن خياط وتاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير وغيرها وكذلك تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي والدولة الأموية في المشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء وبنو أمية الضربات الخارجية والإنهيار الداخلي وغيرها من الكتب .

وأخيراً فقد أستطعت بفضل الله أن أعثر على جزء من تاريخ ابن خلدون لم يطبع من قبل ألحقته بهذا البحث وهو بذلك يظهر لأول مرة للباحثين والمهتمين بالإطلاع على كتب التاريخ وهو إنجاز علمي وفقني الله إليه .

عميد كلية الشريعة والدراسات
الاسلامية

الدكتور المشرف

الطالبة

د. محمد بن سامل السلمي

فواز بن علي بن جنيب الدهاس

فوزية صعب على الفوزان

٢٠١٥/١٢/٢٠

المقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد . فليس هناك شك في أن العلامة عبد الرحمن بن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م كان مدرسة متميزة قدمت للبشرية صورة من صور الحضارة الاسلامية المتألقة .

فبينما كانت الحضارة الاسلامية تمر بعدد من الأزمات في الأندلس والمغرب ، بل والمشرق ، خلال القرون السادس والسابع والثامن ظهر العلامة ابن خلدون مع بعض المؤرخين الأعلام الآخرين فكانوا ومضة متألقة تظهر المعدن الأصيل للحضارة الاسلامية .

وكان شيئاً طبيعياً أن تكثر الدراسات حول هذا المؤرخ الفقيه الفيلسوف الاجتماعى الذى قدم جديداً في أكثر مدارس ، وفاجأ الناس بابرار علمين جديدين هما علم الاجتماع - العمران - وتفسير التاريخ أو ما يعرف باسم - فلسفة التاريخ - وقدم في كلا العلمين نظريات جديدة بقيت حتى اليوم موضع دراسة كل علماء التاريخ والاجتماع في العالم كله .

والحق أن المؤرخين المسلمين هم أولى الباحثين بالدراسة المتأنية والبصيرة بأفكار ابن خلدون النظرية وتطبيقاته التاريخية حتى يكتشفوا حقيقة هذا الفكر المتقدم ويضيفوا اليه ، وللأسف فقد اهتم المستشرقون به أكثر من غيرهم . ومن هنا كان اهتمامى بدراسة جانب مهم من جوانب الفكر التاريخى عند ابن خلدون ، وهو نظريته للدولة الأموية - فكراً من خلال ماورد في المقدمة - وتأريخاً من خلال ماورد في العبر .

وثمة سبب أقوى وراء اختياري لهذا الموضوع ، وهو الدولة الأموية في المشرق نفسها ، فهى دولة عظيمة فتحت معظم العالم القديم تحت راية الاسلام ، ومع ذلك يكثر حولها الخلاف ، وتكثر فيها الآراء لأسباب كثيرة ليس هنا مكان حصرها .

وقد كان أمراً ملحاً أن نعرف الرأى السديد في هذه الدولة من عالم محايد له منهاج تاريخى تحليلى موضوعى مثل ابن خلدون ، فلعله يضع

الأمر في نصابها ، ويعطى للدولة الأموية حقها ايجابا وسلبا ، ويجنبنا الكثير من الشكوك والتساؤلات التي تدور حول الدولة ، ولاسيما وأن بعض المؤرخين ينطلق في عدائه للدولة الأموية من موقف فكري ومذهبي ثابت ، وكأن بغضها عندهم عقيدة لايجوز أن تتزحزح ، وعلى الوقائع التاريخية بالتالي أن تطوع لخدمة هذه العقائد الثابتة ، فضلا عن أن انتقال السلطة من عصر زاهر مثالي يجمع المسلمون على الولاء له ، وهو العصر الراشدي ، الى الدولة الأموية التي حولت الطبيعة السياسية لنظام الحكم الى منهاج لم يألفه العرب ولا المسلمون من قبل ، كما أنها كان لها اجتهاد خاص في الأموال . هذا السبب وذاك وغيرهما من مظاهر الاختلاف عن العصر الراشدي جعل مهمة المؤرخ المحايد صعبة .

وجاء السقوط السريع لدولة بني أمية وهي التي فتحت هذه الفتوحات الاسلامية العظيمة ليلقى بظلاله على التقويم الموضوعي لهذه الدولة ، ويجعل الآراء تتشعب من أقصى القبول الى أقصى الرفض .

ولهذه الأسباب كان اختياري لهذا الموضوع ، كما أن هذه الأسباب - أيضا - تكشف أهم الصعوبات التي واجهتني كباحثة ليس عملها مجرد جمع للوقائع ، أو التعامل مع مؤرخ واحد أو فترة تاريخية محددة ، بل عملها جمع الآراء المتضاربة ودراستها ومعرفة رأى ابن خلدون بين هذه الآراء ، وتقويم هذه الآراء المتضاربة ، والانتهاء الى الرأى الأقرب الى الاستنتاج الصحيح من خلال مسيرة الوقائع ، ومن خلال رصد الأفكار والاتجاهات التي كانت مطروحة حول شتى وقائع العصر الأموي .

والصعوبة الثانية تمثلها كثرة الحركات السياسية والمذهبية ، والتباين الشديد بينها ، الى غير ذلك مما حفل به العصر الأموي الذي قدر له أن يخرج بالمسلمين من عصر الجزيرة - أو دولة الراشدين المثالية الزاهدة - الى عصر الانفتاح على الدنيا والانسياح في أرض الحضارتين الفارسية والرومانية وضرورة التفاعل بين المسلمين ولغتهم مع موروثة هاتين الحضارتين وذلك في ظل جبهة داخلية تمر بتوتر شديد من جراء هذا الانتقال ، ونتيجة للعبء

الكبير الذى يقع على عاتقها فى مجال مواجهة القوى الشرسة داخليا وخارجيا.

فالحق أن العصر الأموى عصر متميز فى صراعه الحضارى والعقدى والسياسى على حد سواء .

ومع هذه الصعوبات الشائكة التى بقيت موضع اهتمام كثير من المؤرخين المسلمين منذ قرون طويلة ، كان لابد من اقتحام هذا المجال ولعل أن يكون فى ذلك اضافة جديدة فى هذا الطريق ، وأن يؤدى الى اكتشاف معالم المنهاج الخلدونى فى التعامل مع هذه المرحلة المتميزة من حضارتنا الاسلامية .

* * * * *

وقد جاءت خطة الموضوع فى مقدمة وتمهيد وخمسة فصول ثم الخاتمة . وقد أوضحت فى المقدمة سبب اختيارى لهذا الموضوع ، وأهميته ، وما اعترضنى فيه من صعوبات .

وفى التمهيد تحدثت عن ابن خلدون وعن عصره .

أما الفصل الأول فيتحدث عن منهجية ابن خلدون فى تدوين التاريخ وينقسم الى أربعة مباحث : كان الأول منها عن منهجه العلمى فى التاريخ ، وفى المبحث الثانى تم ايضاح مميزاته - كمؤرخ - عن غيره من المؤرخين ، أما المبحث الثالث فكان موضوعه مآخذ على منهج ابن خلدون العلمى ، وكان الحديث فى المبحث الرابع عن مدى التزام ابن خلدون بالقواعد المنهجية التى ذكرها فى مقدمته .

أما الفصل الثانى فيتحدث عن : التقويم التاريخى لقيام دولة بنى أمية وينقسم الى مبحثين :

الأول : آراء ابن خلدون فى قيام الدول وسقوطها .

الثانى : رأى ابن خلدون فى قيام الدولة الأموية . وقد تطرقت فى هذا المبحث الى ايضاح رأى ابن خلدون فى قيام دولة بنى أمية ، ثم الى موقف المؤرخين المسلمين من بنى أمية ، وكانت نهاية هذا المبحث حديثا عن آراء ابن خلدون فى قيام دولة الأمويين وتقويم هذه الآراء .

أما الفصل الثالث فهو عرض تاريخي للدولة الأموية عند ابن خلدون وقسمت هذا الفصل الى أربعة مباحث . تحدثت في المبحث الأول عن الفرع السفيفاني ، وفي المبحث الثاني عن الفرع المرواني الذي انتقلت اليه الخلافة بعد زوال الفرع السفيفاني ، وكان المبحث الثالث حول القوى المعارضة التي قامت ضد دولة بني أمية وعن السياسة التي انتهجها الأمويون ازاء هذه المعارضة التي استمرت زمنا طويلا ، وجاء المبحث الرابع ليتحدث عن الفتوحات الاسلامية في عهد بني أمية وسياستهم الخارجية ، وقد تطرق هذا المبحث الى الحديث عن منهج كبار المؤرخين كالطبري وابن الأثير وابن كثير في عرض فتوحات بني أمية ، ثم ختم هذا المبحث بالحديث عن خصائص المنهج الخلدوني في عرض فتوحات الأمويين وسياستهم الخارجية .

أما الفصل الرابع فخصص للحديث عن التطور الحضاري لدولة بني أمية عند ابن خلدون ، وفيه مبحثان ، الأول منهما عن انتشار الاسلام في عهد الأمويين ، واتجاه الأمويين الى تعريب دولتهم وكذلك تعريب الأمصار الاسلامية ، والثاني عن الحياة الاقتصادية وسك العملة الاسلامية .

أما الفصل الخامس فقد خصص للحديث عن أسباب سقوط الدولة الأموية ورأى ابن خلدون في أسباب سقوطها ، وجاء هذا الفصل في ثلاثة مباحث : الأول ، يتحدث عن أسباب السقوط في رأى قدامى المؤرخين ومحدثيهم ، والثاني ، عن مرحلة السقوط وطبيعة هذه المرحلة ، والثالث عن رأى ابن خلدون في أسباب سقوط بني أمية .

وفي الخاتمة تحدثت عن أهم ماتوصل اليه هذا البحث من نتائج ، وكيف استطاع ابن خلدون أن يقدم دراسة تاريخية حضارية لدولة بني أمية جعلته من أفضل مفسري التاريخ خلال القرون الثمانية من التاريخ الاسلامي .

وقد حاولت قدر استطاعتي أن أترجم لكل الأعلام والأماكن التي وردت في هذه الرسالة لكنني لم أتمكن من الحصول على كل التراجم المطلوبة ، بالاضافة إلى أنني لم أترجم للشخصيات المشهورة .

دراسة لأهم المصادر :

أولاً : المصادر التاريخية .

ويأتى فى مقدمة هذه المصادر حسب الترتيب الزمنى :

(١) تاريخ بن خياط : لأبى عمرو خليفة بن أبى هبيرة الليثى (١).

وقد نشأ ابن خياط فى بيت علم وفضل فكان يدافع عن مذهب أهل السنة ضد المعتزلة الذين نشطوا فى عهده كثيراً .

ويتميز كتاب خليفة بن خياط بأنه اهتم بذكر أسماء الولاة فى عهود الخلفاء وكذلك أسماء كبار رجال الدولة الذين عملوا فى الشرطة وبيت المال ووظائف الدولة الهامة . ومما يلاحظ على هذا الكتاب أن المؤلف أجمل فى ذكر أسماء العمال ولم يفصل فى سنوات تولى كل واحد منهم مما أحدث لبساً عند قارئ كتابه إلا أنه مع هذا يبقى متميزاً فى بابهِ وفيما قدم من معلومات .

وقد استفدت من هذا الكتاب عند حديثى عن قيام الدولة الأموية وسقوطها .

(٢) تاريخ الأمم والملوك : لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (٢).

(١) هو خليفة بن خياط بن أبى هبيرة الليثى ، كان حافظاً مؤرخاً ، توفى فى رمضان سنة ٢٣٠هـ . وقال عنه صاحب كتاب الأعلام أنه توفى سنة ٢٤٠هـ وذكر الخلاف حول سنة وفاته . وأضاف أنه كان نسبة إخبارى .

أبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، حققه : احسان عباس ، (دار صادر ودار الثقافة ، بيروت) ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ ؛ خير الدين الزركلى : الأعلام ، (الطبعة السادسة ، دار العلم للملايين ، بيروت : ١٩٨٤م) ، ج ٢ ، ص ٣١٢ .

(٢) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبرى ، مؤرخ مفسر ، محدث فقيه ، له مصنفات كثيرة فى هذه الفنون تدل على سعة علمية . ولد سنة ٢٢٤هـ فى طبرستان ، وتوفى سنة ٣١٠هـ فى بغداد .

ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٤ ، ص ١٩١ .
وعنه إنظر : محمد بن اسحاق النديم : الفهرست ، (بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر : ١٣٩٨هـ) ، ص ٣٢٦-٣٢٨ ؛ أبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، (ط ٢ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع : ١٣٩٩هـ) ، ج ٢ ، ص ٢٦٠ .

ويعد كتابه (تاريخ الأمم والملوك) من أوسع وأشمل كتب التاريخ ، وقد نهج فيه على أساس الحوليات ، ومما يحمده أنه كان محايدا في عرضه للأحداث التاريخية ودقيقا في نقل الوقائع والأخبار . وقد ذكر الطبرى في كتابه أثناء حديثه عن منهجه في تاريخه أنه يكتب ما يسمعه من الأخبار مهما كانت ويسند ما كتبه لرواته وأن على القارىء أن يكون عليما بهذا المنهج كي يدقق فيما يقرأ . ومعروف أن معظم المؤرخين الذين جاءوا بعده استفادوا منه ، وجعلوا كتابه العمدة الذى يعتمدون عليه خاصة فيما يتعلق بأحداث القرون الثلاثة الأولى التى هى محور تاريخ ابن جرير الطبرى . وقد تحدث المؤلف عن الأخبار السياسية والادارية والحروب والفتن التى وقعت فى الفترة التاريخية لكتابه ، ومعلوم أنه بدأ يؤرخ من بداية خلق الأرض مروراً بالحديث عن الأنبياء والرسل وأخبارهم ، ثم الحديث عن فترة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته وحتى عصره . وقد تحدث عن منهجه فى الجزء الأول من كتابه فذكر أنه يورد الروايات كما يسمعها أو كما تنقل اليه مع ذكر أسانيدها ويترك بعد ذلك للقارىء أن يحكم بنفسه على صحة الرواية من عدمه .

وقد استفدت من هذا الكتاب عندما تحدثت عن الدولة الأموية ، فقد كان الجزء المتعلق بالدولة الأموية محور المقارنة مع ما كتبه ابن خلدون عن الدولة الأموية وهو جزء هام فى البحث خاصة أن ابن خلدون كان متأثرا بالطبرى وقد ذكر صراحة أن فى تاريخه تلخيصا لبعض ماورد عنه ابن جرير الطبرى .

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر . للمسعودى (١)

(١) هو أبو الحسين على بن الحسين بن على المسعودى ، مؤرخ رحالة بجاثة ، له كتب فى التاريخ وغيرها ، توفى سنة ٣٤٦ هـ .

ابن النديم : الفهرست ، ص ٢١٩ ، وعنه انظر : جمال الدين أبى المحاسن يوسف ابن تغرى بردى الأتابكى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب) ، ج ٣ ، ص ٣١٥-٣١٦ ، الزركلى : الأعلام ، ج ٤ ، ص ٢٧٧ .

يقع هذا الكتاب في أربع مجلدات وقد قسمه المؤلف الى مائة واثنين وثلاثين بابا بدءا بذكر المبدأ والخلقة ثم ذكر آدم عليه السلام وبقية الأنبياء كما تحدث عن تاريخ بني اسرائيل وتاريخ الهند والصين والفرس واليونان والرومان ومصر والسودان وغيرها من الأمم . ويواصل حديثه عن تلك الأمم حتى يصل الى الحديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام ثم الخلفاء الراشدين ، فالدولة الأموية ثم العباسية حتى خلافة المطيع بالله . وقد تطرق المسعودي الى الحديث عن الجوانب الحضارية عند العرب في الجاهلية ، وتاريخ المسعودي - كما أسلفنا - لم يقتصر على الأمم الاسلامية بل شمل أمم العالم كلها ولهذا يمكن أن نقول : انه تاريخ عالمي شامل تحدث فيه عن التاريخ والجغرافيا والسياسة والطب وأجناس البشر والتقاليد والقصص والجدل المذهبي وغير ذلك .

ومن الملاحظ أن المسعودي حذف الأسانيد في رواياته التاريخية مخالفا طريقة الطبري الذي كان يحرص على تسلسل السند في رواياته .

وقد استفدت من هذا الكتاب في الحديث عن قيام الدولة الأموية وسقوطها ، كما استفدت منه كذلك عند حديثي عن منهج ابن خلدون التاريخي اذ كان يورد أمثلة مما ذكره المسعودي من وقائع تاريخية لا يمكن حدوثها ، كما استشهدت ببعض ما أورده من روايات مبالغ فيها حول بني أمية لاسيما وهو معروف بنزعة الشيعة .

(٤) الكامل في التاريخ . لعل بن محمد بن عبد الواحد الشيباني (١).

وهذا الكتاب يمثل خلاصة ما كتبه المؤرخون السابقون لابن الأثير خاصة ابن جرير الطبري فقد أورد ابن الأثير معظم ما أورده ابن جرير مع

(١) أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري . ولد في الجزيرة من أرض العراق وسكن الموصل وطلب العلم فكان اماما في الحديث والتاريخ والأنساب وله كتاب الكامل في التاريخ . ولد سنة ٥٥٥هـ وتوفي في شعبان سنة ٦٣٠هـ بالموصل .

ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٣ ، ص ٣٤٨-٣٥٠ .



الزيادات التي تتطلبها طبيعة منهج ابن الأثير بالإضافة الى الحديث عن تاريخ القرون الأربعة التي لم يذكرها الطبري .

وقد كان منهج ابن الأثير يعتمد على التاريخ بالسنوات الحوليات وهو يذكر في نهاية كل سنة أسماء من توفي في هذه السنة بالإضافة إلى بعض الأخبار المتفرقة ، ويتميز أسلوب ابن الأثير بالبساطة والوضوح .

وقد استفدت من هذا الكتاب عند حديثي عن الدولة الأموية وتاريخها وأحداثها ، كما كان هذا الكتاب أحد المصادر الهامة التي اعتمدت عليها أثناء مقارنتي لما كتبه ابن خلدون عن الدولة الأموية إذ قارنت بين منهج ابن خلدون ومنهج ابن الأثير فيما كتبه عن الدولة الأموية .

(٥) البداية والنهاية . لابن كثير (١).

يعتبر هذا الكتاب من الموسوعات التاريخية الكبرى ، وقد ذكر ابن كثير في بداية كتابه أنه ذكر مايسره الله له في بدء المخلوقات ، من خلق العرش والكرسى والسماوات والأرض ومافيهن ومابينهن من الملائكة والجان والشياطين وكيفية خلق آدم عليه السلام وقصص النبيين عليهم السلام وماجرى مجرى ذلك الى أيام النبي صلى الله عليه وسلم فيذكر سيرته كما يذكر بعد ذلك الفتن والملاحم وأشراط الساعة ثم البعث والنشور وأحوال يوم القيامة ، ويتحدث عن صفة الجنة والنار ويورد ما جاء عنهما من أحاديث .

وفي الكتاب يورد ابن كثير مجموعة من الاسرائيليات مشيرا الى أنه يورد منها ماأباحه الشرع .

(١) عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، ولد سنة ٧٠١هـ في قرية من أعمال مدينة بصرى ثم انتقل الى دمشق سنة ٧٠٦هـ وتفقه فيها ودرس على الامام ابن تيمية وله مؤلفات في التاريخ والتفسير وغيرهما . وقد مات في شهر شعبان سنة ٧٧٤هـ .

محمد بن علي الشوكاني : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، (بيروت ، دار المعرفة) ، ج ١ ، ص ١٥٣ .

وقد استفاد ابن كثير من سابقه وعلى الأخص من ابن جرير الطبرى وسار على نهجه فى التاريخ بالسنوات وأشار الى أهم الأحداث السياسية التى وقعت فى كل سنة .

وقد استفدت من هذا الكتاب عند حديثى عن الفتوحات الإسلامية عندما قارنت بين منهج ابن كثير وابن خلدون ، وكذلك عند الحديث عن قيام الدولة الأموية وسقوطها .

(٦) الاحاطة فى أخبار غرناطة . لابن الخطيب (١).

ويعد هذا الكتاب موسوعة شاملة لمدينة غرناطة اذ تحدث عن جغرافيتها بدقة ، كما تحدث عما يحيط بها من جبال ومروج وأرخ لها منذ دخول المسلمين فيها ، وتحدث عن كل من دخلها من الشعراء والكتاب والعلماء ، كما ترجم لكل الأعلام المعاصرين له من سلاطين وأمراء ووزراء وكتاب ، وقد أمدنا المؤلف بمعلومات وافية عن الأحوال السياسية والاجتماعية لمدينة غرناطة فى عصره .

وقد استفدت من هذا الكتاب فى الترجمة لابن خلدون وعصره وكذلك الترجمة لبعض الشخصيات التى لها علاقة بالمغرب .

(١) محمد بن عبد الله بن سعيد الوزير الأديب لسان الدين بن الخطيب الأندلسى ، أصله من لوشة احدى قرى غرناطة ، برع فى الأدب وغيره وخدم عدة ملوك ، قتل فى سنة ٧٧٦هـ .

جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى : الدليل الشافى على المنهل الصافى ، تحقيق : فهم محمد شلتوت ، (القاهرة ، مكتبة الخانجي ، نشر جامعة أم القرى) ، ج ٢ ، ص ٦٤١-٦٤٢ ، لسان الدين بن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، حققه : محمد عبد الله عنان ، (ط ٢ ، القاهرة ، الشركة المصرية للطباعة والنشر ، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة : ١٣٩٣هـ) ، ج ٤ ، ص ٤٣٨ وما بعدها ، أحمد بن على بن محمد بن حجر العسقلانى : أنباء الغمر بأبناء العمر ، تحقيق : حسن حبشى ، (القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية : ١٣٨٩هـ) ، ج ١ ، ص ٩١-٩٣ ، أحمد بن محمد المقرئ التلمسانى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق : احسان عباس ، (بيروت ، دار صادر : ١٣٨٨هـ) ، ج ٥ ، ص ٧-٩ ، اسماعيل بن يوسف بن محمد : نثر فرائد الجمان فى نظم فحول الزمان دراسة وتحقيق : محمد رضوان الداية ، (بيروت ، دار الثقافة : ١٩٦٧م) ، ص ٢٤٢-٢٩٢ .

ثانيا : المصادر الجغرافية .

(١) معجم ما استعجم : لأبي عبيد بن عبد الله البكري (١).

وقد ذكر البكري وهو يتحدث عن كتابه أنه ذكر فيه أخبارا ومعلومات عن المنازل والديار والقرى والجبال والمياه والآثار والآبار . وقد اهتم البكري بتصحيح الأسماء وضبطها ، كما اهتم باستعراض القبائل العربية وتتبع جغرافية الحجاز ونجد واليمن .

وقد استفدت من هذا الكتاب في التعريف ببعض المدن والأماكن التي وردت في ثنايا هذا البحث .

(٢) معجم البلدان : لياقوت الحموي (٢).

وهو معجم جغرافي لا يستغنى عنه باحث فهو يقدم لقارئه تعريفا جيدا للبلدان والجبال والأماكن ، وقد كان لرحلات ياقوت وأسفاره المتعددة ومعرفته بالعالم أثر واضح على كتابه فقد سافر الى معظم أنحاء العالم الاسلامي عندما كان تاجرا يجوب أنحاء البلاد .

(١) عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي أبو عبيد ، مؤرخ جغرافي وعلامة في الأدب وله معرفة بالنبات ، عاش في قرطبة ثم انتقل الى المرية وكان مقربا من أميرها ثم رجع الى قرطبة وتوفي بها سنة ٤٨٧هـ .
الزركلي : الأعلام ، ج ٤ ، ص ٩٨ .

(٢) هو ياقوت بن عبد الله الحموي ، نشأ في بغداد مولى لرجل اسمه عسكر بن ابراهيم الحموي ، وتعلم فيها القراءة والكتابة والأعمال التجارية ، تنقل في كثير من البلاد للتجارة والعمل . يعتبر من أشهر الجغرافيين المسلمين وله دراية واسعة في اللغة والأدب . من مؤلفاته المشهورة : معجم البلدان ومعجم الأدباء وكتاب "المشترك صنعا المختلف صقعا" ، وكتاب "المبدأ والمآل" وغيرها ، توفي في مدينة حلب في شهر رمضان المبارك سنة ٦٢٦هـ .
ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٦ ، ص ١٢٧ .

وقد قسم المؤلف كتابه هذا الى خمسة أبواب ، فالباب الأول عن صورة الأرض ، والثاني عن الاختلاف في معنى الإقليم ، والثالث توضيح لبعض المصطلحات كالميل والفرسخ ، والرابع في بيان حكم الأراضي المفتوحة وكيفية التعامل مع خراجها وفيئها ، والخامس في أخبار البلدان التي لا يختص ذكرها بموضع معين . ثم قسم الكتاب الى ثمانية وعشرين كتابا على عدد حروف المعجم ، وقد التزم بترتيب كل كلمة على أول حرف فيها ثم الحرف الثاني والثالث وهكذا حسب ترتيب الحروف الهجائية .

وقد استفدت من هذا الكتاب في التعريف بكثير من المدن والأماكن التي وردت في ثنايا البحث .

ومن المعاصرين رجعت الى عدد كبير من الكتب التاريخية ، مثل كتاب تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي لحسن ابراهيم حسن ، والدولة الأموية في الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء لمحمد الطيب النجار ، وبنو أمية بين الضربات الخارجية والانهيال الداخلي لعبد الحليم عويس ، والتاريخ السياسي للدولة العربية لعبد المنعم ماجد وغيرها من كتب التاريخ الحديثة .

كما رجعت كذلك الى كتب فلسفة التاريخ لارتباطها الوثيق بموضوع الدراسة ولاسيما ذات الرؤية الاسلامية مثل كتاب التفسير الاسلامي للتاريخ لعماد الدين خليل ، وكتاب في التفسير الاسلامي للتاريخ لنعمان عبد الرزاق السامرائي ، وكتاب تفسير التاريخ علم اسلامي لعبد الحليم عويس وغيرها من كتب فلسفة التاريخ .

ومن الكتب التي تحدثت عن ابن خلدون رجعت الى كتاب فكر ابن خلدون لمحمد عابد الجابري ، ودراسات عن مقدمة ابن خلدون لساطع الحصري ، وفلسفة التاريخ عند ابن خلدون لزينب محمود الحضيبي ، والنظرية السياسية لابن خلدون لمحمد محمود ربيع ، والفكر العلمي عند ابن خلدون للصغير بن عمار ، وابن خلدون واضع علم ومقرر استقلال لايف لأكوست ، ومنطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته لعلي الوردى وغيرها من الكتب .

* * * * *

وقد استطعت بفضل الله أن أحصل على نسخة كاملة من مخطوطة تاريخ ابن خلدون ، وعند مقارنة هذه المخطوطة على جميع النسخ المطبوعة وجدت أن جزء من هذا التاريخ لم يظهر في تلك المطبوعات ويعتبر بطبيعة الحال جزء مفقودا من تاريخ ابن خلدون يظهر لأول مرة للباحثين والمهتمين بالاطلاع على كتب التاريخ ، ولعل ذلك يعتبر انجاز علمى وفقنى الله لاظهاره .

يقع هذا الجزء - وهو متعلق بالدولة الأموية - في المجلد الثالث من المخطوط ، وهذا المجلد كتب بخط نسخ واضح ، ويتكون من ٣٦٣ صفحة ، في كل صفحة ٢٥ سطرا ، كتبه أبو الصلاح محمد القطرى الحنفى . وهذا المجلد من مخطوط داماد ابراهيم باشا الموجود في المكتبة السلیمانية في استانبول برقم ٨٦٤ ، أوله : "كان لبنى عبد مناف في قريش محل من العدد والشرف لا يناهضهم فيه أحد من ساير بطون قريش" ، وآخره "والله حفظ سياج الاسلام والأمة وأمد القايين بأمورهم بمواد التأييد والاعانة من الله وفضله . تم الجزء الثالث من تاريخ ابن خلدون المسمى بالعبر ويليه في الجزء الرابع من أخبار الدولة العلوية المزاحمة لدولة بني العباس" .

والجزء المفقود - والذي عثرت عليه - يقع في ٣٤ ورقة ، كنت ألاحظ أن بعض نسخ تاريخ ابن خلدون تلخص المعلومات المفقودة من كتب أخرى مثل تاريخ الطبرى وابن الأثير ، وبعضها لا يشير اليها ويذكر أن هناك بياضا بالأصل . وقد أرفقت هذا الجزء مع هذا البحث وجعلته ملحقا به اتماما للفائدة .

* * * * *

وقد نجحت ولله الحمد في الحصول على المصادر والمراجع التى يستلزمها البحث ، وقد كان لأستاذى المشرف الدكتور فواز بن على الدهاس الفضل الأكبر فى توجيهى ليصل هذا البحث الى صورته الحالية ، فقد كان

لمتابعته الدقيقة وتوجيهاته القيمة أثر كبير في انجاز هذا البحث ، فلم يبخل بوقته وجهده ومكتبته مما ذلل الكثير من العقبات التي كنت أواجهها ، جعل الله ذلك كله في موازين حسناته ، وله منى الشكر والتقدير .

كما أشكر جامعة أم القرى ، وكلية الشريعة على التسهيلات التي قدمت لى منذ التحاقى بالكلية وحتى هذا التاريخ . كما أشكر كذلك والدى الكريمين اللذين وقفوا الى جانبي وتحملا مشاق الغربة والسفر ليكونا الى جانبي أثناء مدة الدراسة والبحث . وأشكر كذلك كل من قدم لى مساعدة فى هذه الرسالة مهما كانت فللجميع منى الشكر والتقدير .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

وسلم .

التمهيد

ابن خلدون : حياته وعصره

ابن خلدون .. حياته وعصره

كانت حياة ابن خلدون مزيجاً بين العلم والسياسة ، وانه لمن الذكاء النادر أن يجتمع في حياة انسان علم وسياسة في آن واحد .
وقد انغمس ابن خلدون في غمار السياسة ردحا من الزمن خالط فيه الأمراء وتولى مناصب الدولة العليا ، وقام بسفارات عدة أدى فيها دورا متميزا . وفي هذه الأثناء كان ينصرف الى العلم والتأليف والتدريس مبتعدا بعض الوقت عن السياسة وهمومها .

وقد استطاع أن يثرى المكتبة العربية بعدد من المؤلفات القيمة كان أهمها وأشهرها مقدمته وتاريخه . بالاضافة الى عدد من الكتب الأخرى منها كتاب (لباب المحصل في أصول الدين) وهو مختصر لكتاب فخر الدين محمد بن عمر الرازي المعروف بابن الخطيب^(١) ، (محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين) وقد طبع هذا الكتاب في المغرب في مطبعة دار الطباعة المغربية في تطوان ، سنة ١٩٥٢م بتحقيق الأب لوسيانو روبيو ، وهناك مخطوطة لهذا الكتاب في مكتبة الأسكوريال في مدريد برقم : ١٦١٤ . وله كذلك كتاب موجز في (وصف بلاد المغرب) الذي كتبه لتيমور لنك^(٢) سنة (٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) ، وقد قيل أن تيمور لنك أمر

(١) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري ، امام مفسر ولد في الري سنة ٥٤٤هـ واليها نسبته ، توفي في هراة سنة ٦٠٦هـ ، له مجموعة من المصنفات منها تفسير القرآن الكريم ومعالم أصول الدين وغيرها كثير .
الزركلي : الأعلام ، ج ٦ ، ص ٣١٣ .

(٢) تيمور لنك بن ايتمش قنلغ بن زنكى . ولد سنة ٧٢٨هـ بقرية خواجا وتقع فيما وراء النهر قرب سمرقند ، وكان من أسرة فقيرة لكنه كان شجاعا حازما ، تقرب من الملك محمود واستطاع أن يستولى على مملكته ثم الممالك المجاورة له ثم على فارس ودخل بغداد سنة ٧٩٤هـ ثم دخل دمشق سنة ٨٠٣هـ ، ثم أخذ بلاد الروم والهند ، وسار الى بلاد الصين فهلك في الطريق وكان ذلك سنة ٨٠٧هـ . =

بترجمته إلى المغولية . ومن المرجح أن هذا الكتاب فقد مع ما فقد من المخطوطات العربية^(١).

وقد كتب ابن خلدون سيرة ذاتية عن نفسه شملت أهم مراحل حياته وهو بهذا العمل وفرّ جهدا كبيرا على مترجمي سيرته ، حيث قدم لهم ما يحتاجون إليه من معلومات عنه بصورة مفصلة تاركا لهم التعليق على هذه المعلومات واستخلاص بعض النتائج منها .

وسنتحدث هنا عن أهم مراحل حياة ابن خلدون معتمدين على ترجمته لنفسه في كتابه "التعريف" ، وكذلك على بعض الكتب الأخرى . ولد ابن خلدون وهو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي في تونس في غرة رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ، هكذا أرخ مولده بنفسه^(٢)، ووافقه في ذلك بعض المؤرخين^(٣). وهو من ولد

= ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٧ ، ص ٦٢ .
وعنه انظر : ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ١٢ ، ص ٢٥٤-٢٧٠ ، ابن تغري بردي : الدليل الشافي على المنهل الصافي ، ج ١ ، ص ٢٢٤ .

(١) عبد الرحمن بدوي : مؤلفات ابن خلدون ، (ط ٢) ، نشر الدار العربية للكتاب ، ليبيا : ١٣٩٩هـ) ، ص ٢٨٦، ٣٧ . انظر في الكتاب ما قيل عن بقية مؤلفات ابن خلدون .

(٢) عبد الرحمن بن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، حققه : محمد بن تاوويت الطنجي ، (القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر : ١٣٧٠هـ) ، ص ١٥، ١ .

(٣) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : رفع الاصر عن قضاة مصر ، تحقيق حامد عبد المجيد وآخرون ، (القاهرة ، المطبعة الأميرية ، نشر وزارة التربية والتعليم : ١٩٥٧م) ق ١ ، ص ٣٤٣ ؛ ابن تغري بردي : الدليل الشافي على المنهل الصافي ، ج ١ ، ص ٤٠٤ ؛ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، (بيروت ، دار مكتبة الحياة) ، ج ٢ ، ص ١٤٥ ؛ الشوكاني : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ج ١ ، ص ٣٣٧ .

وائل بن حجر ، اشبيلي الأصل (١).

وقد نعت ابن خلدون نفسه بالحضرمي حرصا منه على الحاق نسبه بحضرموت وقبائلها العربية (٢).

ولما أصبح يافعا حفظ القرآن الكريم بالقراءات السبع ، ثم درس علوم اللغة العربية والفقه والحديث والأدب وتعلم في هذه العلوم على أشهر العلماء وأخذ منهم اجازات فيها (٣).

قال عنه السخاوي (٤): "و حفظ القرآن والشاطبتين (٥)، ومختصر ابن

(١) ابن الخطيب : الاحاطة في أخبار غرناطة ، ج ٣ ، ص ٤٩٧ ؛ ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص ١-٢ .

(٢) ساطع الحصري : دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، (ط ٣ ، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، بيروت : ١٣٨٧هـ) ، ص ٤٢ .

(٣) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص ١٥-٢٣ . وانظر كذلك عن شيوخه : ابن الخطيب : الاحاطة في أخبار غرناطة ، ج ٣ ، ص ٤٩٨ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٧ ، ص ٧٦ .

(٤) هو الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر السخاوي ، ولد في القاهرة سنة احدى وثلاثين وثمانمائة ، وكان عالما في شتى فنون المعرفة ، لازم الحافظ ابن حجر العسقلاني وأخذ عنه وروى حديث الرسول الكريم وكان حجة فيه . له مصنفات في التراجم والحديث والتاريخ ، توفي في المدينة المنورة يوم الأحد الثامن والعشرين من شعبان سنة اثنتين وتسعمائة .

ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٨ ، ص ١٥-١٧ .
وعنه انظر : الشوكاني : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ج ٢ ، ص ١٨٤-١٨٧ .

(٥) هما من أشهر قصائد أبي القاسم بن فيره بن خلف الرعيني الشاطبي في القراءات والرسم ، وقد نسبتا اليه ، وهما "حرز الأمان" و"عقيلة القصائد في أسنى المقاصد" وقد انتفع بهما خلق كثير .

وأبو القاسم من مشاهير القراء ، فقيه ضريير ولد في شاطبة سنة ٥٣٨هـ ، ورحل الى مصر ٥٧٢هـ وبقي فيها الى وفاته في شهر جمادى الآخرة سنة ٥٩٠هـ .

التمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج ٢ ، ص ٢٢ وما بعدها . =

الحاجب^(١) الفرعى والتسهيل فى النحو وتفقه بأبى عبد الله محمد بن عبد الله الجياني^(٢).

وفى العلوم العقلية تتلمذ ابن خلدون على شيخ هذه العلوم أبى عبد الله محمد بن ابراهيم الآبلى^(٣) - وهو من أشهر شيوخه - وقد أثنى عليه ابن

= وعنه انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٤ ، ص ٧١-٧٣؛ الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى : بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، (ط ١ ، مطبعة عيسى البابى الحلبي وشركاه : ١٣٨٤هـ) ، ج ٢ ، ص ٢٦٠ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج ٤ ، ص ٣٠١-٣٠٣ .

(١) هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبى بكر الفقيه المالكي المعروف بابن الحاجب . درس القرآن والفقه وعلوم العربية وكان متقنا لكل هذه العلوم ، ووضع فى علوم العربية مختصرا اشتهر بمختصر ابن الحاجب ، ولد فى اسنا فى صعيد مصر سنة سبعين وخمسائة ثم انتقل الى دمشق فدرس فيها ثم عاد بعد ذلك الى الاسكندرية ومات فيها سنة ست وأربعين وخمسائة .

ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٣ ، ص ٢٤٨-٢٥٠ . وانظر كذلك : أبو محمد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان اليافعى اليمنى المكي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة مايعتبر من حوادث الزمان ، (ط ٢ ، بيروت ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات : ١٣٩٠هـ) ، ج ٤ ، ص ١١٤ ؛ ابن تغرى بردى : الدليل الشافى على المنهل الصافى ، ج ١ ، ص ٤٤٠؛ السيوطى : بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، ج ٢ ، ص ١٣٤-١٣٥ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج ٥ ، ص ٢٣٤-٢٣٥ .

(٢) السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج ٢ ، ص ١٤٥ . هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطائى الجياني المشهور بـ"ابن مالك" إمام النحو فى عصره وله فيه مؤلفات مشهورة مثل "الألفية" و"الكافية الشافية" وغيرهما . توفى فى دمشق سنة اثنتين وسبعين وستمائة .

اليافعى : مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة مايعتبر من حوادث الزمان ، ج ٤ ، ص ١٧١-١٧٣ .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن أحمد العبدري الآبلى التلمساني ، تتلمذ على فقهاء عصره ورحل الى الشام ومصر والحجاز والعراق ثم عاد بعد ذلك الى تلمسان ومنها خرج الى بلاد المغرب واستقر فيها .

التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج ٥ ، ص ٢٤٤ ومابعدا .

خلدون كثيرا وقال عنه : "ولما قدم على تونس في جملة السلطان أبي الحسن^(١)، لزمته ، وأخذت عنه الأصلين ، والمنطق ، وسائر الفنون الحكمية والتعليمية ، وكان رحمه الله ، يشهد لي بالتبريز في ذلك"^(٢).

وقد اشتهر عن ابن خلدون معرفته لعدد من العلوم واجادته فيها بصورة لفتت أنظار مترجمي حياته في عصره وبعد عصره ، فقد نعته الغرناطي : بالفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى . وقال عنه : "هو ممن لا ينكر حقه في ارتياض العلوم الشريفة ، واستئصال رتبها العالية المنيفة ، لما احتوت عليه ترجمة ذكره ، وخبيئة فكره ، من أساليب النظام الرائقة الحلاء ومجاري أقوال النثر البارعة في الانشاء ... له باع واسع في المنطق وعلم النجوم ، وما يتعلق بالعلوم النظرية والفهوم ، وطريقة رائقة الفروع والأصول ، كاد أن يصل بها الى درجة الاجتهاد غاية الوصول ومعرفة بالتواريخ الحديثة والقديمة"^(٣).

(١) هو السلطان أبو الحسن علي بن أبي سعيد المريني سلطان مراکش وفاس ، توفي سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة . ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج ٦ ، ص ١٧٢ .

وعنه انظر : تقى الدين أحمد بن علي المقریزی : كتاب السلوك في معرفة دول الملوك ، حققه : سعيد عبد الفتاح عاشور ، (القاهرة ، مطبعة دار الكتب : ١٩٧٠م) ٣/٢ ، ص ٨٥٨ ؛ ابن تغرى بردى الاتابكي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٥١ ؛ ابن تغرى بردى : الدليل الشافي على المنهل الصافي ، ج ٢ ، ص ٨٢٦ ؛ أحمد بن أبي الضياف : اتخاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، تحقيق : لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار ، (تونس نشر كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار : ١٩٦٣م) ، ج ١ ، ص ١٧٦ ؛ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، (الدار البيضاء ، دار الكتاب : ١٩٥٤م) ، ج ٣ ص ٧ وما بعدها .

(٢) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص ٢٢ .

(٣) أبو الوليد اسماعيل بن يوسف بن الأحمر الغرناطي الأندلسي : أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن ، وهو كتاب نثر الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان ، حققه : محمد رضوان الداية ، (ط ١ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة : ١٣٩٦هـ) ، ص ٢٩٧، ٢٩٨ . =

وقال عنه ابن حجر^(١): "وأخذ القراءات عن محمد بن سعد بن براد^(٢)، واعتنى بالأدب وأمور الكتابة والخط ، حتى مهر في جميع ذلك"^(٣).

أما ابن الخطيب فيصفه بأنه "الرجل الفاضل حسن الخلق ، جم الفضائل ، باهر الخصل ، رفيع القدر ، ظاهر الحياء ، أصيل المجد ، وقور المجلس ، خاصى الزى ، على الهمة ، عزوف عن الضيم ... متقدم فى فنون عقلية ونقلية ، متعدد المزايا ، سديد البحث ، كثير الحفظ ، صحيح التصور ، بارع الخط ، مغرى بالتجلة ، جواد الكف ، حسن العشرة ، مبذول المشاركة مقيم لرسوم التعيين ، عاكف على رعى خلال الأصالة ، مفخرة من مفاخر التخوم المغربية"^(٤).

كما أشار الحصرى الى نشاطه العلمى الذى كان يقتزن أحيانا بطموحه السياسى فقال : "ولذلك نجد ابن خلدون ينكب فى بادىء الأمر على الدرس

= هو اسماعيل بن يوسف بن السلطان محمد بن الأحمر ، أمير غرناطى نزل فاس له عدة مصنفات فى التاريخ والتراجم ، توفى فى حدود سنة احدى وسبعين وسبعمائة اسماعيل باشا البغدادى : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، (بيروت دار العلوم الحديثة) ، ج ١ ، ص ٢١٥ .

(١) هو أحمد بن على بن محمد بن محمد بن حجر العسقلانى ، ولد سنة ٧٧٣هـ وتوفى سنة ٨٥٢هـ . حافظ له مصنفات عديدة فى الحديث والتفسير والتراجم طبع كثير منها .

اسماعيل البغدادى : هدية العارفين ، ج ١ ، ص ١٢٨-١٣٠ ؛ ابن حجر العسقلانى : رفع الاصر عن قضاة مصر ، ق ١ ، ص ٨٥-٨٨ ؛ الشوكانى : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ج ١ ، ص ٨٧-٩٢ .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن بُرّال الأنصارى - وقد ورد اسمه محرفا فى كثير من الكتب اذ يجعلونه "براد" - قال عنه ابن خلدون أن أصله من جالية الأندلس وكان اماما فى القراءات ، وقد قرأ عليه ابن خلدون القراءات السبع .

ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص ١٥-١٦ .

(٣) ابن حجر العسقلانى : رفع الاصر عن قضاة مصر ، ق ٢ ، ص ٣٤٣ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، ج ٣ ، ص ٤٩٧-٤٩٨ .

والتحصيل بكل نهم ، ولكنه بعد ذلك ، حالما يدخل الحياة العامة ، ينصرف بتيار حب المنصب والجاه ، ويجوز غمار الحياة السياسية بكل اندفاع ، ويعيش قرابة ربع قرن عيشة حافلة بشتى حوادث الطموح والمغامرة ، ولكنه خلال هذه الحياة السياسية المغامرة أيضا لا يتخلى عن حب الدرس والعلم ، بل ينتهز كل الفرص للاستزادة من العلم ، بكل الوسائل الممكنة^(١).

بدأ ابن خلدون حياته السياسية ، بالاتصال بالسلطان أبي عنان^(٢) في تلمسان^(٣) اذ وفد عليه في أواخر سنة ٧٥٤هـ / ١٣٥٣م وهو لا يزال شابا ، وفي أوائل سنة ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م طلبه السلطان ليكون في جملة جلسائه ، ويصف ابن خلدون قدومه على السلطان أبي عنان في هذه السنة فيقول : "فقدت عليه سنة خمس وخمسين ، ونظمت في أهل مجلسه العلمي وألزمته شهود الصلوات معه ، ثم استعملني في كتابته ، والتوقيع بين يديه ، على كره مني ، اذ كنت لم أعهد مثله لسلفي ، وعكفت على النظر ، والقراءة ، ولقاء المشيخة من أهل المغرب ، ومن أهل الأندلس الوافدين في غرض السفارة ، وحصلت من الافادة منهم على البغية"^(٤).

-
- (١) ساطع الحصري : دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص ٥٠ .
- (٢) هو أبو بكر بن أبي عنان بن أبي الحسن المريني ، أحد سلاطين بني مرين (دولة بني مرين ٦٦٨-٩٥٦هـ / ١٢٦٩-١٥٤٩م) ، توفي في مدينة فاس بالمغرب سنة ٧٥٩هـ .
- الناصرى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج ٤ ، ص ٣-٧ ، ٥٠ ، وما بعدها .
- وعنه انظر : المقرئى : السلوك في معرفة دول الملوك ، ١/٣ ، ص ٤٥ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ١٠ ، ص ٣٢٩ .
- (٣) تلمسان : بكسرتين ، وسكون الميم ، وسين مهملة ، وبعضهم يقول تنمسان ، بالنون عوض اللام : بالمغرب وهما مدينتان متجاورتان مسورتان ، بينهما رمية حجر ، احدهما قديمة والأخرى حديثة ، والحديثة اختطها المثلثون ملوك المغرب واسمها تافرزت ، واسم القديمة أقادير . شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى : معجم البلدان ، (بيروت ، دار صادر ودار بيروت : ١٤٠٤هـ) ، ج ٢ ، ص ٤٤ .
- وعنها انظر : زكريا بن محمد بن محمود القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، (بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر : ١٤٠٤هـ) ، ص ١٧٢ .
- (٤) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص ٥٨-٥٩ .

ولكن هذه العلاقة الحسنة مع السلطان أبي عنان أفسدها الوشاة الذين حسدوا ابن خلدون على مكانته الطيبة عند السلطان فأوهموه أن ابن خلدون مطلع على مساعي صاحب^(١) بجاية^(٢) الذى كان يستعد لاستعادة بلده من السلطان وأنه أخفى هذه المعلومات عنه فقبض عليه وحبسه ، ومازال ابن خلدون فى حبسه حتى مات السلطان سنة ٧٥٩هـ / ١٣٥٧م ، فأطلقه القائم بالدولة بعد موت أبي عنان^(٣).

ويبدو أن ابن خلدون رأى أن مصلحته السياسية تقتضى تركه لفاس^(٤) ، واتجاهه لمكان آخر يحقق فيه طموحه وتطلعاته للمناصب والجاه ، فانتقل من فاس متوجها الى السلطان أبي سالم^(٥) ، وقد استعان هذا السلطان بابن خلدون ليكون سفيره الى أشياخ بنى مرين حيث تربطه بهم علاقة قوية وكان الهدف من هذه السفارة استمالة هؤلاء المشايخ ليكونوا فى صف

-
- (١) هو أبو عبد الله محمد بن الأمير أبي زكريا بن أبي بكر بن يحيى الحفصى ، ولاء أبو عنان اقليم بجاية ليقف - دونها - فى وجه ملوك تونس ، يومئذ .
- ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، هامش ص ٦٦ .
- (٢) بجاية : مدينة على ساحل البحر بين افريقية والمغرب أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيرى بن مناد بن بلكين فى حدود سنة ٤٥٧هـ . ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٣٩ .
- (٣) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص ٦٦-٦٨ ؛ الغرناطى أعلام المغرب والأندلس ، ص ٢٩٧-٢٩٨ .
- (٤) فاس : مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر وهى مدينتان مفترقتان مسورتان : عدوة الأندلسيين أسست فى سنة ١٩٢هـ ، وعدوة القرويين أسست فى سنة ١٩٣هـ . ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٣٠-٢٣١ .
- وعنها انظر : القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ١٠٢-١٠٣ .
- (٥) هو ابراهيم بن أبي الحسن المرينى ، كان جوادا كريما وقد أصبح سلطانا على فاس سنة ستين وسبعمائة ثم استولى على المغرب ، وقد قرب اليه ابن خلدون وجعله كاتب سره . الناصرى : الاستقصا ، ج ٤ ، ص ٧ وما بعدها .
- وعنه انظر : ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، ج ١ ، ص ٣٠٣-٣١٠ ؛ المقرئى : السلوك فى معرفة دول الملوك ، ١/٣ ، ص ٧٢، ٧٧ ؛ ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج ١١ ، ص ١٢ .

السلطان أبي سالم ، وقد نجح ابن خلدون في مهمته تلك ، ووصف رحلته لهم بقوله : "وتقدمت الى شيوخ بني مرين وأمراء الدولة بالتحريض على ذلك ، حتى أجابوا ، وبعث ابن مرزوق^(١) الى الحسن بن عمر^(٢) يدعو الى طاعة السلطان أبي سالم ، وقد ضجر من الحصار ، فبادر الى الاجابة"^(٣). وقد استفاد ابن خلدون على المستوى الشخصى من تلك السفارة التى نجح فيها ، وقد وصف دخول السلطان^{أبي} سالم الى فاس وهو معه بقوله : "ولقيه الحسن بن عمر بظاهرها ، فأعطاه طاعته ، ودخل الى دار ملكه وأنا فى ركابه ، لخمس عشرة ليلة من نزوعى اليه ، منتصف شعبان ستين وسبعمئة ، فرعى لى السابقة ، واستعملنى فى كتابة سره ، والترسيل عنه ، والانشاء لمخاطباته"^(٤).

لكن الأمر لم يدم للسلطان أبي سالم حيث ثار عليه وزيره عمر بن

(١) هو محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق التلمسانى أثنى عليه لسان الدين ابن الخطيب وعده شيخه وأستاذه ، جالس السلاطين والأشراف ، وله باع طويل فى العلوم لاسيما التفسير وعلوم العربية ، وقد صاحب السلطان أبي عنان فى المغرب وكان من المقربين اليه ، ولد بتلمسان عام أحد عشر وسبعمئة ومات سنة احدى وثمانين وسبعمئة . التلمسانى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج ٥ ، ص ٣٩٠ وما بعدها .

وعنه انظر : السيوطى : بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، ج ١ ، ص ٤٦-٤٧ ؛ الناصرى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج ٤ ، ص ٣٧، ٢٦ وما بعدها .

(٢) هو الوزير الحسن بن عمر الفودوى من وزراء السلطان أبي عنان ، كان على خلاف مع ولى العهد أبي زيان حيث أقصاه عن العرش وأقام عليه طفلا من أبناء أبي عنان وانفرد بشؤون الملك حتى تمكن السلطان أبو سالم من الحصول على عرش فاس فبايعه الحسن بن عمر وولاه السلطان أبو سالم ولاية مراكش سنة ٧٦٠ هـ ، ولكنه ثار على السلطان وانتهى الأمر بمقتله سنة ٧٦١ هـ . الناصرى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج ٤ ، ص ٣٢، ٨، ٣ .

(٣) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص ٦٨-٦٩ .

(٤) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٧٠ .

عبدالله^(١)، وأخذ البيعة لنفسه فاستمر معه ابن خلدون على ما كان عليه من العز والاكرام ، الا أن طموحات ابن خلدون المتزايدة أغضبت الوزير فساءت الحالة بينهما فطلب ابن خلدون العودة الى بلده فأذن له على أن لا يذهب الى تلمسان فاختر الأندلس ، وكان ذلك في بداية سنة ٥٧٦٤هـ / ١٣٦٢م^(٢).

وصل ابن خلدون الى غرناطة^(٣) في أوائل ربيع الأول سنة ٥٧٦٤هـ / ١٣٦٢م^(٤)، وكان سلطانها ابن الأحمر^(٥) ووزيرها ابن الخطيب ، ولما علم ابن الخطيب بقدومه قابله بالترحاب والاكرام ، وكذلك السلطان أكرمه كثيرا^(٦). ويذكر لنا ابن الخطيب جوانب هذا الاكرام حيث يقول عن دخول ابن خلدون غرناطة : "واهتز له السلطان ، وأركب خاصته لتلقيه ، وأكرم وفادته ، وخلع عليه ، وأجلسه بمجلسه الخاص ، ولم يدخر عنه برا ومؤكلة ومطايبة وفكاهة"^(٧).

(١) هو عمر بن عبد الله بن علي بن سعيد الفودوري ، أحد كبار رجال الدولة المغربية وتلمسان في عهد السلطان أبي سالم ، وقد ثار على السلطان المذكور سنة ٥٧٦٢هـ ، واستطاع قتله وأصبح هو المتصرف في شؤون الدولة لعدة سنوات حتى قتل سنة ٥٧٦٨هـ . الناصري : الاستقصا لدول المغرب الأقصى ، ج ٤ ، ص ٣٧ وما بعدها .

(٢) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص ٧٧-٧٩ .

(٣) غرناطة : هي من أقدم مدن الأندلس وأعظمها وأحسنها ومعنى غرناطة رمانة بلسان عجم الأندلس سمي البلد لحسنه بذلك . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٩٥ .

وعنها انظر : القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٥٤٧ .

(٤) ابن الخطيب : الاحاطة في أخبار غرناطة ، ج ٣ ، ص ٤٩٩ ؛ ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص ٨٤ ؛ السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج ٢ ، ص ١٤٥ .

(٥) محمد بن محمد بن يوسف بن نصر ، يكنى أبو عبد الله ثالث ملوك بني الأحمر ، ولد عام ٦٥٥هـ ، وهو الذي بنى مسجد الحمراء بغرناطة ، توفي عام ٧١٣هـ . عنه انظر : ابن الخطيب : الاحاطة في أخبار غرناطة ، ج ١ ، ص ٥٤٤-٥٥٦ .

(٦) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص ٨٤، ٨٢ .

(٧) ابن الخطيب : الاحاطة في أخبار غرناطة ، ج ٣ ، ص ٤٩٩ .

بينما يصف ابن خلدون دخوله على السلطان بقوله : "وقد اهتز السلطان لقدمي ، وهياً لي المنزل من قصوره ، بفرشه وماعونه ، وأركب خاصته للقائي ، تحفياً وبراً ، ومجازاة بالحسنى ، ثم دخلت عليه فقابلني بما يناسب ذلك ، وخلع علي وانصرف . وخرج الوزير ابن الخطيب فشيئاً إلى مكان نزلي ، ثم نظمت في عليّة أهل مجلسه ، واختصني بالنجى في خلوته ، والمواكبة في ركوبه ، والمؤاكلة والمطايبة والفكاهة في خلوات أنسه ، وأقمت على ذلك عنده" (١).

لكن هذه السعادة - التي نشعر بها في وصف ابن خلدون لحالته - لم تدم طويلاً - وسبحان مقلب القلوب - فلقد تغير عليه الوزير ابن الخطيب إذ خشي أن ينافسه عند السلطان فتؤثر هذه المنافسة على مكانته ، ولما لاحظ ابن خلدون هذا التغير أثر الانتقال إلى مكان آخر فاستأذن في السفر إلى بجاية ، فأذن له السلطان ابن الأحمر وكان هذا سنة ٨٧٦٦هـ / ١٣٦٤م (٢). وفي بجاية استقبل ابن خلدون استقبالا حافلا أثلج صدره ، وأتاحت له مكانته الجديدة عند سلطان بجاية (٣) أن يتولى تدبير أمور السلطان (٤)، وأن يقوم كذلك بممارسة التدريس والخطابة في الجامع (٥).

وتمضى الحياة بعد ذلك بابن خلدون متنقلاً بين بلدان المغرب يمارس حياته السياسية المضطربة ومتنقلاً بين أمرائها ، فهو تارة عند السلطان

(١) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً ، ص ٨٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٩١-٩٣ .

(٣) انظر ترجمته ص ١٨ .

(٤) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً ، ص ٨٤ . وانظر كذلك

ابن حجر العسقلاني : رفع الاصر عن قضاة مصر ، ق ٢ ، ص ٣٤٣ ، السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج ٢ ، ص ١٤٥ .

(٥) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً ، ص ١٣٥-١٣٩ ،

١٥٣-١٥٥ .

عبد العزيز^(١) صاحب المغرب يؤلف له القلوب ويدعو الناس لمناصرته^(٢)، وتارة أخرى عند صاحب بسكرة^(٣)، أحمد بن يوسف مزني^(٤)، وينتقل بعد ذلك الى فاس عند سلطانها أبي العباس^(٥). فلما تنكر له هذا السلطان عاد الى تلمسان ولحق به أهله وكان ذلك في عيد الفطر سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م^(٦). بعد هذه المعاناة الطويلة ، والاضطراب الذي عاناه ابن خلدون ، نتيجة تنقله بين بلدان المغرب والخوض في غمار الحياة السياسية ، ذهب

(١) هو عبد العزيز بن علي بن عثمان أبو فارس المريني ، سلطان المغرب . تولى السلطة سنة ثمان وستين وسبعمائة بعد وفاة أبيه واستمر سلطانا على المغرب حتى توفي سنة ٧٧٤هـ . ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٦ ، ص ٢٣٢ .

وعنه انظر : المقرئ : السلوك في معرفة دول الملوك ، ١/٣ ، ص ٢١١ ، العسقلاني : انباء الغمر بأبناء العمر ، ج ١ ، ص ٤٤-٤٥ ، ابن تغري بردي : الدليل الشافي على المنهل الصافي ، ج ٢ ، ص ٨٣٢ ، الناصري : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج ٤ ، ص ٧٦-٨١ .

(٢) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص ١٣٥-١٣٩ ، ١٥٣-١٥٥ .

(٣) بسكرة : بلدة بالمغرب من نواحي الزاب فيها نخل وشجر وهي مدينة مسورة ذات أسواق وحمامات ، وأهلها علماء على مذهب أهل المدينة . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٢٢ .

(٤) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص ٢١٦ .

(٥) هو أحمد بن أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن سلطان بني مرين صاحب فاس وبلاد المغرب ملك من سنة ٧٧٥-٧٩٦هـ . تولى الملك مرتين ، توفي في محرم وأقيم بعده ابنه أبو فارس . المقرئ : السلوك في معرفة دول الملوك ، ١/٣ ، ص ٨٢٣، ٥٦٨، ٣٠٢ .

وعنه انظر : ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ١٢ ، ص ١٤٣ .

(٦) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص ٢١٨ ، ٢٢٤-٢٢٧ .

الى أحياء أولاد عريف (١)، وأقام عندهم في قلعة ابن سلامة (٢)، ولحق به أهله هناك . وفي هذه القلعة النائية البعيدة عن الناس هدأت نفس ابن خلدون فكتب فيها أعظم مؤلفاته وأهمها . يقول ابن خلدون : "فأقمت بها أربعة أعوام ، متخليا عن الشواغل كلها ، وشرعت في تأليف هذا الكتاب ، وأنا مقيم بها ، وأكملت المقدمة منه على ذلك النحو الغريب ، الذي اهتديت اليه في تلك الخلوة ، فسالت فيها شاييب الكلام والمعاني على الفكر حتى امتخضت زبدتها ، وتألفت نتائجها" (٣).

وقد وصف الدكتور على عبد الواحد وافي شخصية ابن خلدون عندما كان في قلعة ابن سلامة حيث تفرغ فيها لكتابة تاريخه ومقدمته فقال عنه : "وكان ابن خلدون حينئذ في نحو الخامسة والأربعين من عمره ، وقد نضجت معارفه ، واتسعت دائرة اطلاعه ، وارتقى تفكيره ، وأفاد أيما فائدة من تجاربه ومشاهداته في شئون الاجتماع الانساني على العموم ، وخاصة لأنه قضى نحو ربع قرن في غمار السياسة ، متقلبا في خدمة القصور والدول المغربية والأندلسية ، يدرس أمورها ويستقصي سيرها ، ويتغلغل بين القبائل يتأمل طبائعها وأحوالها وتقاليدها" (٤).

(١) عرب من سويد ، ينتهي نسبهم الى زغبة ورثوا الرياسة على قومهم منذ القديم واتصل عريف ببني مرين ملوك المغرب .

عبد الرحمن بن خلدون : تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر ، (ط ٢ ، بيروت ، دار الفكر : ١٤٠٨هـ) ، ج ٦ ، ص ٥٨ وما بعدها .

(٢) تسمى قلعة تاوغزوت تقع في مقاطعة وهران من بلاد الجزائر وتنسب الى سلامة ابن على بن نصر بن سلطان رئيس بني يدلتن من بطون توجين ، سكن تاوغزوت واختط بها القلعة فنسبت اليه .

ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، هامش ص ٢٢٨ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٧ ، ص ٢١٦ وما بعدها .

(٣) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص ٢٢٨-٢٢٩ .

(٤) على عبد الواحد وافي : عبقریات ابن خلدون ، (ط ١ ، جدة ، عكاظ للنشر والتوزيع : ١٤٠٤هـ) ، ص ٧٣ .

لقد استفاد ابن خلدون كثيرا من انقطاعه للتأليف في قلعة ابن سلامة مدة أربع سنوات ، وقد استطاع أن يكمل المقدمة ويصل في تاريخه الى أخبار العرب والبربر وزناته ، لكنه أدرك أنه لن يستطيع اكمال تاريخه وهو بعيد عن متناول المراجع والدواوين ، وهذه لا توجد الا في الأمصار ، وفوق هذا كله فقد تآقت نفسه للعودة الى تونس مقر آباءه وأجداده فبادر بالكتابة الى سلطانها أبي العباس يطلب منه الموافقة على عودته الى تونس ، ويقدم له الطاعة ، فوافق السلطان على ذلك ، وبدأ رحلة العودة في رجب سنة ثمانين وسبعمائة ووصل الى تونس في شهر شعبان من السنة نفسها ، وقد أكرمه السلطان واحتفى بقدومه كثيرا^(١).

وكالعادة فقد بدأ الوشاة عملهم ، ويبدو أن طموحات ابن خلدون الواضحة ، وامكاناته العلمية الكبيرة هي التي كانت تغرى الوشاة به حرصا على مكانتهم لدى السلطان ، لكن هؤلاء لم يفلحوا هذه المرة ، ويبدو أن السلطان كان مدركا لما يجري ، يقول ابن خلدون : "فاتفقوا على شأنهم في التأليب على ، والسعاية بي ، والسلطان خلال ذلك معرض عنهم في ذلك ، وقد كلفني بالاكباب على تأليف هذا الكتاب لتشوقه الى المعارف والأخبار ، واقتناء الفضائل ، فأكملت منه أخبار البربر ، وزناته ، وكتبت من أخبار الدولتين وما قبل الاسلام ما وصل الى منها ، وأكملت منه نسخة رفعتها الى خزانته^(٢).

وعندما أكمل ابن خلدون مهمته التي قضى فيها وقتا طويلا وهي اكمال تاريخه وتقديمه للسلطان ، هيا نفسه للخروج من تونس قبل أن يتغير عليه السلطان لأنه لاحظ اشتداد حملات الوشاية به ، فاستأذن للسفر الى الحج ، فأذن له السلطان ، وكان ذلك في منتصف شهر شعبان سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م ، وخرج لوداعه جمع كبير من أعيان الدولة وطلبة العلم^(٣).

(١) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص ٢٣٠-٢٣٢ .

(٢) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص ٢٣٣ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٤٤-٢٤٥ .

وصل ابن خلدون الى الاسكندرية^(١) يوم الفطر من السنة نفسها، وغادرها الى القاهرة^(٢) فوصلها في أول شهر ذى القعدة ، وكان سلطان مصر يومها الملك الظاهر برقوق^(٣) ، وقد أعجب ابن خلدون بمصر كثيرا ، ويبدو أنه أخذ بجمالها وكثرة سكانها ، وعظمة مبانيها ، ويظهر هذا الاعجاب جليا في وصفه لها اذ يقول عنها : "فرايت حضرة الدنيا ، وبستان العالم ، ومحشر

(١) الاسكندرية العظمى بمصر فتحت سنة عشرين من الهجرة في أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، على يد عمرو بن العاص بعد قتال وممانعة . ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٨٢-١٨٩ .

وعنها انظر : أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنانى الأندلسى الشاطبى البلبسى : رحلة ابن جبير ، (بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر : ١٤٠٤هـ) ، ص ١٣-١٧ ؛ القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ١٤٣-١٤٧ ؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق : محمد عبد المنعم العريان ، (ط ١ ، بيروت ، دار احياء العلوم : ١٤٠٧هـ) ، ص ٣٨-٧٢ .

(٢) القاهرة مدينة عظيمة أول من أحدثها جوهر غلام المعز الملقب بالقائم بن عبيد الله سنة ٣٥٨هـ . ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٠١ .
وعنها انظر : أبى معين الدين ناصر خسرو القباديانى المروزى : سفرنامه رحلة ناصر خسرو القباديانى ، ترجمة : أحمد خالد البدلى ، (ط ١ ، الرياض ، مطابع جامعة الملك سعود ، نشر عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود : ١٤٠٣هـ) ، ص ٨٦-١١٦ ؛ ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص ١٨-٣١ ؛ القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٢٤٠ .

(٣) هو برقوق بن أنس بن عبد الله الجركسى العثمانى كان مملوكا عند أمراء مصر ، وعمل فى خدمة عدد منهم ثم آل الأمر اليه بعد مؤامرات قام بها وذلك فى شوال سنة أربع وثمانين وسبعمائة ولقب بالملك الظاهر برقوق وبايعه الناس . وكانت له محاسن كثيرة ويعد من أعظم ملوك الجراكسة وقد توفى فى شوال سنة احدى وثمانمائة فى القاهرة . ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج ٧ ص ٦ .

وعنه انظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج ١١ ، ص ٢٢١-٣١٨ ، ج ١٢ ، ص ١-١١٩ ؛ ابن تغرى بردى : الدليل الشافى على المنهل الصافى ، ج ١ ، ص ١٨٧-١٨٨ ؛ الشوكانى : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ج ١ ، ص ١٦٢-١٦٤ .

الأمم ، ومدرج الذر من البشر ، وايوان الاسلام ، وكرسی الملك ، تلوح القصور والأواوين في جوه ، وتزهر الخوانك ، والمدارس بآفاقه ، وتضىء البدور والكواكب من علمائه" (١).

ولما استقر به المقام بدأ عمله العلمي بالتدريس في الجامع الأزهر ثم عمل مدرسا في المدرسة القمحية (٢)، بعد هلاك أحد مدرسيها (٣).

وقد أشار المقرئى (٤) الى هذه الواقعة وهو يتحدث عن أحداث سنة ٧٨٦هـ بقوله : "وفي خامس عشرينه ، درس شيخنا أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون بالمدرسة القمحية بمصر ، عوضا عن علم الدين سليمان البساطى (٥)

(١) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص ٢٤٦ .

(٢) المدرسة القمحية بناها السلطان صلاح الدين بجوار الجامع العتيق بمصر وخصصها للفقهاء المالكية ، وهذه المدرسة من أهم مدارس الفقهاء المالكية ، ولها وقف في الفيوم عبارة عن مزارع للقمح يفرق على مدرسيها ولهذا عرفت بالمدرسة القمحية تقي الدين أحمد بن علي المقرئى : خطط المقرئى ، (طبعة بولاق ، مصر ، نشر دار التحرير : ١٩٧٠م) ، ج ٣ ، ص ٣١٦ .

(٣) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص ٢٤٨، ٢٥٣ .

(٤) أحمد بن علي بن عبد القادر المقرئى ، فقيه مؤرخ ، ولد سنة ٧٦٩هـ وتوفي سنة ٨٤٥هـ ، له مؤلفات كثيرة في التاريخ والتراجم .

البغدادى : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، ج ١ ، ص ١٢٧ .
وعنه انظر : الشوكاني : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ج ١ ، ص ٧٩-٨١ .

(٥) علم الدين أبو الربيع سليمان بن خالد بن نعيم بن مقدم الطائى البساطى المالكى قاضى قضاة المالكية بالديار المصرية ، كان فقيها فاضلا ولى قضاء مصر فى الدولة الأشرفية وباشر عمله بعفة وتقشف حتى عزل سنة ٧٨٣هـ ، ولزم داره حتى مات سنة ٧٨٦هـ .

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة ، ج ١١ ، ص ٣٠٠ .
وعنه انظر : ابن حجر العسقلانى : رفع الاصر عن قضاة مصر ، ق ٢ ، ص ٢٤٨-٢٤٩ ؛ المقرئى : السلوك فى معرفة دول الملوك ، ٢/٣ ، ص ٥٢٦ ؛ ابن تغرى بردى : الدليل الشافى على المنهل الصافى ، ج ١ ، ص ٣١٧ .

بعد موته ، وحضر معه بها الأمير الطنبغا الجوباني^(١) ، والأمير يونس الدوادار^(٢) ، وقضاة القضاة والأعيان^(٣) .

وبالإضافة الى مهنة التدريس تولى ابن خلدون قضاء المالكية في القاهرة سنة ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م وهذا المنصب لا يعطى الا لأكابر الفقهاء ، ويبدو أن علم ابن خلدون ومكانته أهلتة لهذا المنصب الكبير ، ومع أن ابن خلدون - كما يذكر - لم يكن راغبا بهذا المنصب لأنه يدرك أن التهانون في الأحكام الشرعية لا يجوز للعلماء وبالتالي فإن الحاكم سيغضبه هذا الموقف الصلب ، الا أن السلطان ألح عليه حتى قبل وبعث معه كبار خاصته حتى أجلسوه على مقعد الحكم في المدرسة الصالحية^(٤) ، وبدأ يمارس عمله بحزم وعدل لا يفرق بين الخصوم ولا يقبل الشفاعات من أحد^(٥) .

(١) الطنبغا بن عبد الله الجوباني ، نائب دمشق ، توفي قتيلا في نيابته لدمشق الأخيرة ، في وقعة منطاش سنة ٧٩٢هـ ، وحزن عليه الظاهر برقوق .

ابن تغرى بردى : الدليل الشافى على المنهل الصافى ، ج ١ ، ص ١٥٠-١٥١ .

وعنه انظر : المقرئى : السلوك فى معرفة دول الملوك ، ٢/٣ ، ص ٧٢٩ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج ١١ ، ص ٢٣٨ وما بعدها (٢) الأمير شرف الدين يونس بن عبد الله النوروزى الدوادار ، أصله من ممالك الأمير جرجى الادريسى نائب حلب ، فلما ملك الظاهر برقوق جعله داودارا كبيرا قتل بيد عنقاء بن شطى فى حربه اللصوص بعد رجوعه من قتال الناصرى ومنطاش منهزما سنة ٧٩١هـ ، وكان خيرا وصاحب نك ومحبا لأهل العلم والدين المقرئى : السلوك فى معرفة دول الملوك ، ٢/٣ ، ص ٦٨٨-٦٨٩ .
وعنه انظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج ١١ ، ص ٢٢٧ وما بعدها ؛ ابن تغرى بردى : الدليل الشافى على المنهل الصافى ، ج ٢ ، ص ٨١٠ .

(٣) المقرئى : السلوك فى معرفة دول الملوك ، ج ٣ ، ص ٥١٣ .

(٤) تقع فى القاهرة بين القصرين ، بناها الملك الصالح أيوب سنة ٦٤٠هـ ، ورتب فيها دروسا فى الفقه .

المقرئى : خطط المقرئى ، ج ٣ ، ص ٣٣٣ .

(٥) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص ٢٥٤-٢٥٥ .

لكن صلابة ابن خلدون في أحكامه أوجدت له خصوما متعددين حتى من القضاة أنفسهم ، حيث كان هؤلاء يريدونه مثلهم في مجاملة أكابر القوم يقول : " ولم يكن ذلك شأن من رافقته من القضاة ، فنكروه على ، ودعوني الى تبعهم فيما يصطلحون عليه من مرضات الأكابر ، ومراعاة الأعيان ، والقضاء للجاء بالصور الظاهرة ، أو دفع الخصوم اذا تعذرت ، بناء على أن الحاكم لا يتعين عليه الحكم مع وجود غيره ، وهم يعلمون أن قد تمألوا عليه " (١).

وقد أكد هذا المعنى ابن تغرى بردى (٢) فى المنهل الصافى حيث وصف ولاية ابن خلدون للقضاء بقوله : " فباشره بجرمة وافرة ، وعظمة زائدة وحمدت سيرته ، ودفع رسائل أكابر الدولة ، وشفاعات الأعيان " (٣).

ويذكر ابن خلدون أن الوشاة نشطوا فى الكيد له عند السلطان حتى أغروه به ، ووافق هذا مصابه بأهله الذين غرقت بهم السفينة وهم فى طريقهم اليه ، وجاء اعفاء السلطان له من منصبه ، فوافق ذلك ما كان يتطلع اليه ، وتفرغ مرة أخرى للعلم تدريسا وتأليفا (٤).

وفى منتصف رمضان سنة تسع وثمانين وسبعمئة خرج ابن خلدون من القاهرة متوجها الى مرسى الطور (٥) ، ومنها ركب السفينة من

(١) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص ٢٥٨ .

(٢) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى ، أديب مؤرخ ولد سنة ٨١٣هـ وتوفى سنة ٨٧٤هـ ، له عدة تصانيف فى التاريخ والتراجم .

البغدادى : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، ج ٢ ، ص ٥٦٠ .
وعنه انظر : الشوكانى : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ج ٢ ، ص ٣٥١-٣٥٢ .

(٣) يوسف بن تغرى بردى الأتابكى جمال الدين أبو المحاسن : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، حققه : محمد محمد أمين ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب : ١٩٨٤م) ، ج ٥ ، ص ٤٧ .

(٤) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص ٢٥٩-٢٦٠ .

(٥) الطور اسم للجبل فى لغة العرب وهناك جبل بعينه يسمى طور يطل على طبرية الأردن وهناك أيضا جبل بهذا الاسم فى مصر القبلية وهو المقصود هنا . =

السويس (١) عاشر الفطر متوجها الى ينبع (٢)، ومنها الى مكة حيث وصلها
ثاني الحجة ، وقضى الفريضة وعاد مرة أخرى الى القاهرة فوصلها في جمادى
سنة ١٣٨٨/٥٧٩٠م (٣).

وفي سنة ٨٠١/١٣٩٨م تولى ابن خلدون قضاء المالكية مرة أخرى ،
ثم قام بزيارة بيت المقدس وبعض مدن فلسطين سنة ٨٠٢/١٣٩٩م ، وعند
عودته عزل عن القضاء فعاد للاشتغال بالعلم والتدريس (٤).

وفي منتصف شهر ربيع الأول سنة ٨٠٣/١٤٠٠م سار ابن خلدون مع
الجيش المصرى قاصدا الشام لملاقاة جيش التتر ، ولكن السلطان (٥) عاد الى
مصر فجأة عندما بلغه أن هناك من يتآمر عليه فيها ، وعندما وجد أهل
الشام أنفسهم وحدهم فى مواجهة جيش التتر ، استقر رأيهم على طلب

= فالطور مدينة على الساحل الغربى لشبه جزيرة سيناء .

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٧ .

وعنه انظر : أبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى : معجم
ماستعجم من أسماء البلاد والمواضع ، حققه : مصطفى السقا ، (بيروت ، عالم
الكتب) ، ج ٣ ، ص ٨٩٧-٨٩٨ ، ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته
غربا وشرقا ، هامش ص ٢٦١ .

(١) بلد فى مصر على ساحل البحر الأحمر ، وهو ميناء أهل مصر الى مكة والمدينة .

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٨٦ .

(٢) ينبع : تحتل موقعا هاما على الساحل الغربى للمملكة العربية السعودية اذ تميل الى
الشمال غرب المدينة المنورة التى تبعد عنها بمسافة مائتين واثنين وأربعين كيلو مترا
وتبعد عن مدينة أملج شمالا بمسافة مائة وخمسين كيلو مترا ، وتبعد عنها مدينة
جدة جنوبا بثلاثمائة وخمسين كيلو مترا وترتبط ينبع اداريا بمنطقة المدينة المنورة .
عنها انظر : عبد الكريم محمود الخطيب : ينبع ، (ط ١ ، الرياض ، الرئاسة العامة
لرعاية الشباب : ١٤١٣هـ) ، ص ١٣ .

(٣) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص ٢٦١-٢٦٢ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٣٤٧ ، ، ٣٤٩-٣٥٠

(٥) هو الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج بن الملك الظاهر من ملوك
الجراكسة بمصر والشام ، بويح بالقاهرة سنة ٨٠١هـ وكان صغير السن ، خلع وقتل
سنة ٨١٥هـ .

الزركلى : الأعلام ، ج ٥ ، ص ١٤٠ .

الأمان ، وكان ابن خلدون ممن يؤيد هذا الرأي ، وقد ذهب بنفسه الى الزعيم التترى وأظهر له الطاعة^(١) ، ويبدو أن تيمور لنك زعيم التتر أعجب بابن خلدون فطلب منه أن يكتب له كتابا مفصلا عن المغرب وأحواله فاستجاب له ، قال له السلطان : "وأحب أن تكتب لى بلاد المغرب كلها ، أقاصيها وأدانيها وجباله وأنهاره وقراه وأمصاره ، حتى كأنى أشاهده . فقلت يحصل ذلك بسعادتك ، وكتبت له بعد انصرافى من المجلس لما طلب من ذلك وأوعبت الغرض فيه فى مختصر وجيز"^(٢).

عاد ابن خلدون الى القاهرة وتولى قضاء المالكية فيها سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م^(٣) ، واستمر يصارع من أجل هذا المنصب الذى كان يبعد عنه أحيانا حتى وافاه الأجل يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر رمضان سنة ثمان وثمانمائة بعد الهجرة عن ست وسبعين سنة ودون شهر^(٤).

لقد عاش ابن خلدون فى عصر ملء بالثورات والقلقل والفتن ، وقضى ربع قرن من حياته فى بلاد المغرب الأوسط وهى البؤرة الأساسية فى التقلبات السياسية^(٥) . وكان مسرح النزاع فى المغرب يدور بين مملكة الحفصيين (٦٢٥-٨٨٢هـ / ١٢٢٧-١٥٧٤م)^(٦) فى تونس والأقاليم التى تتبعها ،

(١) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص ٣٦٦-٣٦٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٧٠ .

وانظر فى ملاقاته لتيمور لنك : ابن حجر العسقلانى : رفع الاصر عن قضاة مصر ، ق ٢ ، ص ٣٤٦ ، ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج ٧ ، ص ٧٧ (٣) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص ٣٨٣ .

(٤) السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج ٢ ، ص ١٤٦ ، محمود السعيد الكردى : ابن خلدون : مقال فى المنهج التجريبي ، (ط ١ ، طرابلس ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان : ١٣٩٣هـ) ، ص ٤٦ .

(٥) ساطع الحصرى : دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص ٥٦ .

(٦) يعتبر أبو زكريا يحيى الحفصى المؤسس الحقيقى لدولة الحفصيين بتونس ، فقد استقل بامارة افريقية فى سنة ٦٧٥هـ ، وحكمت دولة بنى حفص زهاء ثلاثة قرون ونصف على الرغم من الأحداث الخطيرة التى اجتازتها .

عنها انظر : ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٧٠ ومابعدها .

وبين مملكة بني عبد الواد (٦٣٣-٩٥٧هـ/١٢٣٥-١٥٥٠م)^(١) في الوسط وعاصمتها تلمسان ، وكذلك بين مملكة المرينيين (٦٦٨-٩٥٦هـ/١٢٦٩-١٥٤٩م)^(٢) وعاصمتها فاس في المغرب الأقصى^(٣).

في هذا العصر المضطرب ، وفي هذا المجتمع المفكك كان على ابن خلدون أن يشق طريقه ليصل بآماله العريضة الى تحقيق مبتغاه ، وفي سبيل طموحه السياسى كان كلما لاح له طريق سلكه ، وكلما أزعجه أمير راسل غيره غير عابىء بسيده السابق^(٤). وهكذا تبرز نزعة البحث عن المناصب والجاه عند ابن خلدون من كثرة تنقلاته في الوطن الاسلامى الواحد بالإضافة إلى ماذكر من تحريض الوشاة ضده .

وقد أثنى على ابن خلدون وتحدث عن مكانته العلمية عدد كبير من الكتاب في عصره وفي غير عصره مما أشرنا اليه في بداية حديثنا عنه ، قال عنه الدكتور الحاجرى : "وابن خلدون - كما يعلم الناس جميعا - من الشخصيات الخالدة في تاريخ الفكر الانسانى والأدب العربى ، لاتبلى جدته ، ولاينضب معين الحديث عنه"^(٥).

(١) قامت هذه الدولة بعد أن عين خليفة الموحدين يغمراسن بن زيان عاملا على تلمسان وبلاد زناتة سنة ٦٢٤هـ واستقل هذا الحاكم بالبلاد عقب سقوط الموحدين وقد استمرت دولتهم مايقرب من ثلثمائة سنة تقريبا .

عنها انظر : ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٧ ، ص ٩٧ ومابعدها .
(٢) قامت دولة مرين منذ أن تمكن السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق من دخول مدينة مراكش عاصمة الموحدين في سنة ٦٦٨هـ ، واستمرت الى أن سقطت على أيدي الأشراف السعديين بسقوط مدينة فاس سنة ٩٥٦هـ .
عنها انظر : الناصرى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج ٣ ، ص ٣ ومابعدها .

(٣) ايف لاکوست : ابن خلدون واضع علم ومقرر استقلال ، ترجمة : زهير فتح الله (ط ١ ، بيروت ، مكتبة المعارف : ١٩٥٨م) ، ص ٢٢-٢٣ ؛ محمد السعيد الكردي : ابن خلدون: مقال في المنهج التجريبي ، ص ٣٢ .

(٤) كمال اليازجى : معالم الفكر العربى في العصر الوسيط ، (ط ٦ ، بيروت ، دار العلم للملايين : ١٩٧٩م) ، ص ٣٢٣ .

(٥) محمد طه الحاجرى : ابن خلدون بين حياة العلم ودنيا السياسة ، (بيروت ، دار النهضة العربية) ، ص ١٠ .

ووصفه الأستاذ ت.ج. دى بور بأنه "الرجل العجيب" الذى وضع أساس فلسفة التاريخ^(١).

وكما أثنى عليه عدد من معاصريه وغيرهم فقد حمل عليه آخرون وتحدثوا عن مثالبه من هؤلاء ابن حجر العسقلانى فى كتابه رفع الاصر عن قضاة مصر ، فقد جعله مستكبرا عند توليه القضاء ونقل عن آخرين مايؤيد رأيه فيه ، كما نقل كذلك أنه "عَرِيٌّ عن العلوم الشرعية ، له معرفة بالعلوم العقلية من غير تقدم فيها"^(٢). كما ذكر عنه أنه كان يتبسط بالسكنى على البحر ويكثر من سماع المطربات ومعاشرة الأحداث^(٣)، وأكد هذه الاتهامات السخاوى تلميذ ابن حجر ويبدو أنه نقلها عنه بنصها^(٤).

ان ابن حجر من ثقات المحدثين لكنه هنا كان ينقل عن غيره ، ومعلوم أن من يتولى منصب القضاء يكثر خصومه لاسيما وقد ثبت أن ابن خلدون كان لا يحابى فى عمله ولا يجامل كبيرا ، فاذا نظرنا الى التهم التى وجهت اليه حصرناها فى أنه كان متغطرسا اذا ولى القضاء ، فاذا عزل عنه عاد متواضعا ، وهذه الصفة قد لا تكون صفة ذم لأن كثيرا من القضاة يحبون العزلة وعدم الاختلاط بالناس حتى لا يؤثر اتصالهم بهم على أحكامهم ، وقد يفسر من لا يعرف هذه النية بأن هذا الاعتزال انما هو من الكبرياء والغطرسة وهو شىء غير ذلك ، وقد يكون ابن خلدون من هذا الصنف لاسيما وقد أثر عنه الحزم فى عمله ، وقد أكد هذا ابن حجر نفسه نقلا عن جمال الدين البشبيشى^(٥) الذى وصف ابن خلدون انه "لم يشتهر عنه فى منصبه الا

(١) ت.ج. دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ، ترجمة : محمد عبد الهادى أبو ريده (الجزائر ، الدار التونسية للنشر ، المؤسسة الوطنية للكتاب) ، ص ٤٠٩ .

(٢) ابن حجر العسقلانى : رفع الاصر عن قضاة مصر ، ق ٢ ، ص ٣٤٤ .

(٣) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٤٦ .

(٤) السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج ٢ ، ص ١٤٦ .

(٥) عبد الله بن أحمد بن عبد العزيز ، جمال الدين البشبيشى الشافعى ، توفى سنة عشرين وثمانمائة بالاسكندرية ، وكان له نظم وفضل .

ابن تغرى بردى : الدليل الشافى على المنهل الصافى ، ج ١ ، ص ٣٨١ .

الصيانة" (١). لقد أشار ابن خلدون الى سخط الناس عليه لكونه كان حازما في قضاؤه ، لا يحابي أحدا ، ولا يقبل شفاعاة من أحد ، قال متحدثا عن نفسه : "لا تأخذني في الحق لومة ، ولا يزعني عنه جاه ولا سطوة ، مسويا في ذلك بين الخصمين ، آخذا بحق الضعيف من الحكمين (٢) ، معرضا عن الشفاعات والوسائل من الجانبين ، جانحا الى التثبت في سماع البيّنات ، والنظر في عدالة المنتصبين لتحمل الشهادات" (٣).

وكما كان هناك تساهل في الأحكام عند القضاة الآخرين في عهده فقد وقع التساهل أيضا في ملكية الأوقاف ، لكن ابن خلدون وقف من هذه المسألة موقفا حاسما ليبطل الباطل فيقول : "فاعلمت الله في حسم ذلك بما آسفهم على وأحقدهم" (٤).

ولما رأى هؤلاء المنتفعون شدة ابن خلدون وحزمه لم يطيقوا صبرا وعقدوا العزم على ايذائه والنيل منه ، يقول ابن خلدون : "وانطلقوا يراطنون السفهاء في النيل من عرضي ، وسوء الأحداث عني بمختلف الافك وقول الزور ، يبتونه في الناس ، ويدسون الى السلطان التظلم مني فلا يصغى اليهم ، وأنا في ذلك محتسب عند الله مامنيت به من هذا الأمر ، ومعرض فيه عن الجاهلين ، وماض على سبيل سواء من الصرامة ، وقوة الشكيمة ، وتحري المعدلة ، وخلص الحقوق ، والتنكب عن خطة الباطل متى دعيت اليها ، وصلابة العود عن الجاه والأغراض متى غمزني لامسها ، ولم يكن ذلك شأن من رافقته من القضاة ، فنكروه على ، ودعوني الى تبعهم فيما يصطلحون عليه من مرضات الأكابر ، ومراعاة الأعيان ، والقضاء للجاه بالصور الظاهرة ، أو دفع الخصوم اذا تعذرت ، بناء على أن الحاكم لا يتعين عليه الحكم مع وجود غيره ، وهم يعلمون أن قد قائلوا عليه" (٥).

-
- (١) ابن حجر العسقلاني : رفع الاصر عن قضاة مصر ، ق ٢ ، ص ٣٤٦ .
 (٢) ذكر في هامش كتاب التعريف لابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ص ٢٥٥ مايلي :
 "كذا بالأصول ، والمراد المحتكمين" .
 (٣) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص ٢٥٥ .
 (٤) المصدر السابق ، ص ٢٥٦ .
 (٥) المصدر نفسه ، ص ٢٥٧-٢٥٨ .

وقد أضاف الدكتور على وافي سببا جديدا في حقد بعض العلماء المصريين على ابن خلدون ، وهو توليه منصب قاضى القضاة في مصر ، وهو منصب هام كان ينبغى أن يتولاه أحد المصريين وليس مغربيا قادما من بلد بعيد ، يقول : "وكان منصب قاضى القضاة في مصر من أهم مناصب الدولة ومطمح أنظار الفقهاء والعلماء المصريين ، فكان من الطبيعى أن يثير حقدهم عليه وحسدهم اياه حظوته لدى السلطان وفوزه دونهم - وهو الأجنبي [الغريب] عن بلادهم - بهذا المنصب الجليل . لهذه الأسباب كلها مجتمعة اشتد السعى في حقه ، والاغراء به ، واتهامه بجهل الاجراءات القضائية" (١).

أما أنه كان يكثر من سماع المطربات ومعاشرة الأحداث فهذه دعوى لم يقيم عليها دليل قاطع يؤكدها ، لاسيما أن ابن حجر ذكر أن خصومه "ادعوا عليه بأمور كثيرة أكثرها لاحقيقة له" (٢). وعلى كل حال فالأصل في المسلم البراءة حتى تثبت ادانته .

أما تبسطه بالسكن على البحر فلانعلم لماذا أورده ابن حجر في معرض الذم ، غير أن على الوردى ذكر في حاشية كتابه "منطق ابن خلدون" أنه سأل بعض المصريين عن هذه المسألة فذكروا له "بأن القاهرة كانت في ذلك العهد بعيدة عن شاطئ النيل ، وكان الشاطئ لايسكنه الا المستهترون وأهل الخلاعة الذين يبتغون الابتعاد عن الأحياء المزدهمة بالسكان لئلا يراقبهم أحد" (٣).

ومن المستبعد أن يكون قاضى المالكية في مصر ميالا الى الخلاعة ومعاشرة الأحداث ، ولو أن هذه المسائل اشتهرت عنه لما ولى القضاء أكثر من مرة ، ومع هذا كله ، فلاننفى أن يكون الرجل متساهلا في بعض

(١) على عبد الواحد وافي : عبد الرحمن ابن خلدون حياته وآثاره ومظاهر عبقريته ، (نشر مكتبة مصر) ، ص ٩٨ .

(٢) ابن حجر العسقلانى : رفع الاصر عن قضاة مصر ، ق ٢ ، ص ٣٤٦ .

(٣) على الوردى : منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته ، (الشركة التونسية للتوزيع : ١٩٧٧م) ، هامش ص ٢٣٠ .

المسائل الفرعية التي هي موضع خلاف بين الفقهاء ، والتي قد يستكثر الترخيص فيها على مثله .

لقد كان ابن خلدون من قلائل الرجال الذين أبدعوا في مجال العلم والسياسة ، وخلفوا وراءهم تراثا علميا ضخما لا يزال مثار جدل من العلماء والباحثين وما زال الكثيرون ينهلون من معين تراثه ويخرجون منه كل يوم بجديد .

الفصل الأول

منهجية ابن خلدون في تدوين التاريخ

- * منهج ابن خلدون التاريخي في مقدمته .
- * مميزات ابن خلدون عن المؤرخين الآخرين .
- * مآخذ على بعض آراء ابن خلدون في مقدمته
- ومدى تطبيقه لهذه الآراء .

المبحث الأول

منهج ابن خلدون التاريخي في مقدمته

منهج ابن خلدون التاريخي في مقدمته

يتحدث ابن خلدون عن أهمية علم التاريخ فيقول : "فان فن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال ، وتشد اليه الركائب والرحال ، وتسمو الى معرفته السوق والأغفال ، وتتنافس فيه الملوك والأقيال ، ويتساوى في فهمه العلماء والجهال . اذ هو في ظاهره لايزيد على اخبار عن الأيام والدول ، والسوابق من القرون الأول . تنمو فيها الأقوال ، وتضرب فيها الأمثال ، وتطرف بها الأنديّة اذا غصها الاحتفال ، وتؤدى اليها شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال ، واتسع للدول فيها النطاق والمجال ، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال ، وحن منهم الزوال . وفي باطنه نظر وتحقيق ، وتعليل للكائنات ومبانيها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق ، وجدير بأن يعد في علومها وخليق" (١).

وبعد أن يتحدث ابن خلدون عن أهمية التاريخ يقرر أن هناك نخبة من المؤرخين أجادوا فن الكتابة التاريخية ولكنهم قلة ، ومع هذا ففي كتبهم مطاعن يجب التنبيه لها ، وهذه اشارة جيدة تدل على وعى ابن خلدون بقضية التحقق من الأخبار مهما كانت درجة كاتبها ، يقول : "وقد دون الناس في الأخبار وأكثروا ، وجمعوا تواريخ الأمم والدول في العالم وسطروا والذين ذهبوا بفضل الشهرة والأمانة المعتبرة واستفرغوا دواوين من قبلهم في صحفهم المتأخرة هم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الأنامل ،

(١) عبد الرحمن بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، تحقيق : على عبد الواحد وافي ، (ط ٣ ، القاهرة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر) ، ج ١ ، ص ٢٨٢ .

ولاحركات العوامل ، مثل ابن اسحق^(١) ، والطبرى ، وابن الكلبي^(٢) ،
ومحمد بن عمر الواقدي^(٣) ، وسيف بن عمر الأسدي^(٤) ، والمسعودي ،
وغيرهم من المشاهير المتميزين عن الجماهير ، وان كان في كتب المسعودي
والواقدي من المطعن والمغمز ماهو معروف عند الأثبات ، ومشهور بين
الحفظة الثقات الا أن الكافة اختصتهم بقبول أخبارهم ، واقتفاء سننهم في
التصنيف واتباع آثارهم . والناقد البصير قسطاس نفسه في تزييفهم فيما
ينقلون أو اعتبارهم ، فللعمران طبائع في أحواله ترجع اليها الأخبار ،
وتحمل عليها الروايات والآثار"^(٥).

(١) محمد بن اسحاق بن يسار ، عالم في الحديث والمغازي والسير ، كان جده يسار
مولى قيس بن مخزومة بن عبد المطلب وقد توفي في بغداد سنة احدى وخمسين
ومائة .

ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٤ ، ص ٢٧٦ .
وعنه انظر : محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري : الطبقات الكبرى ، (بيروت
دار صادر) ، ج ٧ ، ص ٣٢١-٣٢٢ ؛ ابن النديم : الفهرست ، ص ١٣٦ ؛ شهاب
الدين أبي الفضل أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب ، (ط ١ ،
حيدر آباد ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية : ١٣٢٥هـ) ، ج ٩ ، ص ٣٨-٤٦ .
(٢) محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبي ، كان اماما في علم التفسير والأنساب ،
وكان من أصحاب عبد الله بن سبأ الذي يقول ان الامام علي بن أبي طالب لم
يمت وأنه راجع الى الدنيا ، وقد توفي سنة ست وأربعين ومائة بالكوفة .

ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٤ ، ص ٣٠٩ .
(٣) محمد بن عمر بن واقد الواقدي ، كان اماما وعالما في المغازي والسير ، وقد تولى
القضاء في بغداد وكان من المقربين للمأمون . ولد سنة ثلاثين ومائة ، وتوفي سنة
سبع ومائتين .

ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٤ ، ص ٣٤٨-٣٥١ .
وعنه انظر : ابن النديم : الفهرست ، ص ١٤٤-١٤٥ .
(٤) سيف بن عمر الأسدي التميمي ، أحد أصحاب السير ، له كتاب "الفتوح الكبير"
و"الردة" وغيرهما .

ابن النديم : الفهرست ، ص ١٣٧ .
وعنه انظر : البغدادى : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، ج ١ ،
ص ٤١٣ .

(٥) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ١ ، ص ٢٨٣ .

ويمضى ابن خلدون ليضع القواعد التى يحتاج اليها المؤرخ ، وينبه الى الأخطاء الهامة التى يقع فيها معظم المؤرخين فيقول : "فهو محتاج الى مآخذ متعددة ، ومعارف متنوعة ، وحسن نظر وثبت يفضيان بصاحبهما الى الحق ، وينكبان به عن المزلات والمغالط ، لأن الأخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال فى الاجتماع الانسانى ، ولاقيس الغائب منها بالشاهد ، والحاضر بالذاهب ، فربما لم يؤمن فيها من العثور ، ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق . وكثيرا ماوقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط فى الحكايات والوقائع ، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا ، لم يعرضوها على أصولها ، ولاقاسموها بأشباهها ، ولاسبروها بمعيار الحكمة ، والوقوف على طبائع الكائنات ، وتحكيم النظر والبصيرة فى الأخبار . فضلوا عن الحق وتاهوا فى بيداء الوهم والغلط ، سيما فى احصاء الأعداد من الأموال والعساكر اذا عرضت فى الحكايات ، اذ هى مظنة الكذب ومطية الهذر ، ولا بد من ردها الى الأصول وعرضها على القواعد" (١).

وبعد هذا التعريف ووضع القواعد الأصولية لمنهج الكتابة التاريخية التى ينبغى الأخذ بها يبدأ فى عرض بعض الوقائع التى جاءت فى كتب المؤرخين ويوضح مآخذه عليها بدقة متناهية .

فمن هذه الوقائع ماأورده المسعودى وغيره من أن جيوش بنى اسرائيل الذين كانوا مع موسى عليه السلام فى التيه كانوا ستمائة ألف أو يزيدون وهؤلاء كلهم فوق العشرين .

ويحدد ابن خلدون مآخذه على هذه الرواية ، وهى مآخذ متعددة اعتمد فيها على العقل والمنطق وعلم الاحصاء ، وكان مما أخذ على هذه الرواية أن هذا العدد الكبير تضيق به ساحة الأرض وبالتالي لا يمكن أن يقع

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ١ ، ص ٢٩١-٢٩٢ .

بينه وبين غيره قتال ، وكيف يقع قتال بين فئتين لا يرى جانب منها الجانب الآخر؟ ثم ان دولة الفرس أعظم من دولة اليهود وقد تغلبت على دولة اليهود وخربتها ومع هذا فان أعظم جيوشهم في القادسية كان عدده مائة وعشرين ألفا . وأهم من هذا أن بين موسى واسرائيل عليهما السلام أربعة آباء ومن المستحيل أن يتناسل هؤلاء في فترة زمنية محدودة ليلغ هذا العدد الهائل (١).

ويناقش ابن خلدون روايات أخرى أوردها المؤرخون منها رواية غزو التبابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب لأفريقيا وقصة مدينة ارم التي وردت في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ (٢)، وقصة هارون الرشيد مع البرامكة (٣) وما قيل في سبب قتله لهم ، ومارمى به يحيى بن أكرم (٤) من شرب الخمر ، وقصة اصهار

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ١ ، ص ٢٩٢-٢٩٥ .

(٢) سورة الفجر : آية ٦-٨

(٣) البرامكة ينتسبون إلى برمك أحد كهان الدولة الفارسية . أسلم أحد أبنائه خالد وكان له دور بارز في الحياة العسكرية في الدولة العباسية ، قريهم العباسيون وأسندوا لهم ولايات كثيرة حتى طمعوا في السيطرة على الدولة الاسلامية فقتلهم هارون الرشيد سنة ١٨٧هـ .

حسن أحمد محمود وأحمد ابراهيم الشريف : العالم الاسلامي في العصر العباسي ، (ط ٥ ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت) ، ص ١٠٥-١٠٦ .

(٤) يحيى بن أكرم بن محمد التميمي ، كان عالما بالفقه والأحكام والعلوم ، وكان مقدما عند المأمون فولاه القضاء وتدير أمور الدولة وكان قد تولى قضاء البصرة وعمره عشرون سنة واستمر في القضاء زمنا طويلا حتى توفي في الربذة سنة ٢٤٢هـ وعمره ثلاث وثمانون سنة .

ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٦ ، ص ١٤٧-١٦٥ .

وعنه انظر : ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٢ ، ص ١٠١-١٠٢ .

المأمون الى الحسن بن سهل^(١) في ابنته بوران^(٢). وقد كان يناقش كل رواية ويبين عللها وسبب فسادها ومأخذها عليها^(٣).

ومن ثم يوضح بعد ذلك سبب ورودها في بعض كتب المؤرخين فيقول : "وانما يبعث على وضعها والحديث بها الانهماك في اللذات المحرمة ، وهتك قناع المخدرات ، ويتعللون بالتأسي بالقوم فيما يأتون من طاعة لذاتهم . فلذلك تراهم كثيرا مايلهجون بأشباه هذه الأخبار وينقرون عنها عند تصفحهم لأوراق الدواوين . ولو ائتسوا بهم في غير هذا من أحوالهم وصفات الكمال اللائقة بهم المشهورة عنهم لكان خيرا لهم لو كانوا يعلمون"^(٤).

ويمضى ابن خلدون في مقدمته ليتحدث عن أسباب الكذب في نقل الأخبار التاريخية ، فيعدد جملة أسباب منها : التشيعات للآراء والمذاهب "فان النفس اذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه ، واذا خامرها تشيع لرأى أو نخلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة"^(٥).

(١) الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي ، كان وزيرا للمأمون ، وكان صاحب علم وفضل وحسن بيان . وقد بقى في وزارة المأمون ومقدما عنده حتى مرض فاستوزر المأمون غيره ، وقد مات بمرضه هذا سنة ٢٣٦هـ في سرخس .

ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٢ ، ص ١٢٠-١٢٣ .
وعنه انظر : ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٢ ، ص ٨٦ .
(٢) بوران بنت الحسن بن سهل وزير المأمون ، وقد تزوجها المأمون وأقام لها والدها حفلة عظيمة ، وقد بقيت عند المأمون حتى وفاته . وقد كانت ولادتها سنة ١٩٢هـ ووفاتها سنة ٢٧١هـ .

ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ١ ، ص ٢٨٧-٢٩٠ .
وعنها انظر : ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٢ ، ص ٣ ؛
ياسين الخطيب العمري بن خير الله الخطيب العمري الموصلي : الروضة الفيحاء في تواريخ النساء ، (ط ١ ، الدار العالمية : ١٤٠٧هـ) ، ص ٣٥٠-٣٥٣ .

(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ١ ، ص ٢٩٥-٣٠٨ .

(٤) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ١ ، ص ٣٠٨-٣٠٩ .

(٥) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٢٨ .

وهذه ملاحظة نفسية دقيقة ، فالنفس البشرية اذا كانت تميل الى شيء معين قبلت الأخبار الطيبة التي تسمعها عنه ، ورفضت ماسواها من الأخبار دون تمحيص أو تدقيق ، والهوى في مثل هذه الحالة هو الذى يرجح قبول خبر أو رفضه وليس النظر الدقيق السليم .

والسبب الثانى كما يذكره ابن خلدون هو الثقة بالناقلين ، وهنا يرى ابن خلدون أهمية الأخذ بقاعدة الجرح والتعديل^(١) . ولكن متى ينبغى الرجوع الى هذه القاعدة العلمية الهامة؟

يقول : "ولا يرجع الى تعديل الرواة حتى يعلم أن ذلك الخبر فى نفسه ممكن أو ممتنع . وأما اذا كان مستحيلا فلافائدة للنظر فى التعديل والتجريح"^(٢) .

ولا يخفى هنا أن قاعدة "الجرح والتعديل" أخذ بها رواة الحديث ، بل جعلوها أساسا هاما لكل مروياتهم من أحاديث الرسول الكريم ، ولانظن أن ابن خلدون يعطى هذه القاعدة الأهمية نفسها عند المحدثين ، لكنه يرى أهميتها عند ادراك أن الخبر ممكن الوقوع وليس مستحيلا ، فالأخبار المستحيلة لا يمكن أن يروىها - فى الغالب - رواة ثقات لذلك ضرب ابن خلدون عنها صفحا . وعلى كل حال فان تمحيص الرواية التاريخية مهما كانت درجتها أمر هام .

والسبب الثالث هو : الذهول عن المقاصد "فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع وينقل الخبر على ما فى ظنه وتخمينه فيقع فى الكذب"^(٣) .

وهذا السبب جائز الوقوع كذلك ، وهو مما يؤثر على رواية الحدث التاريخى ، فقد ينقل أحدهم خبرا صحيحا كما شاهده ويكون صادق النقل لكنه لا يعرف مغزى هذا الحدث وظروف وقوعه ، ولا المقصود منه فيعتمد فى

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ١ ، ص ٣٢٨ .

(٢) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٣٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٢٨ .

تفسيره له على تخميناته الخاصة فيقع في الخطأ حيث يضع هذه التخمينات في منقولاته دون أن يدرك حقائق الأمور وبواطنها .

والسبب الرابع توهم الصدق ، وهذا التوهم يحصل من الثقة بالناقلين^(١) ، ويبدو أن هناك farkا دقيقا بين هذا السبب وبين السبب الثاني الذي ذكره ابن خلدون .

وقد حاول ساطع الحصرى تعليل تكرار هذا السبب في موضعين حسب رأيه فقال : "وأما السبب الرابع : فهو غامض جدا ، ولاسيما والفرق بينه وبين السبب الثاني لم يكن واضحا أبدا ، فإن ابن خلدون ردهما كليهما الى أمر الثقة بالناقلين . ربما كان القصد من تفريقهما ، وذكر كل واحد منهما على حدة ، هو الإشارة الى الرواية الاعتيادية من جهة ، والرواية المتواترة من جهة أخرى . ومما يقوى هذا الاحتمال ، أن ابن خلدون يبحث في محل آخر في "التناقل" كما سنذكره فيما بعد ، فلايبعد أن يكون قد أراد بذلك التنبيه الى عدم جواز الثقة بالناقلين من جراء كثرتهم فقط ، وعدم جواز قبول الخبر من جراء كونه متواترا فحسب"^(٢).

أما الذي نراه في السبب الرابع من قول ابن خلدون وهو "توهم الصدق" الذي يعنى أن المؤرخ يرى امكانية حدوث الواقعة التاريخية ويدخل في روعه أن هذه الحادثة وقعت فعلا ، اذ أن امكانية حدوثها لايبدا مستحيلا فاذا أضيف على هذا التوهم الثقة بالناقلين تأكدت الحادثة عند راويها . والفرق واضح بين هذا السبب والسبب الثاني اذ أنه يقتصر عند حد الثقة بالناقلين فقط بعيدا عن توهم الصدق في الحادثة التي يتضمنها النص التاريخي ، فالثقة بالراوي أكدت الثقة بالحادثة التاريخية دون النظر اليها .

أما السبب الخامس فهو "الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل مابداخلها من التلبيس والتصنع ، فينقلها المخبر كما رآها ، وهى بالتصنع

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ١ ، ص ٣٢٨ .

(٢) ساطع الحصرى : دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٦٩ .

على غير الحق في نفسه" (١).

ويبدو أن ابن خلدون يريد الإشارة إلى أن بعض الوضع يتصنعون بعض الوقائع فيلبسون على الناس بهذا التصنع وقد يراهم بعض الناس فينقلون ماشاهدوه دون أن يعرفوا أنه لاحقيقة له ، فهم لا يكذبون عامدين ولكنهم يخدعون بظاهر ماشاهدوه ، ومن هنا تكمن المشكلة ويأتى التزوير في الأحداث .

أما السبب السادس في وضع الأخبار الكاذبة كما يراه ابن خلدون فهو "تقرب الناس في الأكثر لأصحاب التجلة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الأحوال واشاعة الذكر بذلك ، فتستفيض الأخبار بها على غير حقيقة ، فالنفوس مولعة بحب الثناء ، والناس متطلعون إلى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة" (٢).

وهذا السبب واضح أثره ومنتشر في كل العصور ، فالتقرب إلى أصحاب الجاه والسلطة مما تميل إليه بعض النفوس ، فيكون الحاصل منه ، افتعال أحداث وأخبار عن هؤلاء غير صحيحة واشاعتها بين الناس نفاقا ورياء ليحصل ناشرها على بعض المنافع الدنيوية ، وبهذا السبب تكثر الأخبار الكاذبة .

والسبب السابع والأخير ، وهو أهمها - كما ذكر ابن خلدون - فهو "الجهل بطبائع الأحوال في العمران ، فان كل حادث من الحوادث ذاتا كان أو فعلا لابد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله ، فاذا كان السامع عارفا بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب ، وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه يعرض" (٣).

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ١ ، ص ٣٢٨ .

(٢) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٢٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٢٨-٣٢٩ .

وكما هو واضح فان ابن خلدون وضع هذا السبب بشكل كبير حيث أنه جعله من أهم الأسباب السابقة ، وعلى كل حال فان المؤرخ اذا كان عالما بطبيعة كل حادث ومسببات حدوثه والملابسات التي أدت اليه أعانته هذه المعرفة على الحكم على الخبر ومعرفة صدقه من كذبه ، والحكم عليه بشكل دقيق ، وقد تحدث ابن خلدون عن هذه المسألة بشكل مفصل في مقدمته .

وينتقل ابن خلدون بعد ذلك ليتحدث عن أخطاء بعض المؤرخين في ايراد روايات تاريخية مستحيلة الوقوع ، ويضرب عدة أمثلة منها : مذكره المسعودي عن قصة الاسكندر ودواب البحر^(١)، ومنها مذكره المسعودي عن تمثال الزرزور الذي برومة^(٢)، وماتقله البكري في بناء المدينة المسماة ذات الأبواب ، ومنها ماتقله المسعودي أيضا عن مدينة النحاس التي تقع في صحراء سجلماسة^(٣).

وقد رد ابن خلدون هذه الروايات ودحضها وبين وجهة نظره بشكل علمي دقيق ، ودعا الى الابتعاد عن ايراد مثل هذه الروايات الكاذبة^(٤). ان المعايير الدقيقة التي أشار اليها ابن خلدون وجعلها مقياسا لمنهج التارخي أهلتة لأن يكون مؤسسا لعلم التاريخ ، ولقد كانت ملاحظاته على أخطاء المؤرخين سببا في دفعه لوضع أسس جديدة لعلم التاريخ يسلم المؤرخ من الأخطاء اذا سار على هديها^(٥).

(١) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، (ط ٣ ، بيروت ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع : ١٩٧٨م) ، ج ١ ، ص ٤١٢-٤١٤ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ١ ، ص ١٨٦ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ .

(٤) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ١ ، ص ٣٢٩-٣٣٠ .

(٥) زبيب محمود الخضيرى : فلسفة التاريخ عند ابن خلدون ، (ط ٢ ، بيروت ، دار التنوير للطباعة والنشر : ١٩٨٥م) ، ص ٥٥ .

ولقد أثنى ساطع الحصرى على منهج ابن خلدون وأشاد بمكانته التاريخية ، فقال عنه : "ابن خلدون ، يتفوق بنظرته هذه على جميع المؤرخين الذين سبقوه فى الشرق والغرب ، بوجه عام ، وعلى جميع الذين أتوا بعده خلال أربعة قرون ، على أقل تقدير . ومن المعلوم أن هذه النظرة الشاملة فى موضوع التاريخ من النظرات الخاصة بما يسمى عادة باسم "تاريخ الحضارة" ، وهذا ما حدا ببعض الباحثين الى أن يعتبروا ابن خلدون "أول من حاول كتابة تاريخ الحضارة بمعناها الشامل" (١).

وكما كان ابن خلدون رائدا فى فلسفة التاريخ وتاريخ الحضارة فقد كان رائدا كذلك فى الاهتمام بالآثار التاريخية كوثيقة هامة تدل على تقدم الأمم وتعطى تصورا دقيقا عن تاريخها ، وقد نبه ابن خلدون "الى أن الآثار تكون على نسبة قوة الدولة ، مما يدل على ادراكه لقيمة الآثار فى فهم التاريخ ، وهى التى أصبحت فى عصرنا علما مساعدا للتاريخ ، له خطورته وأهميته بين علوم المعرفة الانسانية ، وان استقل علم الآثار بذاته كعلم مستقل على قدم المساواة ، مع العلوم الانسانية الأخرى" (٢).

وقد كان منهج ابن خلدون فى تنظيم كتابه متميزا عما سواه ، فقد جعله مقسما الى كتب ، وقسم كل كتاب الى فصول ، وتحدث عن تاريخ كل دولة لوحدها من بدايتها حتى نهايتها . هذه الطريقة ليست من ابتداء ابن خلدون فقد سبقه اليها غيره كالمسعودى والبلاذرى وغيرهما ، لكنه تميز عن أسلافه ببراعة التنظيم وحسن سبك العبارات والدقة فى تبويب الموضوعات والفهارس (٣).

(١) ساطع الحصرى : دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٦٤ .

(٢) عبد المنعم ماجد : "منهجية جديدة لابن خلدون فى علم التاريخ" ، (مجلة المؤرخ العربى ، ١٣٤ ، ابريل ١٩٨٠م) ، ص ٩٧ .

(٣) على عبد الواحد وافي : عبد الرحمن بن خلدون حياته وآثاره ومظاهر عبقريته ، ص ٢٣٦ .

أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى ، من أهل بغداد وكان شاعرا راوية ، له عدة مصنفات منها كتاب "البلدان الصغير" ، و"البلدان الكبير" ، و"الأنساب" .

ابن النديم : الفهرست ، ص ١٦٤ .

المبحث الثاني

مميزات ابن خلدون عن المؤرخين الآخرين

مميزات ابن خلدون عن المؤرخين الآخرين

إذا تتبعنا كتابات ابن خلدون التاريخية وجدنا أن له رأيا متميزا في بعض المسائل قد يخالف فيها جمهور المؤرخين ، وقد يخرج برأى مستقل ، أو يوضح فكرة غامضة ، أو يتبنى قضية معينة ويدافع عنها . هذا التميز أعطى تاريخه مذاقا خاصا ، وجعله صاحب منهج واضح يقول ما يعتقد صحته دون النظر الى الآخرين .

ومن أمثلة ماأشرت اليه تأكيده على صحة نسب الفاطميين ودفاعه عن رأيه بجرارة وقوة دون أن يلتفت الى الآخرين الذين أنكروا هذا النسب وهم كثرة يعتد برأيهم .

فعندما تحدث عن الفاطميين قال : "ومن الأخبار الواهية ما يذهب اليه الكثير من المؤرخين والأثبات في العبيدين خلفاء الشيعة بالقيروان (١) ، والقاهرة من نفيهم عن أهل البيت صلوات الله عليهم ، والطعن في نسبهم الى اسماعيل الامام ابن جعفر الصادق (٢) . يعتمدون في ذلك على أحاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بني العباس تزلفا اليهم بالقدح فيمن ناصبهم ، وتفننا في الشتمات بعدوهم" (٣) .

(١) القيروان مدينة عظيمة بافريقية بناها عقبة بن نافع في أيام معاوية رضى الله عنه .
ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٢٠-٤٢١ .

وعنها انظر : البكرى : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، ج ٣ ، ص ١١٠٥-١١٠٦ ، القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٢٤٢ .

(٢) اسماعيل الامام ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر ، واليه تنتسب الطائفة الاسماعيلية .

عنه انظر : ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٥٩٦ وما بعدها .

(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ١ ، ص ٣٠٩ .

وقد سرد ابن خلدون أدلته التي ذهب اليها في اثبات نسب العبيديين^(١) وهي أدلة عقلية اعتمد فيها على المنطق والحجة أكثر من اعتماده على الحقائق العلمية في اثبات نسبهم .

وقد أنكر هذا النسب عدد من المؤرخين وأكدوا ادعاء الفاطميين للنسب العلوي^(٢). ومع هذا فإن ابن خلدون مع اقراره بأن أكثر المؤرخين نفوا هذا النسب إلا أنه لم يلتفت إلى هذه الأثرية واكتفى بما يعتقد صحته وأثبتته ودافع عنه على الرغم من عدم صحته .

ولقد ذكر ابن حجر العسقلاني في كتابه "رفع الاصر عن قضاة مصر" أن ابن خلدون دافع عن العبيديين وأثبت نسبهم إلى آل البيت وعلل هذا بكراهيته لآل البيت حيث قال عن ابن خلدون : "كان لانحرافه عن آل علي يثبت نسبة الفاطميين اليهم ، لما اشتهر من سوء معتقد الفاطميين ، وكون بعضهم نسب إلى الزندقة ، وادعى الألوهية كالحاكم ، وبعضهم في الغاية من التعصب لمذهب الرفض ، حتى قتل في زمانهم جمع من أهل السنة . وكانوا يصرحون بسب الصحابة في جوامعهم ومجامعهم ، فاذا كانوا بهذه المثابة وصح أنهم من آل علي حقيقة ، التصق بآل علي العيب ، وكان ذلك من أسباب النفرة عنهم"^(٣).

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ١ ، ص ٣٠٩-٣١٢ .

(٢) عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير : الكامل في التاريخ ، (بيروت ، دار صادر : ١٤٠٢هـ) ، ج ٨ ، ص ٣٦، ٣٧، ٢٤، ٢٥ ، ابن خلكان : وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٣ ، ص ١١٧ وما بعدها ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني الأصل الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غير ، حققه : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، (ط ١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية : ١٤٠٥هـ) ، ج ١ ، ص ٤١٨ ، أبي الفداء الحافظ ابن كثير : البداية والنهاية ، (طبع ونشر دار الفكر ، بيروت ومكتبة الرياض الحديثة ، الرياض : ١٤٠٢هـ) ، ج ١١ ، ص ١٧٩، ٣٤٥ .

(٣) ابن حجر العسقلاني : رفع الاصر عن قضاة مصر ، ق ٢ ، ص ٣٤٨ .

وقد أشار الى هذه المعلومة السخاوى فى كتابه الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١)، وعلق الشوكانى (٢) على مذكره السخاوى بقوله : "واذا صح صدور تلك الكلمة عن صاحب الترجمة فهو ممن أضله الله على علم" (٣).

ولقد أشار (على الوردى) الى موقف ابن خلدون من آل البيت فذكر أنه يلمح عند ابن خلدون شيئاً من أثر التشيع ، فهو يؤيد صحة نسب الأدارسة ويدافع عن رأيه هذا بقوة ، كما أنه يورد عبارة "صلوات الله عليهم" عند ذكره لأهل البيت ، فى حين أن هذه العبارة يندر أن يأتى بها أحد من غير الشيعة ، لكن (على الوردى) يبدى استغرابه من ابن خلدون الذى يذكر أهل البيت فى بعض المواضع من مقدمته بشيء من الذم ، ويعلل هذا التناقض - من وجهة نظره - بقوله : "يبدو أن ابن خلدون كتب فصول مقدمته وهو فى أطوار نفسية وفكرية مختلفة ، كشأن أكثر المفكرين العظام الذين يقعون تحت تأثير نزعات متناقضة ، فهم يندفعون فى احدى النزعات تارة وفى الأخرى تارة أخرى ، ولو أنهم كانوا متزمطين لنزعة واحدة ليعرفون غيرها لما استطاعوا أن يبدعوا شيئاً جديداً ، اذ هم يسرون فى تفكيرهم اذ ذاك على الطريق المطروق" (٤).

والحقيقة أن (على الوردى) لم يوفق فى حكمه على ابن خلدون ، بل نجده قد ناقض نفسه بصورة ملفتة للنظر ، فهو يجعله تارة يتحامل على آل البيت بينما يجعله تارة أخرى يميل الى مذهب التشيع ، ونحن نميل الى أن

(١) السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج ٢ ، ص ١٤٧-١٤٨ .

(٢) محمد بن على بن محمد بن عبد الله الشوكانى الصنعانى ، ولد فى هجرة شوكان باليمن سنة ١١٧٣هـ ، ونشأ فى صنعاء وطلب العلم على أكابر علمائها ، ودرس شتى فنون العلم وأجادها وله مصنفات كثيرة فى الحديث والفقه والتراجم ، وقد تولى قضاء صنعاء فترة طويلة وتوفى فى صنعاء سنة ١٢٥٠هـ .

الشوكانى : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ج ٢ ، ص ٢١٤ .

(٣) الشوكانى : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ج ١ ، ص ٣٣٩ .

(٤) على الوردى : منطق ابن خلدون ، ص ١٣٦-١٣٨ .

ابن خلدون لم يجد عن منهجه الذى اتبعه اذ خالف غيره من المؤرخين فى أكثر من موضع .

ومما يتعلق بهذا الموضوع ما ذكره ابن حجر نقلا عن شيخه الحافظ أبى الحسن بن أبى بكر أنه كان يبالي فى الغض من قيمة ابن خلدون لكونه "بلغه أنه ذكر الحسين بن على رضى الله عنهما فى تاريخه فقال : قتل بسيف جده . ولما نطق شيخنا بهذه اللفظة ، أردفها بلعن ابن خلدون وسبه وهو يبكى" (١).

ولقد ناقش أحمد تيمور باشا هذه المسألة ، وأكد أن ابن خلدون نقلها عن أبى بكر بن العربى (٢) ونسب اليه الغفلة ، وهو بهذا لا يستحق كل هذا التشنيع ، كما أنه ناقش كذلك مسألة اثبات نسب العبيديين وما اتهم به ابن خلدون من جراء اثبات هذا النسب ، وقال فى معرض تعليقه على هذا الموضوع : "وهو استنتاج غريب فان من يطالع تاريخ ابن خلدون لا يرى فيه انحرافا عن آل على وان كان خالف المؤرخين فى اثبات نسب الفاطميين فقد خالفهم فى كثير غيره . اما كونه فعل ذلك لالصاق العيب بآل على فحسبنا فى دحضه قوله "والعجب من القاضى أبى بكر الباقلاانى (٣) شيخ النظار من المتكلمين ينجح الى هذه المقالة المرجوحة ، ويرى هذا الرأى الضعيف فان كان ذلك لما كانوا عليه من الالحاد فى الدين والتعمق فى الرافضية فليس ذلك بدافع فى صدر دعوتهم وليس اثبات منتسبهم بالذى يغنى عنهم من الله شيئا فى كفرهم فقد قال تعالى لنوح عليه السلام فى شأن

(١) ابن حجر العسقلانى : رفع الاصر عن قضاة مصر ، ق ٢ ، ص ٣٤٧ .

(٢) أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن العربى ، ولد سنة ٤٦٨ هـ فى اشبيلية ورحل فى طلب العلم وأصبح من أشهر علماء الأندلس ، وقد توفى فى فاس سنة ٥٤٣ هـ .

عنه انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٤ ، ص ٢٩٦ .
(٣) القاضى أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر المعروف بالباقلانى ، كان له طريقة الأشعرى ، سكن بغداد وله تصانيف فى علم الكلام وكان فى علمه أوحده زمانه ، وقد توفى فى بغداد سنة ثلاث وأربعمئة .

ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٤ ، ص ٢٦٩-٢٧٠ .

ابنه : {انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ماليس لك به علم} (١)(٢)، بل لم يفعل مع الفاطميين الا ما فعله مع الأدارسة أمراء المغرب في رد فرية من أنكر نسبتهم الى الامام الحسن بن علي (٣) ولم يكن في نخلة القوم ما يحمل على الريبة في صحة معتقدهم (٤).

والحقيقة أن رأى أحمد باشا تيمور يوافق رأى الذى نرجحه ونميل اليه ، ولعل الرواية التى ذكرها الحافظ أبو الحسن بن أبى بكر بصيغة "بلغه" ترجح أنه لم يسمعها مباشرة ، ولم يتأكد من صحتها بنفسه وهذا ما يدفعنا الى القول بالتشكيك فيها .

وقد علق (على الوردى) على كلام ابن حجر الذى نسبته الى شيخه بقوله : "ان صحت هذه الرواية فهى دليل على أن ابن خلدون كان له فى أول أمره رأى فى ثورة الحسين يشبه رأيه فى جميع الثورات الفاشلة ، ولكنه تراجع عن هذا رأى بعدئذ خوفا من الناس ، فمحاه من مقدمته ووضع مكانه رأى الذى أسلفنا ذكره . مما يلفت النظر أن ابن خلدون لم يذكر شيئا عن ثورة الحسين فى تاريخه العام ، بل ترك مكانها فارغا . والغريب أن الذين قرأوا تاريخ ابن خلدون ، والذين اشتغلوا فى طبعه ، لم يفتنوا الى علة هذا الفراغ "الأبيض" فى صفحات الكتاب . يخيل لى أن ابن خلدون ، عندما أراد أن يكتب عن ثورة الحسين فى تاريخه ، تملكته الحيرة وتوقف عن الكتابة ، فهو لا يدرى أ يكتب رأى الذى يؤمن به فى قرارة نفسه ، أم يكتب رأى الذى يريده الناس منه . والظاهر أنه خصص لحادثة الحسين صفحات من تاريخه ، وتركها بيضاء لى يعود اليها فيملأها بعد أن

(١) سورة هود : آية ٤٦

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ١ ، ص ٣١١ .

(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ١ ، ص ٣١٣-٣١٧ .

(٤) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (بيروت ، دار الكتاب العربى : ١٤٠٣هـ) ، هامش ص ٧٢ .

يستقر في أمر الحسين على رأى معين . ثم مرت به الأيام فنسى أمر تلك الصفحات البيضاء ، حيث بقيت على حالها الى يومنا هذا^(١).

ان (على الوردى) جانبه الصواب في حكمه هذا على ابن خلدون ، فاذا كان ابن خلدون قد حذف من مقدمته رأيه في ثورة الحسين رضى الله عنه الذى يشبه رأيه في جميع الثورات الفاشلة ، ووضع بدلا منه رأيه الموجود حاليا في مقدمته ، وهو أن الحسين رضى الله عنه مجتهد مأجور ، فما الذى أخره عن ملء الصفحات البيضاء في تاريخه المتعلقة بمقتل الحسين رضى الله عنه ، مع أنه استقر على رأى واحد في هذا الموضوع بدليل أنه أزال ماكتبه سابقا في مقدمته ، ووضع بدلا منه رأيا آخر كما ذكر (على الوردى) . ومن خلال دراستنا لتاريخ الدولة الأموية عند ابن خلدون نجد أن الذى يقرأ المقدمة والتاريخ يدرك بدهشة أن المقدمة هى التى تحمل آراء ابن خلدون التى تميز بها عن غيره من المؤرخين ، أما التاريخ فهو كغيره من التواريخ الا ماندر ، فمادام قد غير فى المقدمة فما الذى يمنعه من التغيير فى التاريخ؟

وشىء آخر هو أن الصفحات البيضاء التى أشار اليها (على الوردى) لم تكن عن مقتل الحسين رضى الله عنه وحده ، مع أنه ذكر شيئا يسيرا عن مسير الحسين رضى الله عنه الى الكوفة ، وانما تتعلق بموضوعات أخرى كثيرة لاعلاقة لها بالحسين أو بآل البيت فهى تشمل الجزء المتبقى من مسير الحسين الى الكوفة ومقتله ، كما تشمل ولاية سلم بن زياد^(٢) خراسان^(٣) ،

(١) على الوردى : منطق ابن خلدون ، ص ٢٤٧ .

(٢) سلم بن زياد بن أبيه كان واليا على خراسان ، وكان كريما حسن السيرة ، وقد مات فى البصرة سنة ٨٧٣ .

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج ١ ، ص ١٩٠ .
وعنه انظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٤ ، ص ٩٥-٩٧ ، ١٠١ وما بعدها .
(٣) بلاد واسعة فى المشرق مما يلى العراق باتجاه فارس ، وفيها مدن مشهورة مثل : هراة ، نيسابور ، ومرو . وكان بداية فتحها فى العهد الاسلامى سنة ٣١هـ فى زمن عثمان بن عفان وبقيادة عبد الله بن عامر ، وقد نبغ من أهلها عدد كبير من العلماء فى شتى فنون المعرفة . =

وسجستان^(١)، وولاية الوليد بن عتبة^(٢) على الحجاز ، وعزل عمرو بن ربيعة^(٣)، وخلع أهل المدينة يزيد ووقعة الحرة وحصار مكة ووفاة يزيد وبيعة معاوية ابنه ومهلكه ، واطهار ابن الزبير البيعة وانتفاض أمر ابن زياد^(٤) ورجوعه الى الشام وبيعة مروان ووقعة مرج راهط ، ومفارقة الخوارج لابن الزبير ، وخروج سليمان بن صرد^(٥) في التوابين من الشيعة ،

= ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٥٠-٣٥٤ .
وعنها انظر : البكرى : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، ج ٢ ، ص ٤٨٩-٤٩٠ .

(١) سجستان : مدينة كبيرة في المشرق من أرض فارس بينها وبين هراة مسيرة عشرة أيام ، اشتهرت قديما بكثرة نخيلها ومياها . كما اشتهرت بتخريج عدد من العلماء في فنون شتى .

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٩٠-١٩٢ .
(٢) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، كان جوادا كريما ، وقد تولى امرة المدينة أكثر من مرة ، مات بالطاعون سنة أربع وستين للهجرة .
اليافعى : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان ، ج ١ ، ص ١٤٠ .

(٣) ورد هكذا بالمخطوط . وعند ابن الأثير : عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشديق ، كان واليا لبني أمية على المدينة ، قتله عبد الملك بن مروان سنة ٦٩ هـ .
عنه انظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٢٩٧، ١٨ وما بعدها .

(٤) عبيد الله بن زياد ، كان واليا على العراقيين وهو أول مسلم عبر نهر جيحون الى بخارى وافتتح بعض البلاد وقد قتل سنة سبع وستين ، قتله جيش المختار بن أبي عبيد .

ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ١ ، ص ٦٠، ٦١، ٧٤ .
وعنه انظر : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى : عيون الأخبار ، (ط) ، بيروت ، دار الكتب العلمية : ١٤٠٦ هـ) ، ج ١ ، ص ٢٢٩ .

(٥) سليمان بن صرد بن الجون الخزاعي ، صحابى فاضل ، كان اسمه في الجاهلية يسار فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم سليمان ، كان مع علي بن أبي طالب في كل مشاهدته وسكن الكوفة ، ثم خرج يطالب بدم الحسين فلقبه عبيد الله بن زياد في جيش الشام وقاتله مع من معه حتى قتل . =

ووفاة مروان وبيعة عبد الملك وفتنة خراسان ، والجزء الأول من وثوب المختار^(١) بالكوفة وأخباره . فهل كانت مثل هذه الموضوعات تحتاج الى أن يترك لها ابن خلدون صفحات بيضاء حتى يستقر له رأى معين فيها فيملؤها بعد ذلك؟؟

من ناحية أخرى فالمخطوط^(٢) الذى بين أيدينا يغطى الموضوعات المشار اليها بما فيها مقتل الحسين رضى الله عنه والذى نهج فيه ابن خلدون نهجا يوافق ما ذكره غيره من المؤرخين كالطبرى وابن الأثير .
ومن المسائل التى كان لابن خلدون رأى متميز فيها نفيه القاطع بأن خالد بن يزيد بن معاوية^(٣) كان له اهتمام بالعلوم والصنائع رغم اثبات عدد من المؤرخين هذه الصنعة له ، فعندما تحدث عن هذه العلوم فى مقدمته

= عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، (بيروت ، دار احياء التراث العربى) ، ج ٢ ، ص ٣٥١ .

وعنه انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٦ ، ص ٢٥-٢٦ ، ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج ١ ، ص ٧٣ .

(١) المختار بن أبى عبيد بن عمر الثقفى ، كان أبوه صحابيا ، وولد عام الهجرة ، وكان من المطالبين بدم الحسين وقاد جمعا من الشيعة لهذا الغرض واستطاع قتل عدد ممن شاركوا فى قتل الحسين واستولى على الكوفة ، لكن مصعب بن الزبير استطاع هزيمته وقتله وكان ذلك سنة ٦٧هـ ، وله من العمر سبع وستون سنة . ابن الأثير : أسد الغابة ، ج ٤ ، ص ٣٣٦ .

وعنه انظر : ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج ١ ، ص ٧٤-٧٥ عبد الرحمن بن خلدون : تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر ، (تاريخ ، خط نسخ واضح ، استنبول ، المكتبة السليمانية ، رقم ٨٦٤ ، نسخة مصورة) .

(٢) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، كان عالما بالطب والكيمياء وله مصنفات فى هذه العلوم . وكانت وفاته سنة خمس وثمانين للهجرة .

ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٢ ، ص ٢٢٤-٢٢٦ .

وعنه انظر : ابن النديم : الفهرست ، ص ٤٩٧-٤٩٨ ، ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج ١ ، ص ٩٦ .

قال : "وربما نسبوا بعض المذاهب والأقوال فيها لخالد بن يزيد بن معاوية ربيب مروان بن الحكم . ومن المعلوم البين أن خالداً من الجيل العربى ، والبدواة اليه أقرب ، فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالجملة ، فكيف له بصناعة غريبة المنحى مبنية على معرفة طبائع المركبات وأمزجتها ، وكتب الناظرين فى ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر بعد ولم تترجم . اللهم الا أن يكون هناك خالد بن يزيد آخر من أهل المدارك الصناعية تشبه باسمه فمممكن" (١).

لقد أنكر ابن خلدون أن يكون لخالد بن يزيد أى صلة بالعلوم والصنائع اعتماداً على كونه بدوياً بعيد الصلة بهذه العلوم التى لاقت لمجتمعه بصلة ، وقد أغفل صلة العرب آنذاك بالأمم الأخرى واتصال الثقافات ، وبدء حركة الترجمة .

ان ابن خلدون لم ينظر الى أولئك الذين أثبتوا صلة خالد بن يزيد بهذا العلم كابن النديم (٢) الذى قال : "كان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان ، وكان فاضلاً فى نفسه ، وله همة ومحبة للعلوم ، خطر بباله الصنعة ، فأمر باحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان يتزل مدينة مصر ، وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب فى الصنعة من اللسان اليونانى والقبطى الى العربى ، وهذا أول نقل كان فى الاسلام من لغة الى لغة" (٣).

وكذلك عندما تحدث المسعودى عن هذه الصنعة فانه قال عن خالد بن يزيد : "وما ذكره خالد بن يزيد بن معاوية فى ذلك ، وهو عند أهل هذه الصنعة من المتقدمين فيهم" (٤).

-
- (١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١١٩٨ .
 (٢) محمد بن اسحاق الوراق المعروف بابن النديم .. كاتب ، له كتاب "الفهرست" فى التراجم والأخبار ، توفى سنة ٣٨٥ هـ .
 البغدادى : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، ج ٢ ، ص ٥٥ .
 (٣) ابن النديم : الفهرست ، ص ٣٣٨ .
 (٤) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٤ ، ص ١٦٩ .

بل ان ابن خلكان^(١) جعله عالما في هذه الصنعة ومتقدما فيها ، فيقول عنه : "أبو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي ، كان من أعلم قريش بفنون العلم ، وله كلام في صناعة الكيمياء والطب ، وكان بصيرا بهذين العلمين متقنا لهما ، وله رسائل دالة على معرفته وبراعته"^(٢).
أما الطبرى فقد ذكر أن خالد بن يزيد كان يقال أنه أصاب علم الكيمياء ولم يؤكد، ولم ينف^(٣).

أما ابن كثير فقد كان مترددا بين النفي والاثبات . فهو يقول تارة : "وخالد بن يزيد يكنى أبا هاشم كان يقال انه أصاب علم الكيمياء" ، وقال عنه في موضع آخر : "كان أعلم قريش بفنون العلم ، وله يد طولى في الطب ، وكلام كثير في الكيمياء ، وكان قد استفاد ذلك من راهب اسمه مريانش ، وكان خالد فصيحاً بليغاً شاعراً منطقياً كأبيه"^(٤).

وقد ألف (فاضل خليل ابراهيم) كتاباً حول هذا الموضوع أسماه "خالد بن يزيد سيرته واهتماماته العلمية" أكد فيه صلة خالد بن يزيد بهذا العلم ، ورد على ابن خلدون في نفيه لصلة خالد بعلم الكيمياء لكونه قريب العهد بالبداءة^(٥).

والمهم في الأمر أن ابن خلدون يؤكد مرة أخرى استقلالته في منهجه ودفاعه عن آرائه مهما كثر عدد مخالفيه .

-
- (١) أحمد بن محمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر بن خلكان ، قاضى قضاة دمشق وعالمها ومؤرخها ، ولد سنة ٦٠٨هـ في اربل وتعلم فيها ، وكان محبا للعلم والأدب وهو صاحب التاريخ المشهور ، وقد توفي سنة ٦٨١هـ وله من العمر ثلاث وسبعون سنة ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ٧ ، ص ٣٥٣-٣٥٥
- (٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ .
- (٣) أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، (ط ٤ ، القاهرة ، دار المعارف : ١٣٨٠هـ) ، ج ٥ ، ص ٥٠٠ .
- (٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ٢٣٦ ، ج ٩ ، ص ٦٠ .
- (٥) فاضل خليل ابراهيم : خالد بن يزيد ، سيرته واهتماماته العلمية ، (الجمهورية العراقية ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام) ص ١٤٤-١٦٢ .

ومن الأشياء الحسنة التي نلاحظها عند ابن خلدون تعليقه للأحداث في كثير من الأحيان ، والدخول في عمق الحدث التاريخي ، وربطه بزمه ، وتحليل مفهوم الناس له آنذاك .

ومن أمثلة ذلك حديثه عن الحجاج بن يوسف^(١) ومسألة تعليمه الصبيان ، فقد تحدث عن ظاهرة التعليم في عصر صدر الاسلام والدولتين ، فذكر أن هذه المهنة لم تكن صناعة بل كانت مهنة يتولاها الأشراف وأهل القوة والعصبية بغرض تبليغ رسالة الاسلام للناس ، ولما انتشر العلم وتوسعت الدولة الاسلامية ظهر المعلمون وانقلبت هذه المهنة الى صناعة يمارسها معلمون من طبقات الناس العادية ، ولما كان أبو الحجاج من سادات ثقيف وأشرافها فلا يتوقع أن يكون ابنه مجرد محترف لتعليم الصبية ، ولهذا فهو لا يرى التقليل من شأنه لهذا السبب^(٢).

وما يقال عن مهنة التعليم يقال كذلك عن مهنة القضاء ، فالقضاة كانوا قادة الجيوش ، وأهل الرياسة والزعامة بسبب عصبيتهم في بداية الدولة الاسلامية ، لكن الأمر اختلف بعد ذلك لضعف العصبية فتولى القضاء سائر الناس ، ولهذا فالنظرة الى دور القضاة في العصر الأول يجب أن تختلف عنها في العصور التالية^(٣).

ومن الأشياء التي تسترعى الانتباه في منهج ابن خلدون العلمي حالته على المراجع المتخصصة في بعض الأحيان ، فعندما تحدث عن مذاهب الشيعة قال : " وفي كل واحدة من هذه المقالات للشيعة اختلاف كثير ، الا أن هذه أشهر مذاهبهم ومن أراد استيعابها ومطالعتها فعليه بكتاب الملل والنحل

(١) الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي ، كان عاملا للوليد بن عبد الملك على العراق وخراسان ، وقد اهتم بوضع النقط على المصحف حينما رأى اختلاف الناس في قراءته ، وكان ظلما في معاملته للناس ، وقد توفي سنة ٧٥ هـ وعمره ٥٤ سنة .

ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٢ ، ص ٢٩-٥٤ .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ١ ، ص ٣٢٢-٣٢٣ .

(٣) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٢٣ .

لابن حزم (١)، والشهرستاني (٢)، وغيرهما ، ففيها بيان ذلك " (٣) .

وعندما تحدث عن وظائف السلطان والملك ورتبته بشكل عام برر استعجاله في عرض هذه المسألة بقوله : "فليس من غرض كتابنا كما علمت فلا نحتاج الى تفصيل أحكامها الشرعية ، مع أنها مستوفاة في كتب الأحكام السلطانية مثل كتاب القاضي أبي الحسن الماوردي (٤) وغيره من أعلام الفقهاء فان أردت استيفاءها فعليك بمطالعتها هنالك" (٥) .

ومنها كذلك منهجه المتميز في عدالة الصحابة فهو لا يتعرض لأحدهم بالقدح ولا يقبل من غيره أن يفعل هذا ، وهذا المنهج يعتمد فيه على تعليمات الاسلام ووصايا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الذي يقول : "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال ثم يتخلف من بعدهم خلف تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته" (٦) .

(١) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، أصله من فارس ، ولد في قرطبة سنة ٣٨٤هـ ، كان حافظا عالما بالفقه والحديث والسير والأشعار ، وقد توفي سنة ٤٥٦هـ ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٣ ، ص ٣٢٥-٣٣٠ .
وعنه انظر : التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج ٢ ، ص ٧٧-٨٤ .

(٢) محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني ، فقيه على مذهب الأشاعرة ، ولد سنة ٤٦٧هـ بشهرستان ، وتوفي فيها سنة ٥٤٨هـ .

ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٤ ، ص ٢٧٣-٢٧٥ .

(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٥٩٨ .

(٤) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري المعروف بالماوردي ، فقيه شافعي ، له تصانيف كثيرة في الفقه والتفسير والأدب ، استوطن بغداد ومات فيها سنة ٤٥٠هـ ، وله من العمر ست وثمانون سنة .

ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٣ ، ص ٢٨٢-٢٨٤ .

(٥) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٦٥ .

(٦) أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري : الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ، (بيروت ، دار المعرفة) ، ٧/٤ ، ص ١٨٥ .

يقول : "فاياك أن تعود نفسك أو لسانك التعرض لأحد منهم ، ولا تشوش قلبك بالريب في شيء مما وقع منهم ، والتمس لهم مذاهب الحق وطرقه ما استطعت فهم أولى الناس بذلك ، وما اختلفوا الا عن بينة ، وما قاتلوا أو قتلوا الا في سبيل جهاد أو اظهار حق" (١).

ومنها كذلك نقده لبعض المؤرخين مع حبه لهم وثنائه عليهم ، هذا الاعجاب لم يكن يمنعه من ابداء رأيه الصريح اذا رآهم أخطأوا ، ومن هؤلاء المسعودي (٢)، فقد أورد اسمه عندما تحدث عن العرافين وكيف أنهم يدعون علم الغيب فقال : "وقد تكلم عليها المسعودي في مروج الذهب ، فما صادف تحقيقا ولا اصابة . ويظهر من كلام الرجل أنه كان بعيدا عن الرسوخ في المعارف فينقل ماسمع من أهله ومن غير أهله" (٣).

وقد نقده في موضع آخر عندما ادعى أن القدامى كانوا طوال الأجسام أقوىاء أشداء معتمدا في ادعائه هذا على آثارهم . وقد أنكر ابن خلدون هذا الادعاء ورده بشكل علمي لا يقبل الشك فقال : "وهذا رأى لا وجه له الا التحكم كما تراه ، وليس له علة طبيعية ولا سبب برهاني . ونحن نشاهد مساكن الأولين وأبوابهم وطرقهم فيما أحدثوه من البنيان والهيكل والديار والمساكن ، كديار ثمود المنحوتة في الصلد من الصخر . بيوتا صغارا وأبوابها ضيقة. وقد أشار صلى الله عليه وسلم أنها ديارهم" (٤). وكما نقد المسعودي فقد نقد الطرطوشي (٥) في كتابه "سراج الملوك"

-
- (١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٢٤ .
 (٢) انظر في ثناء ابن خلدون على المسعودي : ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ١ ص ٢٨٣-٢٨٤، ٣٢٥، ٣٢٦ .
 (٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ١ ، ص ٤٢١ . وانظر : المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ١٥١-١٦٠ .
 (٤) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٥٨ .
 (٥) محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الأندلسي فقيه مالكي زاهد ، درس على أكابر علماء عصره في الأندلس وبغداد ، وله مؤلفات عديدة ، ولد سنة ٤٥١ هـ وتوفي سنة ٥٢٠ هـ في الاسكندرية .
 ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٤ ، ص ٢٦٢-٢٦٥ .

حيث ذكر هذا أن حماية الدولة تعتمد على اعطاء الجند الأموال لأنهم حماة الدولة ، بينما يرى ابن خلدون أن هذه المسألة قد تصح عند هرم الدولة لأنها في هذه الحالة تستظهر بالموالى والصنائع ، ثم الى المستخدمين من ورائهم بالأجر والموافقة ، بينما في بداية الأمر تقوم الدولة على العصبية وحدها^(١).

وهكذا نرى أن ابن خلدون صاحب رأى مستقل ، يدافع عن رأيه ، ويناقش الآخرين ، وينتقد من يعتقد بخطئه ، وهذه - في رأينا - ميزة تحسب له . وان كنا نعتقد كذلك أن الدفاع عن الرأى الخاطيء يجب أن لايفعله المؤرخون أو غيرهم .

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٥٢٤ . وانظر : محمد بن الوليد الطرطوشى : سراج الملوك ، تحقيق : جعفر البياق ، (ط ١ ، رياض الريس للكتب والنشر : ١٩٩٠م) ، ص ٣٦٦ .

المبحث الثالث

مأخذ على منهج ابن خلدون في مقدمته

ومدى تطبيقه لهذه الآراء

مآخذ علم بعض آراء ابن خلدون في مقدمته ومدحه تطبيقه لهذه الآراء

ومع ذلك فهناك بعض المآخذ يمكن أن تحسب على ابن خلدون ، وقد كنا نود لو أنه كان أكثر دقة واستطاع تجنبها . ونحن هنا لانستقصي كافة المآخذ على تاريخه ، بل نذكر بعض الأمثلة فقط لنشير الى بعض سلبياته كما أشرنا سابقا الى بعض ايجابياته ، ليكون البحث أكثر شمولاً وواقعية .

ذكر ابن خلدون أن بعض المؤرخين المتأخرين قلّدوا سابقهم في منهجهم التاريخي عند الحديث عن الدول ، فعندما يتحدثون عن أحد الملوك يذكرون اسمه ونسبه وأباه وأمه ونسائه ووزرائه ... الخ "كل ذلك تقليد لمؤرخي الدولتين من غير تفطن لمقاصدهم . والمؤرخون لذلك العهد كانوا يضعون تواريخهم لأهل الدولة ، وأبناءؤها متشوقون الى سير أسلافهم ومعرفة أحوالهم ليقتفوا آثارهم وينسجوا على منوالهم ، حتى في اصطناع الرجال من خلف دولتهم ، وتقليد الخطط والمراتب لأبناء صنائعهم وذويهم . والقضاة أيضا كانوا من أهل عصبية الدولة وفي عداد الوزراء كما ذكرناه لك ، فيحتاجون الى ذكر ذلك كله . وأما حين تباينت الدول ، وتباعد ما بين العصور ، ووقف الغرض على معرفة الملوك بأنفسهم خاصة ، ونسب الدول بعضها من بعض في قوتها وغلبتها ، ومن كان يناهضها من الأمم أو يقصر عنها ، فما الفائدة للمصنف في هذا العهد في ذكر الأبناء والنساء ونقش الخاتم واللقب والقاضي والوزير والحاجب من دولة قديمة لا يعرف فيها أصولهم ولا أنسابهم ولا مقاماتهم؟! إنما حملهم على ذلك التقليد والغفلة عن مقاصد المؤلفين الأقدمين والذهول عن تحري الأغراض من التاريخ" (١).

والواقع أن ابن خلدون قد جانب الصواب في رأيه هذا لأن دارس التاريخ قد يجد أهمية خاصة في بعض الأحيان لمعرفة هذه التفاصيل ، فالنساء

أحيانا يكون لهن دور بارز في مجريات الأمور وكذلك الوزراء والحجاب وماشاكلهم من المقربين للحاكم ، فمعرفة هؤلاء وأدوارهم ومواقعهم في الدولة تعين المؤرخ وترشده ليصدر حكما صائبا على الأحداث ، ولانعتقد أن هذه المسألة يمكن اغفالها بسهولة ، مع أن ابن خلدون عاد فاستدرك على نفسه ، اذ استثنى بعد ذلك من كان له أهمية خاصة كالحجاج وابن المهلب (١) ، والبرامكة وأمثالهم (٢).

وتحدث ابن خلدون عن العمالقة ، فأشار في معرض حديثه عنهم أن "الشمس في نفسها لا حارة ولا باردة وانما هي جسم بسيط مضىء لامزاج له" (٣). وهذا خطأ علمي واضح فالشمس جسم حار ملتهب ، والغريب أن يقول ابن خلدون هذا الكلام مع انتشار العلوم في عصره في المجتمع الاسلامي (٤).

وقد أخطأ ابن خلدون كذلك في جعله آثار الدولة دالة على قوتها ، وقد علل وجهته تلك بقوله : "والسبب في ذلك أن الآثار انما تحدث عن القوة التي بها كانت أولا ، وعلى قدرها يكون الأثر . فمن ذلك مباني الدولة وهيكلها العظيمة ، فانما تكون على نسبة قوة الدولة في أصلها ، لأنها لا تتم الا بكثرة الفعلة واجتماع الأيدي على العمل والتعاون فيه ، فاذا كانت الدولة عظيمة فسيحة الجوانب كثيرة الممالك والرعايا ، كان الفعلة كثيرين

(١) يزيد بن المهلب ابن أبي صفرة الأزدي ، كان واليا على خراسان في عهد سليمان بن عبد الملك ثم نشبت حروب بينه وبين مسلمة بن عبد الملك انتهت بمقتله سنة ١٠٢ هـ .

عنه انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٦ ، ص ٢٧٨ وما بعدها .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ١ ، ص ٣٢٤-٣٢٥ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٥٧ .

(٤) انظر ماكتبه الامام الغزالي حول هذا الموضوع : أبي حامد الغزالي الطوسي : الحكمة في مخلوقات الله ، تحقيق : محمد رشيد رضا قباني ، (ط ٢ ، بيروت ، دار احياء العلوم : ١٤٠٤ هـ) ، ص ١٩ وما بعدها .

جدا وحشروا من آفاق الدولة وأقطارها ، فتم العمل على أعظم هياكله" (١).
ورأيه هذا جانبه الصواب فليست قوة الدولة تقاس بآثارها المادية
وهياكلها العظيمة ، فهذه دولة الاسلام في عهد الرسول والخلفاء الراشدين
بلغت قوة عظيمة واتسعت ممالكها ولم يكن بها آثار مادية ملحوظة .
والمرجح أن الاتجاه لبناء الآثار العظيمة يحصل في الدول الكبيرة المترفة .
وقد وقع ابن خلدون في جملة أخطاء أنكرها على غيره ، وكان الأولى
به أن يلتزم بما دعا غيره الى الالتزام به ، لكنه لم يفعل هذا .

فمن ذلك حديثه عن المعركة التي دارت بين يحيى بن زيد (٢) ومعه
سبعون رجلا من أنصاره ، وبين جيش بني أمية وعددهم عشرة آلاف رجل ،
وانتهت المعركة - كما ذكر ابن خلدون - بانتصار يحيى على خصمه (٣).
ولعله من غير المعقول أن ينتصر سبعون رجلا على عشرة آلاف رجل
مهما بلغت قوة هؤلاء السبعين ، ويدخل ضمن هذا السياق ما ذكره ابن
خلدون عند حديثه عن المعركة التي دارت بين جيش الدولة الأموية بقيادة
عتاب بن ورقاء الرياحي (٤) ومعه خمسون ألفا ، وجيش الخوارج بقيادة

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٥٥٦ .

(٢) يحيى بن زيد بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، كان من الخارجين على ولاية
الدولة الأموية ، وقد قاتله ولاتها أكثر من مرة حتى تمكنوا من قتله في مدينة
جوزجان وصلبوه أياما حتى أنزله أبو مسلم الخراساني ودفنه .
أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني : مقاتل الطالبين ، تحقيق : أحمد صقر ،
(بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع بمكة
المكرمة) ، ص ١٥٢-١٥٨ .

وعنه انظر : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي : تاريخ الاسلام
ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، (ط ١ ، بيروت ،
دار الكتاب العربي : ١٤٠٧هـ) ، حوادث ١٢١-١٤٠هـ ، ص ٢٩٩-٣٠٠ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٣٠ .

(٤) عتاب بن ورقاء الرياحي ، كان من قواد الحجاج قاتل شيبا الخارجي وقتله
شبيب وكان ذلك سنة ٧٧هـ .

عنه انظر : ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ١ ، ص ٨٣ .

شبيب بن يزيد الشيباني^(١) ومعه ستمائة مقاتل وانتهت المعركة بانتصار شبيب على عتاب وقتله وهزيمة جيشه^(٢).

هذه المبالغة ذاتها التي أنكرها ابن خلدون على المسعودي عندما تحدث الأخير عن جيوش بني إسرائيل وكثرتهم ، وناقشه في رأيه وجعله مخطئاً^(٣). ومن الأشياء التي تؤخذ على ابن خلدون تناقضه في رواية الحدث الواحد بين المقدمة والتاريخ مما يجعل القارئ في حيرة من أمره لا يدري أين الرأي الحق الذي تبناه المؤلف .

من ذلك ما ذكره بعد انقضاء أمر الجمل فقد خشى معاوية أن يتحد على بن أبي طالب مع قيس بن سعد^(٤) ضده ويجتمع عليه أهل العراق ومصر فلا يستطيع المدافعة عن نفسه ، فكتب الى قيس خطاباً اتهم فيه علياً بدم عثمان ، ووعدته بولاية العراقيين وأن يولى بعض أهله على الحجاز ويعطيه ماشاء من الأموال . كل هذه الوعود مقابل أن يتخلى قيس عن علي ويتجه الى معاوية^(٥).

(١) شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني ، من كبار الخوارج ، خرج في خلافة عبد الملك بن مروان في الموصل ثم في الكوفة فحاربه الحجاج زمناً طويلاً ، مات غرقاً في نهر دجيل بالأهواز سنة ٧٧ هـ وكان مولده سنة ٢٦ هـ .

عنه انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٢ ، ص ٤٥٤-٤٥٨

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٩٦ .

(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ١ ، ص ٢٩٢-٢٩٥ .

(٤) قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي . كان من فضلاء الصحابة وأحد دهاة العرب وشجعانهم ، وكان يحمل راية الأنصار مع النبي صلى الله عليه وسلم ، استعمله على مصر ثم عزله بعد ذلك . روى عدة أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة ٥٩ هـ .

ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج ٤ ، ص ٢١٥-٢١٦ .

وعنه انظر : ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ١ ، ص ٩٥-١٠١ .

(٥) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٢٣-٦٢٤ .

هذه الرواية تشير صراحة الى أن معاوية لم يكن يطالب بدم عثمان بقدر حرصه على المطالبة بالخلافة ، فالذى يملك اعطاء هذه الوعود ويكون قادرا على تحقيقها هو الخليفة . من جانب آخر نجد أن معاوية يؤكد أن المسئول عن قتل عثمان هو علي بن أبي طالب ، وهذا يتناقض مع ما ذكره ابن خلدون في مقدمته من أن معاوية كان يلوم عليا على سكوته عن نصره عثمان من قاتليه لافي الممالة عليه (١).

ويذكر ابن خلدون في موقع آخر أن الجنيد بن عبد الرحمن (٢) أهدى الى زوجة الخليفة هشام قلادة فيها جواهر فأعجبت القلادة هشاما فأهدى له أخرى فولاه خراسان وحمله على البريد (٣).

ولعله من المستبعد حدوث هذه الواقعة لأن الخليفة وزوجته - كما هو المتوقع - اعتادا على رؤية الجواهر واستعمالها خصوصا أن هذه القلادة غير نادرة ، بدليل أنه أهدى مثلها للخليفة كما تقول الرواية ، فهل من المعقول أن يجعله واليا على خراسان من أجل قلادتين حتى وان كانتا باهظتي الثمن . وقد كان بمقدور الخليفة أن يأخذ منه القلادتين دون أن يوليه شيئا لو أراد. ان هذه الرواية تظلم الخليفة وتدل على تسرع ابن خلدون في حكمه وعدم دقته .

ومن الأشياء التي تؤخذ على ابن خلدون تكرار الروايات لحدث واحد دون أن يرجح أحدها مخالفا بذلك منهجه الذي وضعه للتحقق من الرواية التاريخية ، ومن أمثلة ذلك وصية معاوية لابنه يزيد (٤) حيث أورد ابن خلدون روايتين لهذه الوصية دون أن يرجح إحداهما (٥) ، بينما نجد ابن

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦١٧-٦١٨ .

(٢) الجنيد بن عبد الرحمن المرى الدمشقي . ولى خراسان والسند وتوفي سنة ١١٥هـ .

عنه انظر : ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ١ ، ص ١٥١ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١١٠ .

(٤) انظر مايتعلق بهذا الموضوع في الفصل الثاني ، المبحث الأول "الفرع السفيفاني"

ص

(٥) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٢٣-٢٤ .

الأثير أورد الروايتين لكنه أنكر احداها بدليل أن أحد المذكورين في الوصية كان ميتا قبل معاوية^(١). وكان الأجدر بابن خلدون أن يفطن لما فطن له ابن الأثير وهو صاحب منهج متميز في تحقيق الروايات ، ولاحق لابن الأثير فكان ينبغي أن يستفيد منه .

ومثل هذه رواية مقتل حجر بن عدى^(٢) إذ أورد روايتين دون ترجيح احدهما^(٣).

وكذلك عند حديثه عن هزيمة مروان^(٤) بالزاب^(٥)، ومقتله بمصر ، فقد ذكر أن ابراهيم بن الوليد^(٦) المخلوع غرق ، لكنه قال مباشرة : "وقيل

-
- (١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٥-٦ .
- (٢) حجر بن عدى بن معاوية الكندي ، المعروف بحجر الخير ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم مع أخيه هانيء ، وشهد القادسية وكان من فضلاء الصحابة . قاتل مع علي بن أبي طالب في صفين والنهروان والجمل وقد قتله معاوية بن أبي سفيان سنة إحدى وخمسين .
- ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج ١ ، ص ٣٨٥-٣٨٦ .
- وعنه انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٦ ، ص ٢١٧-٢٢٠ ، ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ١ ، ص ٥٧ .
- (٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٣-١٧ .
- (٤) مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص ، ولد سنة اثنين وسبعين وهو آخر خلفاء بني أمية ، ويكنى بأبي عبد الملك ، يقال له مروان الحمار لشدة صبره على قتال الخوارج . وقد بويع بالخلافة سنة ١٢٧هـ ، وظهرت دعوة بني العباس في عهده وانقرضت بموته دولة الأمويين .
- ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ١ ، ص ١٩٦، ٢٧٣، ٣٢٢ . وعنه انظر : الذهبي : تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، حوادث وفيات ١٢١-١٤٠هـ ، ص ٥٣٣-٥٣٧ .
- (٥) الزاب الأعلى بين الموصل واربل ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٢٣-١٢٤ . وانظر : البكرى : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، ج ٢ ، ص ٦٩١-٦٩٢ .
- (٦) ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك المرواني الأموى ، قام بالأمر بعد وفاة أخيه يزيد ابن الوليد سنة ١٢٦هـ وكان تارة يسلم عليه بالخلافة وتارة يسلم عليه بالامارة ، ثار عليه مروان بن محمد بن مروان وقتل مع من قتل من بني أمية حين زالت دولتهم عنه انظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ٣٠٨ وما بعدها .

بل قتله عبد الله بن علي (١) بالشام (٢)، وفرق كبير بين الموت غرقا والموت قتلا .

ومن الأشياء التي تؤخذ عليه كذلك ايراد بعض الروايات الضعيفة ثم نفيها ، فعند حديثه عن اضطراب الأمور في مصر على محمد بن أبي بكر (٣) ذكر أن عليا رضى الله عنه وجه الاشر (٤) الى مصر "وبلغ الخبر الى معاوية وكان قد طمع في مصر فعلم أنها ستمتنع بالأشر ، وجاء الأشر فتزل على صاحب الخراج بالقلزم (٥) فمات هنالك ، وقيل ان معاوية بعث الى صاحب القلزم فسمه على أن يسقط عنه الخراج وهذا بعيد" (٦). وهكذا بعد أن أورد

(١) عبد الله بن علي بن العباس ، وهو عم الخليفة أبي جعفر المنصور ، ولد سنة ثلاث ومائة ، وتوفي سنة سبع وأربعين ومائة وهو الذي هزم مروان الحمار في معركة الزاب وتبعه الى دمشق وفتحها .

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ٢ ، ص ٧-٨ .
(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٦٤ .

(٣) محمد بن أبي بكر الصديق ، ولد في حجة الوداع لخمس بقين من ذى القعدة ، وأمه أسماء بنت عميس الحثمية ، قاتل مع علي بن أبي طالب في صفين والجمل ثم ولاه على مصر فقتل فيها ، وهو يعد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج ٤ ، ص ٣٢٤-٣٢٥ .

وعنه انظر : أبي عمر محمد بن يوسف الكندى : تاريخ ولاية مصر ، (ط ١) ، بيروت مؤسسة الكتب الثقافية : ١٤٠٧هـ) ، ص ٢٨-٣١ .

(٤) مالك بن الحارث بن عبد يغوث من قبيلة مذحج ، وكان من أصحاب علي بن أبي طالب ، شهد معه الجمل وصفين ومشاهده كلها . ولاه على مصر فلما خرج اليها مات في بلدة العريش قبل أن يصل الى مصر .

ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٦ ، ص ٢١٣ .
وعنه انظر : الكندى : تاريخ ولاية مصر ، ص ٢٥-٢٨ ، ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ١ ، ص ٤٨ .

(٥) القلزم مدينة مبنية على البحر بينها وبين مصر ثلاثة أيام واليها ينسب البحر ، فيقال بحر القلزم ، وأما اليوم فهي خراب يباب ، وصار الميناء الى مدينة قربها يقال لها سويس . ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٨٧-٣٨٨ .

(٦) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٤١ .

ابن خلدون هذه الرواية الضعيفة استبعد حدوثها ، ولعله كان في غنى عن ايرادها أصلا مادام قد استبعد حدوثها .

ومن الأشياء التي تؤخذ على ابن خلدون استخدامه لبعض الألفاظ في غير موقعها الصحيح - وكان الأجدر - وهو المتمكن في اللغة - أن يستعمل الكلمة في موقعها المناسب . ومن أمثلة ذلك استخدامه لكلمة "المبايعة" عند حديثه عن موافقة عمرو بن العاص لمعاوية في الطلب بدم عثمان^(١) . وكان الأولى أن يستخدم كلمة موافقة عمرو بن العاص لمعاوية بدل مبايعة حتى لا يلبس على القارئ ، إذ أن استخدام هذا اللفظ لا يصح في هذا الموقع لأن المعروف أن "البيعة" تعني المبايعة بالخلافة العامة على المسلمين ، ومن المستبعد أن يقصد ابن خلدون المبايعة بالخلافة ، إذ من المعروف أنه لا يجوز أن يكون في الدولة الاسلامية خليفتان في وقت واحد ، فاذا عرفنا أن هذا الأمر كان في بداية عهد الدولة الاسلامية وفي زمن الصحابة أدركنا استحالة هذا الأمر وقبول الصحابة به .

واذا كان البعض يرى أن بيعة على رضى الله عنه لم تنعقد لعدم اجتماع أهل الحل والعقد وتفرقهم في الأمصار فما بالك ببيعة معاوية ، ثم كيف يكون معاوية خليفة وهو يراود الحسن في الصلح بعد مقتل على ويطلب منه التنازل له عن الخلافة ويستجيب لمطالبه .

وقد لا يكون ابن خلدون معذورا في استعماله هذا اللفظ الذي له صفة الشرعية الا اذا كان استعماله له لغويا بحيث اذ أن المبايعة تعني في اللغة الطاعة والتعاهد على الشيء^(٢) ، وكان ينبغي عليه أن يوضح هذا حتى لا يقع القارئ في التباس غير محمود .

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٢٣، ٦٢٥ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ، تحقيق : عبد الله على الكبير وآخرون ، (القاهرة ، دار المعارف) ، ج ١ ، ص ٤٠٢ .

ومثل هذا استخدامه لكلمة "ترهب" عند حديثه عن زهير بن قيس (١) حيث قال عنه : "ثم ترهب زهير بعدها وقفل الى المشرق فاستشهد ببرقة (٢) كما ذكرناه" (٣).

ومن الكلمات التي استعملها ابن خلدون في غير موضعها كلمة "فتح" (٤) عند حديثه عن معركة تدور بين مسلمين وتنتهى بأخذ بعض الأمصار الاسلامية وضمها للفريق المنتصر ، وهذا خطأ ماكان ينبغي لمثله أن يقع فيه ، فكلمة فتح تستعمل مجازا لافتتاح دار الحرب فيقال : فتح المسلمون دار الكفر . أما ديار الاسلام فلا ينبغي أن تستعمل فيها هذه الكلمة (٥).

(١) زهير بن قيس البلوى ، يقال أن له صحبة ، شهد فتح مصر ، وقاتل الروم ببرقة سنة ست وسبعين وكان في عدد قليل قتل في هذه المعركة .

شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكنانى العسقلانى المعروف بابن حجر : الاصابة في تمييز الصحابة ، (بيروت ، دار الكتاب العربى) ، ج ١ ، ص ٥٣٧ .

وعنه انظر : ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج ٢ ، ص ٢١١-٢١٢ ، الناصرى : الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى ، ج ١ ، ص ٨١، ٨٤، ٩١-٩٢ .

(٢) اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وافريقية وهى مما افتتح صلحا سنة ٢١ هـ . وكانت تسمى قبل الاسلام انطابلس وكانت تضم خمس مدن بنيت على أنقاضها الآن بنى غازى والمرج .

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٨٨-٣٨٩ ، السيد عبد العزيز سالم تاريخ المغرب الكبير ، (دار النهضة العربية ، بيروت : ١٩٨١م) ، هامش ص ١٤٢ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٤٣ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٤٣ . وانظر كذلك : ج ٤ ، ص ٦١ ج ٦ ، ص ٣١٢-٣١٧، ٣٣٢، ٥٥٤ .

(٥) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى : القاموس المحيط ، (بيروت ، دار المعرفة) ، ج ١ ، ص ٢٣٩ .

مدى تطبيق ابن خلدون لأرائه :

لقد أجمع معظم المؤرخين المعاصرين على أن ابن خلدون لم يلتزم بالقواعد التاريخية التي ذكرها في مقدمته مخالفًا بذلك منهجه العلمي^(١).

- (١) على عبد الواحد وافي : عبقریات ابن خلدون ، ص ١٢٥ ، عبد الحليم عويس : تفسير التاريخ علم اسلامى .. نحو نظرية اسلامية في تفسير التاريخ ، (القاهرة ، دار الصحوة للنشر : ١٤٠٦هـ) ، ص ١٥٢ ، تيسير شيخ الأرض : ابن خلدون ، (ط ١) ، بيروت ، دار الأنوار : ١٩٦٦م) ، ص ٤٧ ، زينب الخضيرى : فلسفة التاريخ عند ابن خلدون ، ص ٦١ ، على الوردى : منطق ابن خلدون ، ص ١٦٠-١٦١ ، محمد الهادى العامرى : تاريخ المغرب العربى فى سبعة قرون بين الازدهار والذبول من القرن السابع هجرى الى ختام القرن الثالث عشر ، (تونس ، طبع شركة فنون الرسم والنشر والصحافة ، نشر الشركة التونسية للتوزيع بتونس : ١٩٧٤م) ، ص ١٥١-١٥٢ ، حسن عثمان : منهج البحث التاريخى ، (ط ٥) ، القاهرة ، دار المعارف) ، ص ١٤٥ ، عثمان موافى : منهج النقد التاريخى الاسلامى والمنهج الأوروبى ، (ط ٢) ، الاسكندرية ، مؤسسة الثقافة الجامعية : ١٩٧٦م) ، ص ٢٨٧ ، ملحم قربان : خلدونيات نظرية المعرفة فى مقدمة ابن خلدون ، (ط ١) ، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع : ١٤٠٥هـ) ، ص ١٠٤ ، عبد الجبار ناجى : "تتبع تاريخى لمحاولة ابن خلدون فى اعادة كتابة التاريخ العربى" ، (مجلة المؤرخ العربى ، ع ٢٢ ، ١٤٠٢هـ) ، ص ١٢٦ ، خليل شرف الدين : ابن خلدون ، (بيروت ، منشورات دار ومكتبة الهلال) ، ص ٥٥ ، ايف لاکوست : ابن خلدون واضع علم ومقرر استقلال ، ص ٤٠ ، معن زيادة : "ابن خلدون بين الفكر والسياسة" ، (مجلة الفكر العربى ، س ٧ ، ع ٤٣ ، ١٩٨٦م) ، ص ٢١٣ ، محمد السعيد الكردى : ابن خلدون مقال فى المنهج التجريبي ، ص ٣١٧ ، محمد ماهر حماده : المصادر العربية والمعرية ، (ط ٥) ، بيروت ، مؤسسة الرسالة : ١٤٠٦هـ) ، ص ٣٠٦ ، جورج لاييكا : السياسة والدين عند ابن خلدون ، ترجمة : موسى وهبى وشوقى دويهى ، (ط ١) ، بيروت ، دار الفارابى : ١٩٨٠م) ، ص ٥٠ ، محمد عزيز الحبابى : "أصالة المنهجية عند ابن خلدون" ، (مهرجان ابن خلدون عام ١٩٦٢م ، نظمتها كلية الآداب ، جامعة محمد الخامس بمشاركة اتحاد كتاب المغرب العربى وجمعية قدماء مولاي ادريس بفاس ، نشر وتوزيع دار الكتاب ، الدار البيضاء) ، ص ١٩ .

غير أن بعضهم ناقش من وجهة نظره عدم التزام ابن خلدون بمنهجه العلمى ، من هؤلاء الدكتور معن زيادة الذى تحدث عن القواعد التى وضعها ابن خلدون لكتابة التاريخ ثم قال معلقا عليها : "ولكن ابن خلدون نفسه عندما يكتب التاريخ لا يلتزم بهذه القواعد الالتزام المطلوب . لماذا؟ لأن ابن خلدون السياسى كان يطغى على ابن خلدون العالم والمفكر ، فقد كان ابن خلدون يعمل فى خدمة الحكام وكان هؤلاء يفيدون من علمه وخبرته ، كان مثقفا من مثقفى السلطة وضع خبرته وثقافته فى خدمتها ، وكان لابد لذلك من أن يوقعه فى الفخ الذى نصح المؤرخين بتجنبه وهو فخ التقرب من أصحاب السلطة" (١).

أما الباحث (ايف لاکوست) فىرى أن افتقار ابن خلدون الى مراجع دقيقة هو الذى وقف حائلا بينه وبين تطبيق تلك القواعد (٢).

وللدكتور على الوردى وجهة نظر أخرى حيث يقول : "يغلب على ظنى أن ابن خلدون لم يكتب مقدمته لغرض تمحيص الأخبار كما ادعى ، إنما هو كتبها تحت تأثير دافع غامض انتفض به فجأة ، وكأنه وجد فى هذا الدافع علاجا للحيرة التى سيطرت على ذهنه زمنا طويلا" (٣).

أما الدكتور عبد الحليم عويس فىرى أن ابن خلدون وإن لم يطبق كثيرا من آرائه فى كتاب العبر إلا أن "ذلك لا يسلبه فضل التعبير عنها بغاية الدقة والوضوح . فانه كان من المستحيل عمليا - لاسيما فى زمانه ، تطبيقها من طرف باحث واحد ، فى موسوعة فتحت صفحاتها لتاريخ العالم الاسلامى بأكمله - ولعل استعصاء تطبيق هذه الآراء فى كتاب (العبر) هو الذى جعل ابن خلدون يضمن خلاصة أفكاره وعبره واعتباراته خاصة فى (المقدمة)" (٤).

(١) معن زيادة : "ابن خلدون بين الفكر والسياسة" ، (مجلة الفكر العربى ، س ٧ ،

ع ٤٣ ، ١٩٨٦م) ، ص ٢١٣ .

(٢) ايف لاکوست : ابن خلدون واضع علم ومقرر استقلال ، ص ٤٠ .

(٣) على الوردى : منطق ابن خلدون ، ص ١٦١ .

(٣) عبد الحليم عويس : تفسير التاريخ علم اسلامى ، ص ١٥٢-١٥٣ .

أما الدكتورة زينب الحضيرى فترى أن عذره فى ذلك أنه أول من وضع هذا المنهج ، وأول من حاول تطبيقه ، ومن الطبيعى أن المحاولات الأولى تتعثر وتحتوى كثيرا من الثغرات (١).

ومع اعترافنا أن ابن خلدون لم يلتزم بمنهجه العلمى فى بعض المواضع وقد أوردنا شواهد متنوعة على هذه المخالفات ، إلا أنه مع ذلك كله يبقى منظرا لتفسير التاريخ ، وواضع أقوى نظرياته ، ومتفوقا على غيره من المؤرخين .

(١) زينب الحضيرى : فلسفة التاريخ عند ابن خلدون ، ص ٦١ .

الفصل الثاني

التقويم التاريخي لقيام الدول وسقوطها

* التقويم التاريخي لقيام الدول وسقوطها .

* رأى ابن خلدون فى قيام الدولة الأموية

بين المؤيدين والمعارضين .

المبحث الأول

التقويم التاريخي لقيام الدول وسقوطها

- * قيام الدول في فكر ابن خلدون .
- * أطوار الدولة في فكر ابن خلدون وسقوطها .

التقويم التاريخي لقيام الدول وسقوطها

من الحقائق التي أصبحت مقررة في الفكر التاريخي أن العلامة عبد الرحمن بن خلدون رائد من رواد تفسير التاريخ ، أو "فلسفة التاريخ" ان لم يكن في المقدمة من هؤلاء الرواد في العالم كله .

ومهما كان الخلاف حول بعض القضايا التي عرض لها ابن خلدون ، والنقد الموجه لبعض آرائه وتفصيلات نظرياته فان ريادته حقيقة لا شك فيها وتفسير التاريخ أو "فلسفة التاريخ" يتصل اتصالا مباشرا بقضايا المسار الحضاري للأمم ولل البشرية ، وليس عمله أن يقوم برصد الوقائع وجمعها وتمحيصها وبناء هيكلها التاريخي على نحو محكم - فحسب - فهذا عمل يقوم به المؤرخ ، وانما جوهر عمله أن يرقب عوامل النهوض وعوامل السقوط وعناصر القوة والضعف ، ومراحل الحضارة - أو الدولة - بصفة عامة ، ومن ثم يستخلص القوانين الاجتماعية التي يمكن أن تفيد في ابعاد الحضارة أو الدولة عن الانزلاق الى أسباب التفكك ومراحل الانهيار^(١).

وقد جمع عبد الرحمن بن خلدون بين الوظيفتين ، فهو مؤرخ ، ومفسر للتاريخ في نسيج واحد ، وبهاتين الامكانييتين نجح ابن خلدون في أن يقدم لنا اطارا متكاملا لنظرية سبقت عصرها بقرون طويلة هي النظرية الخلدونية في تفسير التاريخ .

وهناك حقيقتان يجب أن نذكرهما ونحن بصدد الحديث حول نظرية ابن خلدون في قيام الدول وسقوطها باعتبارها القضية الأساس في "علم تفسير التاريخ أو فلسفة التاريخ"^(٢)، بل ربما كانت هذه القضية - عند امعان

(١) انظر في تأكيد المطابقة بين مصطلحي تفسير التاريخ وفلسفة التاريخ ، وأيضا في

"عملية فلسفة التاريخ" عبد الحليم عويس : تفسير التاريخ علم اسلامي ، ص ١٣-١٥

(٢) انظر الفرق بين المؤرخ ومفسر التاريخ : عبد الحليم عويس : تفسير التاريخ علم

اسلامي ، ص ١٥-١٨ .

النظر - هي لحمة هذا العلم وسداه .

الحقيقة الأولى : أن التقويم الموضوعي للانتاج المعرفي والفكري يخضع للمرحلة التاريخية التي مثلها هذا الفكر ، فبمقدار تفوقه على عصره يكون التقويم ، وليس من الموضوعية تقويم النظريات المعرفية أو الفلسفية بما انتهى اليه عصرنا - مثلاً - والا لما كان لفلاسفة مثل سقراط (١) ، وأرسطو (٢) ، وأفلاطون (٣) أدنى قيمة ، بالنسبة لأخطائهم العلمية وللتطورات الهائلة التي وقعت بعدهم في العلوم الطبيعية والرياضية والاجتماعية والسياسية ، "فمنزلة الباحث والمفكر في تاريخ "العلوم والأفكار" لا تتعين بملاحظة "جميع الآراء الصائبة والخطئة" المنبثة في كتاباته ومؤلفاته المختلفة بل تتقرر بملاحظة "الآراء المبتكرة" التي يسمو بها على معاصريه ، "والحقائق الجديدة" التي يضيفها الى المكتسبات الفكرية البشرية ... وهذا مبدأ هام يجب ألا نهمله أبداً ، عندما نقرأ وندرس مقدمة ابن خلدون" (٤).

(١) فيلسوف يوناني من أثينا ولد سنة ٤٦٩ ق.م وتوفي ٣٩٩ ق.م محور فلسفته أن هنالك حقائق عقلية ثابتة يمكن استنباطها من الحالات الجزئية المتغيرة وأن الانسان اذا أدرك بعقله فضيلة سلك بمقتضاها ، فالعلم والفضيلة شيء واحد لا يختلف باختلاف الأفراد .

عنه انظر : اشراف : محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ، (بيروت ، دار نهضة لبنان للطبع والنشر) ، ج ١ ، ص ٩٨٥-٩٨٦ .

(٢) واسمه أرسطو طاليس ولد سنة ٣٨٤ ق.م في اليونان وتعلم الفلسفة في أكاديمية أفلاطون في أثينا ، وأصبح المعلم الأول لالاسكندر الكبير ، له مؤلفات كثيرة في شتى العلوم ، وقد مات سنة ٣٢٢ ق.م

مايكل هارث : دراسة في المائة الأوائل ، ترجمة : خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو ، (ط ٢ ، دمشق ، دار قتيبة : ١٣٩٩هـ) ، ص ٥٨ .

(٣) ولد سنة ٤٢٧ ق.م في اليونان ، وتعلم من الفيلسوف سقراط وأصبح فيما بعد رائداً للفكر الأخلاقي والميتافيزيقي وأصبحت أفكاره ونظرياته تدرس لمئات السنين . أسس أفلاطون الأكاديمية التي استمرت ٩٠٠ سنة بعد وفاته . له مؤلفات عديدة في السياسة والأخلاق . توفي سنة ٣٤٧ ق.م وله من العمر ثمانون عاماً .

مايكل هارث : دراسة في المائة الأوائل ، ص ١٢٩ .

(٤) ساطع الحصرى : دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص ٦٥ .

وقد علق الدكتور ملحم قربان على هذا بقوله : "أن ملاحظة الآراء المبتكرة" لدى مفكر ما هي عنصر هام من العناصر التي لو اجتمعت وتناغمت ، تكون المقياس الصحيح والصالح لتقدير منزلة المفكر أو العالم^(١).

والحقيقة الثانية : أن النظر الموضوعي الثاقب يقتضى منا أن ندرس ماجاء به الكاتب كما هو ، ثم يكون حكمنا عليه تاليا لذلك ، وفي ضوء هذا فنحن ملزمون بدراسة (الدولة) على أساس أنها الوحدة التي اختارها ابن خلدون موضوعا لدراسته في فلسفة التاريخ ، "فابن خلدون كان يعالج الدول - لا الحضارات - في نظريته"^(٢).

وحقيقة أننا كنا نأمل أن يمتد حقل الدراسة عند ابن خلدون الى "الحضارة" باعتبارها الوحدة الأشمل والموضوع الأعم . وليست الدولة الا كيانا من كيانات الحضارة ، وغالبا ماتستوعب الحضارة أكثر من دولة ، بل قد تستوعب عشرات الدول ، بل قد تسقط دولة وتقوم أخرى بينما الحضارة باقية ، فالحضارة - كوحدة للدراسة - أهم وأشمل ، بل هي الوحدة الأكثر ملاءمة للسنن الاجتماعية .

لكن ابن خلدون رأى أن يجعل (الدولة)^(٣) - بمفهومها التقليدي - هي الوحدة التي يدرسها ومن واجبنا أن ندرس ماجاء به واعتمده ولاسيما وأن (الدولة) التي درسها ابن خلدون هي النموذج العملي للحضارة ، أو هي - كما نفهم من دراستنا له - الممثل الأرقى للحضارة لكل مافيه من مظالم ومن ابداع وعطاء ، بل ان مساحة الدولة عنده تتسع أحيانا لتعبر عن

(١) ملحم قربان : خلدونيات ، قوانين خلدونية ، (ط١ ، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع : ١٤٠٤هـ) ، ص ٢٩٧ .

(٢) عبد الحليم عويس : فقه التاريخ وأزمة المسلمين الحضارية ، (ط١ ، القاهرة ، دار الصحوة للنشر والتوزيع : ١٤٠٧هـ) ، ص ٢٢ .

(٣) على الوردى : منطق ابن خلدون ، ص ٢٨٢، ٢٩٤-٢٩٥ ؛ عبد الحليم عويس : تفسير التاريخ علم اسلامي ، ص ١٥ .

الحضارة ، كما مثلت دولة خلافة بني أمية - مثلاً - وكما مثل العباسيون في مرحلتهم الأولى .

والمهم أننا من منطلق منهجية البحث يجب أن ندرس نظرية ابن خلدون في ضوء مااعتمده هو ، ابتداء وليس في ضوء ماينبغي أن يكون وان كان التقويم العام يجيز أن نستدرك عليه بعض مافاته من عناصر الشمول .

قيام الدول في فكر ابن خلدون :

ان ابن خلدون لم يقدم لنا تحديدا اصطلاحيا للدولة ، فقد كان يراها أمرا شديدا للظهور لا يحتاج الى تعريف أو تحديد ، والدولة موضوع دراسة ابن خلدون هي الدولة بمفهومها العام الشامل والذي أطلق عليها "الدولة العامة"^(١) الممتدة في المكان وفي الزمان .

وقد اهتم ابن خلدون بالدولة اهتماما كبيرا على أنها لاغنى عنها وأنها مناط الاجتماع الانساني بمعناه المنظم والراقي . وأن الانسانية لا تستطيع تحقيق تطورها دون "الدولة" التي تقوم على تحقيق الحاجات الأساسية للانسان ، وتقوم على تحقيق العدل سواء بالاستناد الى شرع الله - وهو الآكد - وتارة بالاحتكام الى سياسة عقلية ينقاد الناس اليها بموجب مايتوقعونه من النتائج وماينتظرونه من ثواب الحاكم وعقابه^(٢) .

ولئن كان قيام الدولة ضرورة انسانية لا تحتاج الى توضيح فان عوامل قيامها أمر يختلف فيه نظريات تفسير التاريخ .

والدولة في منظور ابن خلدون لا تقوم الا على عصبية "وذلك أن الرياسة لا تكون الا بالغلب ، والغلب انما يكون بالعصبية كما قدمناه . فلا بد في الرياسة على القوم أن تكون من عصبية غالبية لعصبياتهم واحدة واحدة ، لأن كل عصبية منهم اذا أحست بغلبة عصبية الرئيس لهم أقروا بالاذعان والاتباع والساقط في نسبهم بالجملة لا تكون له عصبية فيهم بالنسب انما هو ملصق لزيق ، وغاية التعصب له بالولاء والحلف ، وذلك لا يوجب له غلبا عليهم ألبته . واذا فرضنا أنه قد التحم بهم واختلط وتنوسى عهده الأول من الالتصاق ، ولبس جلدتهم ودعى بنسبهم ، فكيف له الرياسة قبل هذا الالتحام أو لأحد من سلفه . والرياسة على القوم انما تكون متناقلة في منبت

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٦ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٧٣ .

واحد ^١تعين له الغلب بالعصبية . فالأولية التي كانت لهذا الملصق قد عرف فيها التصاقه من غير شك ومنعه ذلك الالتصاق من الرياسة حينئذ ، فكيف تنوقلت عنه ، وهو على حال الإلصاق ، والرياسة لا بد وأن تكون موروثه عن مستحقها لما قلناه من التغلب بالعصبية" (١).

وليس من الضروري أن يقف مفهوم العصبية عند حدود القرابة والرحم ، فقد تتكون عصبيات تقوم مقام العصبية الأولى ، كما تتطور المعاني الحقيقية إلى معان مجازية ، فقد يكون هناك عصبية بالولاء تقوم مقام عصبية النسب ، "فإذا اصطنع أهل العصبية قوما من غير نسبهم أو استرقوا العبدان والموالي ، والتحموا بهم كما قلناه ، ضرب معهم أولئك الموالي والمصطنعون بنسبهم في تلك العصبية ولبسوا جلدتهم كأنها عصبتهم" (٢). وقد تتطور الدولة فتتسع مساحتها ويصبح الولاء لها كأنه جزء لا يتجزأ من الولاء للدين بل يصبح الولاء لها ضرورة معاشية يألفه الناس ويشعرون أنهم لا يستطيعون الخروج عنه . "والسبب في ذلك أن الدول العامة في أولها يصعب على النفوس الانقياد لها إلا بقوة قوية من الغلب ، للغرابة وأن الناس لم يألفوا ملكها ولا اعتادوه . فإذا استقرت الرياسة في أهل النصاب المخصوص بالملك في الدولة وتوارثوه واحدا بعد آخر في أعقاب كثيرين ودول متعاقبة نسيت النفوس شأن الأولية ، واستحكمت لأهل ذلك النصاب صبغة الرياسة ، ورسخ في العقائد دين الانقياد لهم والتسليم ، وقاتل الناس معهم على أمرهم قتالهم على العقائد الإيمانية . فلم يحتاجوا حينئذ في أمرهم إلى كبير عصابة ، بل كأن طاعتها كتاب من الله لا يبدل ولا يعلم خلافه . ولأمر ما يوضع الكلام في الامامة آخر الكلام على العقائد الإيمانية ، كأنه من جملة عقودها . ويكون استظهارهم حينئذ على سلطانهم ودولتهم

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٤٨٨، ٤٨٩ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٩٣ .

المخصوصة اما بالموالى والمصطنعين الذين نشئوا فى ظل العصبية وغيرها واما بالعصائب الخارجين عن نسبها الداخلين فى ولايتها" (١).

وقيام الدولة على عصبية الدين يغنيها عن عصبية الدم والرحم ، ومن شأن هذا الولاء أن يدفع الناس الى الذود عن صاحبه وبذل الغالى دفاعا عنه كأنما يدافعون عن دينهم ، ومع ذلك فهم "لا يطمعون فى مشاركته فى شىء من سلطانه ، تسليما لعصبيته ، وانقيادا لما استحکم له ولقومه من صبغة الغلب فى العالم ، وعقيدة ايمانية استقرت فى الاذعان لهم ، فلو راموها معه أو دونه لزلزلت الأرض زلزالها" (٢).

ومن هذه الصورة الأخيرة من العصبية القائمة على العقيدة والايان ، يصل ابن خلدون الى قانون آخر أعم وأشمل فى عوامل قيام الدول فيقرر "أن الدول العامة الاستيلاء العظيمة الملك أصلها الدين اما من نبوة أو دعوة حق وذلك لأن الملك انما يحصل بالتغلب ، والتغلب انما يكون بالعصبية واتفاق الأهواء على المطالبة . وجمع القلوب وتأليفها انما يكون بمعونة من الله فى اقامة دينه . قال تعالى : ﴿لَوْ أَنفَقْتُ مِافِ الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ (٣). وسره أن القلوب اذا تداعت الى أهواء الباطل والميل الى الدنيا حصل التنافس وفشا الخلاف ، واذا انصرفت الى الحق ورفضت الدنيا والباطل ، وأقبلت على الله اتحدت وجهتها ، فذهب التنافس ، وقل الخلاف وحسن التعاون والتعاقد ، واتسع نطاق الكلمة لذلك ، فعظمت الدولة" (٤).

ولو أن ابن خلدون ذهب الى أن الدول العامة لا بد لها من معتقد لكان كلامه أكثر قبولا ، فالحق أن هناك دولا عامة كثيرة قامت على عقائد بعضها باطل ، واستمرت بها ردحا من التاريخ . وقد كان ابن حزم الأندلسى

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٥٢٢ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٢٥ .

(٣) سورة الأنفال : آية ٦٣

(٤) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٥٢٦ .

أقرب الى الوعي التاريخي في هذه النقطة من ابن خلدون حين قرر أن الدول لابد لها من معتقد حقا كان هذا المعتقد أو باطلا ، يقول ابن حزم : "فلا بد لكل أمة من معتقد ما ، إما إثبات وإما إبطال" (١). وهى رؤية أقرب الى الواقع التاريخي ، وقد انتهى اليها كثير من المفكرين الذين أصبحوا يسمون عصرنا هذا عصر "الأيدولوجيات" - العقائد - وليس معقولا أن تكون كل هذه "الأيدولوجيات" - العقائد - حقا ، فالحق واحد لا يتعدد ، وقد ثبت أن أمة تملك عقيدة وفكرا - مهما كان الخطأ في بعض تصوراتها - أقوى على الصمود والابداع من الأمة التى تعيش بلا عقيدة أو شريعة مهما كانت الأسباب المادية متوفرة لدى هذه الأمة (٢).

وهكذا يتضح لنا الرباط الوثيق الذى يحكمه ابن خلدون بين قيام الدولة والعصبية فى أشكالها المختلفة .

ولاتقف وظيفة العصبية فى فكر ابن خلدون عند هذا الحد ، أى عند قيام الدولة بل إنه يستمر فى توظيف العصبية عبر كل مراحل الدولة ، بحيث يبدو أن المعيار عنده لبقاء الدولة أو زوالها هو "بقاء العصبية أو زوالها" (٣)، كما أن الجيل الأول الذى أقام الدولة انما نجح عنده فى مهمته التاريخية بسبب وجود العصبية متأججة فيه "لأن الجيل الأول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك فى المجد ، فلاتزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم فحدهم مرهف ، وجانبهم مرهوب ، والناس لهم مغلوبون" (٤).

(١) أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي : رسائل ابن حزم الأندلسي تحقيق : إحسان عباس ، (ط ٢ ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر : ١٩٨٧م) ، ج ٤ ، ص ٧٨ .

(٢) عبد الحليم عويس : ابن حزم الأندلسي وجهوده فى البحث التاريخي والحضارى ، (ط ٢ ، القاهرة ، الزهراء للاعلام العربى : ١٤٠٩هـ) ، ص ١٣٦ .

(٣) حسن صعب : علم السياسة ، (ط ٨ ، بيروت ، دار العلم للملايين : ١٩٨٥م) ، ص ٣١٨ .

(٤) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٥٤٦ .

ابن خلدون قيام الدولة تشمل جوانب كثيرة في الحياة الاجتماعية ، كما أنها لاتقف حائلا دون العوامل الفاعلة الأخرى . وهذا بطبيعة الحال يجعل هذه النظرية أكبر من النطاق الذى يحصرها فيه بعض الدارسين .

أما محدودية نظرية العصبية بالوقائع التاريخية التى اطلع ابن خلدون على تفاصيلها فهى وان كانت عيبا فى نظريته ، الا أن هذه المحدودية تكاد تكون ملازمة لأغلب النظريات الكبرى التى حاولت تفسير التاريخ والوصول الى قوانين للحركة التاريخية .

ان الأستاذ ساطع الحصرى وهو يقوم بمقارنته بين ابن خلدون وفيكو^(١) لم يقدم لفيكو شواهد تخرج عن هذا النطاق ، فشواهد تدور فى نطاق التاريخ اليونانى الأسطورى والواقعى ، ومن ثم تاريخ الاغريق والعصور الوسطى الأوربية .

والأستاذ الحصرى الذى يأخذ على ابن خلدون استقراره الناقص للوقائع التاريخية هو الذى يقول عن منهج فيكو فى بحثه التاريخى : "ان العلم الجديد يستند قبل كل شىء الى التاريخ القديم ، ويستمد عناصر بحثه فى الدرجة الأولى من تاريخ اليونان والرومان ، من غير أن يعير التفاتة ما الى تاريخ العرب والاسلام . فى حين أن مقدمة التاريخ - بعكس ذلك تماما - تستند الى تاريخ العرب والاسلام ، من غير أن تأخذ بنظر الاعتبار تاريخ اليونان والرومان . فلانغالى اذا قلنا ان كتاب فيكو بمثابة "تفلسف فى تاريخ اليونان والرومان" ، فى حين أن مقدمة ابن خلدون بمثابة "تفلسف فى تاريخ العرب والاسلام"^(٢).

وهكذا يبدو فيكو محصورا هو الآخر فى نطاق بيئته التاريخية !!

(١) فيكو جيوفانى فيلسوف ايطالى ولد سنة ١٦٦٨م وتوفى سنة ١٧٤٤م ، له جهود علمية تاريخية وحاول تطبيق المنهج العلمى على التاريخ .

اشراف : محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ، ج ٢ ، ص ١٣٤٩-١٣٥٠ .
(٢) ساطع الحصرى : دراسات فى مقدمة ابن خلدون ، ص ١٩٤-١٩٥ .

{وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله} (١). وهكذا نرى أن القرآن الكريم أرجع سبب الذلة التي وقع فيها بنو اسرائيل الى عصيانهم وبعدهم عن منهج الله .

وقد أخذ ابن خلدون شواهد من التاريخ الفارسي واليوناني والروماني ومن البربر وقبائلهم في المغرب (٢). وأمم السودان وممالك الترك بالمشرق والعلوج من الجلالقة والافرنجة بالأندلس (٣).

أما أن نظرية العصبية - كما يرى الأستاذ الجابري - لاتصلح الا مع "البدو" (٤). فهذا قيد لامعنى له ، بل هو ما تنبؤ عن قيوده النظرية في مستوياتها الدينية والاجتماعية والاقتصادية التي امتدت اليها ، والتي فسر بها ابن خلدون قيام الدولة وأطوارها في شتى مراحلها وازدهارها ومن ثم انهيارها . وهكذا تقف نظرية العصبية صامدة قوية في تفسيرها لقيام الدول في الفكر الخلدوني .

ولاتقوم الدولة بالعامل الاجتماعي "العصبية" وحده ، بل ثمة عوامل طبيعية تؤازر العامل الاجتماعي ، "فالأمم تختلف في ألوانها ونشاطها وشجاعتها وكثرة عددها أو قلته وفي ما فطرت عليه من الطبائع باختلاف مساكنها من وجه الأرض بين جبل وسهل وبادية ، في منطقة باردة أو حارة أو معتدلة ، وفي بقعة خصبة أو قاحلة" (٢). ولذلك يقول ابن خلدون : "فلهذا كانت العلوم والصنائع والمباني والملابس والأقوات والفواكه بل والحيوانات وجميع ما يتكون في هذه الأقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال وسكانها من البشر أعدل أجساما وألوانا وأخلاقا وأديانا . وأما الأقاليم البعيدة من الاعتدال .. فأهلها أبعد من الاعتدال في جميع أحوالهم ... وفواكه بلادهم وأدمها غريبة التكوين مائلة الى الانحراف ... وأخلاقهم

(١) سورة البقرة : آية ٦١

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٥١٢، ٥٠٩-٥١٣ .

(٣) محمد عابد الجابري : فكر ابن خلدون العصبية والدولة ، ص ٢٦١ .

(٤) عمر فروخ : عبقرية العرب في العلم والفلسفة ، (ط ٤) ، بيروت ، المكتبة العصرية

(١٤٠٥هـ) ، ص ١٩١ .

مع ذلك قريبة من خلق الحيوانات العجم ، حتى لينقل عن الكثير من السودان ... أنهم يسكنون الكهوف والغياض ، ويأكلون العشب ، وأنهم متوحشون غير مستأنسين يأكل بعضهم بعضا ... والسبب في ذلك أنهم لبعدهم عن الاعتدال يقرب عرض أمزجتهم وأخلاقهم من عرض الحيوانات العجم ، ويبعدون عن الانسانية بمقدار ذلك .. قد رأينا من خلق السودان على العموم الحفة والطيش وكثرة الطرب ، فتجدهم مولعين بالرقص على كل توقيع ، موصوفين بالحمق في كل قطر ، والسبب الصحيح في ذلك ... الحرارة "

ويلحق ابن خلدون بالسودان بمعناه الأفريقي العام أهل البلاد البحرية لأن هواءها متضاعف الحرارة بما ينعكس عليه من أضواء البحر وأشعته . والى جانب المناخ يرى ابن خلدون أن للأغذية أثرا كبيرا في صفات الأمم وملكاتهما وقدراتها ، فالافراط في النهم وخصوصا في أكل اللحم والآدم يترك فضلات في المعدة فيؤدى الى قبح الأشكال وانكساف الألوان ، ثم ان المتنعمين في المدن والمترفين . يكونون أقل احتمالا للأمراض من الذين تعودوا حياة التقشف والعيش في البادية^(١).

ولئن كنا نلاحظ أن ابن خلدون يبالغ في أثر العوامل الجغرافية ، وعوامل التغذية^(٢) إلا أننا نرى أن هناك دولا صنعت حضارات مع وجود مناخات متباينة فيها ، وقد تغلبت بعض الدول الناهضة على العوامل الطبيعية من طقس ومناخ كما نشهد في عصرنا في دولة اليابان وان كنا لانستطيع انكار أثر المناخ بالجملة .

وهكذا تجتمع العوامل الاجتماعية مع العوامل الطبيعية في قيام الدولة وفي تحديد مسارها وفعاليتها في التاريخ ، ومع أن ابن خلدون جعل محور العصبية المرتبط بنظام الدولة هو جوهر نظريته في نشوء الحضارة إلا أنه مع ذلك - كما رأينا - لم يغفل العوامل الأخرى .

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ١ ، ص ٣٨٧-٣٨٨، ٣٩١، ٣٩٢-٣٩٥ ، عمر

فروخ : عبقرية العرب في العلم والفلسفة ، ص ١٩١، ١٩٢ .

(٢) على عبد الواحد وافي : عبد الرحمن بن خلدون حياته وآثاره ومظاهر عبقريته

أطوار الدولة فى فكر ابن خلدون وسقوطها :

استعمل ابن خلدون فى حديثه عن حياة الدولة بعد قيامها ثلاثة مصطلحات هى : "أعمار الدولة" و"انتقال الدولة" ، "أطوار الدولة" . ويعنى المصطلح الأول الدورة التى تعيشها الدولة من وجهة نظر ابن خلدون وهو مصطلح يوحى بنظرية ابن خلدون من أول وهلة ، فاستعمال مصطلح "أعمار" الذى يطلق على الأشخاص يدل على تشبيه ابن خلدون للدولة بالإنسان الفرد ، ولقد جاء عنوان مبحثه هذا واضحاً فى دلالة المباشرة ، فالعنوان يقول : "فصل فى أن الدولة لها أعمار طبيعية كما للأشخاص" (١).

أما المصطلح الثانى ، وهو انتقال الدولة فقد قصد به ابن خلدون انتقال الدولة بفعل التطور والنمو من البداوة الى الحضارة (٢) ، وما يتبع ذلك من انتقال من حياة الشظف والخشونة الى حياة الدعة والسكون والترف.

وأما المصطلح الثالث فهو أطوار الدولة الذى قصد به ابن خلدون اختلاف أحوالها وخلق أهلها باختلاف الأطوار التى مرت بها ، "لأن الخلق تابع بالطبع لمزاج الحال الذى هو فيه" (٣).

ونظرية ابن خلدون فى أعمار الدولة والتى يربط فيها عمر الدولة بثلاثة أجيال ، ويحدد الجيل بأربعين سنة فى المتوسط وبالتالى يجعل متوسط عمر الدولة مائة وعشرين سنة ، نظرية يكاد ينعقد اجماع المفسرين للتاريخ على مخالفته فيها ، ولو أنه ترك الأمر دون تحديد بثلاثة أجيال ، وتحديد

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٥٤٥ . وانظر : مصطفى الشكعة : الأسس الإسلامية فى فكر ابن خلدون ونظرياته ، (ط ١) ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية : ١٤٠٦هـ) ، ص ٦٢ ومابعداها ؛ تيسير شيخ الأرض : ابن خلدون ، ص ١١١، ١١٥ .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٥٤٨ . وانظر : تيسير شيخ الأرض : ابن خلدون ، ص ١١٥، ١١٦ .

(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٥٥٣ .

الجيل بأربعين سنة فلربما كان الأمر مقبولا . ويرر ابن خلدون نظريته فيقول "وأما أعمار الدول أيضا وإن كانت تختلف بحسب القرانات ، إلا أن الدولة في الغالب لاتعدو أعمار ثلاثة أجيال . والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط ، فيكون أربعين الذى هو انتهاء النمو والنشوء الى غايته . قال تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ (١) . ولهذا قلنا ان عمر الشخص الواحد هو عمر الجيل . ويؤيده ما ذكرناه في حكمة التيه الذى وقع في بنى اسرائيل ، وأن المقصود بالأربعين فيه فناء الجيل الأحياء ونشأة جيل آخر لم يعهدوا الذل ولا عرفوه ، فدل على اعتبار الأربعين في عمر الجيل الذى هو عمر الشخص الواحد " . ثم يقدم ابن خلدون أسبابا أخرى يبرر فيها نظريته ، لاداعى لاستقصائها إلى أن ينتهى الى القول : "وهذه الأجيال الثلاثة عمرها مائة وعشرون سنة على مامر . ولاتعدو الدول في الغالب هذا العمر بتقريب قبله أو بعده ، إلا إن عرض لها عارض آخر من فقدان المطالب فيكون الهرم حاصلًا مستوليا والطالب لم يحضرها ، ولو قد جاء الطالب لما وجد مدافعا ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٢) (٣) .

"ولاجال للانكار أن الآراء التى يسردها ابن خلدون في هذا الصدد - والنظرية التى يضعها على هذا المنوال - طريفة وممتعة جدا ، زد على ذلك ، أنها تنطوى على نظرة فلسفية أيضا ، لأنها تقرر أن الدولة كائن حى ، يتطور على الدوام وفق نظام ثابت ، كما تتطور جميع الكائنات الحية . غير أن هذه النظرية - على الرغم من طرافتها - لاتنطبق على الحقائق الواقعة كثيرا ... وتقول بانقراض الدولة في الجيل الرابع ، وتقرر أن عمر الدولة يكون في الغالب مائة وعشرين سنة . ومن الواضح أن كل ذلك

(١) سورة الأحقاف : آية ١٥

(٢) سورة النحل : آية ٦١

(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٥٤٥-٥٤٧ .

مما لا ينطبق الا على بعض الدويلات البدوية وملوك الطوائف الصغيرة .
وأما الدول الكبيرة ، فتواريخها لا تؤيد أبدا النتائج التي يتوصل اليها ابن
خلدون في نظريته هذه ^(١) .

وقد بين ابن خلدون ذلك في بعض المواطن الأخرى بحيث يكاد
تحديده القسرى لأعمار الدول ينحصر في بعض الدويلات الانفصالية
الصغيرة ^(٢) . وأما انتقال الدولة من البداوة للحضارة فيكاد يتطابق مع
ما أورده ابن خلدون في أطوار الدولة ، الا أن حديثه عن أطوار الدولة
وانتقالها من مرحلة الى مرحلة أكثر تفصيلا وتوضيحا .

ويقرر ابن خلدون أن "طور الدولة من أولها بدواة . ثم اذا حصل
الملك تبعه الرفه واتساع الأحوال ، والحضارة إنما هى تفنن فى الترف
واحكام الصنائع المستعملة فى وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني
والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله ، فكل واحد منها صنائع فى
استجارته والتأنق فيه تختص به ويتلو بعضها بعضا ، وتتكثر باختلاف ماتزاع
اليه النفوس من الشهوات والملاذ والتنعم بأحوال الترف ، وماتتلون به من
العوائد فصار طور الحضارة فى الملك يتبع طور البداوة ضرورة ،
لضرورة تبعية الرفه للملك" ^(٣) .

من ذلك يتضح لنا أن انتقال الدولة الى الحضارة - فى رأى ابن
خلدون - يبدو أكثر طبيعية وكأنه أمر قدرى يشبه أعمار الناس ، ودور
العنصر البشرى فيه محدود ، وهذا رأى يجانبه الصواب ، اذ أن انتقال
الدولة من طور الى آخر يتكىء بالدرجة الأولى على قدرة العنصر البشرى
فيها .

ويبدو من حديث ابن خلدون عن انتقال الدولة وكأنه تمهيد إجمالى
عام لحديثه عن أطوار الدولة بدءاً من قيامها ، ومروراً بازدهارها ، وحتى
نهايتها .

(١) ساطع الحصرى : دراسات فى مقدمة ابن خلدون ، ص ٣٦١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٦١-٣٦٤ .

(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٥٤٨ .

وأطوار الدولة عند ابن خلدون خمسة أطوار هي :

"الطور الأول : طور الظفر بالبغية وغلب المدافع والممانع ، والاستيلاء على الملك وانتزاعه من أيدي الدولة السالفة قبلها . فيكون صاحب الدولة في هذا الطور أسوة قومه في اكتساب المجد وجباية المال والمدافعة عن الحوزة والحماية ، لا ينفرد دونهم بشيء ، لأن ذلك هو مقتضى العصبية التي وقع بها الغلب وهي لم تزل بعد بحالها .

الطور الثاني : طور الاستبداد على قومه والانفراد دونهم بالملك وكبحهم عن التطاول للمساهمة والمشاركة . ويكون صاحب الدولة في هذا الطور معنيا باصطناع الرجال واتخاذ الموالي والصنائع ، والاستكثار من ذلك...

الطور الثالث : طور الفراغ والدعة لتحصيل ثرات الملك مما تنزع طباع البشر اليه من تحصيل المال وتخليد الآثار وبعد الصيت فيستفرغ وسعه في الجباية وضبط الدخل والخرج واحصاء النفقات والقصد فيها ، وتشديد المباني الحافلة والمصانع العظيمة والأمصار المتسعة والهيكل المرتفعة ...

الطور الرابع : طور القنوع والمسالمية . ويكون صاحب الدولة في هذا قانعا بما بنى أولوه ، سلما لأنظاره من الملوك وأقتاله^(١)، مقلدا للماضين من سلفه ، فيتبع آثارهم حذو النعل بالنعل ...

الطور الخامس : طور الاسراف والتبذير . ويكون صاحب الدولة في هذا الطور متلفا لما جمع أولوه في سبيل الشهوات والملاذ والكرم على بطانته وفي مجالسه ، واصطناع أخذان السوء وخضراء الدمن ، ... وفي هذا الطور تحصل في الدولة طبيعة الهرم ، ويستولى عليها المرض المزمن الذي لا تكاد تخلص منه ، ولا يكون لها معه براء ، الى أن تنقرض"^(٢).

وهذه الأطوار يتتبعها ابن خلدون بشرح الخصائص وتعليلها طوراً طوراً وفقاً لتنظيره المعروف في العصبية وصلتها ببناء الدولة ومسيرتها .

(١) أقتاله : أمثاله .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٥٥٣-٥٥٦ .

ويبدأ سلم الدولة في الهبوط بدءاً من الطور الثالث الذى هو طور الاستهلاك فى ظل الفراغ والدعة والترف^(١)، والعيش على ماضى الآباء العظماء والتمتع بالمباني الفاخرة دون عطاء يذكر أو عمل له شأن .

ويرى ابن خلدون أن عوامل رقى الدولة وتحضرها هى فى الوقت ذاته عوامل انحدارها ، اذ أن الحضارة وان كانت غاية فى العمران فهى فى الوقت نفسه مؤشرا بنهاية عمره . وأول هذه العوامل هو العصبية التى بها تتم الرياسة والملك ، ولكن صاحب الرياسة يطلب بطبعه الانفراد بالملك والمجد ويدفعه ذلك الى الاستئثار بالسلطة والتخلص ممن يرى فيهم منافسا له من أهل عصبته وعشيرته ليتحقق له الانفراد بالملك ويعانى فى هذا الأمر أشد مما عانى فى اقامة ملكه ، لأنه بذلك ينهج منهجا مغايرا فى اقضاء عصبية الذين تم بهم الملك واصطناع عوضا عنهم الموالى والصنائع ، والذين يصبحون فيما بعد عاملا بارزا فى ضعف الدولة بتفرق عصابته عنه واستعدادهم له مما يدفعه إلى احتضان هؤلاء الصنائع والاغداق عليهم أملا فى كسب ولائهم الذى لن يكون له نفس درجة الحماس فى ولاء عشيرته له ، على أن العامل الحاسم فى ضعف الدولة هو الترف ، انه اذا كان قد زاد من قوة الدولة فى أولها فانه أشد العوامل أثرا فى ضعفها وانهارها ، ويفسر ابن خلدون ذلك بأسباب اقتصادية وأخلاقية ونفسية^(٢).

ويوضح ابن خلدون أثر الترف على سقوط الدولة وهو بصدد الحديث عن العامل الاقتصادى فيؤكد أن الترف من طبيعة الملك^(٣)، وان الترف بطبعه يحتاج الى نفقات باهظة ينفقها السلطان على نفسه وعلى جنده وعلى

(١) عبد الله شريط : الفكر الأخلاقى عند ابن خلدون ، (ط ٣ ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب : ١٩٨٤م) ، ص ٣٥١ وما بعدها ؛ تيسير شيخ الأرض : ابن خلدون ص ١٢٠ ؛ يوحنا قمير : ابن خلدون ، (بيروت ، دار المشرق : ١٩٨٣م) ، ص ٢٩-٣٠ .

(٢) أحمد محمود صبحى : فى فلسفة التاريخ ، ص ١٤٦-١٤٧ . وانظر كذلك : ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٧٥٥، ٧٥٨، ٧٥٩-٨٨٨ .

(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٧٥٥ .

أهل دولته ، ثم ينتشر حب الترف بين أوساط عامة الناس تقليدا منهم لكبرائهم ، وعندما يعظم الترف ويشتد يجد الحاكم أن دخل الدولة لا يفي بكل متطلباته ومتطلبات خاصته وجنده فيحاول جمع المال من رعيته قهرا وظلما فتفقد الدولة بذلك هيبتها وسلطانها في نفوس رعاياها وجندها وتضعف بذلك شوكتها وعصبيتها فيطمع فيها أعداؤها ويتجاسرون عليها فتنحل عراها عقدة عقدة الى أن تضمحل وتنتهى ويستولى عليها آخرون (١). وقد أشار الدكتور أحمد صبحي الى هذا المعنى فأكد أن من مستلزمات الترف سعة الانفاق على النفس وعلى الآخرين ، وأن المبالغة فيه تضعف السلطان وجنده ورعاياه فيحصل الضعف العام في الدولة (٢).

وتبدأ الدولة تنقص من أطرافها ، لأن الدولة لا تستطيع أن تتابع هذه الأطراف بالحراسة ، فعلى نسبة الاتساع يكون أمد البقاء " وكل نقص يقع فلا بد له من زمن ، فتكثر أزمان النقص لكثرة الممالك واختصاص كل واحد منها بنقص وزمان فيكون أمدها طويلا " (٣).

وفي المرحلة الأخيرة من عمر الدولة والذي نعتة ابن خلدون بالجيل الثالث يستبد ولاية الأعمال في الدولة بالقاصية عندما تضعف مراقبتها لهم فيكون لكل واحد منهم دولة يستمدّها لقومه ولا يكون بينهم وبين الدولة الأصلية حرب لأنهم مستقرون في رياستهم ولا يطمعون في الاستيلاء على الدولة المستقرة ، وإنما الدولة أدركها الهرم ، وتقلص ظلها عن النواحي القاصية (٤).

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٧٥٨، ٧٥٩ .

(٢) أحمد محمود صبحي : في فلسفة التاريخ ، (الاسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية) ص ١٤٧-١٤٨ .

(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٥٣٥-٥٣٦ .

(٤) ساطع الحصري : دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص ٣٧٩ .

وينسى هذا الجيل عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن ، ويفقدون حلاوة العز والعصبية ، ويبلغ فيهم الترف غايته فيصيرون عيالا على الدولة وتسقط العصبية بالجملة ، وتخور عزائمهم "وانما همتهم النعيم والكسب وخصب العيش والسكون في ظل الدولة الى الدعة والراحة والأخذ بمذاهب الملك في المباني والملابس ، والإستكثار من ذلك والتأنق فيه بمقدار ما حصل من الرياش والترف وما يدعو إليه من توابع ذلك فتذهب خشونة البداوة وتضعف العصبية والبسالة ، ويتنعمون فيما آتاهم الله من البسطة ، وتنشأ بنوهم وأعقابهم في مثل ذلك من الترف عن خدمة أنفسهم وولاية حاجاتهم ويستكفون عن سائر الأمور الضرورية في العصبية ، حتى يصير ذلك خلقا لهم وسجية ، فتنقص عصبيتهم وبسالتهم في الأجيال بعدهم بتعاقبهم الى أن تنقرض العصبية فيأذنون بالانقراض" (١).

وبدخول الدولة مرحلة ضياع العصبية والنقص في الأطراف وانتشار الترف تكون قد أخذت تشق طريقها بقوة نحو الهرم ، مالم تنقذ نفسها بدم جديد يستأنف بها مسيرتها لدور جديد بعصبية جديدة من الدم أو الدين . وفي مرحلة الهبوط تبدأ عوامل الهدم الأخرى تعمل عملها في الدولة محققه كل شروط الانهيار .

ومن هذه العوامل التي رصدها ابن خلدون - بالاضافة إلى ضياع العصبية والنقص في الأطراف وظهور الترف والدعة - الارتباك الذي يحصل في مالية الدولة والخلل بين المصروفات الكثيرة والايادات القليلة "فتكثر عوائدهم وتزيد نفقاتهم على أعطياتهم ، ولا يفي دخلهم بخرجهم ، فالفقير منهم يهلك ، والمترف يستغرق عطاءه بترفه ، ثم يزداد ذلك في أجيالهم المتأخرة إلى أن يقصر العطاء كله عن الترف وعوائده ، وتمسهم الحاجة وتطالبهم ملوكهم بحصر نفقاتهم في الغزو والحرب ، فلا يجدون وليجة عنها،

فيوقعون بهم العقوبات ، وينتزعون مافي أيدي الكثير منهم يستأثرون به عليهم ، أو يؤثرون به أبناءهم وصنائع دولتهم ، فيضعفونهم لذلك عن اقامة أحوالهم ، ويضعف صاحب الدولة بضعفهم . وأيضا اذا كثر الترف في الدولة وصار عطاؤهم مقصرا عن حاجاتهم ونفقاتهم ، احتاج صاحب الدولة الذي هو السلطان الى الزيادة في أعطياتهم حتى يسد خللهم ، ويزيح عللهم ، والجباية مقدارها معلوم ، ولاتزيد ولاتنقص ، وان زادت بما يستحدث من المكوس فيصير مقدارها بعد الزيادة محدودا ... ثم يعظم الترف وتكثر مقادير الأعطيات لذلك ، فينقص عدد الحامية ، وثالثا ورابعا الى أن يعود العسكر الى أقل الأعداد ، فتضعف الحماية لذلك ، وتسقط قوة الدولة ويتجاسر عليها من يجاورها من الدول أو من هو تحت يديها من القبائل والعصائب ، ويأذن الله فيها بالفناء الذي كتبه على خليقته . وأيضا فالترف مفسد للخلق بما يحصل في النفس من ألوان الشر والسفسفه وعوائدها^(١). ومن عوامل السقوط وظواهره أيضا حجب السلطان والاستبداد عليه لصالح الموالى والمصطنعين والوزراء والأقربين المتسلطين ، وهذا المستبد الذي حجب السلطان لا يحاول في استبداده انتزاع الملك ظاهرا ، وانما يحاول انتزاع ثمراته من الأمر والنهى والحل والعقد والابرار والنقض . وقد يتجرا بعض هؤلاء المتسلطين فيطلب تحويل الخلافة لنفسه فيكون في ذلك خراب الدولة ووزرائها^(٢).

ومن عوامل السقوط كذلك شيوع المراقبة والتجسس بدرجة يسميها ابن خلدون "إرهاف الحد" أى سوء الظن بالناس وتتبعهم في كل مايقولون وملاحقتهم دون رفق "فإن الملك اذا كان قاهرا ، باطشا بالعقوبات ، منقبا

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٥٤٢-٥٤٣ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٧٠-٥٧٣، ٧٤٩ .

عن عورات الناس وتعدد ذنوبهم ، شملهم الخوف والذل ، ولاذوا منه بالكذب والمكر والخديعة فتخلقوا بها ، وفسدت بصائرهم وأخلاقهم ، وربما خذلوه في مواطن الحروب والمدافعات" (١).

وما يقوله ابن خلدون في ارهاف الحد رؤية حضارية نافذة وقد دلت عليها شواهد كثيرة ، وقد كانت من وراء سقوط الحكومات الشيوعية والدكتاتورية في عالمنا الحديث والمعاصر .

ومن عوامل السقوط كذلك ضرب المكوس في أواخر الدولة وذلك باستحداث أنواع جديدة من الضرائب وارهاق الناس وتعويض الفشل الإداري والمالي في الدولة.

ومن عوامل السقوط التجارة من السلطان فهي مضرّة بالرعية مفسدة للجباية ، لأنها نوع خفي من المكوس ، ومقاسمة للعمال والجباة وامتصاص للأرزاق (٢).

ومن عوامل السقوط - بل لعله أكبر العوامل - الظلم بالعدوان على الناس في أموالهم أو أجسامهم أو أفضيتهم . "وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعى في الاكتساب . فإذا كان الاعتداء كثيرا عاما في جميع أبواب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك لذهابه بالآمال جملة بدخوله من جميع أبوابها . وإن كان الاعتداء يسيرا كان الانقباض عن الكسب على نسبه . والعمران ووفوره ونفاق أسواقه إنما هو بالأعمال وسعى الناس في المصالح والمكاسب ذاهبين وجائين . فإذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن المكاسب كسدت أسواق العمران ، وانتقضت الأحوال وابتدعر (٣) الناس في الآفاق من غير تلك الإيالة في طلب الرزق فيما خرج عن نطاقها . فخف ساكن القطر ، وخلت دياره ، وخربت أمصاره ، واختل

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٥٧٤، ٥٧٥ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٣٢، ٧٣٣ .

(٣) ابتدعوا : تفرقوا وفروا .

باختلاله حال الدولة والسلطان ، لما أنها صورة للعمران تفسد بفساد مادتها
ضرورة" (١).

ولا يقف الظلم المؤذن بخراب البلاد وزوال الملك عند صورة واحدة أو
عدد من الصور ، بل يمتد - كما أورد ابن خلدون - الى كل أنواع الظلم ،
ولا تحسن الظلم انما هو أخذ المال أو الملك من يد مالكه من غير عوض
ولاسبب كما هو المشهور ، بل الظلم أعم من ذلك . وكل من أخذ ملك
أحد أو غصبه في عمله أو طالبه بغير حق أو فرض عليه حقاً لم يفرضه
الشرع فقد ظلمه . فجباة الأموال بغير حقها ظلمة ، والمعتدون عليها ظلمة ،
والمنتهبون لها ظلمة ، والمانعون لحقوق الناس ظلمة ، وغصاب الأملاك على
العموم ظلمة" (٢).

ولاشك أن هذه نظرية حضارية رائعة من ابن خلدون وقد استقاهها
فيما نتصور من عصره الذي عانى المسلمون فيه أنواعاً كثيرة من الظلم ناتج
من تسلط الدول المتنازعة في المغرب والأندلس والمشرق ، ومن استبدادها
بالرعية ، ومن هنا جاءت نظرة ابن خلدون الى أثر الظلم في خراب البلاد
نظرة عميقة تتم عن تجربة شخصية ورؤية حضارية في آن واحد .

وحتى عندما تكون الدولة واسعة ، وقد يوجد فيها ظلم ولا يقع خراب
كما يبدو لقاصري النظر ضعيفي الحس التاريخي فان ابن خلدون يصف
هؤلاء بأنهم لم يدركوا النسبة بين الاعتداء وأحوال أهل مصر . لكن - مع
ذلك - فان العاقبة وخيمة لا بد منها "فحصول النقص في العمران عن الظلم
والعدوان أمر واقع لا بد منه" (٣).

ويتتبع ابن خلدون درجات الظلم وأثرها المتفاوت في خراب البلاد
وذهاب الدول . ولكأنه هنا يشير الى النظم الثورية المعاصرة التي اعتمدت

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٧٤١-٧٤٢ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٤٣ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٤٣ .

سياسة المصادرة والتأميم وأكل أموال الناس بالباطل ودمرت البلاد وأفقرت العباد . يقول ابن خلدون مصورا درجة كبيرة من درجات الظلم : "ومن أشد الظلمات وأعظمها في افساد العمران تكليف الأعمال وتسخير الرعايا بغير حق ... لأن الرزق والكسب إنما هو قيم أعمال أهل العمران . فإذا مساعيتهم وأعمالهم كلها متمولات ومكاسب لهم ، بل لامكاسب لهم سواها ، فإن الرعية المعتملين في العمارة إنما معاشهم ومكاسبهم من اعتمادهم ذلك . فإذا كلفوا العمل في غير شأنهم واتخذوا سخريا في معاشهم بطل كسبهم واغتصبوا قيمة عملهم ذلك ، وهو متمولهم ، فدخل عليهم الضرر ، وذهب لهم حظ كبير من معاشهم ، بل هو معاشهم بالجملة . وإن تكرر ذلك أفسد آمالهم في العمارة ، وقعدوا من السعى فيها جملة ، فأدى ذلك الى انتقاض العمران وتخريبه . والله سبحانه وتعالى أعلم . وبه التوفيق .

وأعظم من ذلك في الظلم وافساد العمران والدولة التسلط على أموال الناس ، بشراء ما بين أيديهم بأجنس الأثمان ، ثم فرض البضائع عليهم بأرفع الأثمان على وجه الغصب والاكراه في الشراء والبيع ، وربما تفرض عليهم تلك الأثمان على التراخي والتأجيل ، فيتعللون في تلك الخسارة التي تلحقهم بما تحدثهم المطامع من جبر ذلك بجوالة الأسواق في تلك البضائع التي فرضت بالغلاء الى بيعها بأجنس الأثمان ، وتعود خسارة ما بين الصفقتين على رؤوس أموالهم" (١).

وأخيرا يربط ابن خلدون بين الظلم والترف ربطا عقليا وعمليا يشبه أن يكون ربطا بين السبب والمسبب فيبين أن هذا المنحدر الذي أدى بالدولة ورجالها الى الظلم "إنما هو حاجة الدولة والسلطان الى الاكثار من المال بما يعرض لهم من الترف في الأحوال ، فتكثر نفقاتهم ويعظم الخرج ولا يفي به الدخل على القوانين المعتادة ... ثم لا يزال الترف يزيد ، والخرج بسببه يكثر والحاجة الى أموال الناس تشتد ، ونطاق الدولة بذلك يزيد ، الى أن

تتمحى دائرتها ويذهب رسمها ويغلبها طالبها" (١).

اننا بحق أمام رصد كامل لعوامل السقوط الأساس ، وكل ما يقال حول العوامل الأخرى المساعدة فالصحيح أنها عوامل فرعية تنبثق عن هذه العوامل الأصلية .

لكننا مع ذلك نرى أن ابن خلدون وإن لم يقصر في تشخيص الأمراض في حدود امكاناته وعصره بل إنه سبق عصره بمراحل كثيرة غير أنه قصر في البحث عن العلاج للأمراض الحضارية عن طريق البدائل وعوامل النهوض والاستئناف التي تتيح للدولة القيام من وهبتها وتحقيق اقلاع حضارى جديد.

وقد حاول ابن خلدون أن يقدم بعض العلاج للسقوط - على استحياء لكنه أخفق في ذلك ، فقاوم الفعل برد فعل مقابل ، يشترك معه في المبالغة ، والفرق أن هذا تفريط وذاك افراط ، فقد أراد علاج الترف بما يشبه احياء الوجدان الصوفي (٢) ، ومعروف أن التصوف - أيضا مرض - اذ هو ميل الى الانعزال والتقاعد في غالب صورته التطبيقية ، وقد كان بإمكانه أن يجد حلا آخر قائما على توازنية الاسلام وسلوك السلف الصالح .

وقد كان ابن خلدون - على الرغم من رأى من عارضه - (٣) يرفض أسلوب الثورة حلا لمشكلات الدولة أو علاجا لأمراضها ، وقد كتب فصلا كاملا في أن الدعوة الدينية لا تتم من غير عصبية وأنها لا تنجح عن طريق الثورة (٤).

وأعتقد أن إطلاق هذا الحكم في عدم نجاح الثورات في تغيير الواقع السيء أمر غير صحيح على إطلاقه والا لما قامت دول كثيرة على أنقاض دول سابقة لها .

-
- (١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٧٤٨ .
 (٢) عبد الله شريط : الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون ، ص ٣٧٢ .
 (٣) انظر مثلا : عبد الله شريط : الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون ، ص ٣٧٥-٣٧٦ ؛
 على الوردى : منطق ابن خلدون ، ص ٢٣٩-٢٤٢ .
 (٤) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٥٢٨-٥٣١ .

ولكن ابن خلدون - كما ألمحنا - لم يوفق كثيرا في تقديم البدائل والحلول ، وعلى سبيل المثال فان الزيادة في نفقات الملك عن طريق العطاء الواجب نحو الجنود الذى يدفع الحاكم الى الاكثار من المكوس قد يؤدى الى العجز فى سد خلل الجنود وثورتهم . هذه المشكلة تجد لها كثير من الدول حلا فى عصرنا اذ تعتمد الى استغلال الجنود ابان فترات السلم فى تعمير البلاد واستصلاح أرضها والاسهام فى بناء حضارتها فيصبح الجنود بهذا منتجين وليسوا عبئا على الدولة .

وعندما تحدث ابن خلدون عن نقص أطراف الدولة عن طريق نزو العمال عليها استهانة بالدولة المركزية كان من الممكن أن يشير ابن خلدون الى بعض الحلول التى تجمع بين المركزية واللامركزية فى الحكم ، ويجعل الخيوط بيد الدولة دون أن تتكلف أعباء تذكر أو تسمح للعمال بالخروج عليها . ولعل فى نماذج أمريكا وأوربا المتحدة بعد ١٩٩٢م صورا تسمح بالقياس عليها ، وقد كان من الممكن أن يكون الفكر السياسى الاسلامى سباقا اليها .

كما أن هناك حلا كنا نأمل أن يلتفت اليه ابن خلدون وأن يستقيه من تجربتنا الحضارية الاسلامية وهو الحل الذى لجأ اليه أبو بكر الصديق رضى الله عنه عند بروز فتنة الردة فعندما قضى عليها سرعان ماوجه طاقات الجزيرة العربية كلها الى الجهاد والدعوة الى الله فاتحد الناس فى معركة خارجية ووجهوا طاقاتهم للجهاد فى سبيل الله ونشر الدعوة الإسلامية فى أرجاء المعمورة كلها .

ولو أن الدول الجامعة بخاصة - كالأُمويين فى المشرق (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٤٩م) والأندلس (١٣٨-٤٢٢هـ/ ٧٥٥-١٠٣٠م) والعباسيين (١٣٢-٦٤٠هـ/ ٧٤٩-١٢٤٢م) وكالفاطميين (٢٩٧-٥٦٧هـ/ ٩٠٩-١١٧١م) وجهوا طاقاتهم إلى الدعوة إلى الله ووجهوا الخارجين عليهم إلى مجال الجهاد والدعوة لمنعوا كثيرا من الثورات ، وحالوا بالتالى دون تبديد طاقة الأمة ودون الاسراع بسقوط الدول وانهارها .

وتبقى نظرية ابن خلدون في قيام الدول وسقوطها نظرية متكاملة رائدة سبقت عصرها بقرون كثيرة وفتحت المجال أمام نظريات فلسفة التاريخ وقدمت للفكر التاريخي الاسلامي معالم في الرؤية الاسلامية للتاريخ والحضارة.

المبحث الثاني

رأى ابن خلدون فى قيام الدولة الأموية

بين المؤيدين والمعارضين

- * قيام دولة بنى أمية فى رأى ابن خلدون .
- * المؤرخون المسلمون وموقفهم من بنى أمية .
- * تقويم آراء ابن خلدون فى قيام دولة بنى أمية .

قيام دولة بنى أمية فى رأى ابن خلدون :

قام الخلفاء الراشدون الثلاثة الذين ولاهم المسلمون أمورهم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بالأمر خير قيام ، وحتى سنة ٦٥٤/٥٣٤م أى بعد وفاة الرسول الكريم بنحو ربع قرن كانت أمور المسلمين ماضية أحسن ما يكون الأمر تألفاً وتعاوناً على نشر دين الله فى الآفاق ، وعلى بناء الدولة الإسلامية والحضارة الإسلامية ، ولم يكن هناك مايؤخذ إلا ماهو من طبيعة الاجتماع البشرى فى مستواه الرفيع .

فلما كانت هذه السنة ٦٥٤/٥٣٤م ظهر أن ثمة انحرافاً جنح اليه الناس بعد أن اتسعت دولة الاسلام وأصبح الثراء فاحشاً ودخل فى الاسلام كثيرون ممن يحملون أفكاراً مسبقة عن نظم الحكم ، وتقاليدها جاهلية لا يقرها الاسلام بالإضافة الى أن بعضاً من هؤلاء الداخلين فى الاسلام كان دخولهم دخولاً عاماً مشوباً بشبه قريباً من بعض الاتجاهات التى سيطرت على حركة الردة وان لم يبلغ بهم الأمر انكار أمر معلوم من الدين بالضرورة .

وكان أكثر العرب الذين نزلوا الأمصار "جفاة لم يستكثروا من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا هذبته سيرته وآدابه ولا ارتاضوا بخلقهم ، مع ما كان فيهم من الجاهلية من الجفاء والعصبية والتفاخر والبعد عن سكينة الايمان . واذا بهم عند استفحال الدولة قد أصبحوا فى ملكة المهاجرين والأنصار من قريش وكنانة وثقيف وهذيل وأهل الحجاز ويثرب السابقين الأولين الى الايمان ، فاستنكفوا من ذلك وغصوا به لما يرون لأنفسهم من التقدم بأنسابهم وكثرتهم ، ومصادمة فارس والروم ، مثل قبائل بكر بن وائل وعبد القيس بن ربيعة ، وقبائل كندة والأزد من اليمن وتيمم وقيس من مضر فصاروا الى الغرض من قريش والأنفة عليهم ، والتمريض فى طاعتهم ، والتعلل فى ذلك بالتنظلم منهم والاستعداد عليهم" (١).

وقد أكد هذا الانحراف الجديد أن الأمور قد تعقدت ولم يعد يصلح لها من كان على سيرة الخليفين الراشدين كعثمان وعلى وعبد الله بن الزبير رضى الله عنهم . وإنما يصلح للأمر قوم يحسنون الاغضاء عن بعض الأمور مجارة للوقت ، ويحسنون اصطناع الناس والعفو عنهم ، واللين معهم^(١) . وكما ذكر فانه الى جانب تغير الأوضاع في مستواها المعنوى تغيرت الأوضاع كذلك في مستواها المادى من الفقر الشديد الى الثراء الفاحش ، فبينما كان العرب يعيشون قبل الفتوحات في مسغبة "يأكلون الحنطة بنخالها"^(٢) ، اذا بهم في أيام عثمان رضى الله عنه يقتنون الضياع والدور والمال ، فقد خلف زيد بن ثابت من الفضة والذهب ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار . وكان على مربط عبد الرحمن بن عوف مائة فرس ، وله ألف بعير ، وعشرة آلاف شاة من الغنم ، وبلغ الربع من متروكه بعد وفاته أربعة وثمانين ألفا . وبني الزبير داره بالبصرة تنزلها التجار وأرباب الأموال وأصحاب الجهاز من البحرين وغيرهم ، وابتنى أيضا دورا بمصر والكوفة والاسكندرية وبلغ ماله بعد وفاته خمسين ألف دينار . وكذلك بنى طلحة داره بالكوفة وشيد داره بالمدينة وبنهاها بالحص والآجر والساج . وبني سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق ، ورفع سمكها وأوسع فضاءها وجعل على أعلاها شرفات . وبني المقداد داره بالمدينة وجعلها محصية الظاهر والباطن . وخلف يعلى بن منية خمسمائة ألف دينار وعقارا وغير ذلك ما قيمته ثلثمائة ألف درهم^(٣) .

اننا مع المسعودى في حصول تغيير في حياة المسلمين المادية بعد الفتوح الاسلامية ، ولكننا لسنا معه في وصف المسلمين بالثراء الفاحش لأن من طبيعة المسلم أن يكون معتدلا في أموره كلها .

(١) محمد أبو اليسر عابدين : أغاليط المؤرخين ، (دمشق ، دار العروبة للطباعة والنشر : ١٣٩١هـ) ، ص ٧٩-٨٠ .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٠٢ .

(٣) المسعودى : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٣٣٢-٣٣٣ .

ولئن استطاع الصحابة رضی الله عنهم أن يبقوا فوق هذا المال يتحكمون هم فيه ولا يتحكم هو فيهم ، ويقودونه ولا يقودهم ، بل "كان حالهم قصدا ونفقاتهم في سبل الحق ومذاهبه كان ذلك الاستكثار عونا لهم على طرق الحق واكتساب الدار الآخرة" (١). فان كثيرا ممن آمن بالاسلام فيما بعد لم يتأثر بتوجيهات الاسلام مباشرة ، فكان هذا البعد سببا في حدوث مأساة الفتنة ، واضطراب أمور المسلمين ، ومقتل عثمان رضی الله عنه .

إنه تطور طبيعي عند تحليلنا للأمور فقد كان صعبا أن يستمر الناس في مستوى العصر الراشدي مع هذا الانفتاح على العالم ، وحسب الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضی الله عنهم أن يبقوا نموذجاً يجتهد الناس في أن يقتربوا منه وليس شرطا أن يصلوا إليه ، وكيف يصلون إلى مستوى أبي بكر رضی الله عنه والرسول صلى الله عليه وسلم قد أثني عليه في أكثر من مناسبة وقال فيه : "لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابن أبي قحافة خليلا" (٢).

ولعل ابن خلدون كان موقفا غاية التوفيق وهو يرصد هذا التطور الطبيعي ويجعله تدرجا من تطبيق إسلامي يتعامل مع بادية الى تطبيق اسلامي يتعامل مع عواصم حضارية وتخزون ثقافي لأمم عريقة ، ولهذا كان ابن خلدون غاية ما يكون في عمق الرؤية وهو يرى أن تلحق دولة معاوية رضی الله عنه وأخباره بدول الخلفاء وأخبارهم فهو تاليهم في الفضل والعدالة والصحة (٣).

وهو يحتج لرأيه هذا بأن عمر بن الخطاب رضی الله عنه لما لقي معاوية رضی الله عنهما عند قدومه الى الشام في أبهة الملك وزيه "استنكر ذلك وقال : "أكسرويه يامعاوية ؟!" فقال : ياأمير المؤمنين إنا في ثغر تجاه

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٠٣ .

(٢) مسلم بن الحجاج بن مسلم : الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ، ج ٧ ، ص ١٠٩ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٥٠ .

العدو وبنا الى مباحاتهم بزيينة الحرب والجهاد حاجة" ، فسكت ولم يخطئه لما احتج عليه بمقصد من مقاصد الحق والدين . فلو كان القصد رفض الملك من أصله لم يقنعه هذا الجواب في تلك الكسروية وانتحالها ، بل كان يحرض على خروجه عنها بالجملة . وانما أراد عمر [رضى الله عنه] بالكسروية ما كان عليه أهل فارس في ملكهم من ارتكاب الباطل والظلم والبغى وسلوك سبيله والغفلة عن الله ، وأجابه معاوية [رضى الله عنه] بأن القصد بذلك ليس كسروية فارس وباطلهم ، وانما قصده بها وجه الله ، فسكت^(١).

كان استشهاد عثمان رضى الله عنه نتيجة للدسائس والمؤامرات التي تحركها أياد خبيثة بدواف عقدية منتحلة تسعى الى زعزعة وتشيت المسلمين.

وحاول على رضى الله عنه ، وهو خاتم حلقات هذا المنهج الراشدى أن يوقف زحف التيار الحضارى الجارف . وكان أهلا لذلك لاريب لكنه أصر على أن يحافظ على الأسلوب نفسه ، وأن يعالج الأمور بالمنهاج نفسه فتفلت الأمور من بين يديه .

لقد كان الناس عند مقتل عثمان رضى الله عنه - كما يقول ابن خلدون - مفترقين فى الأمصار فلم يشهدوا بيعة على رضى الله عنه ، والذين شهدوا فمنهم من بايع ومنهم من توقف حتى يجتمع الناس ويتفقوا على امام والذين كانوا فى الأمصار عدلوا عن بيعته أيضا الى الطلب بدم عثمان رضى الله عنه وتركوا الأمر فوضى حتى يكون شورى بين المسلمين لمن يولونه . ثم اختلفوا بعد ذلك . فرأى على رضى الله عنه أن بيعته قد انعقدت ، ولزمت من تأخر عنها باجتماع من اجتمع عليها من أهل المدينة دار النبى عليه الصلاة والسلام ومواطن الصحابة ، وأرجأ الأمر فى المطالبة بدم عثمان رضى الله عنه الى اجتماع الناس واتفاق الكلمة ، ورأى آخرون أن بيعته

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٠٠-٦٠١ .

لم تنعقد لافتراق الصحابة في الأمصار وهم أهل الحل والعقد^(١). وهكذا تفرقت الكلمة ، واختلفت العقول والقلوب ، وظهرت براهين تؤيد كلا الفريقين ، فهناك براهين عقلية تؤيد مبايعة علي رضي الله عنه وهناك تفسيرات عقلية لا تؤيد هذه المبايعة ، حرص على الدعوة لها جمهور المحرضين على الفتنة ، فكان مقتل عثمان فتنة خطيرة تمثلت في قيام الدهماء على الأئمة الثقات لمجرد شبهات لا تقوى أمام التحقيق ، ومن جانب آخر بروز أفكار سياسية جديدة بعيدة بعض الشيء عن التصور الاسلامي السليم . لكن مع هذه الفتنة الكبرى التي بدأت تمتد من مقتل عثمان رضي الله عنه لتنظم عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه كله "فلا يقعن عندك ريب في عدالة أحد منهم ولا قدح في شيء من ذلك ، فهم من علمت ، وأقوالهم وأفعالهم إنما هي عن المستندات ، وعدالتهم مفروغ منها عند أهل السنة إلا قولاً للمعتزلة فيمن قاتل علياً لم يلتفت إليه أحد من أهل الحق ولا عرج عليه وإذا نظرت بعين الانصاف عذرت الناس أجمعين في شأن الاختلاف في عثمان واختلاف الصحابة من بعد ، وعلمت أنها كانت فتنة ابتلى الله بها الأمة ، بينما المسلمون قد أذهب الله عدوهم ومُلِكهم أرضهم وديارهم ، ونزلوا الأمصار على حدودهم بالبصرة والكوفة والشام ومصر"^(٢).

وفي موضع آخر من المقدمة يؤكد ابن خلدون هذا المعنى فيقول : "ولما وقعت الفتنة بين علي ومعاوية وهي مقتضى العصبية كان طريقهم فيها الحق والاجتهاد ، ولم يكونوا في محاربتهم لغرض دنيوي أو لإيثار باطل أو لاستشعار حقد كما قد يتوهمه متوهم ويتزع إليه ملحد . وإنما اختلف اجتهداهم في الحق وسفه كل واحد نظر صاحبه باجتهاده في الحق فاقتتلوا عليه . وإن كان المصيب علياً فلم يكن معاوية قائماً فيها بقصد الباطل،

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦١٧-٦١٨ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦١٨-٦١٩ .

إنما قصد الحق وأخطأ . والكل كانوا في مقصدهم على حق" (١).
 لقد أبدى ابن خلدون في معالجته لهذه الأحداث قدرا كبيرا من الموضوعية والحذر اذ تجنب الأحكام والالتهامات المتطرفة (٢). لكن هذه الموضوعية التي انتهجها ابن خلدون إقتداءً بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في وصفه لصحابته ، جعلت بعض من تعرضوا للكتابة التاريخية من المحدثين يحملون عليه دون الاشارة الى اسمه صراحة بدعوى أن هذه الأحاديث التي تبرأ الصحابة انما تقولها أناس لتبرئة معاوية ومن على شاكلته (٣). ومن الثابت أن الحق مع ابن خلدون لكونه اقتدى بالأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومع مايجب التنويه به من حياد واعتدال في أحكام ابن خلدون ومن تقويمه الهادىء لوقائع الفتنة بعيدا عن التشيع أو النصب - أى العداء لآل البيت - وهو مايتفق مع ماورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقد وصف القرآن المقتتلين عند ادلهام الفتنة وظهور البغى بالطائفتين المؤمنتين مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٤).
 كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد عدل أصحابه وأشاد بآثارهم وبشر بعضهم بالجنة ، ووصفهم كذلك بأنهم خير القرون ، فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس خير قال : "قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٠٣-٦٠٤ .

(٢) محمد محمود ربيع : النظرية السياسية لابن خلدون ، (ط ١ ، مصر ، دار الهنا للطباعة : ١٤٠١هـ) ، ص ١٣٧ .

(٣) محمد جواد فضل الله : صلح الامام الحسن ، (ط ١ ، بيروت ، دار الغدير للطباعة والنشر والتوزيع : ١٣٩٢هـ) ، ص ١٨٧-١٨٨ .

(٤) سورة الحجرات : آية ٩

يلونهم ثم يجيء قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه وتبدر يمينه شهادته" (١). مع هذا الذى نشير إليه فإن الصراع بين الطائفتين المؤمنتين قد استمر على عهد على كله . وأثبت على بن أبى طالب التزامه بمنهجه بينما واجهه بنو أمية وأشياعهم بمنهجهم . فعندما بويح على بالخلافة أشار عليه المغيرة "لأول ولايته باستبقاء الزبير ومعاوية وطلحة على أعمالهم حتى يجتمع الناس على بيعته ، وتتفق الكلمة، وله بعد ذلك ما شاء من أمره وكان ذلك من سياسة الملك ، فأبى فرارا من الغش الذى ينافيه الإسلام . وغدا عليه المغيرة من الغداة فقال لقد أشرت عليك بالأمس بما أشرت ثم عدت إلى نظرى فعلمت أنه ليس من الحق والنصيحة ، وأن الحق فيما رأيته أنت . فقال على : لا والله ، بل أعلم أنك نصحتنى بالأمس وغششتنى اليوم . ولكن منعنى مما أشرت به ذائد الحق" (٢).

وتأكيدا لهذا المنهج الذى سار عليه على بن أبى طالب وابناه الحسن والحسين فإنك "إذا قرأت تواريخ الاسلام ومادار بين على والمغيرة وابن عباس رضى الله عنهم ، تعلم مدى تمسك على بالحق الصراح وعدم اتباعه السياسة التى لا يمكن أن تمشى الأمور بدونها ، ولعلمت صحة اجتهاد معاوية بتمسكه خوفا من سياسة على الصلبة التى لا تناسب ذلك الزمن" (٣).

ومن ذلك قول ابن عباس لعلى تعقيبا على رفض على لرأى المغيرة : أنت رجل شجاع لست صاحب رأى فى الحرب أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرب خدعه . قال : بلى . فقال ابن عباس : أما والله ان أطعنى لأتركهم ينظرون فى دبر الأمور ولا يعرفون ما كان وجهها من غير نقصان عليك ولا اثم لك . فقال : يا ابن عباس لست من هنياتك ولا هنيات معاوية فى شىء . ولكن أشر على واذا خالفتك أطعنى . قال أيسر مالك عندى

(١) مسلم بن الحجاج بن مسلم : الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ، ج ٧ ، ص ١٨٤

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٠٧ .

(٣) محمد أبو اليسر عابدين : أغاليط المؤرخين ، ص ٨٩ .

الطاعة (١).

ثم لازال على رضى الله عنه بهذا التشدد الى أن حصل ما حصل (٢)، كان على يقول : "تعالوا تحاكموا إلى فم من دانه الشرع دنته ، ومعاوية وأصحابه يقولون : ادفعوا لنا قتلته [قتلة عثمان] ، فلو أن عليا رضى الله عنه خلى بينهم وبين من اشتبهوا بكونه قاتلا لانتهدت حجتهم ، لكن أبى إلا المضى فى الدفاع عن اجتهاده الحق ، بأن يتحاكموا لديه مع المتهمين بقتله ، مع عدم قدرته على الايقاع بالجناة بدون حجة صريحة يتخذها سيفا فى وجه من يلوذ بعصبيتهم" (٣).

وفى موطن آخر من العبر نجد ابن خلدون يبرز طبيعة منهج على رضى الله عنه فيكرر - مرة أخرى - أن المغيرة أشار على على لأول ولايته باستبقاء العمال على أعمالهم حتى يجتمع الناس على بيعته وتستقر الأمور فأمهله ثم رجع من الغد وأشار بمعالجة الاستبدال ، وعندما أخبر على رضى الله عنه ابن عباس بهذا قال : نصحك أمس وغشك اليوم .

ولقد نصح ابن عباس عليا رضى الله عنهما حيث قال : كان الرأى أن تخرج عند قتل الرجل الى مكة وأما اليوم فان بنى أمية يشبهون على الناس بأن يلجموك طرفا من هذا الأمر ويطلبون ما طلب أهل المدينة فى قتلة عثمان فلا يقدرّون عليهم . والأمر أن تقر معاوية . لكن عليا رضى الله عنه رفض ذلك كله فأشار عليه ابن عباس بالذهاب الى ينبع والبقاء فى ملك له هناك ، فان العرب لن تجد غيره بعدما تضطرب أمورها ، أما النهوض مع هؤلاء القوم فسوف يجعل الناس يحملونه دم عثمان غدا ، ولكنه رفض ذلك ثم أمر على ابن عباس بالتوجه إلى الشام وتولى أمورها ، ولكن ابن عباس

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٠٤ .

(٢) محمد أبو اليسر عابدين : أغاليط المؤرخين ، ص ٩١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٩٢ .

أوضح له أن معاوية قد يقتله بعثمان أو يحبسه وأشار عليه بالكتابة الى معاوية وبذل الوعود له ولكن عليا رضى الله عنه رفض (١).

وهكذا ترجم على عمليا - كما أوضح ابن خلدون - عن منهجه في مواجهة الأحداث ورفض نصائح ابن عباس والمغيرة ومال الى التشدد وفرق عماله في الأمصار وخلع عمال عثمان وهو مالم تكن الظروف مهيأة له ، فكان هذا إيذانا ببدء الصراع الواضح بين الفريقين .

وكانت موقعة الجمل هي الحرب الأولى ، وكانت صفين هي المعركة الثانية . وفي معركة الجمل انتصر على وأصحابه ولاذ الناس بجمل عائشة ثم انهزموا آخر النهار ، وعقر الجمل ، واحتمل عائشة أخوها محمد فأنزلها وضرب عليها قبة ووقف عليها على يعاتبها ، ثم استعنت به واستعنت لها وودعها ومشى معها أميالا وشيعها بنوه مسافة (٢).

وعن أمر صفين يذكر ابن خلدون أنه لما رجع على بن أبي طالب بعد وقعة الجمل بعث رسولا الى معاوية يعلمه ببيعته ونكث طلحة والزبير وحزبهما ويدعوه الى الدخول فيما دخل فيه الناس ، ولكن رسول على رجع بتصميم أهل الشام على الثأر لعثمان وعزمهم على قتل من يحول دون ذلك . وقد ذكر ابن خلدون بأسهاب تفصيلات المعركة حين خرج على من الكوفة والتقى مع معاوية وأنصاره واحتدم القتال بين الفريقين تخلله تبادل الرسل بينهما ولكن بدون نتيجة ، وبعد أن كادت كفة على وأصحابه ترجح أشار عمرو على معاوية أن يأمر الناس برفع المصاحف على الرماح وأن يقولوا كتاب الله بيننا فاذا قبلوا ذلك ارتفع عنا القتال ، وإن أبي بعضهم وجدنا في افتراقهم راحة ، ففعلوا ذلك ، وافترق أصحاب على حيث كان يرى رضى الله عنه عدم الاجابة لذلك والاستمرار في القتال ، ولكنه اضطر للتزول عن رأى جماعته الذين فرضوا عليه اختيار أبي موسى بعد أن اختار

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٠٤ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٢٠-٦٢٢ .

معاوية عمرو بن العاص . وحدد رمضان زمن اللقاء بينهما في مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام . ولما انقضى الأجل التقى الحكمان بأذرح (١) من دومة الجندل (٢) وانتهى الأمر بأن خلع أبو موسى عليا ومعاوية بناء على اتفاه مع عمرو على أن يولى الناس أمرهم من أحبوا ولكن عمرو أخلف الاتفاق وأثبت معاوية ، وانصرف عمرو وأهل الشام الى معاوية فسلموا عليه بالخلافة (٣) .

ومن دلالات موقعة صفين بالاضافة إلى دهاء معاوية في احتواء عمرو ابن العاص على أن يكون الأمر شركة بينهما (٤) ، ونجاح معاوية - كذلك - في الايقاع بين علي وواليه على مصر قيس بن سعد ، حيث أشاع معاوية أنه شيعة له وأن كتب قيس ورسائله ونصائحه تصل إليهم وأنه ضد علي ، فانخدع على وعزل قيسا (٥) .

قدمت موقعة صفين الى جانب النموذجين وغيرهما طبيعة المنهج المضاد الذى يواجه به معاوية أسلوب على ، ففي صفين وبعد أن أوشت الهزيمة أن تحقيق بجيش معاوية أشار عليه عمرو بن العاص برفع المصاحف ، ففرق بذلك صفوف على ، وقال أتباع على : نجيب إلى كتاب الله ، فقال لهم على ياعباد الله امضوا على حركم وقتال عدوكم فإن معاوية ومن معه ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، ويحكم والله مارفعوها إلا مكيدة وخديعة .

(١) اسم بلد في أطراف الشام فتحت في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم سنة تسع . ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٢٩-١٣٠ .

(٢) حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبل طىء افتتحها خالد بن الوليد عنوة في سنة تسع للهجرة .

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٨٧-٤٨٩ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٢٥-٦٣٧ .

(٤) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٢٥ مع ملاحظة أن تعبير "شراكه" غير منسجم مع الحقائق التاريخية فقد عاش عمرو بن العاص واليا لمعاوية وليس شريكا .

(٥) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٢٣-٦٢٤ .

فقالوا : لا يسعنا أن ندعى الى كتاب الله فلا نقبل وأصروا على موقفهم واضطر على الى قبول التحكيم^(١).
وهكذا نجح تخطيط معاوية رضى الله عنه وتفرقت الآراء والاتجاهات في جيش على رضى الله عنه وظهر الخوارج^(٢).
وفي موقف آخر نرى كيف انتهت حادثة التحكيم بين عمرو بن العاص وأبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما^(٣).
وقد اختلفت الأمور على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه بعد ذلك حتى انتهت الأمور بمقتله على يد عبد الرحمن بن ملجم^(٤) سنة أربعين لسبع عشرة من رمضان^(٥).
وبمقتله بويج لابنه الحسن رضى الله عنه وكان يشترط عليهم انكم سامعون مطيعون تسالمون من سالت وتحاربون من حاربت^(٦).
وفي الوقت نفسه بايع معاوية رضى الله عنه أصحابه بالخلافة ولقبوه بأمر المؤمنين عندما بلغهم مقتل على رضى الله عنه . ويذكر ابن خلدون أنه كان قد بويج بها بعد اجتماع الحكمين^(٧). ثم يروى ابن خلدون موقف

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٣٢ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٣٧ .

والخوارج : من الأحزاب التي خرجت على الأمويين ، كانوا بالأمس من أشياخ على بن أبى طالب رضى الله عنه ثم خرجوا عليه بعد التحكيم وكانوا يقولون بصحة خلافة أبى بكر وعمر وعثمان في سنيه الأولى وعلى بن أبى طالب الى أن حكم الحكمين ويعتقدون أن الخلافة حق لكل عربى حر .

حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى : (ط ٧ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية : ١٩٦٤م) ، ص ٣ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٣٦-٦٣٧ .

(٤) عبد الرحمن بن ملجم الخارجى ، قاتل على بن أبى طالب ، وقد مات سنة ٤٠ هـ .

عنه انظر : ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج ١ ، ص ٤٩ .

(٥) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٤٥ .

(٦) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٤٨ .

(٧) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٤٨ .

أتباع الحسن رضى الله عنه عندما نزل في المدائن^(٢) وشاع في العسكر أن قيس بن سعد قتل ، كيف احتاج الناس وماج بعضهم في بعض ونهبوا سراق الحزن رضى الله عنه واستلبوه رداءه وطعنه بعضهم في فخذة ، حتى قامت ربيعة وهمدان دونه واحتملوه على سرير الى المدائن ودخل الى القصر وكاد أمره أن ينحل ، فكتب إلى معاوية رضى الله عنه يذكر له النزول عن الأمر على أن يعطيه بعض المطالب التي ذكرها^(٢).

وأياً كان الأمر فإن الأمور لم تستقم للحسن رضى الله عنه ، وبدأ يعانى مما كان أبوه قد عانى منه من خلاف الذين معه عليه وجرأتهم ضده فكتب الحسن الى معاوية رضى الله عنه فى أمر التنازل وشرط شروطا ، فأرسل له معاوية رضى الله عنه صحيفة بيضاء ختم فى أسفلها وبعد أن خطب الحسن رضى الله عنه أهل الكوفة وأمضى الصلح بايع معاوية رضى الله عنه لسته أشهر من بيعته ودخل معاوية رضى الله عنه الكوفة وبايعه الناس وكان ذلك سنة ٤١هـ / ٦٦١م وهو العام الذى سمي عام الجماعة^(٣).

(١) سميتها العرب المدائن لأنها سبع مدائن بين كل مدينة الى الأخرى مسافة قريبة أو بعيدة . وكان فتحها كلها على يد سعد بن أبى وقاص سنة ١٦هـ فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٧٤-٧٥ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٤٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٤٩-٦٥٠ .

المؤرخون المسلمون وموقفهم من بنى أمية :

عندما تحدث ابن خلدون عن بيعة الامام على أكد أن طلحة والزبير كانا في مقدمة المبايعين^(١)، لكنه أورد رواية أخرى أشار فيها الى أن مبايعة طلحة والزبير كانت كرها ، وأنهما دخلا عليه بعد هذه البيعة وقالوا له : "قد اشترطنا اقامة الحدود فأقمها على قتلة هذا الرجل ، فقال : لاقدرة لى على شىء مما تريدون حتى يهدأ الناس وننظر الأمور فتؤخذ الحقوق ، فافترقوا عنه"^(٢).

أما عن موقف المهاجرين والأنصار من البيعة فيذكر ابن خلدون "وبايعت الأنصار وتأخر منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد^(٣) وأبو سعيد الخدرى ومحمد بن مسلمة^(٤) والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت ورافع بن خديج^(٥) وفضالة بن عبيد^(٦) وكعب بن عجرة^(٧) ومسلمة

-
- (١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٠٢ .
 (٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٠٢-٦٠٣ .
 (٣) مسلمة بن مخلد بن الصامت ، ولى امرة مصر وهو أول من جمعت له مصر والمغرب وذلك في خلافة معاوية . توفى بمصر سنة اثنتين وستين .
 عنه انظر : العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة ، ج ٣ ، ص ٣٩٨-٣٩٩ .
 (٤) محمد بن مسلمة بن سلمة الأنصارى ، صحابى من أهل المدينة شهد بدرا ومابعدھا الا غزوة تبوك . مات فى المدينة سنة ٤٤٣ هـ .
 عنه انظر : العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة ، ج ٣ ، ص ٣٦٣-٣٦٤ ؛ أبى العباس أحمد بن حسن بن على بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسطنطينى : كتاب الوفيات ، تحقيق : عادل نويهض ، (الطبعة الرابعة ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ١٤٠٣هـ) ، ص ٦٠ .
 (٥) رافع بن خديج بن رافع الأنصارى صحابى ولد سنة ١٢ قبل الهجرة ، وقد توفى فى المدينة سنة ٧٤ هـ .
 عنه انظر : العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة ، ج ١ ، ص ٤٨٣-٤٨٤ .
 (٦) فضالة بن عبيد بن نافذ الأنصارى . صحابى شهد أحدا والخنندق والمشاهد كلها . توفى سنة ٥٣ هـ .
 عنه انظر : العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة ، ج ٣ ، ص ٢٠١ .
 (٧) كعب بن عجرة بن أمية بن عدى شهد عمرة الحديبية ونزلت فيه قصة الفدية . مات بالمدينة سنة احدى وقيل ثنتين وقيل ثلاث وخمسين للهجرة .
 عنه انظر : العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة ، ج ٣ ، ص ٢٨١-٢٨٢ .

ابن سلامة بن وقش ، وتأخر من المهاجرين عبد الله بن سلام^(١) ، وصهيب بن سنان^(٢) وأسماء بن زيد وقدامة بن مظعون^(٣) والمغيرة بن شعبة^(٤) . ثم يتحدث ابن خلدون عن نصائح المقربين من الامام على له بمداواة معاوية وابقائه على ما هو عليه حتى تهدأ الأمور ويتمكن من مقاليد الحكم وبعدها يستطيع فعل ما يشاء ، لكن عليا رضى الله عنه يرفض هذه النصائح من منطلق الجهر بالحق وعدم المداواة فيما يعتقد حرمة فيقول مخاطبا ابن عباس عندما نصحه باقرار معاوية على ولاية الشام : "والله لأعطيه الا السيف"^(٥) .

وقد ذهب مذهب ابن خلدون في مبايعة طلحة والزبير لعلي بن أبي طالب عدد من المؤرخين منهم ابن جرير الطبري الذي أورد عدة روايات تشير الى اجماع المسلمين على مبايعة الامام على^(٦) ، ثم أورد روايات أخرى تشير أنهما بايعا مكرهين فقال : "وقال آخرون انما بايع طلحة والزبير عليا كرها"^(٧) . كما وافقه في رفض اقرار معاوية ولاة عثمان الآخرون على

(١) عبد الله بن سلام بن الحارث الخزرجي ، كان من أحبار اليهود ثم أسلم ، كان من فقهاء الصحابة . توفي في المدينة سنة ٤٣ هـ .

عنه انظر : العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة ، ج ٢ ، ص ٣١٢-٣١٣ .

(٢) صهيب بن سنان بن مالك . صحابي شهد بدرًا وأحدا والمشاهد كلها . كان يعرف بصهيب الرومي . توفي سنة ٣٨ هـ .

عنه انظر : العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة ، ج ٢ ، ص ١٨٨-١٨٩ .

(٣) قدامة بن مظعون بن حبيب . من سادات قريش . مات في المدينة سنة ٣٦ هـ في خلافة علي بن أبي طالب .

عنه انظر : محمد بن حبان البستي : مشاهير علماء الأمصار ، (دار الكتب العلمية) ص ٩٢ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٠٢-٦٠٣ .

(٥) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٠٤ .

(٦) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٤ ، ص ٤٢٧-٤٢٩ ، ٤٣٤ .

(٧) المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٢٩-٤٣٥ .

ولاياتهم ، وأورد مقولة على : "والله لو كان ساعة من نهار لاجتهدت فيها رأيي ، ولاوليت هؤلاء ولامثلهم يولى" (١).

ومن هؤلاء ابن كثير الذى قال عن بيعة على : "وخرج على الى المسجد فصعد المنبر وعليه ازار وعمامة خز ونعلاه فى يده ، يتوكأ على قوسه فبايعه عامة الناس" (٢). لكنه كذلك يورد ماقاله ابن الزبير رضى الله عنه من أنه بايع عليا رضى الله عنه والسياف على عنقه (٣). وهو كذلك يذهب مذهب ابن جرير فى رفض على ابقاء ولاية عثمان حتى يستتب له الأمر (٤). ومن هؤلاء ابن الأثير فى الكامل حيث تحدث عن مبايعة طلحة والزبير رضى الله عنهما فذكر أنها تمت برضاهما (٥)، ثم أورد الرواية الأخرى التى تزعم أنهما بايعا مكرهين (٦)، ثم ذكر رفض الإمام على رضى الله عنه لبقاء ولاية عثمان رضى الله عنه على ماكانوا عليه (٧). ولقد وافق ابن خلدون ابن الأثير فيما ذكره عن موقف المهاجرين والأنصار من بيعة على (٨)، كما وافق كذلك ابن جرير الطبرى وابن كثير حيث ذكرا عدة روايات حول من تخلف عن بيعة على (٩).

أما المسعودى وهو من مؤرخى الشيعة فقد أورد رواية رفض الامام على رضى الله عنه لبقاء عمال عثمان رضى الله عنه خاصة معاوية ، وقال "والله لأأدهن فى ديني ، ولأعطي الرياء فى أمرى" (١٠).

-
- (١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٤ ، ص ٤٣٨-٤٤١ .
 - (٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ٢٢٥ .
 - (٣) المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٢٦ .
 - (٤) المصدر نفسه ، ج ٧ ، ص ٢٢٨ .
 - (٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٠-١٩١ .
 - (٦) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٩٢-١٩٤ .
 - (٧) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٩٧-١٩٨ .
 - (٨) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٩١-١٩٢ .
 - (٩) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٤ ، ص ٤٢٩-٤٣١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ٢٢٦ .
 - (١٠) المسعودى : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٣٥٥-٣٥٦ .

وممن وافقهم ابن خلدون في مبايعة طلحة والزبير رضى الله عنهما وعدم قبول الامام على رضى الله عنه الابقاء على ولاية عثمان بن أعثم الكوفي^(١) في (الفتوح)^(٢)، في حين أن اليعقوبى في تاريخه^(٣) وابن العبرى^(٤) في (مختصر تاريخ الدول) عللا خروج طلحة والزبير برفض على اعطاءهما ولاية البصرة والكوفة^(٥)، أما السيوطى^(٦) في تاريخ الخلفاء فقد ذكر الروايتين المتعلقتين بمبايعة طلحة والزبير^(٧)، بينما أكد صاحب مآثر

-
- (١) أبى محمد أحمد بن أعثم الكوفى مؤرخ ، كتب تاريخا قصصيا عن الخلفاء الأول وغزواتهم ، توفى نحو سنة ٣١٤ هـ .
 عنه انظر : الموسوعة العربية الميسرة ، ج ١ ، ص ٩ .
- (٢) أبى محمد أحمد بن أعثم الكوفى : كتاب الفتوح ، (بيروت ، دار الندوة الجديدة) ج ٢ ، ص ٢٤٣ وما بعدها .
- (٣) أحمد بن اسحاق بن جعفر اليعقوبى ، مؤرخ ، له عدة كتب فى التاريخ ، توفى سنة ٢٨٤ هـ .
 عنه انظر : عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، ج ١ ، ص ١٦١ .
- (٤) غريغوريوس بن هارون الملطى المعروف بابن العبرى ، طبيب ومؤرخ ولد فى ملطيه سنة ٦٢٣ هـ ودرس الطب والعلوم اللاهوتية ، وتوفى فى مراغه من أذربيجان ودفن فى الموصل سنة ٦٨٥ هـ .
- عنه انظر : عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، (بيروت ، نشر مكتبة المثنى ودار احياء التراث العربى) ، ج ٨ ، ص ٣٩-٤٠ .
- (٥) أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح المعروف باليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، (بيروت ، دار صادر) ، ج ٢ ، ص ١٧٩-١٨٠ ؛ غريغوريوس أبى الفرج ابن أهرون المعروف بابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، (لبنان ، دار الرائد اللبنانى : ١٤٠٣ هـ) ، ص ١٨٠-١٨١ .
- مع الاشارة إلى أن هؤلاء لا يعتد برأيهم فى مثل هذه المسألة إذ لا يعقل أن يخرج كبار الصحابة على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه بسبب دنيوى .
- (٦) عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد السيوطى ، ولد فى القاهرة سنة ٨٤٩ هـ وشارك فى عدة أنواع من العلوم . وقد توفى فى القاهرة سنة ٩١١ هـ .
 عنه انظر : عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، ج ٥ ، ص ١٢٨ .
- (٧) الامام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى : تاريخ الخلفاء ، (ط ٤ ، دار مصر للطباعة : ١٣٨٩ هـ) ، ص ١٧٤ .

الانافة أن طلحة كان أول من بايع عليا بالخلافة (١). وكذلك الذهبي (٢) في تاريخ الاسلام الذى أكد مبايعة الجميع ، لكن خروج الثلاثة طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة رضى الله عنهم كان سببه احساسهم بالتقصير فى نصرة عثمان وأن واجبههم المطالبة بدمه (٣).

وكما وافق ابن خلدون بعض المؤرخين فقد خالف بعضهم كذلك وان كان هؤلاء قلة وأحيانا تكون المخالفة فى جزئية واحدة ، فابن خلدون وافق ابن العربى فى مسألة مبايعة طلحة والزبير لكنه نفى الرواية التى أوردها ابن خلدون وهى : اشتراط اقامة الحدود (٤)، وقال : "هذا لا يصح فى شرط البيعة ، وإنما يبايعونه على الحكم بالحق" (٥).

أما ابن سعد (٦) واليعقوبى والسيوطى فقد أجمعوا على أن جميع من كان بالمدينة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم قد بايعوا عليا (٧).

-
- (١) القلقشندي : مآثر الانافة فى معالم الخلافة ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، (بيروت ، عالم الكتب) ، ج ٣ ، ص ٣٤١ .
- (٢) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقى ، محدث مؤرخ . ولد فى دمشق سنة ٦٧٣ هـ وتوفى بدمشق فى شهر ذى القعدة سنة ٧٤٨ هـ . عنه انظر : عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، ج ٨ ، ص ٢٨٩ .
- (٣) الذهبي : تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ج ٣ ، ص ٤٨٣ .
- (٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٠٣ .
- (٥) الامام القاضى أبى بكر بن العربى المالكى : العواصم من القواصم ، تحقيق : العلامة محب الدين الخطيب ، (ط ٢ ، بيروت ، دار الجيل : ١٤٠٧ هـ) ، ص ١٥٠ .
- (٦) محمد بن سعد بن منيع الزهرى . محدث حافظ ولد بالبصرة سنة ١٦٨ هـ ، وتوفى سنة ٢٣٠ هـ . عنه انظر : عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، ج ١٠ ، ص ٢١ .
- (٧) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٣ ، ص ٣١ ؛ اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ١٧٨-١٧٩ ؛ السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ١٧٤ .

أما ابن قتيبة^(١) فيذكر في الامامة والسياسة المنسوب اليه أن عليا سمع نصيحة ابن عباس والمغيرة في اعطاء معاوية ولاية الشام حتى تهدأ الأمور وأنه كتب الى معاوية يقول له : "أما بعد فقد وليتك ما قبلك من الأمر والمال ، فبايع من قبلك ، ثم أقدم إليَّ في ألف رجل من أهل الشام . فلما أتى معاوية كتاب علي دعا بطومار فكتب فيه :

ليس بيني وبين قيس عتاب غير طعن الكلى وضرب الرقاب^(٢)

ومما تجدر الإشارة اليه أن ابن خلدون قد تفرد في تعليقه لتخلف بعض الصحابة عن بيعة علي رضي الله عنه ، ففي الوقت الذي نجد بعض المؤرخين يصرون على أن تخلف هؤلاء الصحابة كان عن المشاركة في القتال مع علي رضي الله عنه وليس تخلفا عن بيعته^(٣). نجد آخرين ينظرون الى هؤلاء المتخلفين على أنهم (عثمانية) ويعللون تخلف بعضهم ، حيث يذكرون أن حسانا كان شاعرا لايبالي مايصنع ، وأن زيد بن ثابت ولاه عثمان رضي الله عنه الديوان وبيت المال ، أما كعب بن مالك فلأن عثمان استعمله على صدقة مزينة وترك له مأخذ منهم^(٤).

أما ابن قتيبة فعند حديثه عن اعتزال عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة عن مشاهدة علي وحروبه يعلل هذا الاعتزال على لسان علي رضي الله عنه وهو يقول لعمار بن ياسر : "دع هؤلاء الرهط ،

(١) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري النحوي اللغوي له مصنفات عديدة . ولد سنة ٢١٣هـ وتوفي سنة ٢٧٦هـ .

عنه انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٣ ، ص ٤٢ .
(٢) أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري : الامامة والسياسة ، تحقيق : طه محمد الزيني ، (بيروت ، دار المعرفة) ، ج ١ ، ص ٤٨-٤٩ .

(٣) أبي حنيفة بن داود الدينوري : الأخبار الطوال ، (بيروت ، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر : ١٩٨٨م) ، ص ١٠٨-١١٠ ؛ ابن العربي : العواصم من القواصم ، ص ١٥٠ .

(٤) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٤ ، ص ٤٢٩-٤٣٠ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩١ .

أما ابن عمر فضعيف ، وأما سعد فحسود ، وذنبى الى محمد بن مسلمة أنى قتلت أخاه يوم خبير : مرحب اليهودى "(١).

لكن ابن خلدون يرى أن تخلف هؤلاء الصحابة إنما هو اجتهاد منهم ، حيث توقفوا عن بيعة على لافتراق الصحابة أهل الحل والعقد بالآفاق ، ولم يحضر الا قليل ولا تكون البيعة الا باتفاق أهل الحل والعقد ، فتخلفوا حتى يجتمع الناس ويتفق أهل الحل والعقد على امام . وأنهم كانوا معذورين فى شأن الاختلاف ولكل منهم عذر فيما وقع ، فكلهم كانوا مهتمين بأمر الدين نظروا واجتهدوا ، ولانظن بهم إلا خيرا (٢).

وقد كانت معركة صفين وماتلاها من حادثة التحكيم من أهم الأحداث التى أدت الى قيام الدولة الأموية ، فهذه الحادثة هى التى مكنت لمعاوية وجعلته يتسلم مقاليد الخلافة ، كما أنها أضعفت جانب الامام على رضى الله عنه وجعلته وأصحابه يقعون فى خلاف شديد انتهى بمقتله رضى الله عنه . وقد أسهب ابن خلدون فى مقدمته وفى تاريخه فى الحديث عن معركة صفين وماتلاها من أحداث شهدتها الساحة الاسلامية ، فهناك رسل متبادلة بين على ومعاوية هدف كل منهما إقناع الآخر بأن صاحبه على حق ، فعلى يؤكد على أحقيته فى الخلافة ، وأن على معاوية أن يبايعه ، ومعاوية يؤكد على أن عثمان قتل مظلوما وأنه كى يبايع يجب على على أن يسلمه قتلة عثمان ليقتلهم به (٣).

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ص ٥٢-٥٣ .

هكذا ورد النص عند ابن قتيبة ، والصحة أن مرحبا ليس أخو محمد وإنما هو قاتل أخيه وقد قتله على بن أبى طالب . انظر كامل القصة فى كتاب المغازى : محمد بن عمر الواقدي : كتاب المغازى ، تحقيق : مارسدن جونس ، (ط ٣ ، بيروت ، عالم الكتب : ١٤٠٤هـ) ، ج ٢ ، ص ٦٥٥-٦٥٦ .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦١٧-٦٢١ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٢٥-٦٢٨ .

كان الامام على يرى أن على معاوية أن يدخل فيما دخل فيه المسلمون من بيعته ثم لاضير بعد ذلك من اجابة طلبه في محاكمة قتلة عثمان وعرضهم على الشريعة الاسلامية . "وقد أكرت في قتلة عثمان فأدخل فيما دخل فيه المسلمون ثم حاكم القوم الى أحملك واياهم على كتاب الله" (١). وهكذا تفشل الرسل وتصبح المعركة أمرا لازما . وبدأت المعركة شرسة ، ورجحت كفة على وأصحابه ، وهنا جاء دور عمرو بن العاص داهية العرب حيث أشار على معاوية برفع المصاحف وطلب جعلها تحكم بين الفريقين ، وكان يدرك أن هذا العمل سيفرق جماعة على أو يرفع عنهم القتال على أقل تقدير . وتحقق ماكان يتوقعه عمرو ، واختلف على رضى الله عنه مع أصحابه فقد عرف أنها خدعة لكنهم أرغموه على قبول التحكيم (٢).

واختار على أبا موسى الأشعري مرغما عليه ، واختار معاوية عمرو ابن العاص ، واجتمع الحكماء ، وحاول عمرو رشوة أبى موسى الأشعري بالولاية في سبيل تثبيت معاوية فقال له أبو موسى : "وأما تعريضك بالولاية فلو خرج لى معاوية عن سلطانه ماوليته وماأرتشى في حكم الله" (٣).

(١) نصر بن مزاحم المنقرى : وقعة صفين . تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، (ط ٣) القاهرة ، مكتبة الخانجي بمصر ، المؤسسة العربية الحديثة للنشر والتوزيع : ١٤٠١هـ ص ٢٩ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٢٥-٦٢٨، ٦٣٢ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٣٣-٦٣٦ .

ثم يؤكد ابن خلدون الرواية التي تذكر أن عمرو بن العاص خدع أبا موسى الأشعري ولم يفعل ما اتفقا عليه من خلع على ومعاوية ، فلما أعلن أبو موسى خلع الاثنين - حسب الاتفاق - قال عمرو : "ان هذا قد خلع صاحبه وقد خلعتته كما خلعه وأثبت معاوية فهو ولي ابن عفان وأحق الناس بمقامه" (١).

وبعد سرد هذه الأحداث يكرر ابن خلدون في أكثر من موقع عدالة الصحابة ، وأنهم مجتهدون فيقول : "فلا يقعن عندك ريب في عدالة أحد منهم ، ولا قدح في شيء من ذلك ، فهم من علمت ، وأقوالهم وأفعالهم إنما هي عن المستندات ، وعدالتهم مفروغ منها عند أهل السنة الا قولاً للمعتزلة فيمن قاتل علياً لم يلتفت إليه أحد من أهل الحق ولا عرج عليه" (٢).

ثم يقول في موضع آخر من المقدمة : "فلكل من هؤلاء عذر فيما وقع وكلهم كانوا مهتمين بأمر الدين ولا يضيعون شيئاً من تعلقاته . ثم نظروا بعد هذا الواقع واجتهدوا . والله مطلع على أحوالهم وعالم بهم . ونحن لانظن بهم الا خيراً لما شهدت به أحوالهم ، ومقالات الصادق فيهم" (٣). وعن صفين والتحكيم تحدثت كتب التاريخ وكان حديثها قريباً الى حد كبير الى ما ذهب اليه ابن خلدون في تاريخه ، لكن تعليقات ابن خلدون كان ينفرد بها دون غيره (٤).

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٣٦ .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦١٨ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٢٠-٦٢١ .

(١) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : أكرم ضياء العمرى ، (ط ٢ ، الرياض ، دار طيبة للنشر والتوزيع : ١٤٠٥هـ) ، ص ١٩١-١٩٦ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ص ٧٤-١١٨ ، الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ١١٩-١٥٣ ، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ١٨٤، ١٨٧-١٩٠ ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٤ ، ص ٥٦١-٥٧١ ، ج ٥ ، ص ٥ وما بعدها ، ابن أعثم : كتاب الفتوح ، ج ٢ ، ص ٣٧٣ وما بعدها ، ج ٣ بأكمله ، ج ٤ ، ص ١-١٣ ، المسعودي : مروج الذهب =

لكن بعض المؤرخين انفردوا كذلك بروايات وآراء خالفت مذهب إليه ابن خلدون ، فابن كثير جعل الحق مع الإمام على رضى الله عنه وجعل حادثة مقتل عمار ابن ياسر دليلا على صحة مذهب إليه فقال : "وبان وظهر بذلك سر ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من أنه تقتله الفئة الباغية وبان بذلك أن عليا محق وأن معاوية باغ ، وما فى ذلك من دلائل النبوة" (١). كما أنه علل لفعلة عمرو بن العاص رضى الله عنه والتمس العذر له فلم يجعله مخادعا وانما مجتهدا فقال : "وكان عمرو بن العاص رأى أن ترك الناس بلا امام والحالة هذه يؤدى الى مفسدة طويلة عريضة أربى مما الناس فيه من الاختلاف ، فأقر معاوية لما رأى ذلك من المصلحة ، والاجتهاد يخطيء ويصيب" (٢).

وقد ذهب العسقلانى كذلك مذهب ابن كثير فقال : "وظهر بمقتل عمار أن الصواب كان مع على واتفق على ذلك أهل السنة بعد اختلاف كان فى القديم ولله الحمد" (٣). وأيدا بذلك ابن العربى فى العواصم الذى قال : "وأما الصواب فيه فمع على ، لأن الطالب للدم لا يصح أن يحكم ، وتهمة الطالب للقاضى لا توجب عليه أن يخرج عليه ، بل يطلب (الحق) عنده ، فإن ظهر له قضاء والإسكت وصبر" (٤).

= ج ٢ ، ص ٣٧٢-٣٩٩ ؛ ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢٧٦ وما بعدها ؛ محمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا : الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، (بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر : ١٤٠٠هـ) ، ص ٨٩-٩٣ ؛ الذهبي : تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ج ٣ ، ص ٥٣٨-٥٥٠ .

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ٢٦٦ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ٢٨٣ .

(٣) ابن حجر العسقلانى : الاصابة فى تمييز الصحابة ، ج ٢ ، ص ٥٠٢ .

(٤) ابن العربى : العواصم من القواصم ، ص ١٦٨ .

أما حادثة التحكيم فقد ذكر ابن العربي كما ذكر غيره أن هذه الحادثة وهمية لاصحة لها على الإطلاق فقال عنها : "هذا كله كذب صراح ، ماجرى منه حرف قط وإنما هو شيء (اخترعه) المبتدعة ، ووضعتة التاريخية للملوك ، فتوارثته أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبدع" (١).

وهكذا نرى أن ابن خلدون حاول أن ينصف الفريقين بحاسته الإسلامية الصافية ، وحسه التاريخي الرقيق غير أنه في حادثة التحكيم ذهب إلى ماذهب إليه غيره دون دقة أو تمحيص ، أو حتى تعليل لهذه الحادثة . ومن الأمور التي انفرد بها ابن خلدون عن غيره من المؤرخين عدم اتهامه لعمر بن العاص رضي الله عنه في دينه عندما ساند معاوية رضي الله عنه في مطالبته بدم عثمان رضي الله عنه ثم تطلعه إلى الخلافة ، فقد ذكر أن عمرا خرج من فلسطين مع ابنه ولحق بمعاوية في الشام "فوجدهم يطلبون دم عثمان ، فقال : أنتم على الحق اطلبوا بدم الخليفة المظلوم . فأعرض معاوية قليلا ثم رجع إليه وشركه في سلطانه" (٢).

أما المؤرخون الآخرون فقد طعنوا بشدة في دين عمرو بن العاص ، وجعلوه يبيع دينه بعرض من الدنيا . فابن قتيبة في كتابه المنسوب إليه يشير بصراحة إلى الصراع الدائر في نفس عمرو بن العاص فهو يعرف أن الآخرة مع علي وأن الدنيا مع معاوية ، وهو حائر في ولائه بينهما لكنه يختار بعد ذلك معاوية مقدما دنياه على أخراه ، ويورد ابن قتيبة الحوار الذي دار بين عمرو بن العاص وبين غلامه وردان حول هذه القضية ، فعندما يلاحظ وردان تردد عمرو وعدم استقراره على شيء وهو يفكر فيما هو مقدم عليه يقول له : "أما أنك إن شئت نبأتك بما في نفسك ، فقال عمرو : هات ياوردان ، فقال : اعتزكت الدنيا والآخرة على قلبك ، فقلت : مع علي الآخرة بلادنيا ، ومع معاوية الدنيا بغير آخرة ، فأنت واقف بينهما . فقال

(١) ابن العربي : العواصم من القواصم ، ص ١٧٩ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٢٥ .

عمرو : ما أخطأت ما في نفسي ، فما ترى ياوردان ؟ فقال : أرى أن تقيم في منزلك ، فان ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم ، وان ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك ، فقال عمرو : الآن حين شهرتني العرب بمسيرى الى معاوية!! (١)

وقد أكد هذا المعنى عدد من المؤرخين (٢) منهم اليعقوبى - المائل للتشيع - الذى أورد عدة روايات تدل على هذا المعنى منها أن معاوية قال لعمرو : "مد يدك فبايعنى! قال : لا ، لعمر الله ، لأعطيك دينى حتى آخذ من دنياك . قال له معاوية : لك مصر طعمة" (٣).

إن هذه الروايات التى تجعل عمرو بن العاص رضى الله عنه يميل إلى الدنيا ويترك الآخرة بوقوفه الى جانب معاوية رضى الله عنه لا يمكن التسليم بها ، فعمرو رضى الله عنه من الصحابة الكرام وهو مجتهد فيما فعل وله أجر اجتهاده ، لاسيما وأن بعض الذين اتهموه بهذه التهمة من مؤرخى الشيعة المعروفين بحقدتهم على الصحابة ومن هنا رأينا أن ابن خلدون كان كثير التأنى عندما يتحدث عن صحابة الرسول الكريم فهو لا يذكرهم الا بخير أو يحاول على أقل تقدير أن يعلل مافعلوه وأنه بحسن نية وعن اجتهاد . وتحدث ابن خلدون عن حادثة مقتل الامام على رضى الله عنه ، وعن المؤامرة التى دبرها ثلاثة من الخوارج لقتل رؤوس الفتنة كما أطلقوا عليهم ، وكيف أن ابن ملجم نجح وحده فى مهمته وأخفق الآخرون (٤). وقد ذكر ابن خلدون أن ابن ملجم بعد أن قبض عليه عرض على الحسن بن على رضى الله عنهما اطلاق سراحه ليقتل معاوية ثم يرجع اليه

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ص ٨٧ .

(٢) الدينورى : الأخبار الطوال ، ص ١٢١-١٢٢، ١٦٩ ؛ ابن أعثم : كتاب الفتوح ، ج ٢

ص ٣٨٧-٣٨٨ ؛ المسعودى : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٣٥٤ ؛ ابن الأثير :

الكامل فى التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢٧٥-٢٧٦ .

(٣) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ١٨٦ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٤٥-٦٤٧ .

بعد هذه المهمة . لكن الحسن رضى الله عنه رفض هذا العرض وقتله بأبيه (١).

أما البرك - وهو الذى ذهب ليقتل معاوية - فقد قعد له فلما خرج لصلاة الفجر ضربه فى إتيته ثم قبض عليه ، وقد علل البرك عدم نجاحه فى قتل معاوية بأن معاوية عليه حرس وأن عليا لا حرس لديه (٢).

والملاحظ أن ابن خلدون لم يسهب كثيرا فى إيراد الروايات المتعددة حول كيفية مقتل الامام على والدوافع المتعددة لذلك - كما أوردها الآخرون - وكيف مثل بابن ملجم وهو حى وكيف حرق وهو ميت . فابن الأثير وابن كثير يذكران الحادثة لكنهما يذكران أن ابن ملجم حرق بعد قتله (٣)، أما الذهبي فيؤكد أن التمثيل بالقاتل تم قبل قتله (٤).

أما الديار بكرى فيورد نفس الرواية غير أنه يضيف اليها جديدا هو أن الامام عليا رضى الله عنه كان يعرف أن ابن ملجم سيقتله لكنه لم يفعل شيئا لأن المعرفة وحدها لا تكفى لاقامة الحد (٥). وهو لا يتحدث عن مصدر معرفة على هذا الخبر ولا من أطلعه عليه ، ومعرفة الامام بالأمور الغيبية لم يقل بها أحد غير الشيعة .

أما الإشارة الى أخذ الحرس - وهى الرواية التى أوردها ابن خلدون على لسان البرك - فقد أشار اليها الدينورى حيث ذكر أن معاوية رضى الله عنه أمر بأخذ المقاصير والحرس فى المسجد وكذلك حراس الليل وهذا بعد محاولة قتله (٦).

-
- (١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٤٧ .
 (٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٤٧ .
 (٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٣ ، ص ٣٩٢ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ٣٣٠، ٣٢٨ .
 (٤) الذهبي : تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ج ٣ ، ص ٦٥٠ .
 (٥) حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى : تاريخ الخميس فى أحوال انفس نفيس ، (بيروت ، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع) ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ .
 (٦) الدينورى : الأخبار الطوال ، ص ١٦٤ .

ولعل الجمع بين رواية ابن خلدون التي ذكر أن اتخاذ الحرس كان قبل المحاولة التي قام بها البرك وبين رواية الدينوري التي يؤكد فيها أن اتخاذ الحرس بكل أشكاله كان بعد محاولة اغتيال معاوية هو أن معاوية اتخذ المقاصير وشدد الحراسة عليه بعد هذه المحاولة مع وجود حارس أو أكثر قبل الحادثة . وممن أيد رأى الدينوري ابن قتيبة في الامامة والسياسة (١).

وقد تحدث ابن خلدون عن بيعة الحسن رضى الله عنه وتسليمه الأمر لمعاوية رضى الله عنه بعد ذلك حقنا للدماء وحرصا على جمع كلمة الأمة الاسلامية ، فالحسن رضى الله عنه اشترط على مبايعيه أن يكونوا سلما لمن سالم وحربا لمن حارب (٢). وعندما رأى الحسن انفلات الأمر من يده ورغبة أصحابه في الصلح كتب الى معاوية يخبره برغبته في مبايعته لقاء اعطائه بعض المطالب . وبلغت صحيفته الى معاوية فأمسكها وكان قد أرسل له صحيفة بيضاء ختم في أسفلها وكتب اليه أن اشترط في هذه الصحيفة ماشئت فهو لك فاشترط فيها أضعاف ما كان في الصحيفة الأولى ، فلما سلم له أعطاه ما في الصحيفة الأولى وقال هو الذى طلبت (٣).

ويوافق ابن خلدون ابن الأثير في مسألة تنازل الحسن لمعاوية عن الخلافة وأنها كانت سنة ٤١هـ / ٦٦١م ، وأن هذه السنة سميت عام الجماعة (٤). بينما يرى آخرون انها كانت سنة ٤٠هـ / ٦٦٠م (٥). وهذا يخالف

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ج ١ ، ص ١٣٩ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٤٨ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٤٨-٦٤٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٤٠٤-٤٠٦ .

(٥) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ٢١٦ ؛ ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٨٧ ؛ ابن طباطبا : الفخرى في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، ص ١٠٣ .

ماأجمع عليه المؤرخون (١).

وقد وافق ابن خلدون غيره من المؤرخين الذين أكدوا أن هدف الحسن رضى الله عنه كان حرصه على حقن دماء المسلمين (٢).

(١) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٠٣ ، الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ١٦٢ ، المسعودى : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٤٢٦ ، أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى : التنبيه والاشراف ، (بيروت ، دار مكتبة الهلال : ١٩٨١م) ، ص ٢٧٦ ، الفقيه الحافظ القرطبى المالكى : الاستيعاب فى أسماء الأصحاب ، (بيروت ، دار الكتاب العربى) ، ج ١ ، ص ٣٧١ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٣ ، ص ٤٠٤ ، ابن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، ج ٢ ، ص ١٤ ، الذهبى : العبر فى خبر من غير ، ج ١ ، ص ٣٤ ، ابراهيم بن محمد ابن ايدمر العلائى المعروف بابن دقماق : الجواهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، (مكة ، مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى بجامعة أم القرى) ، ص ٥٧ ، القلقشندى : مآثر الانافة فى معالم الخلافة ، ج ١ ، ص ١٠٦ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ١٩٢ ، ابن العماد شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج ١ ، ص ٥٢ .

(٢) ابن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، ج ٢ ، ص ١٣-١٤ ، ج ٤ ، ص ٣٨٦-٣٨٧ ، الذهبى : العبر فى خبر من غير ، ج ١ ، ص ٣٤-٣٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ١٤-١٦ ، ابن حجر العسقلانى : الاصابة فى تمييز الصحابة ، ج ١ ، ص ٣٢٩ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٨٥-١٨٦ .

تقويم آراء ابن خلدون فى قيام دولة بنى أمية :

لقد استمدت آراء ابن خلدون التاريخية حول قيام دولة بنى أمية من رافدين أساسيين :

أولهما : نظريته الفلسفية حول قيام الدولة بعامة وهى تلك النظرية التى تتكىء بالدرجة الأولى على نظريته فى العصبية والدولة.

ثانيهما : الفكر التاريخى الاسلامى الذى سبق ابن خلدون أو عاصره واطلع عليه سواء ذلك التراث الذى ذكر ابن خلدون صراحة أنه أفاد منه أو ذلك الذى لم يذكره ، ولكن قرائن كثيرة تؤكد أنه لابد أن يكون قد عرفه وتأثر به ايجاباً أو سلباً .

ومما لاشك فيه أن مرحلة التألق فى الكتابة التاريخية وهى المرحلة التى مثلها خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) ومن ثم الطبرى (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) والمسعودى (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) فى المشرق ، وابن حيان (ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م) ^(١) ، وابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) ^(٢) ، وابن حزم فى الأندلس (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م) ، هذه المرحلة التى تتميز بالاجتهاد فى جمع الأخبار وبالصدق والأمانة وبالعلمية والعمومية ^(٣) كان لها الأثر الأكبر فى الفكر التاريخى لدى ابن خلدون .

لقد كان ابن خلدون واضحاً فيما يتصل بتأثره بالطبرى والمسعودى ، فقد ذكر فى تاريخه العبر غير مرة أن فى تاريخه تلخيصاً لبعض ماكتبه محمد ابن جرير الطبرى ، وفى نهاية تأريخه للدولة الأموية أشار الى أنه لخص آراء

(١) حيان بن خلف بن حسين القرطبي مؤرخ أديب ، ولد سنة ٣٧٧هـ وتوفى سنة ٤٦٩هـ .

عنه انظر : عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، ج ٤ ، ص ٨٨ .

(٢) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي ، كان إماماً فى الحديث والفقه والأنساب ، ولد سنة ٣٦٨هـ وتوفى سنة ٤٦٣هـ .

عنه انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٧ ، ص ٦٦ .

(٣) محمد عابد الجابري : فكر ابن خلدون العصبية والدولة ، ص ١٣٨ بتصرف .

الطبرى فى الدولة الأموية . ولم يقف ابن خلدون عند هذا بل امتدح الطبرى وجعل كتابه أوثق كتب التاريخ التى اعتمد عليها ومن هنا جاء اعتماده عليه^(١).

أما تأثير ابن خلدون بالمسعودى فيتضح إذا ما علمنا أن الأمثلة التاريخية التى ذكرها ابن خلدون فى مقدمته ليبين بها أوهام المؤرخين ومغالطهم قد ناقش فيها المسعودى ، وفند منهجه فى تحليلها ، وكان مانقله المسعودى وكثير من المؤرخين حول عدد جيوش بنى اسرائيل وأن موسى عليه السلام أحصاهم فى التيه بعد أن أجاز من يطيق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستمائة ألف أو يزيدون^(٢). وقد فند ابن خلدون صحة هذا العدد معتمدا على منهجه فى النقد التاريخى ، فلاريب أن يكون ابن خلدون الذى تتبع أمثلة المسعودى وناقشها قد اطلع على تراث المسعودى واتخذ منه موقفا.

أما أبو بكر بن العربى وكتابه "العواصم من القواصم" فهو بلاريب واحد من أبرز المؤثرين فى ابن خلدون والموجهين لأفكاره فى تقويم الحوادث التاريخية وفى الاعتدال فى النظر والميل إلى تبرئة الصحابة وإلى حب على وإنصاف معاوية .

ويعتبر كتاب "العواصم من القواصم" من أوفى المصادر وأقواها فى تحليل الفترة الحرجة التى تعرضت لها الأمة الإسلامية فى عصر انشقاقها وعظمتها ٣٥-٤١هـ / ٦٥٥-٦٦١م ، ومع أن ابن العربى كأكثر المسلمين كان متعاطفا مع على وقد جعل الحق معه لأن الطالب للدم لا يجوز أن يحكم^(٣)، بل ذكر أن معاوية لم يستطع أن يقتل أحدا عندما تولى^(٤)، إلا أن ابن العربى كان منصفا للجميع باحشا عن الحق ، وقد رفض قصة التحكيم وقال

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٥٠ ، ج ٣ ، ص ١٧٨ .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ١ ، ص ٢٩٢ .

(٣) ابن العربى : العواصم من القواصم ، ص ١٦٨ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٧١ .

انها كذب صراح ماجرى منه حرف (١)، مع أن خليفة بن خياط (٢)، والطبرى (٣)، وابن كثير (٤)، وابن أعثم (٥)، وغيرهم (٦)، قالوا بها .
لقد تباينت المصادر قبل ابن خلدون وبعده في عرضها لأحداث الفتنة التي ولدت في معتركها الدولة الأموية ، بيد أن هذا التباين - اذا ما استثنينا المراجع الشيعة - كان محدودا .

وابن خلدون ينتمى الى مدرسة المحايدين وهو مسبق فيها بخليفة بن خياط ، والطبرى ، وابن عبد البر ، وابن حزم ، وأبى بكر بن العربى ، كما أن كثيرين جاءوا بعده حتى العصر الحديث تأثروا بمنهجه القويم فى عرض الأحداث وتحليلها .

وعند النظر الموضوعى لآراء ابن خلدون نجده قد سرد من منظور معتدل ، وفى ضوء منهج شديد الحياد والاعتدال الأحداث التى أدت الى قيام الخلافة الأموية .

وقد استطرد ابن خلدون الى تفاصيل كثيرة تتصل بالأقاليم والولاة الذين كانوا عليها ، وماحدث من صراع على هذه الأقاليم بين على ومعاوية ولاسيما الصراع على حكم مصر .

وقد اتكأ ابن خلدون فى هذه الوقائع كثيرا على ابن جرير الطبرى فى كتابه "تاريخ الرسل والملوك" بل كان يتبع منهجه فى سرد الروايات المختلفة ولكنه زاد عليه قدرته على الترجيح والنقد ، وان كان ذلك لم يحل دون

-
- (١) ابن العربى : العواصم من القواصم ، ص ١٧٩ .
(٢) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ص ١٩١-١٩٢ .
(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٦٧-٧١ .
(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ٢٧٥-٢٧٧ .
(٥) ابن أعثم : كتاب الفتوح ، ج ٤ ، ص ٣١-١ .
(٦) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ج ١ ، ص ١١٣-١١٨ ، الدينورى : الأخبار الطوال ، ص ١٤٨-١٥٤ ، الذهبي : تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ج ٣ ، ص ٥٤٧-٥٥٠ .

وقوعه في بعض الأخطاء منها أنه ضعف حديث "الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا" (١)، ثم عاد فاستشهد به (٢).

ونحن نلاحظ أن ابن خلدون عند حديثه عن مقتل علي يذكر أن ثلاثة من الخوارج تعاهدوا على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص فنجح ابن ملجم في قتل علي ، أما البرك بن عبد الله التميمي الصريمي فقد قعد لمعاوية فلما خرج ضربه في اليته ولكنهم أمسكوا به ، وقد حاول أن يساوم معاوية بابلاغه بشرى مقتل علي أن يعفو عنه ولكن معاوية أمر بقتله ، وقد خير الطبيب معاوية بين الكى أو دواء يقطع النسل فاختر الأخير (٣). ولقد أورد ابن خلدون رواية أخرى عن مقتل البرك ولكنها ضعيفة حيث شكك فيها إذ يقول ان معاوية أمر بقطع البرك فقطع وأقام إلى أيام زياد فقتله بالبصرة .

ولقد كانت هذه الحادثة سببا لكى يتخذ معاوية المقصورة وحرس الليل وقيام الشرط على رأسه اذا سجد .

ولكنه يورد رواية أخرى ويضعفها بأن مروان بن الحكم أول من اتخذ المقصورة سنة ٥٤٤هـ / ٦٦٤م حين طعنه اليماني (٤).

والصحيح حسب ما ذكر ابن الأثير أن مروان أول من عمل المقصورة في المدينة بينما كان معاوية أول من عملها في الشام (٥). فيكون كل منهما

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٥٠ .
وقد ورد الحديث في سنن الترمذى بلفظ "الخلافة بعدى ثلاثون عاما ثم تكون ملكا بعد ذلك" .

عنه انظر : محمد بن عيسى بن سورة الترمذى : الجامع الصحيح المسمى سنن الترمذى ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، (بيروت ، دار الكتب العلمية) ، ج ٤ ، ص ٤٣٦ .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٨١٤ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٤٥-٦٤٧ .

(٤) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٤٧ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٤٤٦ .

الأول ولكن واحداً في الشام والآخر بعده في المدينة ، ولعل ابن خلدون عندما ضعف الرواية يقصد الأول في عملها^(١).

ان ابن خلدون يذكر قصة التحكيم وخديعة عمرو لأبي موسى وأن معاوية حصل على هذا الأمر بالخديعة^(٢)، وكأنها حقيقة مسلمة مع أن حادثة التحكيم كلها أصبحت موضع شك أمام منهج النقد التاريخي الحديث . ونجد ابن خلدون يشكك في بعض الروايات بعد أن يذكرها ثم يذكر ما يراه هو صحيحاً^(٣). كما أننا نجد إشارة إلى اتفاق معاوية وعمرو رضي الله عنهما على الشراكة^(٤) في السلطان فكأن ابن خلدون يؤيد هذا الاتفاق الذي ليس له دليلاً من تطور الأحداث وانفراد بني أمية بالأمر .

وفي موضع آخر نلمح إشارة إلى طمع معاوية بالخلافة قبل مقتل عثمان وأن مطالبته بقتل قتلته كان ستاراً يخفى وراءه رغبته في الخلافة وهو أمر كان يحتاج إلى مزيد تحليل^(٥).

ومع أننا - كما أثبت ابن خلدون - نرى معاوية رضي الله عنه يرفض الحلول التي يقترحها الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإننا نجد كذلك في سرد الأحداث عموماً إنصافاً من ابن خلدون لعلي بن أبي طالب ، إلا أنه مع ذلك برأ معاوية من الكثير من التهم التي ألصقت به ، فهو - كما يتجلى بحق - كان محايداً غير متحيز ، وهذه ملاحظة يجب أن تسجل له في مقام تقويم سرده لقيام دولة بني أمية .

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٤٧ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٣٦-٦٣٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٢٢-٦٢٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٢٥ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٢٧ .

الفصل الثالث

العرض التاريخي للدولة الأموية

فصل واحد ابن خلدون

- * الفرع السفلي .
- * الفرع المرواني .
- * سياسة خلفاء بني أمية ازاء القوى المعارضة لهم .
- * الفتوحات الاسلامية والسياسة الخارجية
- لخلفاء بني أمية .

المبحث الأول
الفرع السفيند

الفرع السفيند

سبق أن استعرضنا مأورده ابن خلدون عن قيام الدولة الأموية ، حيث ذكر خروج معاوية بن أبي سفيان على على رضى الله عنهما والتقاءهما فى صفين ، وماتم من أمر التحكيم الى أن انتهت الأحداث بمقتل على رضى الله عنه ، ومبايعة ابنه الحسن بالخلافة وتنازله عن ذلك لمعاوية بن أبي سفيان حيث تم الأمر له واتفقت الجماعة على بيعته فانفرد بخلافة المسلمين . وقد أثنى ابن خلدون على المقدرة السياسية للحكم التى تفرد بها معاوية بن أبي سفيان حيث يقول : "وأقام فى سلطانه وخلافته عشرين سنة ينفق من بضاعة السياسة التى لم يكن أحد من قومه أوفر فيها منه يدامن أهل الترشيح من ولد فاطمة وبني هاشم وآل الزبير وأمثالهم ويصانع رؤوس العرب وقروم مضر بالاغضاء والاحتمال والصبر على الأذى والمكروه وكانت غايته فى الحلم لاتدرك وعصابته فيها لاتتزع ومرقاته فيها تزل عنها الأقدام" (١).

ان هذه المقدرة السياسية هى التى جعلت معاوية بن أبي سفيان - كما يرى ابن خلدون - يعهد بولاية العهد لابنه يزيد ، حيث ان من طبيعة الملك - كما ذكرنا سابقا - الانفراد بالمجد واستئثار الواحد به ، فلم يكن لمعاوية أن يدفع ذلك عن نفسه وقومه ، فهو أمر طبيعى ساقته العصبية بطبيعتها ، واستشعرته بنو أمية ، ولو أن معاوية حملهم على غير تلك الطريقة وخالفهم لوقع فى افتراق الكلمة التى كان جمعها وتأليفها أهم عليه من أمر ليس وراءه كبير مخالفة ، فعهد معاوية الى يزيد كان خوفا من افتراق الكلمة اذ أن بنى أمية لن يرضوا بتسليم الأمر الى سواهم (٢).

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٥ .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٠٤ .

ان ولاية العهد ليزيد - كما يذكر ابن خلدون في تاريخه نقلا عن الطبرى - كان أساسها مشورة طرحها المغيرة بن شعبة عندما قدم على معاوية فشكا اليه الضعف ، فاستعفاه فأعفاه ، وأراد أن يولى سعيد بن العاص (١) "وقال أصحاب المغيرة للمغيرة : ان معاوية قلاك ، فقال لهم : رويدا ونهض الى يزيد وعرض له بالبيعة . وقال ذهب أعيان الصحابة وكبراء قريش ورادوا أسنانهم ، وانما بقى أبنائهم وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأيا وسياسة ، وما أدري ما يمنع أمير المؤمنين من العهد لك فأدى ذلك يزيد الى أبيه واستدعاه وفاوضه في ذلك . فقال : قد رأيت ما كان من الاختلاف وسفك الدماء بعد عثمان ، وفي يزيد منك خلف ، فاعهد له يكون كهفا للناس بعدك فلا تكون فتنة ولا يسفك دم وأنا أكفيك الكوفة ويكفيك ابن زياد البصرة ، فرد معاوية المغيرة الى الكوفة ، وأمره أن يعمل في بيعة يزيد فقدم الكوفة وذاكر من يرجع اليه من شيعه بنى أميه فأجابوه ، وأوفد منهم جماعة مع ابنه موسى فدعاه الى عقد البيعة ليزيد . فقال : أوقد رضيتموه؟ قالوا : نعم! نحن ومن وراءنا . فقال : ننظر ما قدمتم له ويقضى الله أمره ، والأناة خير من العجلة ثم كتب الى زياد يستنير بفكره" (٢).

ان جواب زياد على كتاب معاوية وما حدث بعد ذلك من أمور ترتب عليها استخلاف يزيد ، والمعارضة التي واجهت معاوية لانجد لها ذكرا في تاريخ ابن خلدون المطبوع ، وحاولنا البحث عنها فيما تحت يدنا من مخطوط ولكن للأسف لم نعثر على غايتنا فيها .

أما ابن الأثير فقد اختلف عن ابن خلدون في تفصيلات الرواية السابقة ، حيث ذكر أن معاوية أراد أن يعزل المغيرة عن الكوفة ويستعمل عوضه سعيد بن العاص ، فلما بلغه ذلك شخص الى معاوية واستعفاه ليظهر

(١) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ، صحابى من الولاة الفاتحين ، توفى وهو وال على المدينة وذلك سنة ٥٣هـ على الأرجح .

عنه انظر : العسقلانى : الاصابة في تمييز الصحابة ، ج ٢ ، ص ٤٥-٤٦ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٩ .

للناس كراهيته للولاية ، ثم عرض على يزيد فكرة ولايته للعهد ، ونسق مع معاوية على أن يكفيه أهل الكوفة ويكفيه زياد أهل البصرة ، فرد معاوية المغيرة الى الكوفة وبعث المغيرة اليه وفدا عليهم ابنه موسى زينوا له بيعة يزيد ودعوه الى عقدها . ولقد سأل معاوية موسى : بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم ؟ فقال : بثلاثين ألفا . وقيل بأربعمائة دينار . فقال معاوية : لقد هان عليهم دينهم . وفي رواية لقد وجد دينهم عندهم رخيصة (١).

ان مذكره ابن الأثير في بداية روايته من أن تفكير معاوية في عزل المغيرة كان دافعا له للمسير الى معاوية وعرض فكرة ولاية العهد على ابنه يزيد قد تكون أقرب الى القبول من رواية الطبري التي أوردها ابن خلدون وذكر فيها أن المغيرة قد ذهب الى معاوية يستعفيه من الولاية ثم يطرح فكرة ولاية العهد ليستعيد ولايته التي طلب هو نفسه من معاوية أن يعفيه منها .

ولقد أغفل ابن خلدون ذكر مارواه ابن الأثير من حديث جرى بين معاوية وموسى بن المغيرة ، ولعل اغفاله هذا يعزز رأيه في أن معاوية ماتحري الاخير هذه الأمة حين أسند ولاية العهد ليزيد .

فقد ذكر في مقدمته أن حقيقة الإمامة "النظر في مصالح الأمة لدينهم ودنياهم ، فهو وليهم والأمين عليهم ينظر لهم ذلك في حياته ، ويتبع ذلك أن ينظر لهم بعد مماته ، ويقيم لهم من يتولى أمورهم ، كما كان يتولاها في حياته ، ويثقون بنظره لهم في ذلك كما وثقوا به فيما قبل . وقد عرف ذلك من الشرع باجماع الأمة على جوازه وانعقاده ، اذ وقع بعهد أبي بكر رضى الله عنه لعمر ، وكذلك عهد عمر في الشورى إلى الستة ليختاروا واحدا منهم خليفة للمسلمين فوق الاختيار على عثمان رضى الله عنه ، والملا من الصحابة لم ينكروا عهد أبي بكر لعمر رضى الله عنهما ولا عهد

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٥٠٣-٥٠٥ .

عمر في الشورى الى الستة لاختيار أحدهم خليفة . فدل على أنهم متفقون على صحة هذا العهد عارفون بمشروعيته والاجماع حجة كما عرف^(١). ويؤكد ابن خلدون أن الامام لايتهم في هذا الأمر ، وان عهد الى أبيه أو ابنه ، "لأنه مأمون على النظر لهم في حياته ، فأولى ألا يحتمل فيها تبعة بعد مماته ، خلافا لمن قال باتهامه في الولد والوالد ، أو لمن خصص التهمة بالولد دون الوالد ، فانه بعيد عن الظنة في ذلك كله ، لاسيما اذا كانت هناك داعية تدعو إليه ، من إيثار مصلحة أو توقع مفسدة فتنتفى الظنة عند ذلك رأسا ، كما وقع في عهد معاوية لابنه يزيد ، وان كان فعل معاوية مع وفاق الناس له حجة في الباب . والذي دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه إنما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس ، واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد حينئذ من بني أمية ، إذ بنو أمية يومئذ لايرضون سواهم ، وهم عصابة قريش وأهل الملة أجمع وأهل الغلب منهم : فآثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولى بها ، وعدل عن الفاضل الى المفضول حرصا على الاتفاق واجتماع الأهواء الذي شأنه أهم عند الشارع ، وان كان لا يظن بمعاوية غير هذا فعدالته وصحبته مانعة من سوى ذلك . وحضور أكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الريب فيه ، فليسوا ممن يأخذهم في الحق هوادة ، وليس معاوية ممن تأخذه العزة في قبول الحق ، فإنهم كلهم أجل من ذلك ، وعدالتهم مانعه منه ، وفرار عبد الله بن عمر من ذلك إنما هو محمول على تورعه من الدخول في شيء من الأمور مباحا كان أو محظورا ، كما هو معروف عنه ولم يبق في المخالفة لهذا العهد الذي اتفق عليه الجمهور إلا ابن الزبير وندور المخالف معروف^(٢).

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦١١-٦١٢ .

(٢) المقدمة ، ج ٢ ، ص ٦١٢-٦١٣ .

ونود أن نشير هنا الى أنه بالرغم من أن معظم المؤرخين قد ذكروا موقف الحسين بن علي وابن عمر وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عباس رضی الله عنهم من ولاية العهد ليزيد ، ومعارضتهم لذلك ، إلا أننا نرى ابن خلدون - كما ذكرنا - يعلل موقف ابن عمر بتورعه من الدخول في شيء من الأمور مباح أو محظور ، ويعزو موقف ابن الزبير رضی الله عنه لمخالفته بنی أمية في أشياء ، ويغفل تعليل موقف الآخرين المعارض من تولية يزيد للعهد ، مما يجعلنا نستنتج أنه مجرد اجتهاد^(١).

ثم نجد ابن خلدون يشير الى موقف معاوية (٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٨٠م) ومن جاء بعده من الخلفاء الذين كانوا يتحرون الحق ويعملون به ممن عرفوا بعدالتهم وحسن رأيهم للمسلمين في ايثار أبنائهم وإخوانهم ، وخروجهم عن سنن الخلفاء الأربعة في ذلك . فهو يرى أن شأنهم غير شأن أولئك الخلفاء ، ففي عهد الخلفاء الذين سبقوا معاوية كان وازع العهد دينيا فقد كانوا يعهدون إلى من يرتضيه الدين فقط ويؤثرونه على غيره ، أما من جاء بعدهم من لدن معاوية فقد كانت العصبية قد أشرفت على غايتها من الملك ، والوازع الديني قد ضعف واحتيج الى الوازع السلطاني والعصبية . فلو عهد إلى غير من ترتضيه العصبية لما تم له الأمر ، ولصارت الجماعة الى الفرقة والاختلاف أقرب . ويستشهد ابن خلدون بموقف علي رضی الله عنه عندما سئل^١ : ما بال المسلمين اختلفوا عليك ، ولم يختلفوا على أبي بكر وعمر فقال : لأن أبا بكر وعمر كانا واليين على مثلي وأنا اليوم وال على مثلك ، وهو يشير الى وازع الدين... اذ لابد من اعتبار ذلك في العهد ، فالعصور تختلف باختلاف ما يحدث فيها من الأمور والقبائل والعصبيات ، وتختلف باختلاف المصالح ، ولكل واحد منها حكم يخصه ، وأما أن يكون القصد بالعهد حفظ التراث على الأبناء فليس من المقاصد الدينية ، إذ هو أمر من

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٣٠٣-٣٠٤ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٥٠٦-٥١١ .

ليزيد إلا أنه لم يذكر عبد الرحمن بن أبي بكر (١).
لقد أورد ابن خلدون الروایتين السابقتين عن الطبرى (٢)، بينما نجد
ابن الأثير ينفى الرواية الأولى ويستشهد على صحة نفيها بأن عبد الرحمن
ابن أبي بكر مات قبل معاوية بن أبي سفيان ، ويؤكد ماذكر فى الرواية
الثانية (٣).

ومن الملاحظ أيضا أن ابن خلدون ذكر خطبة معاوية قبل موته
وأورد خطبته مثلما هى موجودة عند ابن الأثير "قال معاوية رضى الله عنه
"انى كزرع مستحصد وقد طالت إمارتى عليكم حتى مللتكم ومللتمونى ،
وتمنيت فراقكم وتمنيت فراقى ولن يأتىكم بعدى إلا من أنا خير منه ، كما أن
من كان قبلى خير منى . وقد قيل من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه . اللهم
انى قد أحببت لقاءك فاحبب لقاءى وبارك لى " . فلم يمض الا قليل حتى ازداد
به مرضه (٤).

ويتضح لنا من هذه الخطبة ايمان معاوية ومعرفته بفضل من سبقه من
الصحابة ، وحبه للقاء الله وفضله . ولقد كانت وفاته خسارة كبيرة
للمسلمين ويكفى أن ندرك مدى هذه الخسارة حين نعرف أن الصوائف
تعطلت من الشام منذ وفاة معاوية ، وأن باب الفتن انفتح على مصراعيه بعد
وفاته مما كان له أكبر الأثر فى تاريخ الاسلام والمسلمين (٥).

وعلى كل حال فانه بوفاة معاوية رضى الله عنه وتولى يزيد خلافة
المسلمين جرت أحداث كثيرة خلال خلافته التى استمرت ثلاث سنين وستة
أشهر ، وقيل ثمانية أشهر .

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٢٤ .

(٢) الطبرى ، ج ٥ ، ص ٣٢٢-٣٢٣ .

(٣) ابن الأثير ، ج ٤ ، ص ٥-٦ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٢٣ .

وانظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٤ ، ص ٥ .

(٥) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٨٨ .

ومن الملاحظ أن تاريخ ابن خلدون المطبوع لم يرد به ذكر وفاة يزيد ، بينما تاريخه المخطوط ذكر وفاة يزيد وبيعة معاوية ابنه ومهلكه ، وقد وافقت المعلومات الواردة فيه ماأوردته بعض المصادر التاريخية^(١) ، يقول ابن خلدون : "ثم مات يزيد منتصف ربيع الأول سنة أربع وستين وبويع بعده ابنه معاوية فمكث ثلاثة أشهر ثم خطب الناس وقال انى ضعفت عن أمركم وطلبت لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه أبو بكر فلم أجده فطلبت ستة مثل أهل الشورى فلم أجدهم فأنتم أولى بأمركم اختاروا له ودخل منزله فمات ويقال مسموما وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهلك ليومه بالطاعون وقيل ان معاوية بن يزيد أوصى الضحاك بن قيس أن يصلى بالناس حتى يجتمع الناس على امام"^(٢).

وقد أكد ابن خلدون في عرضه التاريخى لعهد معاوية على نجاح معاوية نجاحا متميزا جعل كثيرا من المؤرخين يذهبون الى أنه رجل الدولة المناسب لتحديات مرحلة مابعد الراشدين ، وأوضاع الدولة الاسلامية الجديدة بعد قضائها على نفوذ الفرس والروم .

وكان من أبرز معالم سياسته الداخلية أنه أرضى جميع الطوائف ، عن طريق انزال كل طبقة منزلتها ، وعن طريق تأليف القلوب ، وسخائه المعروف ، كما أنه نجح في سياسته الخارجية فانطلقت الفتوحات الاسلامية من جديد بعد أن توقفت خلال سنوات الفتنة (٣٥-٤١هـ/٦٥٥-٦٦١م) .

وسوف ترد في الفصول القادمة باذن الله نماذج دالة على سياسة معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه الداخلية والخارجية ، من خلال حديثنا عن سياسة بنى أمية ازاء القوى المعارضة لهم ، والفتوحات الاسلامية ، والتطور الحضارى للدولة الأموية عند ابن خلدون .

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٤٩٩، ٥٠٣، ٥٣٠-٥٣١ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٤ ، ص ١٢٥، ١٣٠ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مخطوطة ، ج ٣ ، ق ٢٣ .

ولم نشأ تقديم سرد تاريخي تقليدي لأعمال معاوية أو لأعمال غيره من الخلفاء في العصرين السفياني والمرواني ، حتى لا يقع تكرار ، وآثرنا معالجة حياتهم وأعمالهم في إطار المنهج الذي ذكرناه والقائم على رصد أعمالهم جميعا ضمن منهجية موضوعية ، لامنهجية ذاتية خاصة بكل خليفة تشبه أن تكون كتابة غير تحليلية ولانقدية .

المبحث الثاني

الفرع المرواني

الفرع المرواني

كانت وفاة يزيد بن معاوية (٦٠-٦٦٤هـ/٦٨٠-٦٨٣م) حدثاً يوشك أن يؤدي إلى انتهاء خلافة بني سفيان ، إذ أن ابنه معاوية (٦٤هـ/٦٨٣م) لم يلبث إلا قليلاً ثم اعتزل الخلافة وتوفي بعدها دون أن يعين خليفة من بعده وقد مثل هذا العمل منعطفاً خطيراً في مسار دولة بني أمية التي ظلت ما يقرب من خمسة أشهر أو يزيد تعاني من فترة عصيبة تعتبر من أخرج الفترات التي مرت بها ، إذ أصبح مكان الخلافة شاغراً في الشام ، في الوقت الذي أعلن ابن الزبير رضي الله عنه نفسه خليفة للمسلمين في مكة ، وبايعته معظم الأمصار الإسلامية ، وكاد الأمر أن يخرج من بني أمية ويكفي دلالة على ذلك أن مروان بن الحكم نفسه كان ينوي التوجه إلى مكة لمبايعة ابن الزبير بالخلافة . ولكن كانت رغبة بعض أنصار بني أمية في بقاء هذا الأمر فيهم ، بالإضافة إلى عوامل أخرى ، دافعا لهم لتوحيد صفوفهم ، واجتماعهم بالجابية^(١) ، ثم اتفقهم بعد التشاور على البيعة لمروان بن الحكم (٦٤-٦٥هـ/٦٨٤-٦٨٥م) ، ثم خالد بن يزيد ، ثم لعمر بن سعيد بن العاص ، ثم انتهى الأمر بمبايعة مروان بن الحكم أول ذي القعدة سنة ٦٤هـ/٦٨٣م . وهكذا كان إعلان مروان بن الحكم خليفة للمسلمين البداية الحقيقية لخلافة بني مروان التي انطلقت من مؤتمر الجابية . وبعد هذه البيعة اتجه مروان إلى مرج راهط^(٢) ، حيث التقى مع الضحاك بن قيس وأعوانه من مؤيدي ابن

(١) قرية من أعمال دمشق من ناحية الجولان قرب مرج الصفر في شمالي حوران وبالقرب منها تل يسمى تل الجابية ومعناها في اللغة الحوض الذي يجيء فيه الماء للأبل .

عنها انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٩١ .

(١) موضع في الغوطة من دمشق في شرقيه بعد مرج عذراء وراهط اسم رجل من قضاة ويقال له مرج راهط ، كانت به وقعة مشهورة بين قيس وتغلب .
عنه انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢١ .

الزبير واقتتلوا قتالا شديدا ، وقد دعم موقف مروان استيلاء أعوانه على دمشق ، واخراج عامل الضحاك منها ، والاستيلاء على الخزائن ، وبيت المال وامداد مروان بالأموال والرجال والسلاح ، فكان هذا أول نصر يحققه الأمويون . واستمر القتال عشرين ليلة وانتهى بهزيمة الضحاك ومقتله مع جماعة كبيرة من أشرف أهل الشام من القيسيين . وكانت الواقعة آخر سنة ٦٨٣/هـ ، وقيل في المحرم من سنة ٦٨٤/هـ . وبعد أن استوثق الأمر لمروان في الشام ، وترضية للفرع السفلي وللشاميين تزوج بأُم خالد بن يزيد ، ولقد اتفقت روايات الطبري وابن الأثير وابن خلدون فيما جرى من أحداث في الجابية ، ومرج راهط^(١) ، وعلى أن عبيد الله بن زياد^(٢) جاء الى بني أمية في تدمر^(٣) بعد أن طردهم ابن الزبير من مكة والمدينة ، ومروان عازم على المضي الى مكة لكي يبائع ابن الزبير فثناه عن ذلك ، وأشار عليه أن يسير بأهل تدمر الى الضحاك فيقاتله فوافق على ذلك وجمع بني أمية فبايعوه وبايعه أهل تدمر وسار الى الضحاك في جمع عظيم حتى هزمه وقتله^(٤) .

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٥٣٠-٥٣٧ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ١٤٥-١٤٨ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مخطوطة ، ج ٣ ق ٢٥ .

(٢) عبيد الله بن زياد بن أبيه وال فاتح ، جبار ، خطيب ولد بالبصرة سنة ٢٨ هـ ، ولاه معاوية خراسان سنة ٥٣ هـ ففتح عدة مدن ثم نقله معاوية الى البصرة أميرا عليها سنة ٥٥ هـ وكانت الفاجعة بمقتل الحسين رضي الله عنه في أيامه وعلى يده وكان مقتله سنة ٦٧ هـ على يد ابراهيم بن الأشتر ثارا للحسين رضي الله عنه . الزركلي : الأعلام ، ج ٤ ، ص ١٩٣ .

(٣) مدينة في الشام بينها وبين حلب خمسة أيام ، وتعتبر من الأعاجيب في بنائها ، فتحها المسلمون صلحا على يد خالد بن الوليد .

عنها انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٨ .

(٤) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٥٣٠-٥٤١ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ١٤٥-١٥١ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مخطوطة ، ج ٣ ، ق ٢٥ .

ونود هنا أن نقف قليلا لكي نشير الى بعض النتائج التي استقينها مما سبق ، منها :

* أن إخراج بني أمية من الحجاز من قبل ابن الزبير والحاقهم بالشام كان خطوة تدل على العجز السياسى والتسرع والبت في الأمور دون روية ، اذ أن إخراج بني أمية من الحجاز أدى إلى تجمعهم بالشام ، ولم شملهم ، وتكاتفهم ، وتشاورهم فيما بينهم ، حتى اتفقوا على بيعه مروان ، وربما لو أن بني أمية ظلوا متفرقين ، فكان منهم جماعة في المدينة وعلى رأسهم مروان بن الحكم وأخرى في الشام وعلى رأسهم خالد بن يزيد لما استطاعوا الاتحاد والاتفاق على اختيار واحد منهم ولكان الأمر بيد الحجازيين ، اذ كان بوسعهم أن يحولوا دون هذا الاتحاد .

* وهناك أيضا نقطة تحسب لمروان بن الحكم في هذا السياق وهى زواجه من أم خالد بن يزيد ، فلقد كانت لفته ذكية منه سهلت له الأمور ووطنت له النفوس فخالد بن يزيد شاب صغير ، أخواله يمثلون قوة لا يستهان بها في الشام ، وهو المرشح للخلافة ، لذا فان زواج مروان من أم خالد بن يزيد يجعل هذا الشاب في حجره ، كما ذكر الطبرى في تاريخه^(١) ، ويكون هو بمنزلة أبيه ، فيكسب قبولا عند من يرى أحقية خالد بن يزيد .

* كما أن انتصار مروان بن الحكم في موقعة (مرج راهط) يشكل مرحلة هامة جدا في اثبات الوجود الأموى واستمراره في تولى خلافة المسلمين . فلو أن موقعة مرج راهط انتهت بهزيمة مروان أو مقتله لكان لهذا أثر في تغيير مجريات الأحداث - على مانعتقد - اذ يكفى أن يخوض مروان هذه المعركة وليس معه الا بعض القبائل اليمانية بينما كان عدد كبير من القيسيين مع الضحاك بن قيس وهو أمير دمشق الذى كان يمثل

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٥٤١ .

الحجازيين حيث كان معه أهل قنسرين^(١) وفلسطين وحمص^(٢)، فأقاليم الشام الكبرى ، دمشق وفلسطين وحمص وقنسرين معه ، بينما لا يقف مع مروان إلا قومه وبعض القبائل اليمنية من جند الأردن .

فهل كان لسقوط دمشق في أيدي أعوان مروان أثر في الهزيمة؟ أو أن غياب ابن الزبير عن أنصاره ومؤيديه في بلاد الشام كان سببا في هذه النتيجة التي تمخضت عنها هذه المعركة الحاسمة؟!

ثم لماذا لم يرسل ابن الزبير لهؤلاء من يشد أزهرهم من أتباعه في الحجاز أو مصر أو غيرها من الأقاليم التي بايعته؟

ان هذا مع ما ذكرناه سابقا من اخراجه لبني أمية من الحجاز ، يدل على عدم وعى ابن الزبير بأبعاد الصراع وافتقاده لاستراتيجية واضحة له ، فاذا ما أضفنا اليه هذا الحوار الذي دار بين ابن الزبير والحصين بن غنم^(٣) قائد يزيد بن معاوية بعد أن علم بموت يزيد تأكد لنا هذا الذي نقوله ، فقد "بعث الى ابن الزبير وواعده الأبطح"^(٤) ليلا فالتقيا فقال له الحصين هلم

نبايعك فأنت أحق وهذا الجند الذي معي هم وجوه أهل الشام وفرسانهم وأخرج معنا فلا يختلف عليك اثنان على أن تؤمن الناس وتهدر لهم

(١) مدينة فتحها أبو عبيدة بن الجراح سنة ١٧هـ ، وهي في الشام قريبة من حمص .

عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣-٤ .

(٢) بلد مشهور في الشام بين دمشق وحلب ، يقال بناه رجل يقال له حمص بن مكنف العمليقي ، فتحها المسلمون بقيادة خالد بن الوليد ومات فيها .

عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ .

(٣) الحصين بن غنم بن نائل ، أبو عبد الرحمن الكندي ثم السكوني قائد من قواد بني أمية من أهل حمص من القساة الأشداء ومن المقدمين في العصر الأموي ، هو الذي حاصر عبد الله بن الزبير بمكة ورمى الكعبة بالمنجنيق ، قتل سنة ٦٧هـ على مقربة من الموصل .

الزركلي : الأعلام ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ .

(٤) الأبطح أثر المسيل ضيقا كان أو واسعا والأبطح يضاف إلى مكة وإلى منى ، لأن المسافة بينه وبينهما واحدة ، وربما كان إلى منى أقرب .

عنه انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٧٤ .

مأصابوا من الدماء فأبى من اهدارها وكان الحصين يكلمه سرا وهو يجهر ويقول والله لأفعل فقال الحصين قبح الله من يعدك بعد هذا داهية ، ثم ارتحل الى المدينة وراجع ابن الزبير رأيته فأرسل اليه لآسير الى الشام ولكن بايعوا لي هناك وانا مؤمنكم فقال الحصين لا يتم الا بحضورك فهناك بنو أمية يطلبون الأمر" (١).

هذا الحوار مع ماذكرنا سابقا يؤكد ماسبق أن أشرنا اليه من أن الأمور قد تعقدت ، ولم يعد يصلح لها من كان على شاكلة ابن الزبير رضى الله عنه ، وانما يصلح للأمر من كان مثل معاوية ومروان رضى الله عنهما وغيرهم ممن يحسنون القيادة ويتقنون فنون السياسة ، واصطناع الناس ، والعفو عنهم في سبيل جمع الكلمة ، وتجنيب المسلمين ويلات الفرقة والانقسام (٢).

وهكذا استطاع مروان (٦٤-٦٥هـ/٦٨٤-٦٨٥م) خلال فترة حكمه القصيرة التي لاتزيد عن تسعة أشهر أن يسيطر على الأمور ، وأن يوطنها لخلفه من بعده حيث أبعد خالد ابن يزيد وعمرو بن سعيد عن ولاية العهد وجعلها لابنيه من بعده عبد الملك ثم عبد العزيز .

وبعد وفاة مروان بايع الناس عبد الملك الذى يقول عنه ابن خلدون فى مقدمته : "أعظم الناس عدالة ، وناهيك بعدالته احتجاج مالك بفعله وعدول ابن عباس وابن عمر الى بيعته عن ابن الزبير وهم معه بالحجاز" (٣).

وان الذى ينظر الى وصيتى عبد الملك بن مروان لأخيه عبد العزيز ولأبنائه يشعر أنه أمام رجل أوتى حظا كبيرا من العلم والحنكة السياسية والقدرة الفائقة على إدارة أمور الدولة .

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مخطوطة ، ج ٣ ، ق ٢٣ .

(٢) انظر المبحث الثانى من الفصل الثانى ، ص .

(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٢٣ .

وعندما يركز عبد الملك على القضايا الأخلاقية في وصيته لأخيه عبد العزيز فانه يدرك أن هذه القضايا هي التي تحبب الراعى الى الرعية ، وهي كذلك أقرب الى سياسة الملك لأنها تجمع بين سياسة الدنيا وتعاليم الدين . ولا يغفل عبد الملك في هذه الوصية الحث على مبدأ الشورى وعلى أن يتولى الحاكم بنفسه قضاء مصالح الناس بعيدا عن تحكم الحاشية المقربين (١) . وتبرز ملاح شخصية عبد الملك مرة أخرى وهو يتحدث لأبنائه في آخر أيامه في الدنيا وهو يقترب من الدار الآخرة ، لقد كان وفيا لمن أخلص له كالحجاج ، بارا بأخيه مسلمة ، متسامحا الى أبعد الحدود مع أعدائه حازما في معاركه وفي بناء دولته (٢) .

لم يكن ابن خلدون وحده هو الذى امتدح عبد الملك بن مروان فقد سبقه ابن الأثير لذلك ، غير أن ابن خلدون كان أكثر اعتدالا من غيره ، كما كان واضحا في طرحه لأفكاره ومعتقداته . فابن الأثير يذكر أن عبد الملك كان "عاقلا حازما أديبا لبيبا عالما" (٣) .

كما يورد رواية الشعبي (٤) عن عبد الملك اذ يقول : "ماذا كرت أحدا الا وجدت لى الفضل عليه الا عبد الملك ، فاني ماذا كرت حديثا الا زادني فيه ولا شعرا الا زادني فيه" (٥) .

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٧٣ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٧٣-٧٤ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٥٢٠ .

(٤) عامر بن شراحيل بن عبد ذى كبار ، الشعبي الحميري ، راوية من التابعين ، يضرب المثل بحفظه ولد سنة ١٩٩هـ بالكوفة ومات بها سنة ١٠٣هـ ، اتصل بعبد الملك بن مروان وهو من رجال الحديث الثقات ، استقضاه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه .

الزركلى : الأعلام ، ج ٣ ، ص ٢٥١ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٥٢٠ .

ونراه بعد هذا الاطراء يعود فيورد رواية سعيد بن بشير^(١): "ان عبد الملك حين ثقل جعل يلوم نفسه ويضرب يده على رأسه ، وقال : وددت أنى كنت أكتسب يوما بيوم مايقوتنى وأشتغل بطاعة الله"^(٢).

ولا يكتفى بهذه الرواية التى تحتل التأويل بل يؤكد الجانب السىء فيها فيقول : "ويحق لعبد الملك أن يحذر هذا الحذر ويخاف ، فان من يكن الحجاج بعض سيئاته يعلم على أى شىء يقدم عليه"^(٣).

ويصفه كذلك بأنه كان أول من غدر فى الاسلام وأول خليفة بخل وأول من نهى عن الأمر بالمعروف^(٤).

وهذه الصفات نستبعد الصاقها بعبد الملك فكيف يكون أديبا وعالما وحازما ومن فقهاء المدينة الأربعة ثم يقال فيه كل هذا . بل ان عبد الملك نفسه نفى تهمة البخل عنه برواية أوردها ابن الأثير فقال : قال عبد الملك : "ما أعلم أحدا أقوى على هذا الأمر منى ، ان ابن الزبير لطويل الصلاة ، كثير الصيام ، ولكن لبخله لا يصلح أن يكون سائسا"^(٥).

فمادام هو يصلح للسياسة - على حد قوله - فهو ليس ببخل كمنافسه ابن الزبير الذى أثبت له بعض الصفات الطيبة .

ويمضى ابن خلدون متمسكا بمنهجه المعتدل فى الحكم على خلفاء بنى أمية فعندما يتحدث عن الوليد بن عبد الملك (٨٦-٨٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م) يقول عنه : "كان من أفضل خلفاء بنى أمية وبني المساجد الثلاثة : مسجد المدينة ، ومسجد القدس ، ومسجد دمشق"^(٦).

(١) سعيد بن بشير الأزدي ، بالولاء ، أبو عبد الرحمن من رجال الحديث . تعلم فى البصرة ، وهو دمشقى المولد والوفاة ، له تصانيف منها كتاب فى التفسير ، ولد سنة ٨٩٨هـ وتوفى سنة ١٦٨هـ .

الزركلى : الأعلام ، ج ٣ ، ص ٩٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٤ ، ص ٥٢١ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٢١ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٥٢٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٥٢٠ .

(٦) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٨٦ .

ويصفه بالتواضع وبالمحافظة على تلاوة القرآن في رمضان وغيره (١).
وعندما نتصفح ما كتبه الطبرى وابن الأثير عن الوليد نجد أن الثانى
أخذ عن الأول وكان منهجهما فى الحكم عليه مضطربا . فالوليد كما يذكر
الطبرى وابن الأثير أمر بتوسعة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وبني
مسجد دمشق وأمر بحفر الآبار فى المدينة (٢).

وهو كذلك لم يغضب من سعيد بن المسيب (٣) عندما لم يقف له بمسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم وعامله بخشونة بل أثنى عليه وبادره بالسلام (٤)
مما يدل دلالة واضحة على احترام خلفاء بنى أمية للعلماء العاملين . كما أنه
كذلك كان - كما يقول ابن الأثير - يختم القرآن كل ثلاث وكان يقرأ فى
رمضان كل يوم ختمة (٥). وان كنا نستبعد هذا مع مشاغل الحكم!!

ومع هذا الاطراء الواضح للوليد نجد الطبرى وابن الأثير يقولان عن
الوليد انه "كان جبارا عنيدا" (٦). ويصر كل منهما على أن الوليد كان من
أفضل خلفاء بنى أمية عند أهل الشام وحدهم (٧). وكأنه من هذا التخصيص
لم يكن فاضلا عند سائر أقطار الخلافة ، وكأن أهل الشام كانت لهم معاملة

-
- (١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٨٦ .
(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٤٣٥، ٤٣٧، ٤٩٦ ، ابن الأثير : الكامل
فى التاريخ ، ج ٤ ، ص ٥٣٢، ٥٣٣ ، ج ٥ ، ص ٩ .
(٣) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبى وهب المخزومى القرشى سيد التابعين وأحد
الفقهاء السبعة فى المدينة . توفى سنة ٩١ هـ .
عنه انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٢ ،
ص ٣٧٥-٣٧٨ .
(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٤٦٥-٤٦٦ ، ابن الأثير : الكامل فى
التاريخ ، ج ٤ ، ص ٥٥٤-٥٥٥ .
(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٥ ، ص ١١ .
(٦) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٤٢٣ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ
ج ٤ ، ص ٥٢٣ .
(٧) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٤٩٦ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ
ج ٥ ، ص ٩ .

خاصة ليست لغيرهم ، وهذا مالم يثبت ، فاصلاحات الوليد العامة كالطرق وحفر الآبار والمحافظة على هيئة الدولة الاسلامية كانت لكل المسلمين فى كل أقطارهم .

ومرة أخرى نجد أن ابن خلدون كان بعيد النظر معتدل المنهج متميزا عن غيره من المؤرخين .

ويمضى ابن خلدون فى عرضه للدولة الأموية فلانجد عنده تميزاً أو تفردا عن غيره من المؤرخين حتى يصل الى الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧٢٠م) فيوفيه حقه من الثناء بما هو أهل له ، ويورد وصيته ليزيد بن عبد الملك التى تدل على زهده وتمسكه بالآخرة ومعرفته بتفاهة الخلافة رغم بهرجها الزائف (١).

ولاينفرد ابن خلدون بشيء عن غيره من المؤرخين حيث أجمع هؤلاء على عدالة عمر بن عبد العزيز وأوردوا روايات عدة كلها تدور فى هذا الفلك (٢).

ويواصل ابن خلدون عرضه لخلفاء بنى أمية حتى يصل الى الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٣-٧٤٤م) ، فنجده يوافق غيره من المؤرخين فى نسبة بعض التهم اليه كشرب الخمر والمجون (٣).

غير أنه أغفل الرواية التى اتفق فيها الطبرى وابن الأثير وهى استخفاف الوليد بالدين وتهاونه فيه (٤). وفى هذا دلالة على عدم اعترافه بها.

-
- (١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٩٦ .
 (٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٥٦٦-٥٧٣ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٥ ، ص ٦٠، ٦٦ .
 (٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ ، ص ٢٠٩ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج ٥ ، ص ٢٦٤ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٢٩ .
 (٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ ، ص ٢٠٩ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج ٥ ، ص ٢٦٤ .

ولقد أورد المؤرخون الثلاثة : الطبرى وابن الأثير وابن خلدون عدة روايات تتجه الى تبرئة الوليد من بعض التهم التى نسبت اليه وان اختلفت روايات كل مؤرخ فى دقة اثبات براءته بشكل أو بآخر .

فالمؤرخون الثلاثة أوردوا رواية محاصرة ابن عنبسة لقصر الوليد ، وأشاروا الى المحاورة التى تمت بين الخليفة وبينه وان الوليد قال : "أما فيكم رجل شريف له حسب وحياء أكلمه؟ قال يزيد بن عنبسة السكسكى كلمنى . قال : ياأخا السكاسك ، ألم أزد فى أعطياتكم؟ ألم أرفع المؤن عنكم؟ ألم أعط فقراءكم؟ ألم أخدم زمناكم؟ فقال : انا ماننقم عليك فى أنفسنا انما ننقم عليك فى انتهاك ما حرم الله وشرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أهلك واستخفافك بأمر الله! قال : حسبك ياأخا السكاسك ، فلعمري لقد أكثرت وأغرقت ، وان فيما أحل الله سعة عما ذكرت . ورجع الى الدار وجلس وأخذ مصحفا فنشره يقرأ فيه وقال : يوم كيوم عثمان" (١).

كما أن ابن خلدون اتفق مع ابن الأثير فى ايراد رواية ابن علانة الفقيه والتى برأ فيها الوليد أمام الخليفة المهدي عندما وصفه بالزندقة ، فقال ابن علانة : "ياأمير المؤمنين ان الله عز وجل أعدل من أن يولى خلافة النبوة وأمر الأمة زنديقا ، لقد أخبرنى عنه من كان يشهده فى ملاعبه وشربه ويراه فى طهارته وصلاته فكان اذا حضرت الصلاة يطرح الثياب التى عليه المصبية المصبغة . ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ويؤتى بثياب بيض نظيفة فيلبسها ويشغل بربه . أترى هذا فعل من لا يؤمن بالله؟ فقال المهدي : بارك الله عليك ياابن علانة (٢) وانما كان الرجل محسوداً فى خلاله ومزاحماً بكبار عشيرة بيته من بنى عمومته مع لهو كان يصاحبه ، أوجد لهم به السبيل على نفسه" (٣).

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٥ ، ص ٢٨٧-٢٨٨ . وانظر كذلك : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ ، ص ٢٤٦ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ص ١٣٤ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٣٢ .
وانظر كذلك : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٥ ، ص ٢٩١ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٣٢ .

اننا ونحن نستعرض هذه الروايات التي قيلت في الوليد نجد أن المؤرخين الثلاثة تفاوتوا في الحكم على الوليد ، فالطبرى أورد بعض الروايات التي ترجح تبرئة الوليد . لكن ابن الأثير كان أكثر جرأة في نفي التهم عن الوليد فقال "وقد نزه قوم الوليد مما قيل فيه وأنكروه ونفوه عنه وقالوا : إنه قيل عنه وألصق به وليس بصحيح" (١).

أما ابن خلدون فقد تميز عن هؤلاء بأنه حلل بدقة أسباب هذه التهم وردّها من خلال هذا التحليل المنطقي مما يوحى بأنه يريد اقناع القارىء برأيه وحمله على تصديق ما ذكره ، فبدأ أولاً بقوله : "وكثير من الناس نفوا ذلك عنه وقالوا : انها من شناعات الأعداء ألصقوها به" (٢). وهذا الحكم يشبه الى حد كبير الحكم الذى انتهى اليه ابن الأثير كما ذكرنا آنفا ، ثم أشار الى خلافه مع أبناء عمومته وأنه حبسهم فلفقوا له بعض التهم ، كما أن لهوه الثابت عليه كان مدخلا واسعا لأعدائه ولجوا عليه منه وأكثروا القول فيه (٣).

ولاننسى ونحن نذكر دقة ابن خلدون في تحليله لما نسب للوليد أن نشير الى أن اغفاله رواية تهاون الوليد بالدين توحى بأنه لم يكن مقتنعا بهذه الرواية وهذا صحيح ، وهو يتفق مع توجهه العام ونظرته للوليد نظرة محايدة . وان التحليل الذى ذهب اليه ابن خلدون حول شخصية الوليد بن يزيد تحليل يقوم على الوسطية والاعتدال في الحكم على الخليفة الوليد ، وهى من وجهة نظرى الأقرب الى الصحة والى الواقع التاريخى والى تحكيم العقل والمنطق كذلك .

وبعد مقتل الوليد يتولى الخلافة يزيد بن الوليد (١٢٦هـ/٧٤٤م) الذى يستمر في الخلافة خمسة أشهر ، ثم يتولاها بعده أخوه ابراهيم (١٢٦هـ/٧٤٤م)

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ٢٩٠-٢٩١ .
 (٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٣٢ .
 (٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٣٢، ١٣٣ .

غير أنه يواجه برفض الناس له وقيامهم عليه ، فيتولى هذا الأمر مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٥-٧٥٠م) آخر خلفاء بني أمية .

لقد استعرض ابن خلدون هذه الأحداث كغيره من المؤرخين ، ولم نجد له موقفا يميزه عن سواه ، غير أنه وقف قليلا عند اللقب الذى ذكره المؤرخون ونسبوه الى مروان بن محمد وهو "الجعدى" نسبة الى الجعد بن درهم^(١) الذى يقول بخلق القرآن^(٢). فأكد أن هذا اللقب من صنع أعدائه، وليس من صميم اعتقاده فقال : "وكان مروان يلقب بالحمار لحرنه فى مواطن الحرب . وكان أعداؤه يلقبونه الجعدى نسبة الى الجعد بن درهم كان يقول بخلق القرآن ويتزندق"^(٣).

ولقد أغفل المؤرخون الآخرون هذه الإشارة ، وهى أن أعداء مروان هم الذين نسبوا اليه تهمة الزندقة والقول بخلق القرآن فجعلوه على مذهب الجعد بن درهم ، قال عنه ابن كثير : "وكان يقال له مروان الجعدى ، نسبة الى رأى الجعد بن درهم ، وتلقب بالحمار"^(٤).

(١) الجعد بن درهم من كبار الجهمية وكان زنديقا وقد مات مقتولا .
عنه انظر : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي : سير أعلام النبلاء تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون ، (ط ٢ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة : ١٤٠٢هـ) ، ج ٥ ، ص ٤٣٣ .

(٢) أول من نادى بخلق القرآن المعتزلة وكان زعيمهم واصل بن عطاء الذى توفى سنة ١٣١هـ وذلك فى بداية الدولة العباسية ثم تبنى هذه الدعوة عدد من الخلفاء العباسيين كان منهم المأمون الذى حاول اجبار الجميع على اعلان القول بخلق القرآن . وقد امتحن الامام أحمد بن حنبل بهذه المحنة ولكن الله ثبته على الحق وكانت هذه الوقفة سبب فى عودة الناس عن القول بخلق القرآن .
عبد الحليم الجندى : أحمد بن حنبل امام أهل السنة ، (دار المعارف ، مصر) ، ص ٣٥٤-٣٥٦ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٦٥ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٤٦ .

أما ابن الأثير فقال : "وكان مروان يلقب بالحمار والجعدى لأنه تعلم من الجعد بن درهم مذهبه في القول بخلق القرآن والقدر وغير ذلك" (١).
أما الطبرى فلم يذكر شيئاً عن انتساب مروان الى الجعد بن درهم في مذهبه الباطل واكتفى بإيراد رواية تصفه بالحمار (٢).

لقد كان ابن خلدون منصفاً أكثر من غيره ، متحريراً لأوجه الحق ، غير ميال الى اطلاق التهم دون أدلة تؤكدها ، والأصل في المسلم البراءة حتى يثبت العكس بالدليل . لقد كان حديث ابن خلدون عن خلفاء بنى مروان حديثاً معتدلاً حاول فيه إبراز الحقيقة دون تحيز ، وكان مذهبه في ذلك مذهب أهل الفقه الذين يجعلون الإنسان المسلم بريئاً كل البراءة حتى يثبت بالدليل القاطع ادانته .

فمروان بن الحكم وابنه كانوا ملوكاً ، غير أن مذهبهم في الملك كان تحرى الحق ، وكانت أفعالهم التى يظن البعض أنها تخالف هذا التوجه بدافع الحرص على مصلحة المسلمين وجمع شملهم ، يقول ابن خلدون : "وكذلك كان مروان بن الحكم وابنه وان كانوا ملوكاً فلم يكن مذهبهم في الملك مذهب أهل البطالة والبغى ، انما كانوا متحررين لمقاصد الحق جهدهم إلا في ضرورة تحملهم على بعضها مثل خشية افتراق الكلمة الذى هو أهم لديهم من كل مقصد . يشهد لذلك ماكانوا عليه من الاتباع والاقتداء ، وماعلم السلف من أحوالهم ومقاصدهم" (٣).

ثم يتحدث ابن خلدون عن بقية خلفاء بنى أمية ممن جاءوا بعد أبناء عبد الملك الذين توسطهم عمر بن عبد العزيز وكانت نهاية الدولة الأموية على أيديهم فوصفهم باستغلال ملكهم لأغراضهم الدنيوية وتركهم لسيرة سلفهم فلم يتحروا الحق في أفعالهم ، وهذا الذى مكن لغيرهم منهم يقول :

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ٤٢٩ .
(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ ، ص ٤٤٣ .
(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٠٥ .

"ثم جاء خلفهم واستعملوا طبيعة الملك في أغراضهم الدنيوية ومقاصدهم ونسوا ما كان عليه سلفهم من تحرى القصد فيها واعتماد الحق في مذهبها . فكان ذلك مما دعا الناس الى أن نعوا عليهم أفعالهم وأدالوا بالدعوة العباسية منهم" (١).

وعندما نتأمل ما كتبه ابن خلدون عن العصبية نجد أنه أولاها جل اهتمامه ، فجعلها في المرتبة العليا لتولى مناصب الدولة العليا لاسيما الخلافة فقد أورد مسألة عبد الله بن الزبير مع مروان بن الحكم ومطالبة كل منهما بالخلافة لنفسه فجعل الحق مع مروان باعتباره أقوى عصبية ، وباعتبار أن بنى أمية لن يقبلوا بغيرهم بديلا ، يقول : "وأما ابن الزبير فانه رأى في قيامه مارآه الحسين وظن كما ظن ، وغلطه في أمر الشوكة أعظم ، لأن بنى أسد لا يقاومون بنى أمية في جاهلية ولا اسلام" (٢).

ولئن كان ابن الزبير قد بويع بالخلافة من أكثر الأقطار الاسلامية ، فهل انعقدت بيعته هذه في رأى ابن خلدون؟

لقد اعترض ابن خلدون على هذه البيعة ، ورأى رأى بعض الصحابة في عدم صحتها لأن أهل العقد والحل لم يحضروا هذه البيعة ، أو لم يبايعوا على الأصح . ومع أن مروان بن الحكم كان أقل حظا من منافسه ابن الزبير في اجماع معظم الأقطار الاسلامية على بيعته ، الا أن ابن خلدون من المنطلق السابق جعله أحق بالبيعة لاجماع أهل الحل والعقد عليه ، يقول "مع أن الكثير من الصحابة كانوا يرون أن بيعة ابن الزبير لم تنعقد ، لأنه لم يحضرها أهل العقد والحل كبيعة مروان ، وابن الزبير على خلاف ذلك" (٣).

ومادام أهل الحل والعقد هم الذين تنعقد الخلافة بحضورهم فمن هم هؤلاء في رأى ابن خلدون؟

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٠٥ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٢٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٢٣ .

لقد وجدنا من دراسة أقوال ابن خلدون أنه جعل بني أمية هم أهل الحل والعقد لأن الشوكة والقوة كانت لهم في حينه ، فهو يقول في مقدمته "وكان أمر بني أمية نافذا في جميع العرب بعصية بني عبد مناف ، حتى لقد أمر سليمان بن عبد الملك من دمشق بقتل عبد العزيز^(١) بن موسى بن نصير بقرطبة فقتل ولم يرد أمره . ثم تلاشت عصية بني أمية بما أصابهم من الترف فانقضوا"^(٢).

والحقيقة أننا نذهب مذهب ابن خلدون في أن بني أمية هم أهل الحل والعقد آنذاك ، ولكن هل كان الأمويون أثناء نزاع ابن الزبير ومروان هم أهل القوة والرأى ولهم الحل والعقد كما يقول ابن خلدون؟

ان الحقائق التاريخية لاتساعد ابن خلدون في اثبات رأيه ، بل هي على العكس تكاد تجمع على ضعف شوكة الأمويين وتفرقهم ، وهوان شأنهم حتى أن كبيرهم مروان بن الحكم نفسه كان يزعم التوجه لمبايعة ابن الزبير لما يراه من قوته واقبال المسلمين على بيعته . يقول الطبرى في تاريخه : "ويقال انه لما قدم عبيد الله بن زياد من العراق ، فزل الشام أصاب بني أمية بتدمير قد نفاهم ابن الزبير من المدينة ومكة ، ومن الحجاز كله ، فزلوا بتدمير ، وأصابوا الضحاك بن قيس أميرا على الشام لعبد الله بن الزبير ، فقدم ابن زياد حين قدم ومروان يريد أن يركب الى ابن الزبير فيبايعه بالخلافة ، فيأخذ منه الأمان لبني أمية ، فقال له ابن زياد : أنشدك الله ألا تفعل ، ليس هذا برأى أن تنطلق وأنت شيخ قريش الى أبي خبيب بالخلافة ، ولكن ادع أهل تدمير فبايعهم ، ثم سربهم وبمن معك من بني أمية الى الضحاك بن قيس حتى تخرجه من الشام"^(٣).

(١) عبد العزيز بن موسى بن نصير ، أمير فاتح ولاه أبوه امارة الأندلس عند عودته الى الشام سنة ٩٥هـ فضبطها وحمى ثغورها وافتتح مدائن وكان شجاعا حازما فاضلا في أخلاقه وسيرته ، قتل سنة ٩٧هـ .

الزركلى : الأعلام ، ج ٤ ، ص ٢٨-٢٩ .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٧٥٧ .

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٥٤٠-٥٤١ .

ويؤكد هذا المعنى ابن الأثير في تاريخه (١)، أما ابن خلدون نفسه فيقول في تاريخه : "ولما بويغ ابن الزبير بمكة بيعته الظاهره ولى على مصر عبد الرحمن بن جحدر الفهرى ، وعلى المدينة عبيدة بن الزبير ، وأخرج بنى أمية فلاحقوا بالشام وفيهم مروان بن الحكم فأقام هنالك ومر به الحصين ابن نمير مرجعه من مكة بعد موت يزيد فأخبره بما دار بينه وبين ابن الزبير وحرص بنى أمية على طلب الأمر وكان رأى مروان أن يسير الى ابن الزبير فيبايع له بالخلافة فقدم ابن زياد من العراق حين انتقضوا عليه وأخرجوه فسفه رأى مروان فى ذلك وحشه على طلب الأمر لنفسه" (٢).

ان الذى يتتبع هذه النصوص التى أورد بعضها ابن خلدون يلمس بوضوح ضعف موقف الأمويين ، وأنهم لم يستطيعوا أن يدافعوا عن أنفسهم عندما أخرجهم ابن الزبير من الحجاز ونفاهم الى الشام فمثل هؤلاء لا يصلح أن يكونوا أهل حل وعقد فى تلك الظروف على الأقل!! وكان ينبغى على ابن خلدون أن يدرك هذه الحقيقة فلا ينفى بيعه ابن الزبير ويجعل الأحقية لمروان معتمدا على مسألة لم تصح ولم يكن لها شأن آنذاك .

وعندما ننظر الى موضوع العصبية بشكل عام عند ابن خلدون نجد أن لهذه المسألة جذورا واضحة فى أحداث التاريخ الاسلامى فى الدولة الأموية مما يوحى بأن نظرية ابن خلدون فى العصبية كانت مستوحاة من أحداث التاريخ الاسلامى مما يؤكد أنه كان يستوعب أحداث هذا التاريخ ويحاول تفعيد هذه الأحداث وجعلها فى بوتقة صالحة لكى تكون ظاهرة يمكن اطلاق بعض المسميات الشاملة عليها ، وبناء بعض الفرضيات والأحكام عليها . وبالعودة الى التاريخ الأموى نجد أن سليمان بن عبد الملك عندما هم بتولية عمر بن عبد العزيز لم يستطع أن يعلن عن رأيه هذا خشية الفتنة ، والفتنة التى كان يعنيها سليمان هى ثورة الأمويين عليه واعتراضهم - بدافع العصبية - على هذا الترشيح الذى سيجعل الخلافة تخرج عن دائرة أبناء

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٤ ، ص ١٥١ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مخطوطة ، ج ٣ ، ق ٢٥ .

عبد الملك ، ولم يجد سليمان حلاً لهذا الإشكال إلا أن يولى واحداً منهم بعد عمر لعل الفتنة - التي كان يتوقعها - تهدأ أو تزول .

ويذكر ابن خلدون في تاريخه أن سليمان قال لكاتبه ومستشاره رجاء ابن حيوة^(١) عندما أراد أن يولى عمر بن عبد العزيز : "انى والله لأعلم أنها تكون فتنة ولا يتركونه أبداً يلى عليهم إلا أن أجعل أحدهم بعده ، وكان عبد الملك قد جعل ذلك له وكتب بعد البسملة هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز : انى قد وليتك الخلافة من بعدى ومن بعدك يزيد بن عبد الملك فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم"^(٢).

وعمر بن عبد العزيز على صلاحه وتقواه وشدته فى الحق كان يقدر مسألة العصبية الأموية وخطورتها فلم يستطع ازاء هذه العصبية أن يولى القاسم بن محمد بن أبى بكر ، وكان يقول اذا رآه : "لو كان لى من الأمر شىء لوليته الخلافة" . ولو أراد أن يعهد اليه لفعل ، ولكنه كان يخشى من بنى أمية أهل الحل والعقد لما ذكرناه ، فلا يقدر أن يحول الأمر عنهم لئلا تقع الفرقة"^(٣).

ان ابن خلدون - فيما أعتقد - كان على حق فى إدراك أهمية العصبية التى جعلت سليمان يوصى لعمر سرا ، وجعلت عمر يحجم عن تولية من رأى أحقيته بالخلافة خشية فرقة الأمة واختلافها .

ان الحديث عن العصبية يجرنا بطبيعة الحال الى الحديث عن ولاية العهد ، فابن خلدون - كما مر - يجعل العصبية هى المحك الرئيسى فى اختيار ولى عهد المسلمين ، وقد عقد فصلاً فى مقدمته بعنوان "فى ولاية العهد" ولم ير بأساً فى تولية الأب لابنه مع وجود من هو أفضل منه اذا كان

(١) رجاء بن حيوة الكندى . من عباد أهل الشام وفقهاء التابعين وعلمائهم . مات سنة ١٢٢ هـ .

عنه انظر : البستى : مشاهير علماء الأمصار ، ص ١١٧ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٩٣-٩٤ .

(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٠٤ .

ذلك لمصلحة الأمة وللحفاظ على وحدتها ، فالذى دعا معاوية رضى الله عنه لا يثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه إنما هو مراعاة المصلحة فى اجتماع الناس ، واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد حينئذ من بنى أمية ، اذ بنو أمية يومئذ لا يرضون سواهم ، وهم عصابة قريش وأهل الملة أجمع وأهل الغلب منهم : مآثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولى بها ، وعدل عن الفاضل إلى المفضول حرصا على الاتفاق واجتماع الأهواء الذى شأنه أهم عند الشارع" (١). ثم يصل به الحديث عن هذا الأمر الى سليمان وعبد الملك فيقول : "ثم انه وقع مثل ذلك من بعد معاوية من الخلفاء الذين كانوا يتحرون الحق ويعملون به مثل عبد الملك وسليمان من بنى أمية" (٢). ان ابن خلدون كان يؤكد أن هدف الخلفاء من بنى أمية كان تحرى الحق والعمل به دون النظر الى الأهواء الخاصة ، والحقيقة أن الوقائع التاريخية فى مسألة ولاية العهد عند عبد الملك وسليمان اللذين ضرب بهما المثل فى تحرى الحق تخالف كل المخالفة ماذهب اليه ابن خلدون بل تؤكد عكس ذلك . فعبد الملك بن مروان حاول خلع أخيه عبد العزيز من ولاية العهد والبيعة لابنه الوليد مع وجود بيعة سابقة لعبد العزيز لكن وفاة عبد العزيز حالت دون ذلك (٣).

وسليمان بن عبد الملك كان قد عهد بولاية العهد الى ابنه أيوب لكنه توفى فى حياة والده (٤)، فلما أصابه المرض عهد فى كتاب كتبه لبعض بنيه وهو غلام لم يبلغ ، فأشار عليه رجاء بن حيوة أن لا يفعل ، فعرض عليه أن يولى ابنه داود ، فقال له رجاء : هو غائب عنك بقسطنطينية وأنت لاتدرى

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦١٣ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦١٣ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٧٢-٧٣ .

(٤) الطبرى : تاريخ السرى والملوك ، ج ٦ ، ص ٥٣١ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٥ ، ص ٣٦ .

أحى هو أم ميت ، فعزم بعد ذلك على تولية عمر بن عبد العزيز ثم أخيه يزيد بن عبد الملك^(١).

إن الذى ينظر الى هذه الوقائع لابد أن يقف عندها ويتساءل : أين تحرى الحق فى الاصرار على تولية الصغار الذين لم يبلغوا الحلم بعد؟ كيف يستطيع الخليفة أن يتكهن بصلاح هؤلاء الصبية وأنهم سيكونون حريصين على مصلحة الأمة الاسلامية فيما بعد؟؟

إن حادثة العهد بالخلافة لعمر بن عبد العزيز لم تكن الاحالة اضطرارية استثنائية ساعدت عليها ظروف ما ، وليست بمحض اختيار سليمان ابن عبد الملك ، لأنه لم يجد أحداً من أبنائه يوليه الخلافة ، فقد مات أحدهم وكان الآخر غائبا عنه لا يدري أحى هو أم ميت وآخر صغير لم يبلغ الحلم بعد ، وهذه الحالة - رغم جودتها - إلا أنها لاتدل على حرص سليمان على تحرى الحق والعدل لأنها لم تقع إلا بعد أن يؤس من تولية أحد أبنائه فتحرى الحق فى تولية عمر بن عبد العزيز لفضله ثم لأخيه يزيد من بعده .

ومثل هذا حدث مع يزيد بن عبد الملك حين أراد أن يعهد بالخلافة الى ابنه الوليد لولا أنه كان صغيرا ، ابن إحدى عشرة سنة مما جعله يعهد بالخلافة الى أخيه هشام ، اذ هو أقرب اليه من غيره ، ثم يجعل ابنه الوليد خليفة بعد أخيه ، فقد ذكر ابن الأثير أنه لما وجه يزيد بن عبد الملك الجيوش إلى يزيد بن المهلب "واستعمل على الجيش مسلمة بن عبد الملك^(٢) أخاه والعباس بن الوليد بن عبد الملك وهو ابن أخيه ، قالوا له : ياأمير

(١) الطبرى : تاريخ السرى والملوك ، ج ٦ ، ص ٥٥٠ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٥ ، ص ٣٩ .

(٢) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، قائد الجيوش ، له مواقف مشهورة مع الروم ، وهو الذى غزا القسطنطينية ، ويلقب بالجرادة الصفراء . مات سنة ١٢٠هـ . عنه انظر : الذهبى : سير أعلام النبلاء ، ج ٥ ، ص ٢٤١ .

المؤمنين ان أهل العراق أهل غدر وارجاف ، وقد توجهنا محاربين والحوادث تحدث ولانأمن أن يرجف أهل العراق ويقولوا مات أمير المؤمنين فيفت ذلك في أعضادنا ، فلو عهدت عهد عبد العزيز بن الوليد لكان رأياً صواباً . فبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك ، فأتى أخاه يزيد فقال : يا أمير المؤمنين إنما أحب اليك أخوك أم ابن أخيك؟ فقال : بل أخى . فقال : فأخوك أحق بالخلافة . فقال يزيد : اذا لم تكن فى ولدى فأخى أحق بها من ابن أخى كما ذكرت . قال : فابنك لم يبلغ فبايع لهشام بن عبد الملك ثم بعده لابنك الوليد ، وكان الوليد يومئذ ابن احدى عشرة سنة ، فبايع بولاية العهد لهشام بن عبد الملك أخيه وبعده لابنه الوليد بن يزيد ، ثم عاش يزيد حتى بلغ ابنه الوليد ، فكان اذا رآه يقول : الله بينى وبين من جعل هشاماً بينى وبينك" (١) .

لقد كان على ابن خلدون أن يركز على أهمية العصبية وتحكمها فى اختيار ولى العهد ، وكان عليه أن لايبالغ فى مدح هؤلاء الخلفاء وكونهم جميعاً يتحرون الحق والعدل ، فلو تحدث عن العصبية ودورها فقط لكان قوله أقرب شىء الى الحق والواقع ، لكنه بالغ بعض المبالغة فى الوصف العام لبني أمية بأنهم كانوا يتحرون الحق وهو ماأنكر بعض صورته الواقع التاريخى الذى تحدث ابن خلدون عنه فى تاريخه .

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٥ ، ص ٩١ . وانظر كذلك : الطبرى : تاريخ
الرسل والملوك ، ج ٧ ، ص ٢٠٩ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ،
ص ١٠١ .

المبحث الثالث

سياسة خلفاء بني أمية

ازاء القوي المعارضة لهم

- * حركة الحسين بن علي .
- * حركة عبد الله بن الزبير .
- * حركة أهل المدينة بقيادة حنظلة بن عبد الله الغسيل .
- * حركة الخوارج على الدولة الأموية في المشرق .
- * حركات شيعة آل البيت .
- * حركة الزنج .
- * حركات أخرى في المشرق .
- * حركات البربر في العهد الأموي

سياسة خلفاء بني أمية ازاء القوي المعارضة لهم

على امتداد تاريخ الدولة الأموية قامت عدة محاولات للخروج على نظام هذه الدولة ، وقد اختلفت أهداف هؤلاء الخارجين لكنهم كانوا متفقين على عدم الرضا بمنهج الدولة الأموية في ادارة شؤون البلاد الاسلامية . وجذور هذا الاختلاف لم تولد ابان الخلافة الأموية في معظمها ولكنها كانت موجودة أيام الخلفاء الراشدين ، وامتدت بظهور الخلافة الأموية واستمرت حتى أيام الخلافة العباسية .

فالشيعة مثلا كانوا يرون أحقية آل البيت بالخلافة وأن كل ماعداهم مغتصبون للخلافة التي جعلها الله حقا ثابتا لآل البيت وهم : علي بن أبي طالب وبنوه من نسل فاطمة رضى الله عنها .

والخوارج كذلك بدأت حركاتهم أيام علي بن أبي طالب عندما رفضوا نتيجة التحكيم وأعلنوا أن البشر لا يحكمون في شرع الله ، وأن وراثة الحكم ليست من الدين الاسلامي في شيء وأن الحاكم هو الأصلح ديناً مهما كان نسبه . ولما كانت أوضاع الخلفاء الأمويين لا تتماشى وهذه النظريات فقد وجد ثائرون مرات متعددة على تلك الأوضاع التي عدوها مخالفة للشرع الاسلامي . وفي المغرب قام البربر^(١) بعدة ثورات كان سببها اقتناع بعضهم بمذهب الخوارج ، ورؤية بعضهم الآخر للظلم الذي وقع عليهم من ولاية الدولة الأموية ، اذ عاملوهم معاملة سيئة فثاروا على أولئك الولاة وحدثت بينهم معارك طاحنة .

(١) البربر وهو اسم أطلقه الرومان على سكان المغرب ، لأنهم كانوا يعتبرونهم أعاجم على حضارتهم ، فسموهم برابرة وعربت الى بربر وبرابر ، والبربر هم سكان المغرب الأصليون ، وقد اختلف المؤرخون في إثبات وطنهم الأصلي ، فمنهم من يزعم أنهم وفدوا من أوروبا ، ومنهم من يزعم أنهم قدموا من آسيا في عصر ما قبل التاريخ .

السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ١٣٣-١٣٤ .

والزنج كذلك ثاروا على الدولة الأموية في البصرة في زمن عبد الملك ابن مروان لكن ثورتهم أخمدت بسرعة ولم يكن لها شأن يذكر .
وفي أنحاء الدولة الأموية المتراامية الأطراف قامت ثورات متفرقة هنا وهناك كانت تنتهى بهزيمة قاسية لأولئك الثائرين وقتل معظم قادتهم .
ومع أن الدولة الأموية استطاعت أن تقضى على كل الثائرين ضد نظامها الا أن هؤلاء استنزفوا طاقات عظيمة من جهد الدولة ومن مالها ورجالها .

وكما كانت هناك حركات اتخذت الطابع الجماعى شعاراتها ، فقد حدثت حركات أخرى لاتقل عنها أهمية وخطرا في حياة الدولة الأموية قادها بعض الأفراد الذين انضم اليهم الكثير من المؤيدين وقاتلوا معهم حتى قتلوا كحركة الحسين بن على ، وحركة عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما .
واذا كان لنا أن نتساءل عن جدوى مثل هذه الثورات مع ماندركه من المآسى التى تخلفها فإننا نرى أنها قد تكون في بعض الأحيان الضرورية ظاهرة صحية تدل على وعى الأمة وعلى تلمسها الطريق الذى تراه سليما لطرح وجهات نظرها وتأكيد أحقيتها في التعبير عن رأيها عندما تغلق كل الطرق الأخرى الحكيمة والهادئة .

إن طريقة الطرح الموضوعى للحوار الهادف قد يكون بديلاً صالحاً لهذه الثورات على ماسرى عند عمر بن عبد العزيز في حوارهِ مع الخوارج والذى انتهى باقتناعهم بعمق وصدق الرؤية عند عمر ، وأنه أحق منهم وأدق فهما لمرامى الشريعة الاسلامية وأهدافها ، لكن هذا الحوار الصادق اذا انعدم وجوده قد يلجأ البعض الى لغة الحرب والدمار وهذا مارأيناه يمثل تلك الثورات المتعددة التى حدثت إبان الخلافة الأموية والتى أحدثت شرخا عميقا في جسمها مما قد يكون سببا من أسباب سقوطها المبكر وهى لاتزال في ريعان شبابها .

لقد تحدث ابن خلدون عن هذه الثورات في تاريخه ، وتتبعها الواحدة
تلو الأخرى ، وكان يسير في معظم ماكتبه على سيرة سابقيه من المؤرخين ،
ولم نجد له تميزاً واضحاً عن سواه إلا في إدانته العقلية للمنهج الثوري ،
فضلاً عن تميزه في بعض الأحداث القليلة التي سنتعرض لها في الصفحات
القادمة ان شاء الله عند حديثنا عن معظم الثورات التي حدثت في العهد
الأموي .

حركة الحسين بن على رضى الله عنه (٦١٠هـ/٦٨٠م) :

كان معاوية رضى الله عنه قد أدرك بثاقب بصيرته أن أمر الخلافة لن يستتب لابنه يزيد بسهولة ويسر ، فكبار الصحابة كانوا لا يزالون على قيد الحياة ومنهم نفر من أكابر قريش ولهم سابقة فى الاسلام ليست ليزيد ، وإذا كانوا قد قبلوا بمعاوية خليفة عليهم فليس معاوية كيزيد ، بل أين هذا من ذاك ؟

وقد صدق ماتوقعه معاوية ، فقد ثار الحسين رضى الله عنه كما ثار عبد الله بن الزبير رضى الله عنه من بعده .

ولقد حاول يزيد أن يأخذ البيعة لنفسه من الحسين وابن الزبير رضى الله عنهما فكلف واليه على المدينة بهذه المهمة لكنهما احتالا عليه وغادرا المدينة إلى مكة (١).

ولما وصل الحسين رضى الله عنه الى مكة كاتبه أهل الكوفة ليقدم اليهم ووعدوه بأخذ البيعة له ومناصرته (٢).

ان ابن خلدون لم يشر فى تاريخه المطبوع الى حادثة مقتل الحسين رضى الله عنه لكنها وردت مفصلة فى مخطوطة التاريخ التى بين أيدينا حيث ذكر فيها أن مقتل الحسين رضى الله عنه فى كربلاء (٣) كان فى عاشر محرم سنة احدى وستين (٤).

ورواية ابن خلدون عن مقتل الحسين رضى الله عنه لم تخرج عن الروايات التى ذكرها غيره من المؤرخين (٥)، غير أنه علل سبب خروجه

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٢٥-٢٦ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٧ .

(٣) فى طرف البرية عند الكوفة وهو الموضع الذى قتل فيه الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما .

عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٤٥ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مخطوطة ، ج ٣ ، ق ١٣-٢٠ .

(٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٣٤٧ وما بعدها ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٤ ، ص ١٩-٤٣، ٤٦ وما بعدها .

والتمس له الأعذار ، فالحسين رضى الله عنه - فى نظر ابن خلدون - يرى أهليته وقدرته على مقاومة يزيد ، كما يرى وجوب الخروج على يزيد لكونه فاسقاً^(١)، لكن ابن خلدون رأى تخطئة الحسين رضى الله عنه فى اعتقاده بإمكان تحقيق نصر على يزيد لأن عصبه يزيد كانت أقوى ، إلا أنه لم يخطئه فى اجتهاده الآخر "وأما الحكم الشرعى فلم يغلط فيه لأنه منوط بظنه ، وكان ظنه القدرة على ذلك"^(٢).

وكما تحدث ابن خلدون عن رأيه فى موقف الحسين رضى الله عنه وثورته ، فقد تحدث كذلك عن رأيه فى موقف الصحابة من هذه الثورة ومن أقطابها . فالصحابة الذين كانوا موجودين فى الحجاز والشام والعراق لم يروا الخروج على يزيد مع فسقه لما سيحدثه هذا الخروج من إراقة دماء المسلمين واحداث الخل فى صفوفهم ، كما أنهم فى الوقت نفسه لم يخطئوا الحسين لأنهم يدركون أنه إنما خرج مجتهداً ومجتهد مثل الحسين لإثم عليه^(٣). ولم يقف ابن خلدون عند هذا الحدث وإنما تابع بدقة عجيبة موقف الصحابة الذين لم يخرجوا مع الحسين فرأى كذلك أنهم غير آثمين لقعودهم عن نصره الحسين لأنهم إنما فعلوا ذلك عن اجتهاد منهم فكما اجتهد الحسين فى محاربة يزيد فقد اجتهدوا هم كذلك فى اتخاذ موقف الحياد من هذه الفتنة ولكل مجتهد نصيب من اجتهاده^(٤).

وهؤلاء الصحابة وإن كانوا قد قعدوا عن نصره الحسين فإنهم لم يوافقوا يزيد على قتله "وإنما انفرد بقتاله يزيد وأصحابه"^(٥)، فى حين قعد الصحابة عن نصره يزيد لأنهم يرون أن قتال البغاة يجب أن يكون مع الإمام العادل ويزيد لا يتمتع بهذه الصفة^(٦).

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٢١ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٢١ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٢١ .

(٤) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٢٢ .

(٥) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٢٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٢٢ .

ومن هذا المنطلق حمل ابن خلدون على ابن العربي الذى ذكر فى كتابه "العواصم من القواصم" أن الحسين قتل بشرع جده^(١)، وأكد أن هذا الحكم الذى أطلقه ابن العربي على الحسين لا يرقى الى درجة الصحة وانما "هو غلط حملة عليه الغفلة عن اشتراط الامام العادل فى قتال أهل الآراء"^(٢). ويبدو أن الموقف المعتدل الذى تبناه ابن خلدون فى ثورة الحسين لم يرق لابن الوردى الذى كان يناقش مسألة الثورات الفاشلة والثوار الفاشلين الذين خطأهم ابن خلدون وحمل عليهم بعنف^(٣)، فلماذا وهم قد شابهوا الحسين فى اجتهاده - كما يرى ابن الوردى - لا يكون لهم أجر المجتهدين مع أن فيهم صلحاء "وأأنهم انما قاموا بثوراتهم رجاء فى ثواب الله"^(٤). ولعلنا نقول لابن الوردى : ان ابن خلدون عندما أنصف الحسين واتخذ منه موقفا معتدلا فانه كان يرى الفسق فى يزيد وأنه ليس إماما عادلا لا يجوز الخروج عليه .

ويبقى أن نتساءل نحن : هل كل خلفاء بنى أمية أئمة عدول؟ وهل كل الذين خرجوا عليهم بغاة؟ ولماذا لم يشر ابن خلدون الى هذه الناحية فيذكر رأيه بصراحة عن هؤلاء كما ذكره عن الحسين وابن الزبير؟ لعلنا نتلمس العذر لابن خلدون فى هذه المسألة ، فالكل يعلم أن ثورة الحسين وابن الزبير لهما طابع مميز عن غيرهما من الثورات اللاحقة لما لهما من مكانة وصحبة وعصبية وأن هذا الطابع جعل الناس يختلفون كثيرا فى الحكم عليهما وفى تقويمهما، ولعله أراد أن يؤكد وجهة نظره بدقة فيهما لئلا يكون هناك غموض أو التباس فى فهم رأيه وليكون المسلمون بعد ذلك على درجة كبيرة فى فهم هاتين الثورتين اللتين قادهما اثنان من كبار الصحابة رضى الله عنهما .

(١) ابن العربي : العواصم من القواصم ، ص ٢٤٤-٢٤٥ .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٢٣ .

(٣) سيأتى الحديث عن هذا فى نهاية المبحث .

(٤) ابن الوردى : منطق ابن خلدون ، ص ٢٤٧ .

حركة عبد الله بن الزبير رضى الله عنه (٦٤-٥٧٣هـ/٦٨٤-٦٩٢م):

وجاءت حركة ابن الزبير رضى الله عنه وكانت أقوى وأعنف بكثير من حركة الحسين رحمه الله ، فقد استطاع ابن الزبير رضى الله عنه أن ينتصر على جيش يزيد الذى كان بقيادة أخيه عمر عندما توجه هذا الجيش لقتاله أثناء إقامته بمكة (١).

وكانت العراق وخراسان تدينان بالولاء لابن الزبير رضى الله عنه ، فلما صفا الأمر فى الشام لعبد الملك أرسل جيوشه للاستيلاء على هذه المدن وانتهاء سيطرة ابن الزبير رضى الله عنه عليها واستطاع بعد قتال مرير أن يحقق غايته ودانت هذه الممالك له (٢).

ولم يبق عند ابن الزبير رضى الله عنه إلا مكة المكرمة فأرسل عبد الملك الحجاج بن يوسف الثقفى لإنهاء أمر ابن الزبير وكان ذلك فى جمادى سنة ٥٧٢هـ/٦٩١م ، واستطاع الحجاج فى جمادى الآخرة سنة ٥٧٣هـ/٦٩٢م ، أن يدخل مكة ويقتل ابن الزبير رضى الله عنه وينهى بذلك حركته التى أقضت مضجع الخلافة الأموية مدة من الزمن (٣).

لقد كان حديث ابن خلدون عن ثورة ابن الزبير رضى الله عنه يماثل الى حد كبير حديث الطبرى وابن الأثير عن هذه الثورة (٤)، غير أنه علل فى مقدمته سبب قيام ابن الزبير رضى الله عنه بهذه الثورة ، حيث ذكر أن ابن الزبير "رأى فى قيامه مارآه الحسين وظن كما ظن" (٥). لكن ابن الزبير أخطأ فى مسألة العصبية "لأن بنى أسد لا يقاومون بنى أمية فى جاهلية

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٢٦-٢٧ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٣-٤٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٤٩-٥١ .

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٣٤٣ وما بعدها ، ج ٦ ، ص ٧١ وما بعدها ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٤ ، ص ١٨ وما بعدها .

(٥) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٢٣ .

ولاسلام" (١). ويبدو أن ابن خلدون يميل هنا الى تخطئة ابن الزبير ، فهو يعقد مقارنة سريعة بين الحسين وابن الزبير وبين يزيد وعبد الملك فشوكة الحسين كانت أقوى من شوكة ابن الزبير ، والحسين انما خرج على حاكم فاسق ، وأما عبد الملك الذى خرج عليه ابن الزبير فهو من أعظم الناس عدالة ، كما أن بيعة ابن الزبير فى رأى كثير من الصحابة لم تنعقد لأنه لم يحضرها أهل الحل والعقد وبالتالي فان هذه المبررات جميعا تجعل ابن الزبير متسرعاً فى ثورته غير محق فيها (٢).

اننا وان كنا مع ابن خلدون فى أن شوكة ابن الزبير لاترقى الى شوكة الأمويين وأن عبد الملك امام عادل لاينبغى الخروج عليه ، الا أننا نعارضه فى مسألة انعقاد البيعة لمروان وعدم انعقادها لابن الزبير (٣). ومع ذلك فان ابن خلدون يرى أن الجميع مجتهدون مأجورون ، وان ابن الزبير مع خطئه الذى أشار اليه "شهيد مثاب باعتبار قصده وتحريره الحق"!! (٤)

-
- (١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٢٣ .
 (٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٢٣ .
 (٣) انظر بالتفصيل مبحث قيام الدولة الأموية فى رأى ابن خلدون ، ص ١٠٨-١٤٠ .
 (٤) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٢٤ .

حركة أهل المدينة بقيادة عبدالله بن حنظلة الغسيل (١) (٦٨٣/هـ) :

وكان سبب هذه الثورة أن أهل المدينة تقموا على يزيد بن معاوية بعض أفعاله التي عدوها مخالفة للدين فاجتمعوا على عبد الله بن حنظلة الغسيل ، وأعلنوا الخروج على يزيد ، فبعث اليهم جنده والتقى الجمعان قرب الحرة (٢) ، وهزم عبد الله وقتل جمع كبير من الصحابة في هذا اليوم (٣) .

وكان قائد جيش يزيد في هذه المعركة مسلم بن عقبة المري ، وقد خرج الى المدينة على رأس جيش كبير لمقاتلة الخارجين على حكم يزيد . وكان يزيد قد أوصاه أن يدعوهم إلى الطاعة فإن استجابوا تركهم وإلا قاتلهم فإذا تحقق له النصر عليهم فله أن يستبيح المدينة ثلاثة أيام ، وقد حاول مسلم أن يقنع أهل المدينة بالاستسلام وترك القتال والدخول في طاعة يزيد لكنهم أصروا على موقفهم ، وقسموا جيشهم الى أربعة أقسام كان على قسم الأنصار منها عبد الله بن حنظلة الغسيل . وقد انتهت هذه المعركة بانتصار مسلم ومقتل كثير من أهل المدينة ، وفي مقدمتهم عبد الله بن حنظلة الغسيل . وهكذا استباح مسلم المدينة لجيشه وفتك بكثير من رجالها واستعد لمواصلة زحفه الى مكة المكرمة (٤) .

لقد تحدث ابن الأثير - كما تحدث الطبرى قبله (٥) - عن هذه الواقعة

(١) عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصارى ، صحابى قتل في وقعة الحرة سنة ٦٣ هـ .

عنه انظر : ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ١ ، ص ٧١ .

(٢) حرة واقم احدى حرقى المدينة ، وهى الشرقية سميت برجل من العماليق اسمه واقم وقيل واقم اسم أطم من آطام المدينة اليه تضاف الحرة .

عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٤٩-٢٥٠ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مخطوطة ، ج ٢ ، ق ٢١-٢٣ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ١١١ وما بعدها .

(٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٤٧٨-٤٩٥ .

بشيء من التفصيل فذكرا وصفاً دقيقاً لها إبتداءً من خروج أهل المدينة على يزيد وانتهاء بتعداد قتلى هذه المعركة من كبار أهل المدينة . ولم يستطع ابن خلدون أن يجاريهما في الحديث عن هذه المعركة بالتفصيل المطلوب بل اختصر أحداثها ولم يذكر شيئاً يستحق الاهتمام .

حركات الخوارج على الدولة الأموية في المشرق :

بدأت أفكار الخوارج في الظهور بعد حادثة التحكيم ، اذ عندما أعلنت نتيجة التحكيم أخذ الأشعث بن قيس^(١) يمر على الناس لاعلامهم بهذه النتيجة "فلما مر على طائفة من بني تميم ، قام عروة بن أدية^(٢) وأعلن اعتراضه على فكرة التحكيم بقوله : تحكمون أمر الله عز وجل الرجال ؟ لاحكم الا الله"^(٣). وكان هذا القول بداية فتنة الخوارج في التاريخ اسلامي .

لقد تتبع ابن خلدون حركة الخوارج ورصد تطورها التاريخي بدقة كبيرة ، وأشار الى معظم قادة هذه الحركة والأدوار التي قاموا بها على امتداد الدولة الأموية وحتى ظهور الخلافة العباسية . فقد أشار ابن خلدون الى أن الخوارج كفروا أولئك الذين قبلوا التحكيم "وجعلوا شعارهم النداء بلا حكم الا لله"^(٤)، وقاتلوا عليا ، ثم تأمروا عليه حتى قتلوه^(٥). وقاتل معاوية بن أبي سفيان الخوارج ، كما قاتلهم ابن الزبير في أكثر من موقع وعلى فترات متباعدة ، ثم انقسم هؤلاء على أنفسهم فأصبحوا أربع فرق : الأزارقة^(٦) ،

(١) الأشعث بن قيس بن معدى كرب بن معاوية ، كان أبدا أشعث الرأس فغلب عليه . له صحبة ورواية ، كان أكبر أمراء على يوم صفين ، توفي سنة ٤٠ هـ ودفن في داره .

عنه انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢ ، ص ٣٧-٤٢ .

(٢) عروة بن أدية أخو أبي بلال مرداس بن أدية ، طلبه ابن زياد فأقى الكوفة فأخذ بها فقدم به على ابن زياد فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ثم قتله سنة ٥٨ هـ . عنه انظر : الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٣١٢-٣١٣ .

(٣) محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة ، (القاهرة ، دار الفكر العربي : ١٣٨٠ هـ) ، ص ٧٩ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٧٨ .

(٥) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٧٨ .

(٦) الأزارقة أشد فرق الخوارج تطرفا وزعيمهم نافع بن الأزرق بن قيس البكري ت ٦٥ هـ . من أصولهم : تكفير من لا يؤمن بما ينادون به وقتل كل من يخالفهم ، والقعود عن القتال كفر ، ومرتكب المعاصي كافر ، وتكفير على بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره . =

والنجدية (١)، والإباضية (٢)، والصفورية (٣).

وقد تمكن الخوارج من الاستيلاء على اليمامة (٤) سنة (٦٨٤/٦٥هـ) والبحرين (٥) وعمان وحضرموت والطائف ونجران سنة (٦٨٦/٦٧هـ)، وكانوا يأخذون الصدقات من أهالي هذه المناطق ويعينون عليها ولاية من قبلهم (٦).

= أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم الشهرستاني : الملل والنحل ، (مكتبة السلام العالمية) ، ج ١ ، ص ١٢٧-١٣٠ .

(١) النجدية : أتباع نجدة بن عامر الحنفي ت ٧٢هـ ، وقد خرج على نافع بن الأزرق واستقل باليمامة سنة ٦٦هـ أيام عبد الله بن الزبير رضى الله عنه ثم خرج عليه أتباعه وقتل وانقسم أتباعه الى ثلاث فرق .

الشهرستاني : الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٣٠-١٣١ .

(٢) الإباضية : أتباع عبد الله بن إباض ، كان معاصراً لمروان بن محمد ، وهذه الفرقة من أخف فرق الخوارج وأكثرها اعتدالاً إذ لم يكفروا المسلمين ولا مرتكبي الكبائر، وكانوا أكثر ما يكونون في المغرب وشمال أفريقيا .

الشهرستاني : الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٤١-١٤٢ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٧٩-١٨٣ .

الصفورية : نسبة الى مؤسسها زياد بن الأصفر ، وخالفت الصفورية الأزارقة في عدم تكفير مرتكب الكبيرة أو القاعد عن القتال ، ولم يقولوا بتكفير أطفال المشركين وقتلهم .

الشهرستاني : الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٤١ .

(٤) من أرض نجد سميت كذلك نسبة الى اليمامة بنت سهم بن طسم ، فتحت أيام أبي بكر الصديق سنة ١٢هـ عنوة . فتحها خالد بن الوليد وقتل مسيلمة الكذاب . عنها انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٤٤٢ .

(٥) قسبة هجر ويطلق هذا الاسم على البلاد الواقعة على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان بعث اليها الرسول العلاء الحضرمي لدعوة أهلها الى الاسلام فأسلموا وكان ذلك سنة ٨هـ .

عنها انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٤٨ .

(٦) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٨٤-١٨٥ .

وفي عهد عبد الملك عهد الى المهلب مجرب الخوارج وتتبعهم ، كما أمر واليه على العراق الحجاج بن يوسف بمساعدة المهلب على هذه المهمة والوقوف الى جانبه فيها . ودارت معارك بين الفريقين كانت سجالا بينهما^(١). وبلغ من قوة الخوارج في عهد الحجاج أنهم استطاعوا الاستيلاء على الكوفة وهزيمة جيش الحجاج أكثر من مرة^(٢). وبلغ الأمر بالحجاج أنه استنجد بالخليفة عبد الملك وطلب منه المدد لأن الخوارج كانوا قد أوشكوا على دخول المدائن فاستجاب له عبد الملك وأمدّه بجيش كبير لهذا الغرض^(٣). ويتقابل جيش الدولة الأموية بقيادة عتاب بن ورقاء الرياحي ومعه خمسون ألفا وجيش الخوارج بقيادة شبيب بن يزيد الشيباني ومعه ستمائة مقاتل . ويؤكد ابن خلدون أن شيبيا انتصر على عتاب وقتله وهزم جيشه^(٤)، ولكن هذا التأكيد يحتاج الى اعادة نظر ، فقد يصعب تصديق هذا الخبر من الناحية العقلية حتى وان ذكره بعض المؤرخين^(٥).

وفي أيام عمر بن عبد العزيز خرج شوذب^(٦) فطلب منه عمر المناظرة لمعرفة صاحب الحق واستطاع عمر اقناعهم بوجهة نظره حتى لقبوه بعد ذلك بالرجل الصالح^(٧).

ويستمر الخوارج في تمردهم فهذا أبو حمزة الخارجي^(٨) يدعو الى

-
- (١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٨٨-١٩٣ .
- (٢) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٩٣-١٩٦ .
- (٣) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٩٦ .
- (٤) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٩٧ .
- (٥) انظر مثلا : الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٢٦٢-٢٦٤ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٤٢٢-٤٢٣ .
- (٦) اسمه بسطام من بني يشكر خرج على عمر عام ١٠٠هـ في جوخي في ثمانين رجلا . عنه انظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ٤٥ .
- (٧) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٢٠٣-٢٠٤ .
- (٨) هو المختار بن عوف الأزدي السلمي البصري وكان أول أمره أنه كان من الخوارج الاباضية وكان يدعو الى خلاف مروان بن محمد ، قتل سنة ١٣٠هـ . عنه انظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ٣٩١، ٣٥١ .

الخروج على مروان ، ويطلب من عبد الله بن يحيى (١) الذهاب معه الى حضرموت لمبايعته على الخلافة وذلك سنة ١٢٨هـ / ٧٤٥م ، ويهاجم المدينة ويدخلها ويعلن دعوته على منبرها ، ولكن مروان يتمكن بعد ذلك من هزيمته وقتله ، وبموته تهدأ حركة الخوارج حتى ظهور الخلافة العباسية (٢).

إن رصد ابن خلدون لحركات الخوارج في العهد الأموي لم تتميز عن غيره من المؤرخين كثيراً - كما ذكرنا - وإنما وجدناه يتابع هذه الحركات ويرصدها بدقة أكثر ، فالطبرى مثلاً أغفل ذكر الأسباب المتعددة لخلاف الخوارج ، كما أغفل ذكر بعض حركاتهم ، والتي أولاهما ابن خلدون اهتماماً أكبر واحتلت حيزاً من تاريخه للدولة الأموية . وسرى أن ابن خلدون ينفرد بذكر بعض حركات الخوارج التي أهمل ابن الأثير ذكرها ، وأهمها الحركات الخارجية في المغرب العربي ، ولعل هذا يعود الى اهتمام ابن خلدون الخاص بتلك المنطقة التي عاش فيها وانتسب إليها .

لقد كبدت الحركة الخارجية - التي تعتبر من أقوى الحركات ضد الدولة الأموية - الدولة الكثير من الرجال والمال والجهد لأنها بدأت مع الدولة منذ قيامها واستمرت حتى سقوطها .

ومن خلال هذا السرد يتضح لنا أن ابن خلدون قدم أوضح صورة تاريخية موضوعية حظيت بالنقد والتحليل ، ولئن شارك السابقين ، ولاسيما الطبرى وابن الأثير في السرد التاريخي إلا أن ابن الأثير أهمل بعض الحركات التي ذكرها ابن خلدون ، وإضافة الى نظرات ابن خلدون النقدية والتحليلية .

(١) عبد الله بن يحيى الملقب بطالب الحق ، خلع طاعة مروان بن محمد واستولى على صنعاء . قتل على يد الجيش الأموي سنة ١٣٠هـ .

عنه انظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ٣٩٢، ٣٥١ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٢١٠-٢١١ .

حركات شيعة آل البيت :

والشيعة هم أولئك نفر الذين اعتقدوا بوجوب امامة آل البيت من نسل علي بن أبي طالب ، وهؤلاء انقسموا الى قسمين : "فطائفة قالت : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نص علي بن أبي طالب أنه الخليفة بعده ، وأن الصحابة بعده عليه السلام اتفقوا على ظلمه ، وعلى كتمان نص النبي صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء المسمون الروافض ، وطائفة قالت لم ينص النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ، لكنه كان أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحقهم بالأمر ، وهؤلاء هم الزيدية نسبوا الى زيد بن علي^(١) بن الحسين بن علي بن أبي طالب^(٢) .

وقد نص مؤرخو الشيعة على وجوب حصر الامامة في ولد الحسين بن علي ، والاعتقاد بالعصمة والكمال لكل هؤلاء الأئمة^(٣) . وعصمة الأئمة عند الشيعة لا تختلف عن عصمة الأنبياء فالأئمة هم "القائمون مقام الأنبياء عليهم السلام في تنفيذ الأحكام واقامة الحدود وحفظ الشرائع وتأديب الأنام معصومون كعصمة الأنبياء ، وانهم لا يجوز منهم صغيرة الا ما قدمت ذكر جوازه على الأنبياء وانه لا يجوز منهم سهو في شيء في الدين ولا ينسون شيئاً من الأحكام ، وعلى هذا مذهب سائر الامامية الا من شذ منهم"^(٤) .

(١) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . من أفاضل أهل البيت وعبادهم . قتل في الكوفة سنة ١٢٢ هـ .

عنه انظر : البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ص ٦٣ .

(٢) ابن حزم الظاهري الأندلسي : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، (مكتبة السلام العالمية) ، ج ٤ ، ص ١٥٦-١٥٧ .

(٣) محمد بن محمد بن النعمان : أوائل المقالات في المذاهب والمختارات ، (بيروت ، دار الكتاب الاسلامي : ١٤٠٣ هـ) ، ص ٤٢ ؛ محمد الحسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ، (ط ٤ ، بيروت ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات : ١٤٠٢ هـ) ، ص ٥٩ ؛ محمد حسين المظفر : تاريخ الشيعة (بيروت ، دار الزهراء : ١٣٨٥ هـ) ، ص ١٣ .

(٤) محمد بن محمد بن النعمان : أوائل المقالات في المذاهب والمختارات ، ص ٧١-٧٢ .

ومن منطلق هذا المفهوم للامامة قام مجموعة من الناس بالثورة على الحكم باعتبارهم مغتصبون لحق ليس لهم ، وكان بعض آل البيت يقودون هذه الثورات في بعض الأحيان ، ولعل ثورة الحسين بن علي رضي الله عنه ارتكزت على قوة اعتقاده في أحقيته بالخلافة من يزيد بن معاوية فكانت هذه الثورة بما انتهت اليه من مقتل الحسين مثلاً يحتذيه أولئك النفر الذين ساروا على هديه ودعوا للاستشهاد والموت في سبيل تحقيق ما يدعون اليه من مبادئ .

وكان من أوائل الخارجين على الدولة الأموية - بعد الحسين - سليمان ابن صرد الخزاعي في التوابين من الشيعة وذلك بعد موت يزيد ، وكان هؤلاء القوم قد ندموا على خذلانهم للحسين ، وتأكدوا أن توبتهم لن تكون الا اذا أخذوا بثأره فاما أن يتمكنوا مما أرادوا أو يموتوا دون ذلك ، ولهذا السبب سموا بـ "التوابين" ، وقد قاتل هؤلاء أهل الشام ولكنهم هزموا وتفرق من بقى منهم في البلاد . وقد ذكر ابن خلدون هذه الحادثة في المخطوطة التي بين أيدينا^(١) ، ولم نجد له ما يميزه عن غيره^(٢) ، وانما كان يميل الى الاختصار فيما يرويه ، فقد أغفل ذكر خطاب سليمان بن صرد الى المثني بن مخزبة^(٣) في البصرة والذي يعلمه فيه بما عزموا عليه ويدعوه الى مساعدتهم ومن معه من الشيعة بالبصرة بينما نجده مذكورا عند الطبري وابن الأثير^(٤) .

-
- (١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مخطوطة ، ج ٣ ، ق ٢٧-٢٩ .
 (٢) انظر مثلاً : الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٥٥١-٥٦٣ ، ٥٦٩-٦٠٩ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ١٥٨-١٦٥ ، ١٦٨-١٧٣ ، ١٧٥-١٨٩ .
 (٣) المثني بن مخزبة العبدى ، دعا الى بيعة المختار ، كان ممن شهد عين الورد مع سليمان بن صرد .
 عنه انظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٢٤٤ .
 (٤) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٥٥٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٤ ، ص ١٦١-١٦٢ .

وفي حديث ابن خلدون عن هذه الثورة نراه يتفق مع ابن الأثير في أن ابن الزبير دس عباس بن سهل للمختار ، لكي يعرف سبب انصراف المختار عنه عند دخوله الى المسجد الحرام ، كما اتفق معه في ايراد روايتين تعلان خروج المختار للكوفة ، نصت احدهما الى أن سبب خروجه كان لايجاد شيعة لابن الزبير هناك ، الا أن من الملاحظ أنها جاءت عند ابن خلدون وابن الأثير بصيغة التضعيف بلفظ قليل ، والرواية الأخرى التي وردت بصورة الاثبات عندهما تشير الى أن المختار خرج مغاضبا لابن الزبير الى الكوفة واتخذ منها قاعدة للخروج على ابن الزبير^(١). وهذه الرواية هي التي اكتفى بذكرها الطبري^(٢) وهو الأقرب الى الصواب منهما .

حركة المختار (٦٦-٦١٨هـ/٦٨٥-٦٨٧م) :

بعد مقتل سليمان بن صرد وثب المختار بالكوفة مدعيا أن الذي بعثه ابن الحنفية^(٣) لطلب ثأر الحسين رضى الله عنه^(٤)، وانما كانت حقيقة خروجه أن الشيعة كانت تسبه لما بدر منه في حق الحسن بن علي رضى الله عنهما ومشورته لعمه بالقبض عليه وتسليمه لمعاوية بعد أن طعن قبل عقد الصلح مع معاوية . ولعل ماواجهه المختار من اعراض ورفض لمشورته تلك دافعا لاعلان عزمه المطالبة بدم الحسين اثباتا لولائه لآل البيت ، وقد ارتاب أصحاب المختار في حقيقة تكليف ابن الحنفية له بأخذ الثأر وأنه خليفته في ذلك فذهبوا الى ابن الحنفية في مكة للتأكد من حقيقة تلك الدعوى التي قالها المختار ، فقال لهم ابن الحنفية : "وددت أن الله انتصر لنا من عدونا

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ١٧٠، ١٧١-١٧٣ ؛ ابن خلدون : تاريخ

ابن خلدون ، مخطوطة ، ج ٣ ، ق ٢٨ .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٥٧٧-٥٧٨ .

(٣) أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي ابن الحنفية كان نهاية في العلم

غاية في العبادة ، توفي سنة ٨١هـ وقيل ٨٢هـ .

عنه انظر : ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ١ ، ص ٨٨-٨٩ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مخطوطة ، ج ٣ ، ق ٢٩ .

بمن يشاء من خلقه . فرجعوا وأخبروا بذلك المختار وقالوا له قد أمرنا بنصرك فجمع الشيعة وأخبرهم بما قدم به أصحابهم من عند ابن الحنفية وأنه أخبرهم أنى وزيره وظهره ورسوله وأمركم باتباعى وطاعنى فيما دعوتكم اليه من قتال المخلين والطلب بدماء أهل البيت وشهد الوافدون بذلك فاجتمعت الشيعة" (١).

وكانت بداية خروج المختار فى منتصف ربيع سنة ٦٦٦هـ / ٦٨٥م (٢)، واستطاع أن يدخل الكوفة ودعا أهلها لمبايعة ابن الحنفية فبايعوه على الكتاب والسنة ، ثم قاتل أهل الموصل (٣) واستولى عليها كما قاتل جيوش الشام وانتصر عليهم (٤)، ثم انتصر على أهل مصر واليمن وتتبع قتلة الحسين وكل من شهد مقتله فقتلهم بما فيهم شمر بن ذى الجوشن (٥) وكان ذلك آخر سنة ٦٦٦هـ / ٦٨٥م .

ثم تابع المختار مناوشاته وقتاله مع جند بن الزبير ، وكانت الكوفة أثناءها مقرا لقيادته . وانتهت هذه المسألة بمقتله على يد مصعب بن الزبير رضى الله عنه (٦).

لقد تحدث ابن خلدون عن هذه الثورة كما تحدث عنها الطبرى وابن

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مخطوطة ، ج ٣ ، ق ٣٠ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مخطوطة ، ج ٣ ، ق ٣٠ .

(٣) الموصل : مدينة مشهورة احدى قواعد الاسلام فهى باب العراق ومفتاح خراسان وهى مدينة قديمة وأول من عظمها وألحقها بالأمصار العظام مروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية .

عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٢٣-٢٢٥ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٣١، ٣٢ .

(٥) شمر بن ذى الجوشن واسمه شرحبيل بن قرط الضبابى الكلابى من كبار قتلة الحسين رضى الله عنه ، كان فى أول أمره من ذوى الرياسة فى هوازن ، شهد يوم صفين مع على رضى الله عنه ثم أقام فى الكوفة الى أن كانت الفاجعة بمقتل الحسين رضى الله عنه ، قتله المختار ثأرا للحسين سنة ٦٦٦هـ .

الزركلى : الأعلام ، ج ٣ ، ص ١٧٥-١٧٦ .

(٦) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٣٨، ٤٠ .

الأثير لكنه كان أقل اسهابا منهم في ذكر تلك التفصيلات ، وبهذا لم نجد له تميزا يستحق الإشارة (١).

ويستمر ابن خلدون في حديثه عن ثورات الشيعة فيتحدث عن خروج زيد بن علي ، اذ رفع لواء الدعوة الى الكتاب والسنة والى جهاد الظالمين وحماية المستضعفين ورد المظالم ونصرة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢).

وقد ظهر زيد في الكوفة ، وبايعه من أهلها حوالى خمسة عشر ألفا ، لكن هؤلاء سرعان ما تخلوا عنه عندما سمعوا أن والى الحيرة (٣) طلبه فلم يبق معه الا مائتان وعشرون فقط مما سهل أمر قتله ، وبعد مقتله بعث والى الكوفة رأسه الى هشام فى الشام منهيًا بذلك أمر هذه الثورة التى ولدت ميتة كما يقال (٤).

وبعد مقتل زيد قام ابنه يحيى وجمع حوله بعض الرجال واتجه الى سرخس (٥) ومنها الى نيسابور (٦) فقاتله عمر بن زراراة وكان معه عشرة آلاف مقاتل ومع يحيى سبعون رجلا واستطاع يحيى أن يهزم جيش عمر ويقتله ،

-
- (١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٧-٨١، ٨٣-٩٢ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٤ ، ص ١٦٨-٢١١، ١٧٣-٢٤٤، ٢٥٧-٢٦١، ٢٦٥ .
- (٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٢٢ .
- (٢) مدينة على بعد ثلاثة أميال من الكوفة حكمها الفرس ثم المسلمون بعد ذلك . عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٢٨ .
- (٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٢٣-١٢٥ ، وانظر كذلك : الطبرى تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ ، ص ١٦٠-١٧٣، ١٨٠-١٨٩ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٥ ، ص ٢٢٩-٢٣٦، ٢٤٢-٢٤٦ .
- (٥) مدينة قديمة نواحى خراسان تخرج منها عدد كبير من العلماء فى شتى العلوم . عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٠٨ .
- (٦) مدينة فارسية مشهورة ، فتحها المسلمون أيام عثمان صلحا سنة ٥٣١ هـ . عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٣٣١ .

واتجه يحيى بعد ذلك إلى هراه (١)، فأرسل له نصر بن سيار (٢) جيشا لحقه في الجوزجان (٣)، وأصيب يحيى بسهم في جبهته أثناء المعركة ومات (٤). هذه الحادثة وإن كانت مذكورة عند الطبرى وابن الأثير (٥) كما هي عند ابن خلدون الذى لجأ الى الاختصار هذه المرة فاننا نجد صعوبة فى قبول رواية انتصار يحيى ذى السبعين رجلا على عشرة آلاف مقاتل ، ولانجد تفسيراً معقولاً لهذه الرواية التى تكررت عند ابن خلدون وغيره الا أن نقول : انهم لا يحققون مثل هذه الروايات وإنما يكتفون بإيرادها كما وصلت اليهم دون تمحيص ، أو ربما نقلوها عن بعض كتب الشيعة التى تحرص على إبراز بطولات وهمية لآل البيت وشيعتهم معتقدين أن مثل هذه الروايات التى تطفح بالمبالغة تجعلهم فوق الناس ، فى الوقت الذى على الباحث أن ينظر الى هذه الموضوعات بتجرد تام ويخضع مثل هذه النصوص للمنهجية العلمية من مقابلة ومقارنة ، اذ أن آل البيت كغيرهم من سائر الناس يجوز عليهم مايجوز على غيرهم وأنهم لا يستطيعون أن يفعلوا أكثر مما يفعله غيرهم . وتنتهى حركات الشيعة فى العهد الأموى بظهور عبد الله بن معاوية (٦) فى الكوفة داعياً لآل البيت ، فبايعه أهلها واستطاع الاستيلاء على

-
- (١) من أشهر مدن خراسان وأكثرها علماً وأجلها بناء وقد خربها التتر سنة ٦١٨ هـ . عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٣٩٦ .
- (٢) نصر بن سيار المروزى أمير خراسان ، حاربه أبو مسلم وانتصر عليه وقد مات سنة ١٣١ هـ .
- عنه انظر : الذهبى : سير أعلام النبلاء ، ج ٥ ، ص ٤٦٣ .
- (٣) بلد بين مرو وبلخ وهى من كور خراسان فتحت عنوة سنة ٣٣ هـ . عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٨٢ .
- (٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٣٠ .
- (٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ ، ص ٢٢٨-٢٣٠ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٥ ، ص ٢٧١-٢٧٢ .
- (٦) عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب . طلب الخلافة فى أواخر دولة بنى أمية سنة ١٢٧ هـ بالكوفة وأتته بيعة المدائن فقاتله والى الكوفة فخرج الى المدائن واستفحل أمره حتى قاتله أمير العراق فانهزم الى هراة ، وقبض عليه عاملها وقتله خنقاً بأمر أبى مسلم الخراسانى سنة ١٢٩ هـ .
- الزركلى : الأعلام ، ج ١ ، ص ١٣٩ .

حلوان (١) وقومس (٢)، وأصبهان (٣)، والرى (٤)، واصطخر (٥)، وشيراز (٦). وقد أرسل له والى العراق يزيد بن هبيرة (٧) جيشا لقتاله ، واستطاع هذا الجيش الانتصار عليه وأسر عدد من قواده . وانتقل عبد الله بن معاوية الى خراسان ومنها الى هراة ، ولما عرف أبو مسلم الخراساني (٨) بخبره أمر بالقبض عليه وقتله (٩).

لقد وافق ابن خلدون الطبرى وابن الأثير الا أن الطبرى لم يشر الى مقتل عبد الله بن معاوية بأمر أبي مسلم الخراساني وكان استعراض المؤرخين الثلاثة لهذا الحدث متقاربا (١٠).

-
- (١) مدينة عامرة بأرض العراق بين الكوفة والبصرة فتحها المسلمون صلحا وينسب اليها عدد كبير من أهل العلم .
 - عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ .
 - (٢) مدينة بين الرى ونيسابور وقصبتها دامغان ، فيها قرى كثيرة ومزارع واسعة .
 - عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤١٤ .
 - (٣) مدينة مشهورة فى فارس فتحت زمن خلافة عمر بن الخطاب سنة ٢٣ هـ .
 - عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٠٦ .
 - (٤) مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات .
 - عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١١٦-١٢٢ .
 - (٥) اصطخر : بلد بفارس مشهورة ، نسب اليها جماعة من العلماء .
 - عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢١٠ .
 - (٦) بلد عظيم فى وسط فارس تكثر فيها الخيرات .
 - عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٨٠ .
 - (٧) يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى أمير العراقيين لمروان . قتل وهو ساجد سنة ١٣٢ هـ
 - عنه انظر : ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج ١ ، ص ١٩٠ .
 - (٨) عبد الرحمن بن مسلم الخراساني ، هو الذى أقام الدولة العباسية وهزم الدولة الأموية ، ولد سنة ١٠٠ هـ وقتله المنصور سنة ١٣٧ هـ .
 - عنه انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٣ ، ص ١٤٥ وما بعدها .
 - (٩) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٥١-١٥٢ .
 - (١٠) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ ، ص ٣٠٢-٣٠٩، ٣٧١-٣٧٤ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٥ ، ص ٣٢٤-٣٢٧، ٣٧٠-٣٧٣ .

لقد لاحظنا أن أكثر حركات الشيعة كانت تنطلق من العراق ، وأنها لم تحقق أهدافها وانتهت بمقتل معظم قادتها ، كما لاحظنا كذلك أن جمهور الشيعة لم يكونوا كجمهور الخوارج مثلاً في اندفاعهم وقتالهم دفاعاً عن عقائدهم ، إذ نراهم سرعان ما ينفذون عن قادتهم إذا ادلهمت الخطوب وهذا مما سهل شأن القضاء عليهم باستمرار .

حركة الزنج (٦٩٤هـ/١٢٩٤م) :

ومن الثورات التي تحدث عنها ابن خلدون ثورة الزنج بقيادة رياح الملقب بشير زنجي ، ولم تكن هذه الثورة ذات شأن فهؤلاء كانوا قد خرجوا أيام مصعب بن الزبير فأفسدوا الثمار والزروع ثم خرجوا أيام الحجاج بقصد الافساد فقاتلهم الحجاج وهزمهم وأبادهم^(١).

ولم يأت ابن خلدون بجديد في هذه الحركة التي أهملها الطبري وذكرها ابن الأثير^(٢)، وكنا نود أن يتحدث عن دوافعها لاسيما وهي حركة قام بها مجموعة من الناس الذين لاشأن لهم في المجتمع الأموي ، اذ كان هدفها الافساد ، كما أنها لم تنطلق من منطلق فكري أو سياسي معين .
والراجع أن الوضع السيء لهذه الفئة دفعها للتعبير عن رفضها بتلك الطريقة الدموية العشوائية .

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٥٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٨٨ .

حركات أخرى فى المشرق :

بالإضافة الى الثورات التى تبنت أفكارا جماعية كثورات الشيعة والخواارج كانت هناك ثورات دعا لها أفراد من سائر الناس بدعوى فساد الحكم القائم وضرورة تغييره الى وضع أفضل يتمشى مع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولم تكن هذه الثورات مدروسة الخطى بحيث تعرف موازين الهزيمة أو الانتصار ، ولهذا كانت كلها تنتهى بالفشل الذريع مع القضاء على قادتها وتشتيت أتباعهم .

وسنتحدث مع ابن خلدون عن أهم هذه الثورات ونتائجها .

أولا : حركة المطرف بن المغيرة بن شعبة (٥٧٧/٦٩٦م) .

وكان المطرف واليا للحجاج بن يوسف على المدائن ، وقد اتصل به شبيب الخارجي وأرسل له بعض أصحابه ، زعموا أنهم دعاة الى كتاب الله وسنة رسوله ، وانهم تقموا على الدولة الأموية الاستئثار بالفىء وتعطيل الحدود والتسلط بالجزية ، فوجدت هذه الأفكار هوى فى نفس مطرف ، فطلب منهم أن يبايعوه على قتال هؤلاء الظلمة ، ودعى أصحابه الى خلع الحجاج وعبد الملك والدعوة الى كتاب الله وسنة رسوله .

ولما سمع الحجاج بهذا الخبر أرسل له جيشا لقتاله واستطاع قتله وتفريق أصحابه (١) .

وكان مذكره ابن خلدون موافقا لما ذكر عند الطبرى وابن الأثير (٢) .

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٢٠٠-٢٠١ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٢٨٤-٣٠٠ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٤ ، ص ٤٣٣-٤٣٧ .

ثانيا : حركة عبد الرحمن بن الأشعث^(١) (٨١-٨٤هـ/٧٠٠-٧٠٤م)

كان "رتبيل" ملك الترك مصالحا للمسلمين ويؤدي الخراج ولما امتنع عن تأدية الخراج أصر الحجاج على قتاله وجهاز أربعين ألف مقاتل جعل عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث مع شدة كراهيته له ، وقد حذره بعضهم منه فلم يمتنع . وقد استطاع ابن الأشعث أن ينجح في مهمته^(٢) ، وأجل التوغل في البلاد الى السنة القادمة فأمره الحجاج بالاسراع في دخول تلك المناطق والا فيعطى الولاية لأخيه . وقد استشار ابن الأشعث جماعته فثاروا على الحجاج وطالبوا بخلعه وتولية ابن الأشعث مكانه . ويبدو أن ابن الأشعث استحسّن رأى أتباعه - اذ يبدو أنه قد أعد نفسه لذلك - فبادر من فوره فعين عمالا على بعض المدن مثل : بست^(٣) ، وكرمان^(٤) ، وغيرهما وتوجه الى العراق بعد أن بايعه الناس على "السنة وعلى جهاد أهل الضلالة والمحلين وخلعهم"^(٥).

وفي شهر ذى الحجة سنة ٨١هـ/٧٠٠م قاتل ابن الأشعث الحجاج وهزمه ثم دخل البصرة فبايعه أهلها كراهة منهم للحجاج لأنه شدد عليهم في أخذ الجزية ، وفي محرم سنة ٨٢هـ/٧٠١م تقاتل ابن الأشعث مع الحجاج فهزمه مرة أخرى^(٦). لكن دارت الدائرة على ابن الأشعث ، اذ قاتله الحجاج قرابة

(١) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي ، القائد الأموي الخارج على عبد الملك والحجاج ، كانت بينه وبين الدولة الأموية حروب انتهت بمقتله سنة ٨٤هـ . عنه انظر : ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ١ ، ص ٨٧ وما بعدها .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٦٠-٦١ .

(٣) مدينة بين سجستان وغزني وهراة كثيرة الأنهار والبساتين وقد خرج منها جماعة من أعيان الفضلاء .

(٤) عنها انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤١٤-٤١٩ . ولاية مشهورة معمورة ذات بلاد وقرى واسعة تقع بين فارس ومكران وسجستان وخراسان تكثر فيها التمور ، فتحت في خلافة عمر بن الخطاب .

عنها انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٥٤ .

(٥) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٦١ .

(٦) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٦١-٦٢ .

مائة يوم وهزمه وفتك بجماعته ، وقد توجه ابن الأشعث الى البصرة فبايعه أهلها ومن معهم على الموت ، وتقابل مع الحجاج لكن دون جدوى اذ هزم وقتل من جماعته عدد كبير . واتجه ابن الأشعث بعد هذه الهزائم المتلاحقة الى "رتبيل" ملك الترك^(١) للصلح الذي كان بينهما اذ صالح عبد الرحمن رتبيل على أنه ان ظهر فلاخراج على رتبيل مابقى من الدهر وان هزم منعه ممن يريد^(٢)، لكن الحجاج كتب اليه يطلب منه تسليم ابن الأشعث فاشترط عليه أن يكف عن أرضه سبع سنين فوافق الحجاج فبعث اليه برأس ابن الأشعث وقيل : بل مات ابن الأشعث بالسل فقطع رأسه وأرسله له^(٣). لقد تحدث ابن خلدون عن هذه الثورة كما تحدث عنها الطبرى وابن الأثير^(٤)، ولا نجد عنده تميزا عنهما سوى ميله للاختصار .

ثالثا : حركة قتيبة بن مسلم^(٥) (٧١٤م/٩٦هـ)

كان قتيبة واليا على خراسان من قبل الوليد بن عبد الملك فلما تولى سليمان بن عبد الملك خافه قتيبة لسوء العلاقة بينهما لموافقته الوليد على خلع سليمان ، فكتب له يطلب منه أن يبقيه على ولاية خراسان ويؤمنه فوافق سليمان غير أن بعض المقربين من قتيبة حذروه من سليمان ونصحوه بمعاجلته ، فدعا الناس الى خلعه لكن معظمهم لم يجيبوه وتخلوا عنه ، وذلك مثل الأزدي الذين استطاعوا أن يقاتلوا قتيبة بقيادة وكيع^(٦) الذي بايعته

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٦٣-٦٤ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٦١ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٦٦ .

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٣٢٦ وما بعدها ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٤ ، ص ٤٥٤ وما بعدها .

(٥) قتيبة بن مسلم الباهلى ، من قادة المسلمين ، قتل سنة ٩٦هـ بخراسان وكان قد وليها عشرون سنة .

عنه انظر : ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج ١ ، ص ١١٢ .
(٦) هو أبو مطرف وكيع بن حسان بن قيس بن أبى سود التميمى غلب على خراسان فى أيام سليمان بن عبد الملك وظل بها تسعة أشهر بعد قتله قتيبة بن مسلم حتى وليها يزيد بن المهلب سنة ٩٧هـ .

عنه انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٥١٠ وما بعدها .

الأزد لمقاتلة قتيبة ، فقد استطاع تحقيق نصر ساحق عليه انتهى بمقتله (١). وما ذكره ابن خلدون هنا يوافق ما عند الطبرى وابن الأثير (٢).

رابعا : حركة يزيد بن المهلب (١٠١-١٠٢هـ / ٧١٩-٧٢٠م)

كان يزيد واليا على خراسان فلما استقرت البيعة لعمر بن العزيز طلب منه القدوم عليه ، كما طلب في الوقت نفسه من عامله على البصرة عدى بن أرطأه (٣) أن يقبض على يزيد ويرسله اليه مقيدا ، ولما تم له هذا سجن يزيد بدعوى أخذه أموالا ليست له (٤) ، لكن يزيد احتال لنفسه حتى خرج من السجن وجمع حوله بعض مؤيديه وقاتل عدى بن أرطأه والى البصرة وهزمه ودخل البصرة وهرب وجهأوها منها . وازاء هذا الموقف بعث يزيد ابن عبد الملك أخاه مسلمة على رأس جيش قوامه حوالى سبعون ألف مقاتل وقد استطاع هذا الجيش بعد قتال عنيف أن يهزم ابن المهلب ويقتله (٥).

لقد عمد ابن خلدون الى الاختصار فى الحديث عن هذه الثورة قياسا بالطبرى وابن الأثير ، كما أنه أغفل بعض الروايات التى تتعلق بهذه الحادثة حيث ذكرها الطبرى وابن الأثير (٦).

-
- (١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٨٦-٨٨ .
 (٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٥٠٦-٥١٨ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٥ ، ص ١٢-١٩ .
 (٣) عدى بن أرطأة الفزارى الدمشقى . تولى إمارة البصرة فى زمن عمر بن عبد العزيز وقد مات مقتولا سنة ١٠٢هـ .
 عنه انظر : الذهبى : سير أعلام النبلاء ، ج ٥ ، ص ٥٣ .
 (٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٩٤-٩٥ .
 (٥) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٩٦-٩٩ .
 (٦) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٥٥٦ وما بعدها ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٥ ، ص ٤٨ وما بعدها .

خامسا : حركة الحرث بن شريح^(١) بخراسان (١١٦-١٢٨هـ/٧٣٤-٧٤٥م)
كان الحرث من عظماء الأزد في خراسان وقد تبنى في بداية أمره
الدعوة لآل البيت ولبس شعارهم وهو اللون الأسود ، وكان ذلك سنة
١١٦هـ/٧٣٤م .

وقد سار الى بلخ^(٢) وقاتل نصر بن سيار أميرها وهزمه ، ثم سار الى
مرو^(٣) فهزمه عاصم أميرها وقتل عددا من رجاله^(٤).

وفي سنة ١١٧هـ/٧٣٥م عزل هشام عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي
عن خراسان وولى عليها أسد بن عبد الله القسرى^(٥) ، فساء هذا التصرف
عاصم وحاول أن ينضم الى الحرث في المطالبة بتحكيم الكتاب والسنة لكن
الحرث رفض هذا العرض فقاتله عاصم وهزمه^(٦).

ولما ضاق الأمر بالحرث انضم الى خاقان وكان كافرا وأغراه بغزو
خراسان فلما علم أسد القسرى بذلك حرض الناس على القتال وبين لهم

(١) ورد الاسم هكذا عند ابن خلدون . والصحيح كما ورد في كتب التاريخ الأخرى
هو الحارث بن سريح . انظر مثلا : ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ، ص ١٨٣-١٨٤ .
وهو الحارث بن سريح التميمي ، ثائر من الأبطال ، كان من سكان خراسان
وخرج على أميرها سنة ١١٦هـ ، فلبس السواد خالعا طاعة بني مروان وعظم أمره ،
تقاتل مع نصر بن سيار وقتل أمام سور مرو سنة ١٢٨هـ .

الزركلى : الأعلام ، ج ٢ ، ص ١٥٤ .

(٢) مدينة عظيمة بخراسان ، افتتحها الأحنف بن قيس في خلافة عثمان بن عفان .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٧٩ .

(٣) مدينة قريبة من مرو الشاهجان تقع على نهر عظيم ، خرج منها جمع عظيم من أهل
العلم .

عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١١٢ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١١٥-١١٦ .

(٥) أسد بن عبد الله القسرى ، أخو خالد بن عبد الله ، كان خالد على العراق
وما يليه من الأهواز وفارس والجلال ، وأخوه أسد على خراسان ، وكان بدء
ولايتيهما في سنة ١٠٦هـ وعزلا سنة ١٢٠هـ .

ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ١٢٤ وما بعدها .

(٦) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١١٦ .

بشاعة عمل الحرث الذى يوالى أعداء الله ضد اخوانه المسلمين . وقد استطاع أسد أن ينتصر على الحرث وحليفه خاقان وأسر منهم عددا كبيرا^(١). وعاد الحرث بعد هذه الهزيمة الى بلاد الترك وبقي عندهم حتى أخرجوه الى فاراب^(٢) اثر اشتراط ذلك عليهم بعد أن هزمهم المسلمون^(٣). واستمر الحرث عند الترك قرابة اثني عشر عاما ولما وقعت الفتنة في خراسان خشى نصر بن سيار أن يستظهر الكرمانى^(٤) عليه بالحرث فكتب اليه بالأمان وأن يعطيه مالا ويوليه وكان ذلك سنة ١٢٧هـ / ٧٤٤م فأجابه الحرث بقوله : "لست من الدنيا واللذات في شيء ، وانما أسأل كتاب الله والعمل بالسنة وبذلك أساعدك على عدوك ، وانما خرجت من البلاد منذ ثلاث عشرة سنة انكارا للجور فكيف تريدني عليه؟ وبعث الى الكرمانى : ان عمل نصر بالكتاب عضدته في أمر الله ولاأعتبك ان ضمننت لى القيام بالعدل والسنة"^(٥). فلما تولى مروان خشى الحرث على نفسه لأنه لم يأخذ الأمان من مروان فخرج وطلب من نصر أن يجعل الأمر شورى فأبى نصر فقاتله الحرث ودخل مرو . ولما اختلف الحرث بعد ذلك مع الكرمانى تحاربا واستطاع الكرمانى أن ينتصر على الحرث ويقتله وكان ذلك سنة ١٢٨هـ / ٧٤٥م منهيًا بذلك هذه الثورة التى أقضت مضجع الدولة الأموية سنوات طويلة^(٦).

-
- (١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١١٨ .
 (٢) ولاية وراء نهر سيحون في تخوم بلاد الترك . اليها ينسب الفارابى ومجموعة من العلماء .
 عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٢٥ .
 (٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٢٢ .
 (٤) الكرمانى ، هو على بن جديع الكرمانى . لمزيد من التفاصيل عنه انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ ، ص ٣٦٧ ومابعدها ، أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى : جمهرة أنساب العرب ، (بيروت ، دار الكتب العلمية) ص ٣١٧ .
 (٥) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٣٩ .
 (٦) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٤٤-١٤٥ .

ولما قتل الكرمانى الحرث بن شريح خلصت له مرو فقاتله عليها نصر
ابن سيار حتى ضعف الفريقان .
وفى هذه الأثناء كان أبو مسلم الخراسانى يرقب هذا القتال فلما تأكد
من ضعف الفريقين استمال اليه ابن الكرمانى ثم انتصر على نصر ودخل مرو
معلنا بذلك بداية قيام الدولة العباسية^(١).
وكعاداته فقد وافق ابن خلدون مذكره الطبرى وابن الأثير عن هذه
الثورة الا أنه كان يميل الى الاختصار بينما أسهب الآخران^(٢).

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٤٨، ١٤٩ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ ، ص ٩٤ ومابعدھا ؛ ابن الأثير : الكامل
فى التاريخ ، ج ٥ ، ص ١٨٣ ومابعدھا .

حركات البربر فى العهد الأموى :

بدأت علاقة المسلمين بالمغرب وأهله فى عهد مبكر من انتشار الاسلام اذ قامت حملات متتابعة الى تلك البلاد لتبليغ دعوة الاسلام الى أهله ، وكان مجموعة من الصحابة يشاركون فى تلك الفتوحات ولعل عقبة بن نافع الذى استشهد فى تلك البلاد أحد أشهر هؤلاء الصحابة .

ثم مارس هذا الدور أناس آخرون ممن كانوا يحرصون على متابعة طرق أسلافهم ، ومنهم تابعيون كثر كان منهم القائد الكبير زهير بن قيس البلوى الذى استشهد فى تلك البلاد .

ولقد كان البربر فى بداية أمرهم نصارى أو وثنيين وبدأت دعوة الاسلام تسرى بينهم حتى أصبحت بلادهم كلها تدين بالاسلام وأصبح منهم قادة أجلاء شاركوا فى تلك الفتوحات .

وقد تحدث ابن خلدون عن علاقة المسلمين بالبربر بالتفصيل ، وفى هذا الباب سبق غيره من المؤرخين القدامى ، ولعل المنهج الذى اتبعه فى كتابه من تخصيص جزء هام منه للمغرب كان له أثر واضح فى تميزه عن غيره من المؤرخين الذين تحدثوا عن التاريخ الاسلامى بشكل عام .

ومن تتبع ماكتبه ابن خلدون عن الأحداث التى قام بها البربر ابان العهد الأموى وجدنا أنه أشار الى بعض الأحداث التى أغفلها الآخرون كالطبرى وابن الأثير ، وهذه الأحداث وهى وان لم تكن فى صلب الثورات بمفهومها العام والذى التزمناه فى حديثنا عن الثورات التى قامت ضد الدولة الأموية الا أننا سنشير اليها لتمييز ابن خلدون بالحديث عنها دون سواه . وكان بعض قادة البربر قد ارتدوا عن الاسلام فحاربهم أبو المهاجر^(١) ، وأسر كبيرهم كسيلة^(٢) وأبقاه أسيرا لديه حتى

(١) أبو المهاجر مولى مسلمة بن مخلد ولاءه أفريقية سنة خمس وخمسين فغزا المغرب ، وبلغ الى تلمسان ثم عزل بعد ذلك .

عنه انظر : ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٢٣٧-٢٣٨ .

(٢) كسيلة بن أغز البرنسى من أهل المغرب الأقصى ومن عظماء البربر أسلم له وقعت مع بعض قادة المسلمين فى المغرب .

عنه انظر : الناصرى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج ١ ، ص ٨٠ .

أسلم . وقد كان عقبة يستهين بكسيلة ويستخف به وأمره يوما بسلخ شاة بين يديه فقام اليها مغضبا وهو يتوعد ، فلما بلغ ذلك أبا المهاجر نهى عقبة عنه وخوفه فتكه فتهاون عقبة بقوله (١).

وقد كان هذا التصرف من عقبة دافعا لكسيلة ولجماعته البربر أن يثوروا على عقبة واستطاعوا أن ينتهزوا الفرصة ويقتلوه ومن معه ، ودخل كسيلة القيروان وملكها مدة خمس سنين . وقد استمر كسيلة يحكم القيروان حتى جاء زهير بن قيس البلوى فحاربه سنة ٦٧هـ / ٦٨٦م وقتله (٢).

لقد فشلت دعوة الخوارج في البربر أيام ميسرة المظفرى (٣) سنة ١٢٣هـ / ٧٤٠م (٤)، وقد قام ميسرة بالانتفاض على الدولة الأموية عندما أساء حاكم طنجة (٥) السيرة في البربر ، فقد أراد أن يأخذ الخمس منهم زاعما أنه الفىء ، فقاتله ميسرة وقتله ودخل طنجة وبايعه البربر بالخلافة ولقبوه بـ "أمير المؤمنين" ، لكن ميسرة أساء السيرة في البربر فقتلوه وولوا مكانه خالد بن حبيب الزناتى (٦) فقاتل العرب الذين كان يقودهم خالد بن حبيب

-
- (١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٤٢ .
 (٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٩٣ . وردت هكذا عند ابن خلدون والصحيح ماورد عند ابن الأثير أنها سنة ٦٩هـ / ٦٨٨م . ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ١٠٨ .
 (٣) ميسرة المعروف بالخفير ، من البربر وعلى مذهب الصفرية من الخوارج وكان اماما في هذا المذهب ، مات مقتولا .
 عنه انظر : الناصرى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج ١ ، ص ١٠٨ .
 (٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٢١٣ . وعند ابن الأثير نجد أن هذا الحدث كان سنة ١١٧هـ / ٧٣٥م . ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ١٩١ .
 (٥) مدينة مشهورة على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء ، ينسب اليها مجموعة من أهل العلم .
 عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٢ .
 (٦) ورد عند ابن الأثير : خالد بن حميد الزناتى ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ١٩٢ .

وهزمهم . وفي سنة ١٢٣هـ/٧٤٠م^(١) ولى هشام على أفريقية كلثوم بن عياض^(٢)، فقاتله البربر وقتلوه ، ولما بلغ خبر مقتل كلثوم بن عياض هشام ابن عبد الملك بعث حنظلة الكلبي^(٣) الى افريقية سنة ١٢٤هـ/٧٤١م^(٤).
وفي سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م تولى عبد الرحمن بن حبيب أمر أفريقية فثارت عليه خوارج المغرب من كل جهة وذلك سنة ١٣١هـ/٧٤٨م واستطاع أن يهزمهم جميعا ويقتل معظم قادتهم^(٥).

وقد حفظ لنا ابن خلدون نصوصا تاريخية تشير الى وجود حركات اصطبغت بصبغة دينية وسياسية بين أبناء البربر أنفسهم وان لم يشر الى موقف الدولة الأموية منها الا أنه انفرد بذكرها عن غيره من المؤرخين مثل الطبرى وابن الأثير ، ومن هذه الحركات حركة طريف أبو صبيح والذي كان يعرف بأبي صالح أيضا ، وقد كان من قواد ميسرة المظفرى الذى تقلد أمر الدعوة الى مذهب الصفرية من الخوارج الا أنه بعد انقراض أمره قام طريف هذا بنفس الدور ثم ادعى النبوة فيمابعد وشرع بعض الشرائع ، ولما هلك حل مكانه ابنه صالح وكان من أهل العلم المغشوش ، كما كان مرافقا لميسرة فى حروبه ، وقد سار على سيرة أبيه فادعى النبوة كذلك وادعى نزول القرآن عليه وكان يتلو عليهم سورا منه ، منها سورة الديك وسورة الجمل وسورة الفيل وسورة آدم وسورة نوح وسور أخرى منسوبة الى كثير من

(١) عند ابن الأثير هذا الحدث سنة ١١٧هـ . ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٥ ، ص ١٩٢ .

(٢) كلثوم بن عياض القشيري، قتل فى المغرب سنة ١٢٣هـ وكان يحارب الخوارج . عنه انظر : ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج ١ ، ص ١١٦ .

(٣) حنظلة بن صفوان الكلبي ، تولى امارة المغرب ، وانتصر على البربر فى أكثر من موقعة .

عنه انظر : الناصرى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج ١ ، ص ١١٣ .
(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٢٤١ ، ج ٦ ، ص ١٤٥ .

(٥) المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٤٢-٢٤٣ .

الأنبياء ، وسورة هاروت وماروت وابليس ، وسورة غرائب الدنيا ، وفيها العلم العظيم بزعمهم ، حرم فيها وحلل ، وشرع وقص ، وكانوا يقرؤونه في صلواتهم ، وكانوا يسمونه صالح المؤمنين^(١).

وقد ظهر صالح هذا في خلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٢٧هـ / ٧٤٤م وادعى - اضافة الى ماسبق - أنه المهدي ، وأن عيسى عليه السلام سيكون صاحبه وسيصلي خلفه .

وعهد بالأمر من بعده لابنه الياس وقد أظهر هذا الاسلام وأبطن دعوة والده ، وولى من بعده ابنه يونس "فأظهر دينهم ودعا الى كفرهم وقتل من لم يدخل في أمره حتى حرق مدائن تامسنا وماوالاها ، يقال انه حرق ثلثمائة وثمانين مدينة ، واستلحم أهلها بالسيف لمخالفتهم اياه ، وقتل منهم بموضع يقال له تاملوكاف ، وهو حجر عال نابت وسط الطريق فقتل سبعة آلاف وسبعمائة وسبعين"^(٢).

وبعد هلاك يونس انتقل الأمر عن بنيه وولى هذا الأمر أبو غفير محمد ابن معاد بن اليسع بن صالح بن طريف واستولى على ملك برغواطة وأظهر دين آبائه ، وذهب ابن خلدون الى القول بأن أبي غفير قد استفحل أمره وخاض معارك عدة مع البربر^(٣). وبعد هلاكه ظل الأمر في عقبه الى أن تم القضاء عليهم في القرن الخامس الهجري^(٤).

كما أشار ابن خلدون كذلك الى حادثة صولات بن وزمار وكان من كبار البربر ، وقد أسلم في زمن عثمان بن عفان ووفد عليه فأكرمه عثمان وأحسن اليه وعقد له على عمله . وقد بقي صولات مواليا لآل عثمان من بني أمية ولهذا ظاهر الدعوة المروانية في الأندلس رعاية لولائه .

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٧٦ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٧٦-٢٧٧ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢٧٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٦ ، ص ٢٧٩ .

ولما هلك صولات قام ابنه حفص بالأمر من بعده ، ثم خزر ابن حفص ، وقد أدرك خزر هذا ثورة ميسرة فظهر أمره على المضرية في القيروان ، ولما ضعف شأن بني أمية في المشرق ازدادت قوته وعظم جبروته وظل الأمر كذلك حتى قامت دولة الأدارسة^(١) (١٧٢-٣٧٥هـ/٧٨٨-٩٨٥م) . لقد انفرد ابن خلدون بذكر هاتين الحادثتين أما ماسواهما فقد تقارب مع ابن الأثير في معظم الأحداث واختلف عن الطبرى الذى أغفل جزءا من هذه الأحداث بالكلية^(٢) .

من خلال الاستعراض التاريخى للحوادث والحركات التى حدثت ابان حكم الدولة الأموية تبرز لنا بعض ملامح وجهة نظر ابن خلدون فى طرحه لهذه القضايا الفكرية والسياسية اذا كان لابن خلدون وجهة نظر خاصة حول مسألة الثورة والثائرين ، فهو يرى أن الثورة لابد لها من مقومات وأنها بدون هذه المقومات تكون خاسرة ، ويكون أصحابها مأزورين غير مأجورين ، وهو يعتقد أن هذه المقومات منصوص عليها شرعا ، ولهذا لا يصح تجاوزها بأى حال من الأحوال ، يقول فى مقدمته :

"ومن هذا الباب أحوال الشوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء . فان كثيرا من المنتحلين للعبادة وسلوك طرق الدين يذهبون الى القيام على أهل الجور من الأمراء داعين الى تغيير المنكر والنهى عنه ، والأمر بالمعروف ، رجاء فى الثواب عليه من الله ، فيكثر أتباعهم والمنتشبتون بهم من الغوغاء والدهماء ، ويعرضون أنفسهم فى ذلك للمهالك ، وأكثرهم يهلكون فى تلك السبيل مأزورين غير مأجورين ، لأن الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم ، وانما أمر به حيث تكون القدرة عليه ، قال صلى الله عليه وسلم : "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٧ ، ص ٣٤ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٤ ، ص ٢٥٤-٢٥٥ ، ج ٥ ، ص ٢٤٠ ، ج ٦ ، ص ٦١٧ ، ج ٧ ، ص ١٩١ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٣ ، ص ٤٦٦-٤٦٧ ، ج ٤ ، ص ١٠٥ وما بعدها ، ج ٥ ، ص ١٩٠ وما بعدها .

يستطع فبقليه" (١). وأحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يزعزحها ويهدم بناءها الا المطالبة القوية التي من ورائها عصبية القبائل والعشائر كما قدمناه وهكذا كان حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم الى الله بالعشائر والعصائب ، وهم المؤيدون من الله بالكون كله لو شاء ، لكنه انما أجرى الأمور على مستقر العادة ، والله حكيم عليم" (٢).

أما ماحدث من هذه الثورات بين الصحابة والتابعين فله فيه رأى آخر فهو يقرر "أن اختلافهم انما يقع في الأمور الدينية وينشأ عن الاجتهاد في الأدلة الصحيحة والمدارك المعتبرة . والمجتهدون اذا اختلفوا : فان قلنا ان الحق في المسائل الاجتهادية واحد من الطرفين ، ومن لم يصادفه مخطيء ، فان جهته لا تتعين باجماع ، فيبقى الكل على احتمال الاصابة ، ولا يتعين المخطيء منهم ، والتأثير مدفوع عن الكل اجماعا ، وان قلنا ان الكل على حق وان كل مجتهد مصيب ، فأحرى بنفى الخطأ والتأثير . وغاية الخلاف الذى بين الصحابة والتابعين أنه خلاف اجتهادى فى مسائل دينية ظنية وهذا حكمه . والذى وقع من ذلك فى الاسلام انما هو واقعة على مع معاوية ومع الزبير وعائشة وطلحة ، وواقعة الحسين مع يزيد ، وواقعة ابن الزبير مع عبد الملك" (٣).

وهذا الرأى الذى تبناه ابن خلدون هو الرأى الشرعى الصحيح فالصحابه كلهم عدول وماوقع منهم اجتهاد فى تحرى موقع الحق ومن ثم الدفاع عنه .

لكن ابن الوردى لا يرى مايراه ابن خلدون فى مسألة الثورات ، ويؤكد أن هذا الاتجاه ذو نزعة واقعية "لا يخلو من غرابة وغلو" . وأن الذين قالوا بهذا الرأى الفقهاء المتأخرون بسبب ارتباطهم بالدولة القائمة "فقد كانوا فى الغالب موظفين لدى الحكومة يعتمدون عليها فى رزقهم ويأملون منها

(١) مسلم بن الحجاج بن مسلم : الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ، ج ١ ، ص ٥٠ .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٥٢٩ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦١٧ .

الترفيح والمكافأة ، ولهذا كانوا يشجبون كل ثورة من شأنها تهديد الحكومة القائمة التي يرتزقون منها" (١).

ويرى ابن الوردي كذلك أن ابن خلدون "يمجد الثورة الناجحة بغض النظر عما ينتج عنها من فوضى وسفك دماء" (٢)، كما أنه يشجب "من الجانب الآخر كل ثورة فاشلة" (٣). ويخلص ابن الوردي في النهاية الى الرأي الذى يتبناه وهو أن "الثورات لا تخضع للحساب الدقيق كما يريد ابن خلدون منها أن تكون ، انها ليست كمثل الصفقة التجارية حيث لا يقوم التاجر بها الا بعد أن يحسب حسابه . كثيرا مايكون الثائر مؤمنا بالمبدأ الذى يشور من أجله ، وهو يندفع به فلا يبالى أوقع الموت منه أم وقع عليه . ورب ثائر يثور دون أن يكون لديه مايؤهله للنجاح ، ثم يأتيه النجاح من حيث لا يحتسب . فالمسألة أعظم من أن تخضع لحساب التجار" (٤).

والواقع أن الخلاف بين ابن خلدون وابن الوردي خلاف فى أصل المنهج ، هذا الخلاف الذى يؤدى بالتالى - على الأرجح - الى خلاف فى النتائج .

فابن خلدون ينطلق من القاعدة الشرعية وهى أن تغيير المنكر بحسب القدرة عليه ، وأن المجازفة التى تتضح من الأساس لا تجوز لما يحصل فيها من سفك الدماء ومن الخراب الشامل دون الوصول الى الهدف المتوخى منها . أما ابن الوردي فهو لا ينظر الى النتائج لأنها ليست مهمة فى نظره ، وقد تأتى - كما يقول - دون أن يحسب لها الانسان حسابا ، وانما المهم التعبير عن السخط والثورة على المنكر مهما كانت التوضيحات ، اذ أن الدولة التى قامت بفضل ثورة أوصلتها الى مركزها القيادى فانه لاحالة سوف تكون الثورة نفسها عاملا فى زوالها .

ونحن نعتقد أن مسألة القيام على الحكومات الظالمة يجب أن يكون

(١) ابن الوردي : منطق ابن خلدون فى ضوء حضارته وشخصيته ، ص ٢٣٩، ٢٤٠ .

(٢) ابن الوردي : منطق ابن خلدون فى ضوء حضارته وشخصيته ، ص ٢٤٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٤١ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٢٤١-٢٤٢ .

بحساب دقيق يتمشى وروح الشريعة الاسلامية بعيدا عن العواطف والانفعالات الطارئة .

والحقيقة التي نؤمن بها أن الأفعال الظاهرة للانسان قد لا تفسر النوايا التي تقف وراء هذه الأفعال اذ قد يجتهد صاحب الفعل في الوصول الى هدف سام قد رسمه واتخذ له أسبابا غير مقنعة ، لكن يبقى هنا الهدف الذي ترمى له الحركة سليما ولكن الخطأ نبع من الخطوات التي اتخذت للوصول اليه أو تحقيقه . ان الأهداف اذا كانت سليمة والخطط التي اتخذت لتحقيقها واضحة متقنة تكون النتيجة في الغالب نجاحها . وفي هذا المعنى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "اذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر" (١).

ومن هنا فقد يكون أولئك الذين تبناوا هذه الحركات ذوى نيات حسنة يبتغون الاصلاح ويسعون اليه وقد ضحوا بحياتهم في سبيله ، ونحن حينما نحكم على ثوراتهم اليوم نقول انهم أخطأوا الطريق وسلكوا السبيل المعوج وألقوا بأنفسهم وبمن معهم الى الهلاك . فالحكم النهائي يحتاج الى دقة كبيرة ومعرفة شاملة للدوافع والنتائج .

أما أن هذه الثورات أثرت على الدولة فهذا مالا شك فيه ، ولعلها من أسباب التعجيل بسقوطها .

لقد تحدث عن هذه الثورات أحد المؤرخين المعاصرين فأشار الى أنها كانت من أسباب ضعف الدولة الأموية ، كما أكد أن هؤلاء الثائرين يلامون على تصرفاتهم أكثر من الدولة الأموية بكثير لأنهم - كما يقول - ثاروا لأطماع شخصية وأن المبادئ التي نادوا بها كانت شعارا لهذه الأطماع الا عددا قليلا منهم (٢).

(١) أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي : عون المعبود شرح سنن أبي داود ، تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان ، (ط ٢ ، المدينة المنورة ، المكتبة السلفية : ١٣٨٨هـ) ، ج ٩ ، ص ٤٨٨ .

(٢) عبد الحليم عويس : بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهيال الداخلي ، ص ٧٩ .

المبحث الرابع
الفتوحات الإسلامية
والسياسة الخارجية لبنى أمية

* منهج الطبرى وابن الأثير وابن كثير
فى عرض فتوحات بنى أمية .

* خصائص المنهج الخلدونى فى عرض فتوحات بنى
أمية وسياستهم الخارجية .

منهج الطبرى وابن الأثير وابن كثير فى عرض فتوحات بنى أمية .

يتسم منهج خليفة بن خياط فى عرض الفتوحات ومايستفاد فى طبيعة العلاقات الخارجية الأموية بالايجاز الشديد ، نظرا للاختصار الشديد الذى التزمه ابن خياط فى تأريخه كله .

ولم يقدم لنا خليفة مادة كافية نستطيع مقارنتها بما كتبه الطبرى أو ابن الأثير ، فضلا عن أن نقارنها بما كتبه ابن خلدون .

وحسب كتابه أنه يتضمن اشارات فى سطور معدودة حول الفتوحات والحروب التى وقعت فى العصر الأموى . ومع ايجازها فلاشك أنها مما استفاد منه واعتمد عليه الطبرى ، وبني فوقه مادته الكثيرة التى تعتبر - بحق - أصلا لابن الأثير ولابن خلدون وابن كثير وغيرهم .

فالطبرى - اذن وليس ابن خياط - هو الذى نستطيع أن نجد عنده المادة التى تقارنها بابن خلدون ، سواء ماأورده ابن خلدون على هيئة نماذج وآراء وشواهد فى مقدمته ، أو ماأورده على شكل وقائع وتحليلات فى الفصول الخاصة ببنى أمية فى كتابه العبر .

وقد التزم الطبرى منهج الحديث عن الغزوات باجمال فى أول تأريخه للحول الذى يريد تتبع ماوقع فيه . أما الحديث بتفصيل - ان جاء به - فهو يأتى به بعد أن ينتهى من الوقائع الاجمالية التى يذكرها فى صدر السنة التى يؤرخ لها . فاذا ضربنا أمثلة لهذا النهج ، فاننا نذكر ماأورده - على سبيل المثال - فى تأريخه لسنة ٤٣هـ / ٦٦٣م . يقول الطبرى : "ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث"^(١) . وهذا هو العنوان ، وهو عنوان يتكرر فى كل سنة بلفظه غالبا وبمعناه فى بعض الأحيان .

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ١٨١ .

ثم يدخل الطبرى فى ذكر الوقائع فيقول : "فمن ذلك غزوة بسر بن أبى أرطاه^(١) الروم ومشتاه بأرضهم حتى بلغ القسطنطينية - فيما زعم الواقدي - وقد أنكر ذاك قوم من أهل الأخبار ، فقالوا : لم يكن لبسر بأرض الروم مشى قط . وفيها مات عمرو بن العاص بمصر يوم الفطر ... وفيها ولى معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص^(٢) مصر بعد موت أبيه ... وفيها مات محمد بن مسلمة فى صفر بالمدينة ، وصلى عليه مروان بن الحكم ... وفيها قتل المستورد بن علفه الخارجى ، فيما زعم هشام بن محمد . وقد زعم بعضهم أنه قتل فى سنة اثنتين وأربعين . ذكر الخبر عن مقتله^(٣) . يقصد مقتل المستورد بن علفه الخارجى .

ويدخل الطبرى بعد ذلك فى تفصيل قتل المستورد بتفصيل كبير استغرق عددا كثيرا من الصفحات ، كما أنه استغرق بقية الحديث عن السنة كلها . اللهم الا الخبر الذى درج الطبرى على ذكره وتأخيره وهو حول من حج بالناس فى هذه السنة .

وفى حديث الطبرى عن حوادث سنة ٤٤٤هـ / ٦٦٤م نجد المنهج نفسه ، فبعد العنوان ، يذكر أنه مما كان فيها من الأحداث "دخول المسلمين مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد^(٤) بلاد الروم ومشتاهم بها ، وغزو بسر بن أبى أرطاة البحر ... وفى هذه السنة عزل معاوية عبد الله بن عامر^(٥)

(١) بسر بن أبى أرطاة القرشى ، ولى لمعاوية بعض الأعمال ومات فى ولاية عبد الملك ابن مروان .

عنه انظر : البستى : مشاهير علماء الأمصار ، ص ٥٣ .

(٢) عبد الله بن عمرو بن العاص صحابى وابن صحابى ، روى عدة أحاديث عن الرسول الكريم وشهد بعض المغازى ، وقد توفى سنة ٦٣هـ .

عنه انظر : الذهبى : سير أعلام النبلاء ، ج ٣ ، ص ٧٩ وما بعدها .

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ١٨١ .

(٤) عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، له صحبة ، مات سنة ٤٦هـ .

عنه انظر : البستى : مشاهير علماء الأمصار ، ص ٥٢ .

(٥) عبد الله بن عامر بن كرير بن ربيعة القرشى ، ولاه عثمان البصرة ، شهد الجمل

ولم يحضر صفين ، ولاه معاوية البصرة ثم عزله . مات سنة ٥٨هـ على الأرجح .

العسقلانى : الاصابة فى تمييز الصحابة ، ج ٣ ، ص ٦١-٦٢ .

عن البصرة . ذكر الخبر عن سبب عزله "(١) . ثم يكتب الصفحات الباقية في قصة هذا العزل .

وفي سنة ٤٧هـ / ٦٦٧م - بعد العنوان - يذكر أن فيها كان مشتي مالك ابن هبيرة (٢) بأرض الروم ، ومشتي أبي عبد الرحمن القيني بأنطاكية (٣) ، ثم يفصل عند الحديث عن عزل عبد الله بن عمرو بن العاص عن مصر (٤) .

وفي حديثه عن سنة ٤٩هـ / ٦٦٩م يذكر أن فيها كان مشتي مالك بن هبيرة بأرض الروم ، وغزوة فضالة بن عبيد جربة (٥) ، وشتا بجربة ، وفيها كانت صائفة عبد الله بن كرز البجلي ، وفيها كانت غزوة يزيد بن شجرة الرهاوي (٦) في البحر ، وفيها كانت غزوة عقبة بن نافع البحر ، وفيها كانت غزوة يزيد بن معاوية الروم حتى بلغ القسطنطينية ، وفيها عزل معاوية مروان بن الحكم . وفي آخر السنة يتحدث عن حج بالناس في هذه السنة ، وعن ثبات العمال أو تغير بعضهم (٧) .

وفي حديثه عن سنة ٥٢هـ / ٦٧٢م يذكر أن الواقدي (زعم) - وهي عادته عندما يأخذ عن الواقدي وتكون هناك آراء أخرى - أن فيها كانت

-
- (١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٢١٢ .
 (٢) مالك بن هبيرة السكوني ، كان يقيم بمصر مدة وبالشام زمنا .
 عنه انظر : البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ص ٥٣ .
 (٣) هي قصبة العواصم من الثغور الشامية ، توصف بالحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء ، فتحها أبو عبيدة بن الجراح صلحا وأخذ الجزية من أهلها .
 عنها انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٦٦ .
 (٤) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٢٢٩ .
 (٥) قرية بالمغرب وقيل جزيرة بالمغرب من ناحية افريقية قرب قابس فيها بساتين كثيرة
 عنها انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١١٨ .
 (٦) يزيد بن شجرة الرهاوي ، يقال له صحبة . كان أمير الجيوش في غزو الروم ،
 استشهد سنة ٥٨هـ .
 عنه انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٩ ، ص ١٠٦ .
 (٧) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

غزوة سفيان الأزدي^(١) ومشتاه بأرض الروم . وقال غيره : بل الذى شتا بأرض الروم فى هذه السنة بسر بن أرطاه . ونعتقد أنه يصف الواقدي بالزعم لأنه يرجح رأى الآخر ، وإن لم يرجح صراحة على عادته . ومن ثم يختم السنة بمن حج بالناس وبجالة عمال الأمصار وهل ثبتوا أو تغير بعضهم^(٢) .

وفى حديثه عن سنة ٦٧٨/٥٥٩م يبدأ - أيضا - بذكر الغزوات ففيها كان مشى عمرو بن مرة الجهنى بأرض الروم . وهنا يأخذ عن الواقدي بصيغته غير (زعم) فيقول : (قال الواقدي) . ويقول أيضا : (قال غيره) فكان الرايين عنده متكافئان .

ثم يفصل فى قضية استعمال معاوية عبد الرحمن بن زياد بن سميّه خراسان^(٣) .

وعندما نصل الى سنة ٧٠٦/٥٨٨م فسوف نجد منهاج الطبرى يتطور مع تطور الوقائع ، فيفصل القول فى فتح حصن من حصون الروم ، ويعتمد على الواقدي فيقول : "فذكر محمد بن عمر الواقدي"^(٤) - على سبيل التقرير - أن ماأخذه حقائق ، وبعد أن يذكر بعض الأحداث الداخلية فى الدولة الاسلامية يذكر أنه فى هذه السنة غزا قتيبة راميثة^(٥) وغيرها ويذكر بالتفصيل الخبر عن غزوته تلك^(٦) .

ونجد الأسلوب نفسه فى تأريجه لسنة ٧٠٧/٥٨٩م^(٧) .

(١) سفيان بن عوف الأزدي ، صحابى استعمله معاوية على الصوائف ، وغزا القسطنطينية .

العسقلاني : الاصابة فى تمييز الصحابة ، ج ٢ ، ص ٥٤ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٢٨٧ .

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٣١٥ .

(٤) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٤٣٤ .

(٥) قرية بخارى . عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٨ .

(٦) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٤٣٦-٤٣٧ .

(٧) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٤٣٩-٤٤١ .

وفي تأريخه لسنة ٩١هـ/٧٠٩م يذكر غزو الصائفة على يد عبد العزيز بن الوليد ، فيما ذكر محمد بن عمر الواقدي وغيره ، وفيها غزا مسلمة الترك ، وموسى بن نصير^(١) الأندلس ، وفيها قتل قتيبة بن مسلم نيزك طرخان . ثم يرجع الطبري الحديث عن قصة نيزك وظفر قتيبة به حتى قتله^(٢) ، تمزيقا للحدث حسب نظام التاريخ الحولي المعروف .

وفي سنة ٩٢هـ/٧١٠م يذكر غزو مسلمة بن عبد الملك وعمر بن الوليد أرض الروم ، ويذكر في عدد محدود من الأسطر ، غزو طارق بن زياد^(٣) الأندلس ، وغزو قتيبة - فيما زعم أهل السير - سجستان . ثم ينتهي بالحديث عن من حج بالناس ، وعن حالة عمال الأمصار في هذه السنة^(٤) .

وكل هذا فيما يقل عن صفحة واحدة . لكنه يفصل الحديث عن غزوة قتيبة لشاش^(٥) ، وفرغانة^(٦) في تأريخه لسنة ٩٤هـ/٧١٢م^(٧) .

(١) موسى بن نصير اللخمي فاتح الأندلس ، كان من التابعين تولى افريقية والمغرب سنة ٧٧هـ . ولد سنة ١٧هـ وتوفي سنة ٩٩هـ وهو في طريقه الى الحج .

ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٥ ، ص ٣١٨ ومابعدا .
(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٤٥٤-٤٦١ .

(٣) طارق بن زياد مولى موسى بن نصير ، كان أميراً على طنجة وله فتوحات كثيرة في الأندلس ، اذ فتحها سنة ٩٢هـ .

عنه انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٤ ، ص ٥٠٠ .

(٤) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٤٦٨ .

(٥) بلد متاخم لبلاد الترك كثير الخيرات ، وقد خربها خوارزم شاه وجلا عنها أهلها لعجزه عن ضبطها .

عنها انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٠٨ .

(٦) مدينة متاخمة لبلاد تركستان ويتبعها قرى كثيرة وهي بلاد تكثر فيها الزروع والفواكه .

عنها انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٥٣ .

(٧) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٤٨٣-٤٨٤ .

وفي سنة ٧٩٨هـ / ٧١٦م يبدو تركيز الطبرى وتفصيله على مايتصل بالغزوات ، ومنها توجيهه أخاه مسلمة الى القسطنطينية ، وفتح مدينة الصقالبة ، وغزو يزيد بن المهلب جرجان (١) وطبرستان (٢) وماجرى في هذا الغزو من وقائع تتبعها الطبرى بشيء كثير من التفصيل (٣) .
وكذلك فصل القول في الغزوات في حديثه عن سنة ١٠٤هـ / ٧٢٢م (٤) ،
١١٢هـ / ٧٣٠م (٥) .

ونحن ندرك من تتبعنا لمنهج الطبرى فيما يتعلق بتأريخه للغزوات أنه يميل في الأغلب الى ذكرها في صدر حديثه ، وكأنه يفرغ منها على عجل ، مثلما يرصد في آخر حديثه في السنة أمر الحج والعمال ، فلما اتسعت الفتوحات في عهد الوليد وسليمان وهشام بدأ يفصل القول ، لكن تفصيله بقى أقل بكثير من التتبع الكافي الذى يتواءم مع هذا الجهد الذى بذله بنو أمية في الفتوحات ، وكان حديث الطبرى عن المشكلات الداخلية والعزل والولاية والفتن أكثر من حديثه عن هذه الفتوحات ، وهو منهج نرى أن فيه اجحافا بها ، وهو الأمر الذى سنجده يختلف - بدرجة كبيرة - عند العلامة عبد الرحمن بن خلدون الذى ستعتدل لديه - الى حد كبير - موازين الرصد للوقائع ، وموازين تقويم الأحداث ، فضلا عن بروز شخصيته ، وادلائه برأيه وتعظيمه له ، ونفيه لرأى مخالفه بالنقل والعقل ، وهو ماافتقده منهج الطبرى .

-
- (١) مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان ، خرج منها عدد كبير من العلماء في شتى العلوم ، فتحها سويد بن مقرن صلحا وأخذ الجزية من أهلها سنة ١١٨هـ .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١١٩ .
- (٢) بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم . خرج منها عدد كبير من أهل العلم والفقه والأدب وأهم بلدانها جرجان واستراباذ وآمل .
عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٣ .
- (٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٥٣٠-٥٤٥ .
- (٤) المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٧-٢٠ .
- (٥) المصدر نفسه ، ج ٧ ، ص ٧٠-٨٧ .

أما ابن الأثير عز الدين صاحب الكامل المتوفى سنة ١٢٣٢/٥٦٣٠ م ، فيختلف منهجه - بعض الاختلاف - من منهج الطبرى ، وإن كان واضحا اعتماده على الطبرى بصفة اجمالية .

ففى ذكره لأحداث سنة ٦٦٣/٥٤٣ م - وهى السنة التى قدمناها مع غيرها نموذجا لمنهج الطبرى - يورد ابن الأثير الأحداث نفسها التى أوردها الطبرى بالترتيب نفسه ، وبالاتماد على الواقدي نفسه ، فمصادرها - اذن - متفقة ، وأيضا باستعمال الأسلوب الدال على مستوى الثقة فى الرواية ، اذ هو يستخدم بعض العبارات مثل : زعم ، وقال ، وأحيانا يستخدم صيغة التقرير الجازمة .

وقد فصل الحديث أيضا فى أمر فتنة المستورد الخارجى (١). وزاد على الطبرى فى رصده لبعض الغزوات ومايتصل بالفتوح بالتفصيل ، فقد تحدث - فى السنة نفسها - عن عود عبد الرحمن بن عامر بن عبد الرحمن بن سمرة (٢) على سجستان فيفتحه حتى يبلغ كابل ، وقد تحدث - أيضا - عن غزو عبد الله بن سوار العبدى (٣) للسند باستعمال من عبد الله بن عامر ، وتحدث - كذلك - عن ولاية عبد الله بن خازم (٤) لخراسان .

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٣ ، ص ٤٢٥-٤٣٦ . وهو المستورد بن علفه التميمى - من تيم الرباب ، اجتمع عليه الخوارج وبايعوه أميرا للمؤمنين سنة ٦٦٣/٥٤٣ م وقتل فى حروبه بعد مبارزة مع معقل بن قيس الرياحى .
نايف معروف : الخوارج فى العصر الأموى ، (ط ٣ ، بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر : ١٤٠٦هـ) ، ص ١١٧-١١٩ .

(٢) أبو سعيد صحابى من القادة الولاة ، أسلم يوم فتح مكة وشهد غزوة مؤتة ، وسكن البصرة وافتتح سجستان وكابل وغيرهما ، وولى سجستان وغزا خراسان ففتح بها فتوحا ثم عاد الى البصرة فتوفى فيها سنة ٥٥٠ .
الزركلى : الأعلام ، ج ٣ ، ص ٣٠٧ .

(٣) عبد الله بن سوار العبدى : استعمله عبد الله بن عامر على ثغر الهند . كان كريما جوادا .

عنه انظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٣ ، ص ٤٣٧ .

(٤) هو عبد الله بن عامر بن عبد الله بن خازم بن ظبيان . تولى خراسان سنة ٥٤٣ .
عنه انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٢٠٩ .

وفي حديثه عن أحداث سنة ٤٤٤/٦٦٤م يورد الأحداث نفسها التي أوردتها الطبري ، ويفصل الحديث عن عزل عبد الله بن عامر مثلما فصل الطبري ، لكنه يفصل القول في استلحاق معاوية زيادا ، ويورد غزو المهلب ابن أبي صفرة لشعر السند^(١).

وفي تتبعه لوقائع سنة ٤٤٧/٦٦٧م يختلف المنهج بين المؤرخين ، ويبدو تتبع الطبري الاجمالي أكثر ، وتفصيلات ابن الأثير أكثر^(٢).

ويتجلى تفصيل ابن الأثير واجمال الطبري في تاريخ سنة ٤٤٩/٦٦٩م حيث وقف ابن الأثير وقفات متأنية وفاحصة في غزوة القسطنطينية على يد يزيد بن معاوية^(٣).

ولانجد خلافا كبيرا في رصدهما لوقائع سنتي ٥٥٢/٦٧٢م و ٥٥٩/٦٧٨م^(٤).

والحق أن ابن الأثير يتميز بتفصيله الكثير فيما يتصل بفتح المسلمين للمغرب على يد عقبة بن نافع وأبي المهاجر دينار وزهير بن قيس البلوي وحسان بن النعمان^(٥) وموسى بن نصير^(٦)، وهو أمر يؤكد اطلاع ابن الأثير على مصادر جديدة لم تكن قد توافرت لعهد الطبري ، ولربما كانت مصادر مغربية أو مشرقية كتبها مشاركة عاشوا في المغرب أو الأندلس . ولقد أثبت ابن الأثير - بحق - تفوقه في هذا الجانب لدرجة أن ماسجله عن تاريخ المغرب والأندلس كان له دوره الكبير والأساس في

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٤٤٠-٤٤٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٤٥٥-٤٥٦ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٥٨-٤٥٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٤٩١-٤٩٢، ٥٢١-٥٢٦ .

(٥) حسان بن النعمان الغساني كان عاملا لعبد الملك على مصر ثم بعثه الى المغرب لقتال البربر فانتصر عليهم في أكثر من موقعة ، ثم استقر في القيروان مدة عاد بعدها الى المشرق .

عنه انظر : الناصري : الاستقصا لدول المغرب الأقصى ، ج ١ ، ص ٩٢ وما بعدها .
(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١ ، ص ١٠٥ وما بعدها .

تعريف المشاركة بتاريخ المغرب ، ولاسيما تاريخ البربر وفترة الفتوحات والفترة التي صحبت العهد الأموي .

والحق أن ماكتبه ابن الأثير في فتوحات المغرب والأندلس والعلاقات بين المشاركة والمغاربة يصلح أن يكون كتابا مستقلا يقدم مادة وافرة . وقد اتسم حديث ابن الأثير بتفصيل أوفى من الطبرى في حديثه - كذلك - عن فتوحات ماوراء النهر والهند^(١).

وبصفة عامة فإن تتبع ابن الأثير للغزوات - مع اعتماده على الطبرى وغيره - كان أكثر توضيحا وتفصيلا ، وأكثر تكاملا ، مما يمكن القول انه يشكل نسيجاً وافياً مترابط الخيوط للغزوات ، وأنه - بيقين - مرحلة أكثر بروزاً من مرحلة ابن جرير الطبرى .

فاذا جئنا للحافظ ابن كثير المتوفى سنة ٥٧٧٤هـ / ١٣٧٢م وكتابه البداية والنهاية وجدناه يعتمد - كذلك - على مصادر الطبرى وابن الأثير ، ويعتمد الطبرى مصدراً من مصادره التي يأخذ عنها ، فكان ابن كثير يكرر كثيراً ماأورده الطبرى . لكنه مع ذلك يعتمد مصادر جديدة تعطيه امكانية تفصيل بعض الأمور التي قد لا تتصل بالوقائع مباشرة لكنها تتصل بالآراء والتحليل ، ففي حديثه عن وقائع سنة ٤٣هـ / ٦٦٣م نجده يختصر في فتنة ابن المستورد^(٢) ، لكنه يفصل في وفاة عمرو بن العاص ويعقب على ماأورده الامام أحمد بن حنبل وابن اسحاق ، وان كان عرضه للفتوحات لا يضيف جديداً فيما يتصل بالدولة الأموية^(٣).

وفي حديث ابن كثير عن أحداث سنتي ٤٧هـ / ٦٦٧م وسنة ٤٩هـ / ٦٦٩م نجده لا يضيف من الناحية التاريخية جديداً الا أنه يدعم رواياته ببعض الأشعار الواردة فيها ، ولهذا فهو يعتمد على مصادر أدبية^(٤).

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٤٥٠ وما بعدها .

(٢) وقعة بين الخوارج بقيادة المستورد بن علقمة وبين جند الكوفة .

عنها انظر : ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ٢٤-٢٥ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ٢٤-٢٧ .

(٤) المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣١، ٣٢ .

أما في تتبعه لحوادث سنة ٦٧٠/٥٥٠م فقد أشار - بإيجاز - الى ولاية عقبة ابن نافع على المغرب وبناء القيروان ، وزاد ايراد بعض الروايات ، كرواية دعاء عقبه لله أن يخرج السباع والحيات من موضع بناء القيروان (١).

وترد غزوات سنة ٦٧٢/٥٥٢م عنده موجزة غاية الإيجاز ، أما غزوات سنة ٦٧٨/٥٥٩م فلا جديد في المعلومات التي قدمها ابن كثير حولها (٢). وفي تاريخ سنة ٧٠٦/٥٨٨م يورد تسجيله للوقائع الحربية التي أوردتها ابن الأثير والطبري ، وينقل عن الأخير بعض المعلومات الأخرى (٣). ولا يضيف الا قليلا من التفصيل في تاريخ سنة ٧٠٧/٥٨٩م (٤).

أما تأريخه لسنة ٧٠٩/٥٩١م فيكاد يتميز بتبعه لجهود مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه عبد العزيز بن الوليد في ناحية ما وراء النهر ، وفي حديثه عن موسى بن نصير ، اذ أورد بعض المعلومات عن أحوال الأندلس التي وجدها عليها موسى بن نصير ، كما فصل في غزوة قتيبة بن مسلم والشروط التي وضعها (٥).

وقد تطرق الى بعض الحكايات الواردة عن خلاف طارق بن زياد مع موسى بن نصير دون أن يمحس الروايات ، وذلك أثناء حديثه عن أحداث سنة ٧١٠/٥٩٢م ، وذكر أن موسى حسد طارقا وأنه كتب الى الوليد يبشره بالفتح وينسبه لنفسه وكتب الى طارق يتوعده ويأمره أن لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به (٦).

-
- (١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ٤٥ .
 - (٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ٩٤، ٥٨ وما بعدها .
 - (٣) المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٧٤-٧٦ .
 - (٤) المصدر نفسه ، ج ٩ ، ص ٧٦-٧٧ .
 - (٥) المصدر نفسه ، ج ٩ ، ص ٨١-٨٢ .
 - (٦) المصدر نفسه ، ج ٩ ، ص ٨٣ .

ونجد تأثيرا لمنهج ابن كثير الذى أشرنا اليه وهو ادخاله الشعر والمصادر الأدبية فى الكتابة التاريخية عند حديثه عن الغزوات التى وقعت سنة ٧١٢م/٥٩٤ (١) .

أما عرضه الذى أوضح فيه بتفصيل مقتل قتيبة بن مسلم ، فقد جاء واضحا ومنصفا ومبررا شرعيا ، وقد عقب ابن كثير على هذه النهاية بقوله عن قتيبة بعد أن مدحه : "ولكن زل زلة كان فيها حتفه ، وفعل فعلة رغم فيها أنفه ، وخلع الطاعة فبادرت المنية اليه ، وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية ، لكن سبق له من الأعمال الصالحة ما قد يكفر الله به سيئاته" . وقد أورد شعرا كثيرا فى مدح قتيبة وفى رثائه (٢) .

ويمثل ماأورده ابن كثير عن موسى بن نصير وحياته وفتوحاته والعجائب التى وجدها فى الأندلس ، وصلاحه وتقواه ، مايعد اضافة جيدة تحسب له (٣) .

ونحن نجد من خلال النظرة الشاملة للمصادر الكبرى الثلاثة التى سبقت ابن خلدون ، ومثلت الأعمال الموسوعية المحايدة التى يعتمد عليها المؤرخون فى المشرق بصفة غالبة نجد أن هذه الموسوعات قد أخذ بعضها برقاب بعض ، وتكاد الألفاظ تتشابه بينها عند عرضها لبعض الغزوات . وقد يكون هذا شيئا طبيعيا ، اذ الوقائع لا تؤلف ولا تخترع ، ومن الواجب اعتماد اللاحقين على السابقين .

لكننا نلاحظ أن تقديم الوقائع كان بعيدا عن التحليل والتبرير فى كثير من الأحيان ، بل كان الاعتماد على مصادر جديدة نادرا لديهم ، ولم يظهر بدرجة كبيرة عند ابن الأثير الا فيما يتصل بتاريخ المغرب والأندلس ، اذ كان ابن الاثير قد اطلع بيقين - كما أفادتنا المعلومات - على مصادر

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٩ ، ص ٩٥ ومابعدها .

(٢) المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ١٦٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٩ ، ص ١٧١-١٧٤ .

مغربية وأندلسية اضافية مكنته من تقديم هذا القدر من المعلومات المتكاملة والوافية .

وقد أضاف ابن كثير مصادر جديدة ، فلم يكتف بالواقدي ، ولا بالطبري ، بل رجع الى ابن عساكر^(١) والى غيره ، كما رجع الى مصادر أدبية متعددة ، وقد أحسن في تبرير بعض الوقائع ، وترجيح بعضها ، وهو الأمر الذي لم يكن موجودا عند الطبري . وإن كان الأمر - مع ذلك - لم يبلغ أن يكون منهجا كاملا ، بل كان محصورا في وقائع محددة ، بحيث نستطيع القول ان منهج ابن خلدون يبدو متميزا ومبررا وقائما على نقد تاريخي نقلي وعقلي لم يتوفر لغيره من السابقين في الموسوعة التاريخية ، ويتجلى ذلك اذا ما جمعنا ماورد في المقدمة خاصا ببني أمية بالاضافة الى ماورد في كتاب العبر .

(١) عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن عساكر ، فقيه دمشق ولد سنة ٥٥٥ هـ وتوفي سنة ٦٢٠ هـ بدمشق .

عنه انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٣ ، ص ١٣٥ .

خصائص المنهج الخلدوني فى عرض فتوحات بنى أمية وسياستهم الخارجية :

لقد تتبع ابن خلدون فى كتابه العبر فتوحات الدولة الأموية التى بدأت بوصول معاوية رضى الله عنه الى الخلافة واجماع المسلمين عليه عام الجماعة^(١) سنة ٦٤١/٦٦١ م .

لقد كان من جراء الفتنة التى وقعت بين على ومعاوية رضى الله عنهما (٣٥-٤١هـ/٦٥٥-٦٦١م) أن توقفت الفتوح فى كثير من النواحي ، وعلى رأسها فتوحات المغرب الذى كان المسلمون قد بذلوا فيه جهودا كثيرة لم يقدر لها النجاح ، لأنها كانت تفتقد الاستمرارية والتخطيط .

فلما ولى عمرو بن العاص رضى الله عنه مصر من قبل معاوية استعمل عقبة بن عامر بن عبد قيس^(٢) على أفريقية ، فافتتح سنة ٤٢هـ/٦٦٢م غدامس^(٣) . وفى السنة التالية افتتح عدة مدن ، وأثنى فى تلك النواحي ، وكان له فيها جهاد وفتوح . ثم ولاه معاوية على أفريقية سنة ٥٠هـ/٦٧٠م

(١) انظر تعريف عام الجماعة ص ١١٩ .

(٢) عقبة بن عامر بن عيس بن قيس الجهنى الصحابى المشهور ، تولى امرة مصر فى عهد معاوية .

عنه انظر : العسقلانى : الاصابة فى تمييز الصحابة ، ج ٢ ، ص ٤٨٢ .
ورد هكذا (عقبة بن عامر بن عبد قيس) فى نسخة تاريخ ابن خلدون التى اعتمدت عليها والصحيح أنه (عقبة بن نافع بن عبد قيس الزهرى) . انظر : خليفة بن خياط ، ص ٢٠٤ ، القرطبي : الاستيعاب فى أسماء الأصحاب ، ج ٣ ، ص ١٠٨ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٣ ، ص ٤١٩ ؛ أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، ج ٣ ص ٤٢٠ .

عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر القرشى الفهرى ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتصح له صحبة ، ولاه عمرو بن العاص افريقية لما كان على مصر وافتتح عامة بلاد البربر وهو الذى بنى القيروان فى عهد معاوية قتل عقبة سنة ٦٣هـ .

ابن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، ج ٣ ، ص ٤٢٠-٤٢١ .

(٣) غدامس عند ياقوت وهى مدينة بالمغرب ضاربة فى بلاد السودان .

عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٨٧ .

وبعث اليه عشرة آلاف فارس ، فدخل أفريقية وانضم اليه مسلمو البربر ، فكبّر جمعه ووضع السيف في أهل البلاد ، لأنهم كانوا اذا جاءت عساكر المسلمين أسلموا ، فاذا رجعوا عنهم ارتدوا فرأى أن يتخذ مدينة يعتصم بها فاتخذ القيروان وبنى بها المسجد الجامع (١).

ومن القيروان كان عقبة يغزو ويبعث سرايا للاغارة والنهب وقد تتبع ابن خلدون سلسلة فتح العرب لأفريقية بعد مرحلة عقبة والقيروان ، فعرض لولاية أبي المهاجر دينار ، ثم ولاية عقبة الثانية في عهد يزيد واستشهاده على يد كسيلة ، ثم زهير بن قيس البلوى ، فحسان بن النعمان الغساني سنة ٦٩٣هـ / ٥٧٤م . وفي عهد هشام كان على أفريقية والأندلس حبيب ابن أبي عبيدة (٢) بن عقبة بن نافع (٣).

وكان تتبع ابن خلدون لولاية أفريقية والمغرب يأخذ أكثر من أسلوب فهو حيناً يتتبعه - موضوعياً - وحين آخر يتتبعه عن طريق حديثه عن ولاية المغرب وأفريقية بالتفصيل ، واليا واليا ، فهو يترجم لكل واحد منهم بدءاً من معاوية بن خديج (٤) ، وعقبة بن نافع ، وأبو المهاجر دينار ، وعقبة بن نافع ثانياً ، وزهير بن قيس البلوى ، وحسان بن النعمان الغساني (٥). ثم

-
- (١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٢، ١٣، ١٦٩ .
 (٢) حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري من قادة فتح المغرب . قاتل البربر وانتصر عليهم أكثر من مرة ، حاصر صقلية وأخذ الجزية من أهلها .
 عنه انظر : الناصري : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج ١ ، ص ١٠٩ .
 (٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٧٠، ١٧٢، ١٧٦ .
 (٤) معاوية بن خديج ابن جفنة السكوني . أمير قائد له صحبة ، تولى إمارة مصر ليزيد ولي غزو المغرب مرارا وتوفي سنة ٥٥٢هـ .
 عنه انظر : العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة ، ج ٣ ، ص ٤١١ .
 ورد الاسم هكذا عند العسقلاني وابن خلدون وورد معاوية بن خديج عند ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٤٧ .
 (٥) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٢٣٦-٢٣٨ .

موسى بن نصير ، ثم محمد بن يزيد^(١) ، فاسماعيل بن أبي المهاجر^(٢) ، فيزيد ابن أبي مسلم^(٣) ، فبشر بن صفوان^(٤) ، فعبدة بن عبد الرحمن^(٥) ، فعبدة الله بن الجحاب^(٦) ، فكلثوم بن عياض ، فحبيب بن عبد الرحمن^(٧) . وهو لا يترجم لهؤلاء ترجمة تقليدية ، وإنما يضع اسمهم عنوانا ويضع تحته اسمهم في فتح المغرب .

وعلى سبيل المثال ، تقتبس ترجمته لمعاوية بن خديج التي يقول فيها : "ثم اغزى معاوية بن أبي سفيان معاوية بن خديج السكوني أفريقية سنة أربع وثلاثين ، وكان عاملا على مصر فغزاها ونازل جلولا^(٨) ، وقاتل مدد

-
- (١) محمد بن يزيد ، مولى قرشي ، ولاء سليمان امرة المغرب والأندلس وكان عادلا مجاهدا . واستمر في ولايته حتى وفاة سليمان .
- (٢) عنه انظر : الناصري : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج ١ ، ص ١٠٠ . اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر ، مولى بني مخزوم . ولاء عمر بن عبد العزيز جند أفريقية . ومات سنة ١٣٢ هـ .
- (٣) عنه انظر : البستي : مشاهير علماء الأمصار ، ص ١٧٩ . يزيد بن أبي مسلم الثقفي ، مولى الحجاج وكاتبه وخليفته على العراق بعد موته . توفي سنة ١٠٢ هـ .
- (٤) عنه انظر : ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ١ ، ص ١٢٤ . بشر بن صفوان الكلبي ، أمير مصر في عهد يزيد بن عبد الملك ، ثم أمير أفريقية بعد ذلك . توفي في القيروان .
- عنه انظر : ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ١ ، ص ٢٤٤ .
- (٥) عبدة بن عبد الرحمن السلمي ، تولى على المغرب في عهد هشام بن عبد الملك ثم عزله هشام بعد ذلك .
- عنه انظر : الناصري : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج ١ ، ص ١٠٤ .
- (٦) عبدة الله بن الجحاب . مولى بني سلول ، ولاء هشام بن عبد الملك على المغرب ، وكان من كبار قادة فتح المغرب والأندلس .
- عنه انظر : الناصري : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج ١ ، ص ٥ .
- (٧) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٢٣٩ وما بعدها .
- (٨) مدينة مشهورة في أفريقية ، وهي قديمة مبنية بالصخر ، فتحها عبد الملك بن مروان . عنها انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٥٦ .

الروم الذى جاءها من قسطنطينية .. فغلبهم ، وأقلعوا الى بلادهم ، وافتتح جلولاى وغنم وأثنى وققل" (١). والواضح أن ابن خلدون أخطأ فى تحديد تاريخ هذه المعركة اذ وقتها لم يكن معاوية رضى الله عنه خليفة اذ لم يتول خلافة المسلمين الا فى سنة ٤١هـ . والصحيح ماأورده ابن الأثير عن هذه الغزوة التى ذكر أنها وقعت سنة ٤٥هـ (٢).

وفى ترجمته لعقبة وأبى المهاجر يقول : "ثم ولى معاوية سنة خمس وأربعين عقبة بن نافع بن عبد الله بن قيس الفهرى على أفريقية واقتطعها عن معاوية بن خديج ، فبنى القيروان وقاتل البربر وتوغل فى أرضهم . ثم استعمل معاوية على مصر وأفريقية مسلمة بن مخلد ، فعزل عقبة عن افريقية وولى مولاه أبا المهاجر ديناراً سنة خمس وخمسين فغزا المغرب ، وبلغ الى تلمسان ، وخرب قيروان عقبة وأساء عزله ، وأسلم على يديه كسيلة الأوربي بعد حرب ظفر به فيها" (٣).

وفى أسلوب آخر يتحدث ابن خلدون عن المغرب وافريقية ويتتبع أخبارها موضوعيا فيعرض لأخبار البربر من سكانه على الجملة من قبل الفتح الاسلامى ومن بعده الى ولاية بنى الأغلب (١٨٤-٢٩٦هـ / ٨٠٠-٩٠٨م) (٤). وهو فى هذا الموضوع يصور حالهم ابان الفتوحات ، وكيف تلقوا أخبارهم

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٢٣٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٣ ، ص ٤٧ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٢٣٧ .

(٤) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١٣٩ .

وبنى الأغلب وهم أسرة مستنيرة حكمت افريقية طوال القرن الثالث الهجرى ، أسسها ابراهيم بن الأغلب بن سالم التميمى الذى ثبته الرشيد فى ولاية افريقية فى سنة ١٨٤هـ ولقد عملت هذه الأسرة على نشر الحضارة الاسلامية فى البلاد التى خضعت لنفوذها وشيدوا المساجد والحصون وشجعوا الآداب والعلوم والفنون . سقطت هذه الدولة فى عهد زيادة الله بن عبد الله آخر أمراء بنى الأغلب سنة ٢٩٦هـ .

السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٤٠٤، ٣٧٢ .

عن الفتح الاسلامى ، وكيفواجهوا الفتوحات . ولهذا فنحن لانستطيع أن نستغنى عن قراءة هذه الصفحات ونحن نسجل رصدنا لحديث ابن خلدون عن الفتوحات ، وكنموذج لتأكيد هذا المنهج نرصد حديثه عن زهير بن قيس البلوى فى ولاية عبدالملك بن مروان للثأر بدم عقبة سنة ٦٨٦/هـ : "ولما استقل يزيد بن معاوية بالخلافة، رجع عقبة بن نافع الى أفريقية سنة اثنتين وستين فدخل أفريقية ، وقد نشأت الردة فى البرابرة فزحف اليهم ، وجعل مقدمته زهير بن قيس البلوى وفر منه الروم والفرنجة فقاتلهم ، وفتح حصونهم ... وفتح أذنه^(١) قاعدة الزاب بعد أن قاتله ملوكها من البربر فهزمهم ، وأصاب من غنائمهم وحبس أبا المهاجر فلم يزل فى اعتقاله . ثم رحل الى طنجة فأطاعه يليان ملك غمارة ، وصاحب طنجة وهاداة وأتحفه .. فسار عقبة وفتح وغنم وسبى وأثنى فيهم ... ووقف على البحر المحيط وقفل راجعا"^(٢).

ثم يتابع ابن خلدون عرضه للوقائع فيتحدث بتفصيل عن مقتل عقبة على يد كسيلة الذى كان قد ارتد واضطعن على عقبة لمعاملته له ، وقد نجح كسيلة فى حصار عقبة وقتل عقبة فى ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين^(٣). "ولما ولى عبد الملك بن مروان بعث الى زهير بن قيس بمكانه من برقه بالمدد ، وولاه حرب البرابرة فزحف سنة سبع وستين ودخل أفريقية ولقيه

(١) بلد من الثغور قرب المصيصة ، فيها نهر يقال له سيحان . وقد خرج منها جماعة من أهل العلم .

عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٣٢ .
وردت هكذا (أذنه) فى نسخة تاريخ ابن خلدون التى اعتمدت عليها والصحيح أنها (أربه) . انظر : ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ١٠٥ .
أربه : اسم مدينة بالمغرب من أعمال الزاب ، وهى أكبر مدينة بالزاب يقال ان حولها ثلاثمائة وستين قرية .

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٤٠ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٢٣٧ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٢٣٨ .

كسيلة على ميس^(١) من نواحي القيروان فهزمه زهير بعد حروب صعبة ، وقتله واستلحم في الواقعة كثير من أشرف البربر ورجالاتهم . ثم قفل زهير الى المشرق زاهدا في الملك ، وقال : انما جئت للجهاد وأخاف أن نفسى تميل الى الدنيا ، سار الى مصر واعترضه بسواحل برقة أسطول صاحب قسطنطينية جاؤا لقتاله فقاتلهم واستشهد رحمه الله تعالى ... ثم ان عبد الملك بن مروان بعد أن قتل عبد الله بن الزبير وصفا له الأمر ، أمر حسان بن النعمان الغساني بغزو أفريقية ، وأمدّه بالعساكر ، ودخل القيروان وافتتح قرطاجنة^(٢) عنوة وخربها ، وفر من كان بها من الروم والفرنجة الى صقلية^(٣) والأندلس^(٤) .

"ثم سار حسان الى الكاهنة^(٥) ملكة جراوة بجبل أوراس^(٦) ، وهى يومئذ أعظم ملوك البربر ، فحاربها ، وانهزم المسلمون وأسر منهم جماعة ، وأطلقتهم الكاهنة سوى خالد بن يزيد القيسى فانها أمسكتة وأرضعته مع ولديها وصيرته أخا لهما . وأخرجت العرب من أفريقية وانتهى حسان الى برقة وجاءه كتاب عبد الملك بالمقام حتى يأتيه المدد . ثم بعث اليه المدد سنة

(١) وردت هكذا عند ابن خلدون ، بينما وردت ممش عند ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ١٠٨ .

(٢) بلد قديم في نواحي افريقية بينها وبين تونس اثنا عشر ميلا ، فتحها حسان بن النعمان في خلافة عبد الملك بن مروان .

عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٢٣ .
(٣) جزيرة في بحر المغرب مقابل أفريقية ، خصبة الأرض كثيرة المياه . فتحها أسد بن الفرات سنة ٢١٢ هـ .

عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٤١٦ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٢٣٨ .

(٥) دها بنت ماتي الزناتية ، صاحبة جبل أوراس وكبيرة قومها جراوة والبت ، قتلها خالد بن يزيد سنة ٧٤ هـ .

عنها انظر : الناصري : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج ١ ، ص ٩٢-٩٣
(٦) أوراس جبل بأرض افريقية فيه عدة بلاد وقبائل من البربر .

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٧٨ .

أربع وسبعين فسار الى أفريقية ودس الى خالد بن يزيد يستعمله فأطلعه على خبرهم ، واستحثه فلقى الكاهنة وقتلها وملك جبل أوراس وماليه ، ودوخ نواحيه وانصرف الى القيروان وأمن البربر .. ورجع الى عبد الملك ، واستخلف على أفريقية رجلا اسمه صالح من جنده .. ولما ولى الوليد بن عبد الملك كتب الى عمه عبد الله وهو على مصر ويقال عبد العزيز أن يبعث بموسى بن نصير الى أفريقية... وقدم القيروان وبها صالح خليفة حسان فعقد له ، ورأى البربر قد طمعوا في البلاد فوجه البعوث في النواحي ، وبعث ابنه عبد الله^(١) في البحر الى جزيرة ميورقة^(٢) فغنم منها وسبي وعاد . ثم بعثه الى ناحية أخرى ... وتوجه هو الى ناحية فغنم منها وسبي وعاد ... ثم غزا طنجة ... وأذعن البربر لسلطانته ودولته ... وذلك سنة ثمان وثمانين^(٣).

وفي تتبع مفصل دقيق يخضع لمنهجية واضحة عرض ابن خلدون لكل الولاية في افريقية غير هؤلاء الأعلام الفاتحين ، فعرض لمحمد بن يزيد واسماعيل بن أبي المهاجر ، ويزيد بن أبي مسلم ، وبشر بن صفوان الكلبي ، وعبيدة بن عبد الرحمن ، وعبيد الله بن الحبحاب مولى بني سلول ، وكلثوم ابن عياض الذي ولى سنة ١٢٣هـ / ٧٤٠م من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك

(١) عبد الله بن موسى بن نصير ، والده موسى من أشهر قادة فتح المغرب والأندلس وقد استعان بابنه عبد الله في بعض غزواته ، قتله محمد بن يزيد سنة ٩٧هـ . عنه انظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ١ ، ص ٢٣٥ .

(٢) جزيرة في شرقي الأندلس ينسب اليها جماعة من كبار العلماء ، وهي جزيرة من ثلاث جزر وتسمى الجزائر الشرقية أو جزر البليار .

عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٤٦ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٢٣٩ .

وحبيب بن عبد الرحمن^(١) الذى هرب من العباسيين ولحق بتونس^(٢).
وهكذا عرض لنا ابن خلدون حياة القادة الفاتحين للمغرب والولاة
الحاكمين من قبل الخلفاء أو أمير مصر من خلال سرده لفتح بنى أمية فى
المغرب واخضاعه لحكمهم .

لكنه - كذلك - يشير الى هؤلاء الولاة حين يجمع "عمال بنى أمية على
النواحي"^(٣). فهو يشير الى تولية عمرو بن العاص لعقبة بن نافع ابن خالته
على افريقية ، ويشير كذلك الى بعض غزواته ، كما يشير الى ولاية أبى
المهاجر ، وولاية عقبة الثانية ، والى بقية الولاة^(٤).

فهو بهذا يقدم لنا معلومات عن المغرب من كل الوجوه التى تخدم
المادة الحضارية والسياسية ، ويبرز لنا أساليب بنى أمية فى حكم الأمصار
التابعة لهم ، وأسلوبهم فى اختيار الولاة .

ومادمننا بصدد الحديث عن منهاج ابن خلدون واضافاته فى تأريخه
لفتوحات بنى أمية ، فاننا نذكر ، فيما يتعلق بمنهاج ابن خلدون فى ذكر
فتوحات المغرب ، أنه تفرد بميزات لم تتوافر لأية موسوعة تاريخية سابقة أو
لاحقة ، من موسوعات التاريخ الاسلامى المعروفة خلال القرون العشرة
الأولى من تاريخ الاسلام .

وعلى سبيل المثال فان حديث ابن خلدون عن البربر وأصولهم
وأقسامهم وبطونهم وأفخاذهم لم تستطع أن تصل الى عمقه وشموله أية
موسوعة أخرى .

(١) حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى ،
صاحب افريقية وأحد الأمراء الشجعان ، قتل مع جماعة من أصحابه على أيدي
الخواارج الاباضية سنة ١٤٠ هـ .

الزركلى : الأعلام ، ج ٢ ، ص ١٦٥ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٤٠ وما بعدها .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٣ ، ص ١٦٩ وما بعدها .

(٤) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٦٩ وما بعدها .

ولاشك أن لمغربيته دور في ذلك ، لكنه حتى بالنظر الى مؤرخي المغرب الاسلامي كان أعظمهم وامامهم .

ان هؤلاء البربر - كما يذكر ابن خلدون - جيل وشعوب وقبائل أكثر من أن تحصى ، وكان دينهم المجوسية . والطريف أن ابن خلدون تتبع تاريخهم قبل الاسلام بقرون كثيرة ، سواء في ظل السيطرة الرومانية أم في عصور استقلالهم بملوك منهم . وقد عقد لذلك فصلا تحت عنوان : "الفصل الرابع في ذكر أخبارهم على الجملة من قبل الفتح الاسلامي ومن بعده الى ولاية بني الأغلب" (١).

وفي عرضه هذا الذي نهج فيه المنهاج الاجمالي ، أو حسب تعبيره "على الجملة" ذكر كذلك نتفا من حياتهم تحت الفتح الاسلامي وقادة الفتح وعصر الولاة الذي يمثل العصر الأموي . فهو بهذا يقدم لنا المعلومات بطريقة أخرى ، ويقدم في عرضه هذا تحليلا ووصفا للأوضاع قد لانجده في عروض أخرى .

وحول أصولهم بسط ابن خلدون القول بتفصيل لم يسبق اليه حول أنساب البربر وأشهر فروعهم ، فتحدث عن الفرعين الكبيرين للبربر ، وهما : البرانس ، والبتر ، وأشهر البرانس صنهاجه ، وأوربه وهوارة ، أما الأغلب من البتر فهم نفوسه وزناته ومطغرة ونفراوة . وكان التقدم لعهد الفتح لأوربة وهم من أولاد أورب بن برنس ، وهم بطون كثيرة ، فمنهم بجاية ونفاسة ونعجة وزهكوجة ومزياتة ورغيوثة وديقوسة (٢).

ويتبع ابن خلدون الفروع ، فلايكاد يضاهيه في ذلك الا بعض علماء النسب ، وعلى رأسهم الامام ابن حزم في كتابه جمهرة أنساب العرب ، أما المؤرخون فهم يملكون على ذكر البربر دون أن يدخلوا هذا البحر الصعب ، بحر الأنساب ومايكتنفه من صعوبات .

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٣٩ ومابعدها .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٩٢ .

وهو يصف طبيعتهم الثائرة فيقول : "وانظر ماوقع من ذلك بافريقية والغرب منذ أول الاسلام ولهذا العهد . فان ساكن هذه الأوطان من البربر أهل قبائل وعصبيات . فلم يغن فيهم الغلب الأول الذى كان لابن أبى سرح^(١) عليهم وعلى الافرنجة شيئا . وعادوا بعد ذلك الثورة والردة مرة بعد أخرى ، وعظم الاثنان من المسلمين فيهم . ولما استقر الدين عندهم عادوا الى الثورة والخروج والأخذ بدين الخوارج مرات عديدة ... ارتدت البرابرة بالمغرب اثنتى عشرة مرة . ولم تستقر كلمة الاسلام فيهم الا لعهد ولاية موسى بن نصير فما بعده . وهذا معنى ماينقل عن عمر أن افريقية مفرقة لقلوب أهلها ، اشارة الى مافيها من كثرة العصابات والقبائل الحاملة لهم على عدم الازعان والانتقياد"^(٢).

فهو يقدم لنا دراسة عن البربر تتعلق بأحوالهم قبل الاسلام وبعده ، وعاداتهم ومستواهم الحضارى ، وأنسابهم ، وطبائعهم النفسية والفكرية وعقائدهم . وهو يقدم ذلك بتحليل رائع يخضع لمنهجه فى النقد التاريخى . فضلا عن تفوقه على المؤرخين السابقين باستقصائه الشديد لكل مايتعلق بالفتوحات الاسلامية فى افريقية والمغرب ، وحتى عصر الولاة وسقوط بنى أمية وانتقال الأمر لدولة بنى العباس . وكذلك يمتاز بحديثه عن الأندلس ، وفضل البربر فى فتحه ، وقيادة طارق ، وعدد الجيش الفاتح ، وأجناس الفاتحين ، وحالة أسبانيا قبل الفتح ، ويقدم تفاصيل كثيرة تتصل بجغرافية الأندلس ، حيث يشير ابن خلدون على سبيل المثال الى أن هذا القطر كانت تسكنه أمم من افرنجة المغرب مئات السنين حتى جاء المسلمون وأكرمهم الله بفتح هذه الديار ونشروا الاسلام فيها ، ثم قدم بعد ذلك تفصيلات دقيقة عن ظروف الفتح ، وماتبع الفتح من طموح موسى الى التوغل فى الأندلس حتى يعود الى الالتحاق بدار الخليفة بعد الانتهاء من الاستيلاء على القسطنطينية والعودة منها الى دمشق .

(١) عبد الله بن سعد بن أبى السرح ، أقام فى الشام ومصر ومات بالرملة سنة ٥٥٩ هـ .

عنه انظر : البستى : مشاهير علماء الأمصار ، ص ٥٣ .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٥٣٦-٥٣٧ .

ثم يتحدث عن عصر الولاة الى سقوط بني أمية في المشرق سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م وظهور عبد الرحمن الداخل وفتح الأندلس لصالح بني أمية سنة ١٣٨هـ / ٧٥٥م^(١). وحتى مدينة سبتة^(٢) منزل يوليان وعلاقة الأخير بموسى بن نصير ودوره في تشجيع المسلمين على فتح الأندلس ، كان له نصيب من فكر ابن خلدون التاريخي^(٣).

فالمنهج عند ابن خلدون - فيما يتصل بتاريخ المغرب والأندلس - يكاد يكون منهاج استقصاء لهذا الركن الغربي من العالم الاسلامي ، وهو الأمر الذي تميز به ابن خلدون بالنسبة لسابقه من المؤرخين الموسوعيين على الأقل. ولئن كان ابن خلدون قد بلغ حد الاستقصاء والمنهجية الدقيقة المستوعبة فيما يتصل بتاريخ فتوحات بني أمية في المغرب والأندلس ، فانه يكاد يقترب من هذا المستوى فيما يتصل بتتبعه لفتح ما وراء النهر والسند والصوائف والقسطنطينية وهو الأمر الذي يؤكد أصالة منهج ابن خلدون ، وينفى عنه أن يكون عمقه في تتبع تاريخ المغرب راجعا الى موطنه في تونس وأصله في اشبيلية^(٤). فالأمر أمر منهاج وليس أمر قرب زماني أو مكاني بالنسبة لابن خلدون . وقد تتبع ابن خلدون الجهات القتالية عبر موسوعته "العبر" من خلال منهجه القائم على التطور الزماني والموضوعي ، فحول الصوائف أشار الى جهود بسر بن أرطاة في أرض الروم ، والى جهود سفيان ابن عوف الأزدي ، ومحمد بن عبد الله الثقفي ، وعبد الرحمن بن أم

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٤٩-١٥١ .

(٢) مدينة مشهور من قواعد بلاد المغرب تقابل جزيرة الأندلس وهي مدينة حصينة نسب اليها جماعة من أعيان أهل العلم .

عنها انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٨٢-١٨٣ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٨٢ .

(٤) مدينة عظيمة في الأندلس غربي قرطبة ينسب اليها كثير من أهل العلم .

عنها انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

الحكم (١) سنة ٦٧٢/٥٥٣ م ، وجهود جناده بن أبي أمية (٢) في بلاد الروم وغيرهم (٣).

وقد استعاد المسلمون نشاطهم العسكرى بعد الفتن التى أعقبت وفاة معاوية ومصالحة عبد الملك بن مروان - اضطرار - لصاحب قسطنطينية على أن يؤدى له كل أسبوع ألف دينار زحفت جيوش المسلمين على الروم ، ودوخهم محمد بن مروان سنة ٦٩٢/٥٧٣ م وما بعدها . وقد فتح المسلمون فى العقود الثلاثة التالية عددا كبيرا من مدنها وحصونهم تتبعها ابن خلدون باستقصاء نادر (٤). وقد أصبح الروم فى موقف دفاعى ثابت .

"وفى سنة اثنتين ومائة أيام اليزيد (يزيد بن عبد الملك ١٠١-١٠٥هـ/ ٧٢٠-٧٢٤م) غزا عمر بن هبيرة (٥) الروم من ناحية أرمينية (٦) وهو على الجزيرة قبل أن يلى العراق ، فهزمهم وأسر منهم خلقا وقتل منهم سبعمائة أسير . وغزا العباس بن الوليد الروم أيضا ففتحها لسنة . ثم غزا سنة ثلاث

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الله بن عثمان بن ربيعة الثقفى وهو ابن أم الحكم أخت معاوية بن أبي سفيان ، ولاه معاوية الكوفة سنة ٥٨هـ .

عنه انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٣٠٩ .

(٢) جنادة بن أبي أمية الدوسى أدرك الجاهلية ولاصحة له ، مات فى الشام سنة ٦٧هـ عنه انظر : البستى : مشاهير علماء الأمصار ، ص ١١٢ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٢٢-٢٣ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٨٨ وما بعدها .

(٥) عمر بن هبيرة بن معاوية الفزارى ، أمير العراقيين ، كان ينوب ليزيد بن عبد الملك لكن هشاما عزله . مات سنة ١٠٧هـ تقريبا .

عنه انظر : الذهبى : سير أعلام النبلاء ، ج ٤ ، ص ٥٦٢ .

(٦) مدينة فى الشمال ، النسبة اليها أرمنى ، حكمها الروم حتى جاء المسلمون . سميت بأرمينا بن لطنا بن أومر بن يافث بن نوح عليه السلام وكان أول من نزلها وسكنها وقيل : هما أرمينيتان الكبرى والصغرى ، أرمينية الكبرى خلاط ونواحيها وأرمينية الصغرى تفليس ونواحيها وقيل هى ثلاث أرمينيان وقيل أربع . عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٥٩ .

ومائة بعدها فافتتح مدينة رسله . ثم غزا الجراح الحكمي^(١) أيام هشام سنة خمس فبلغ وراء بلنجر^(٢) وغنم . وغزا في هذه السنة سعيد بن عبد الملك أرض الروم وبعث ألف مقاتل في سرية فهلكوا جميعا . وغزا فيها مروان بن محمد بالصائفة اليمنى ... ثم غزا سعيد بن عبد الملك بالصائفة أيام هشام سنة ست . ثم غزا مسلمة بن عبد الملك الروم من الجزيرة وهو وال عليها ففتح قيسارية^(٣) ، وغزا ابراهيم بن هشام^(٤) ففتح حصنا . وغزا معاوية بن هشام في البحر قبرس [قبرص]^(٥) ، وغزا سنة تسع ففتح حصنا آخر يقال له طبسة . وغزا سنة عشر بالصائفة عبد الله بن عقبة الفهرى ، وكان على جيش البحر عبد الرحمن بن معاوية بن خديج . وغزا بالصائفة اليسرى سنة احدى عشرة معاوية بن هشام وبالصائفة اليمنى سعيد ابن هشام ، وفي البحر عبد الله بن أبي مریم . وقد ظلت الصوائف حتى السنوات الأخيرة من حكم بني أمية ، ففي سنة ١٢٥هـ / ٧٤٢م غزا الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ /

(١) أحد قادة الأمويين حارب الترك سنة ١٠٥هـ وهزمهم وأوغل في بلاد الخزر وأخذ منهم الجزية وكان واليا على أذربيجان لكن هشاما عزله عنها سنة ١٠٧هـ ثم أعيد عليها سنة ١١١هـ ومات سنة ١١٢هـ .

انظر : ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ١ ، ص ١٢٨-١٤٥ .
(٢) مدينة في بلاد الخزر فتحها عبد الرحمن بن ربيعة واستشهد فيها مجموعة من المسلمين .

عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٨٩ .

(٣) بلد على ساحل بحر الشام وهي تعد من مدن فلسطين فتحت قسرا .

عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٢١ .

(٤) ابراهيم بن هشام ، خال هشام بن عبد الملك ، كان من المقربين لهشام وكان يحج بالناس أحيانا .

عنه انظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ١ ، ص ٢٥٤ .

(٥) جزيرة في بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) .

عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٠٥ .

٧٤٣-٧٤٤م) بالصائفة أخاه الغمر^(١) وبعث الأسود بن بلال المحاربى بالجيش فى البحر الى قبرص ، وغزا أيام مروان بن محمد سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م بالصائفة الوليد بن هشام^(٢).

ومن هذا العرض يتضح لنا أن الخلفاء الأمويين بعد استتباب الأمن داخل البلاد عادوا لمواصلة الجهاد . كما أن أمراء البيت الأموى كانوا - فى الغالب - قادة الصوائف والجيوش وضمن أفرادها ، ولأن الدولة كانت قوية وتدافع عن عقيدة ، فان النصر فى معظم معارك الأمويين كان للمسلمين ، وهذا يدل على قوة الدولة آنذاك ومنحها الاهتمام الكامل لهذه الصوائف وأبرز مظاهر اهتمامها بذلك تولى أمراء البيت الأموى قيادة هذه الصوائف . كما أن غزو الصوائف شمل فتح المدن والحصون وتولية العمال ، ولأهمية هذه الغزوات فان القادة كانوا ينوعونها فتارة تكون فتوحا برية وأخرى بحرية ، وهذا نوعا من التكتيك العسكرى . وفى جبهة الترك ، رصد ابن خلدون جهود بنى أمية ، وكانت لعثمان بن عبد الله بن مطرف ، والمسيب بن بشر الرياحى ، وغيرهما جهود فى فتح بلاد الترك ، كما كان لمسلم بن سعيد ونصر بن سيار فى عهد هشام بن عبد الملك جهود كذلك^(٣). ويلاحظ أن قائد الفتوحات كان يضطر أحيانا الى استخدام القوة لاجراج الناس للقتال . وأنه كان يحرص على اشراك أعداد كبيرة من المسلمين فى فتوحاته لما كان يلاقيه من الصعاب والمقاومة من الأعداء آنذاك . ومن المؤكد أن الرغبة فى الجهاد كانت هى الدافع لهذه الفتوحات ، فهاهو مسلم بن سعيد يصله كتاب تولية غيره بعد مصاعب ونكبات تعرض لها جيشه ، فاذا به يقول سمعا وطاعة ، ولو كانت رغبته فى الدنيا لقال غير ذلك .

(١) الغمر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، من رجالات بنى أمية أيام انخلال دولتهم ومطاردة العباسيين لآخر خلفائهم فى المشرق مروان بن محمد وكان الغمر فى فلسطين وأسره عبد الله بن على العباسى بعد معركة بينهما ثم قتله وقتل معه ثمانون رجلا من الأمويين سنة ١٣٢هـ .

الزركلى : الأعلام ، ج ٥ ، ص ١٢١ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٦٦، ١٦٨ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٠١، ١٠٢ .

ومن الملاحظ في هذه الفتوحات أن القائد كان يحرص على أن لا يشرك معه في القتال الامن هو كفاء له .

ومن السلبيات التي نلاحظها أن بعض الأمراء كان يترك الجهاد لرغبته في جباية الأموال ، وان كانت مثل هذه الرغبة تجد معارضة من بعض المسلمين ، كما أن الدسائس والمؤامرات كانت ظاهرة واضحة في الأقاليم الاسلامية النائية .

وفي جبهتي ماوراء النهر والسند ، رصد ابن خلدون جهود بني أمية فيهما باستقصاء لم يعرف في المصادر الموسوعية السابقة . ففي السند أورد ابن خلدون بعض المحاولات التي سبقت تولية الحجاج لمحمد بن القاسم الثقفي لكن تولية الثقفي كانت أبرز ماوقف عنده ابن خلدون ، بل انه اعتبر ولايته المؤشر الأكبر لفتح السند ، ووضع عنوان "فتح السند" مع بداية ولاية محمد بن القاسم . وقد تتبع ابن خلدون جهود فتح السند منذ هذه المرحلة بدقة كبيرة ، وكأنه يرصد تاريخاً حديثاً بالنسبة اليه ، فهو يذكر أن الحجاج جهز مع الثقفي ستة آلاف مقاتل فزّل مكران^(١) ، فأقام بها أياماً ، ثم فتح بعض المدن وسار الى الديبل^(٢) ، "وكان به بد عظيم في وسط المدينة على رأسه دقل عظيم وعليه راية فاذا هبت الريح دارت فأطافت بالمدينة والبد صنم مركوز في بناء والدقل منارة عليه وكل مايعبد فهو عندهم بد . فحاصر الديبل ورماهم بالمنجنيق فكسر الدقل فتطيروا بذلك ثم خرجوا اليه فهزمهم وتسّم الناس الأسوار ففتحت عنوة وأنزل فيها أربعة آلاف من المسلمين وبني جامعها وسار عنها الى النيروز^(٣) . وقد كانوا بعثوا الى الحجاج وصالحوه

(١) هذه الولاية بين كرمان وسجستان والهند ، وهي بلاد واسعة ، أول غزوها كان في خلافة علي بن أبي طالب .

عنها انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٧٩ .

(٢) مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند .

عنها انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٩٥ .

(٣) مدينة من نواحي السند بين الديبل والمنصورة .

عنها انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٣٣١ .

فلقوا محمدا بالميرة وأدخلوه مدينتهم وسار عنها وجعل لا يمر بمدينة من مدائن السند الا فتحها حتى بلغ نهر مهران^(١)، واستعد ملك السند لمحاربته واسمه داهر بن صصه ثم عقد الجسر على النهر وعبر فقاتله داهر وهو على الفيل وحوله الفيلة. ثم اشتد القتال وترجل داهر فقاتل حتى قتل وانهزم الكفار واستلحمهم المسلمون ... ثم استولى على مدائن السند واحدة واحدة وقطع نهر ساسل^(٢) الى الملقاد^(٣) فحاصرها وقطع الماء فنزلوا على حكمه ، فقتل المقاتلة وسبى الذرية ، وقتل سدنة البلد وهم ستة آلاف وأصابوا في البلد ذهباً كثيراً في بيت طوله عشرة أذرع وعرضه ثمانية كانت الأموال تهدى اليه من البلدان ويحجون اليه ويخلقون شعرهم عنده ويزعمون أنه هو أيوب فاستكمل فتح السند"^(٤).

وفي جبهة ماوراء النهر تتبع ابن خلدون مراحل الفتح وفترات النشاط وفترات التوقف بسبب أوضاع المسلمين الداخلية .

وكما كانت فترات عبد الملك والوليد وسليمان من أزهى فترات الفتح في جبهة السند ، فكذلك كان الأمر بالنسبة لما وراء النهر . وكما كانت الفترة الأكثر قوة في أيام الحجاج وولاية محمد بن القاسم أمر السند ،

(٤) موضع لنهر السند وهو نهر عظيم تجرى فيه السفن ويسقى بلاداً كثيرة ويصب في بحر فارس .

عنه انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٣٢ .

(٢) ورد هكذا عند ابن خلدون وعند ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٥٣٨ نهر بياس وهو الأصح . وبياس نهر عظيم بالسند يؤدي الى مدينة الملتان .

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥١٧ .

(٣) وردت هكذا عند ابن خلدون والصحيح ماورد عند ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٤ ، ص ٥٣٩ الملتان . وهى مدينة من نواحي الهند قرب غزنة بها صنم تعظمه الهند وتحج اليه ويتقرب الى الصنم كل عام بمال عظيم وسمى الملتان بهذا الصنم وعليها حصن منيع فتحها محمد بن القاسم الثقفى .

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٢٧، ١٨٩ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٧٦-٧٧ .

فكذلك كانت في جبهة ماوراء النهر ، حين ولى الحجاج قتيبة بن مسلم الباهلي .

والحقيقة أنه بنفس القدر من كثافة المعلومات التي عالج بها ابن خلدون جبهات المغرب والسند ، والروم ، كذلك كان الأمر بالنسبة لجبهة ماوراء النهر .

ولقد بدأ الاهتمام بما وراء النهر من أيام معاوية ، فقد ولى معاوية على خراسان عبيد الله بن زياد ، وبقي عليها لسنتين^(١) . وتتابع الولاة ، حتى ولى قتيبة سنة ٨٦هـ / ٧٠٥م وقيل انه قدم خراسان سنة ٨٥هـ / ٧٠٤م^(٢) . وقد غزا قتيبة عددا من البلاد متوغلا حتى قدم بخارى^(٣) سنة ٨٩هـ / ٧٠٧م واستولى عليها بعد جهاد مرير ، وتم له فتح الطالقان^(٤) ، وسمرقند^(٥) ، وغزوكش^(٦) ، ونسف^(٧) ، وأجمع قتيبة لغزو مدينة كاشغر^(٨) سنة ٩٦هـ / ٧١٤م وهي من حدود الصين ، وجرت بينه وبين ملك

-
- (١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٨ .
 (٢) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٧٤، ٧٥ .
 (٣) من أعظم مدن ماوراء النهر وأجلها وهي مدينة قديمة كثيرة البساتين فتحها المسلمون في خلافة معاوية بن أبي سفيان .
 عنها انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٥٣-٣٥٦ .
 (٤) أكبر مدينة بطخارستان ، لها نهر كبير وبساتين وخرج منها جماعة من الفضلاء .
 عنها انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٦-٨ .
 (٥) بلد معروف مشهور وهو قصبة الصغد مبنية على جنوبي وادي الصغد مرتفعة عليه خرج منها جماعة من الفضلاء .
 عنها انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٤٦-٢٥٠ .
 (٦) قرية تقع على بعد ثلاثة فراسخ من جرجان ينسب اليها عدد من طلاب العلم .
 عنها انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٦٢ .
 (٧) مدينة كبيرة بين جيحون وسمرقند ، خرج منها جماعة من أهل العلم ، ويتبعها قرى كثيرة .
 عنها انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٨٥ .
 (٨) تقع وسط بلاد الترك ويتبعها قرى كثيرة وأهلها مسلمون .
 عنها انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٣٠ .

الصين مراسلات . وفي سنة ١١١١هـ / ٧٢٩م ولى الجنيد بن عبد الرحمن خراسان وانتصر على خاقان بسمرقند وأسر ابن أخيه وبعث به الى هشام . وفي سنة ١١١٩هـ / ٧٣٧م قتل المسلمون خاقان بقيادة أسد بن عبد الله واستولوا على بلاد الختل في قصة طويلة تتبعها ابن خلدون بتفصيل كبير . وممن ولوا على خراسان في الحقبة الأموية الأخيرة نصر بن سيار ، وقد قام بجهود كبيرة في التوطين للاسلام وتثبيت دعائم الدولة الاسلامية في هذه البقاع^(١).

ومن الصعب القيام بعرض كل التفاصيل التي قدمها ابن خلدون فيما يتعلق بما وراء النهر ، فضلا عن البقاع الأخرى التي امتد اليها الفتح الاسلامي ، فالحقيقة أنه قام بتتبع استقصائي لكل هذه الأحداث مستفيدا مما كتبه السابقون .

ومن هذا العرض نستخلص مؤشرات ذات دلالات خاصة ، ذلك أن المتتبع لأحداث فتوحات الدولة الأموية يلمس بجلاء حرص خلفاء الدولة وولاتهم على هذه الفتوحات ، وكانوا يوفرون لها كل ما تحتاج اليه من أدوات القتال ومن الاستعدادات الحربية المتنوعة .

ولقد كان من أهداف هذه الفتوحات نشر الدين الاسلامي بين شعوب الأمصار المفتوحة ولهذا كان بناء المدن والمساجد سببامباشرا في استقرار المسلمين في تلك المدن ومن ثم تأثيرهم في الشعوب المفتوحة .

ولقد أبرز ابن خلدون - وهو يتحدث عن فتوحات المشرق - الدور الهام الذي أداه الحجاج بن يوسف ، وتسامح القائد قتيبة بن مسلم وغيره من قادة الفتح ، هذا التسامح الذي يرتبط بخضوعهم لحكم الشرع في معاملة الآخرين ، لكن قوتهم كانت تبدو واضحة عند مطالبتهم بحقوق المسلمين وفك أسراهم ، ومعاقبة المسيئين من أعداهم .

(٩) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٨٥ ، ص ١١٠-١١١ ، ص ١١٧ وما بعدها

الفصل الرابع

التطور الحضاري للدولة الأموية

فد رأه ابن خلدون

* انتشار الاسلام وعروبة الدولة ودورها في تعريب

شعوب الأمصار الاسلامية .

* الحياة الاقتصادية وسك العملة الاسلامية

الحديث عن الجوانب الحضارية في الدولة الاسلامية لم يلق اهتماما واضحا لدى قدماء المؤرخين المسلمين ، اذ حرص هؤلاء على سرد الوقائع التاريخية البحتة مثل تعيين الخلفاء والولاة ، وسرد أخبار المعارك ، وذكر وفيات البارزين في الدولة الاسلامية وهكذا .

أما أخبار مآثر الدولة الحضارية مثل الدعوة لله في الأقطار الاسلامية المفتوحة ، ومشاعر الأقوام الذين دخلوا في الاسلام ، وبناء المستشفيات والمدارس ، والحديث عن الجوانب الاقتصادية وتشعباتها في الدولة الاسلامية وتأثير الاقتصاد على حياة الدولة والفرد ، والاشارة للانتاج الزراعى والصناعى ، وعلاقة الدولة بغيرها في النواحي التجارية وتبادل المصالح مع جيرانها ، ونوعية العلاقة بين الدولة المسلمة وغيرها في حال السلم والحرب كل هذه الجوانب وسواها من الجوانب الحضارية تكاد تغفلها الموسوعات التاريخية الا ما جاء منها في اشارات موجزة لاتشفى غليلا ولا تروى ظمأ . ان هذا المنهج جعل دراسة الجوانب الحضارية عند الدولة الاسلامية ليس بالأمر السهل أو اليسير ، وجعل لزاما على المهتم بهذه الأمور أن يتصيدا من ثنايا الأحداث لعله يظفر بشيء منها .

وابن خلدون في تاريخه لم يختلف كثيرا عن بقية المؤرخين الذين سبقوه كابن الطبرى وابن الأثير وغيرهما ، ولكون هذا الفصل يختص بدراسة التطور الحضارى للدولة الأموية عند ابن خلدون فقد رأيت أن أقتصر على ايضاح الجوانب الحضارية من كتاب ابن خلدون دون المقارنة مع الكتب التاريخية الأخرى لصعوبة هذه المقارنة للأسباب التى أشرت اليها آنفا ، ولعلى أوفق في تقديم صورة واضحة لحضارة الدولة الاسلامية في عهد الأمويين .

المبحث الأول

انتشار الإسلام وعروبة الدولة
ودورها في
تعريب شعوب الأمصار الإسلامية

من المعروف لدى كل مسلم أن نشر الاسلام واجب ديني أمر به القرآن والسنة النبوية المطهرة ، وأجزل الله الثواب لكل من يقوم بهذا الواجب ، فقد ورد في آخر الحديث الذي رواه سهل بن سعد قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : "لأن يهدي بك رجل واحد خير لك من حمر النعم"^(١). وكانت المهمة الأولى لنبينا الكريم هي القيام بهذه المسؤولية وهي الدعوة الى الاسلام ونشره في كافة الأقطار حتى تقوم الحجة على الناس أجمعين . وجاء الخلفاء الراشدون فقاموا بهذا الواجب فاتسعت رقعة الدولة الاسلامية ودخل الناس في دين الله أفواجا . وكان لخلفاء بني أمية دور بارز في الفتوحات الاسلامية ، اذ قام الخلفاء بهذا الدور حسب ماكانت تمليه ظروف كل واحد منهم ، وحسب أوضاع الدولة الاسلامية الداخلية اذ أن الفتن والثورات الداخلية أعاقحت حركة الفتوحات فترة من الزمن . ومن المعروف أن اتساع رقعة الدولة الاسلامية بلغ مداه أثناء الخلافة الأموية وهذا دليل على حرص هؤلاء الخلفاء على بلوغ الاسلام أقصى مداه في زمن خلافتهم . ومن البدهى أن حركة نشر الاسلام كانت تواكب - بدرجة ما - حركة الفتوحات اذ ان جزء من سكان المناطق المفتوحة - على أقل تقدير - يدخل في الدين الجديد ، خاصة اذا كان القائد حريصا على ادخال الناس في الاسلام قولا وعملا .

وابن خلدون يضمن علينا في هذا الجانب بأخبار الجهود التي بذلها بعض القادة المسلمين في نشر الاسلام في ربوع البلاد التي وصلها المسلمون ، فهو

(١) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تحقيق : الشيخ عبد العزيز بن باز ، (بيروت ، دار المعرفة) ، ج ٦ ، ص ١١١ .

لا يتحدث عن هذه المسألة حديثاً صريحاً ، لكننا سنحاول الحديث عن هذه المسألة من خلال استنطاق بعض النصوص التاريخية التي أوردتها في ثنايا تاريخه .

لقد كانت الفتوحات الإسلامية في المغرب في زمن مبكر من تاريخ الإسلام ، وكان لهذه الفتوحات أثر في دخول بعض كبار القوم في دين الله فقد ذكر ابن خلدون أن قبائل مغراوة كانت من أكبر قبائل زناتة وقد أسلم ملكها وأسلم معه قومه ، وقد وفد هذا الملك على أمير المؤمنين عثمان بن عفان فأكرمه وأحسن استقباله فعاد الى بلاده "محبوراً مغتبطاً بالدين مظاهراً لقبائل مضر" (١).

وواصل الرجل الصالح عقبة بن نافع مهمة الدعوة الى الله في بلاد المغرب ، فحارب بعض قبائلها مثل : لواته ومزاته فأطاعوه ودخلوا في الإسلام لكنهم عادوا مرة أخرى الى كفرهم مما اضطره لمحاربتهم وتأديبهم (٢).

وقد أدرك عقبة بثاقب بصيرته أن بناء قاعدة راسخة للدعوة الإسلامية في المغرب قد يحقق كثيراً من المصالح الإسلامية لأن الشعوب المفتوحة ستجد عندها باستمرار منارة هادية في طريق الإسلام .

ومن هذا الفهم الذي نعتقد أن عقبة يتميز به نجده بنى مدينة القيروان وبني فيها مسجداً جامعاً كان فاتحة خير لأهل هذه المنطقة حيث دخل معظم البربر في دين الله ورسخ الايمان في قلوبهم (٣).

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٧ ، ص ٣٤ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٦٩ . وانظر كذلك : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٤٦٥ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٣ . وانظر كذلك : الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٢٤٠ الا أنه لم يذكر شيئاً عن انتشار الإسلام في هذه المنطقة ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٤٦٦ .

وفي سنة ٥٥٥/٦٧٤م استعمل معاوية مسلمة بن مخلد على أفريقية ومصر فأوكل الى مولاه أبي المهاجر أمر أفريقية فغزا المغرب وتلمسان وأسلم على يديه كسيلة الأوربي أحد قادة البربر بعد حروب شديدة وقعت بينهما . وقد عاد البربر الى الكفر بعد الاسلام فقاتلهم عقبة سنة ٦٢/٦٨١م وكان يزيد قد عينه مرة أخرى واليا على افريقية ، وواصل زحفه حتى وصل الى طنجة وبلاد السوس والمصامدة ، ولما وصل الى المحيط قفل راجعا^(١). وواصل عبد الملك بن مروان مهمة الدعوة الى الله في المغرب فأرسل حسان بن النعمان الغساني الى افريقية سنة ٧٩/٦٩٨م فقاتل مشركيها قتالا شديدا ، واستطاع الانتصار على كاهنتهم القوية المراس دهييا بنت ماتيه وقتلها بجبل أوراس ، وعند ذلك "استأمن اليه البربر على الاسلام والطاعة وعلى أن يكون منهم اثنا عشر ألفا مجاهدين معه ، فأجابوا وأسلموا وحسن اسلامهم"^(٢).

لقد كان حسان فطنا عندما اشترط عليهم أن يجاهد معه هذا العدد الكبير منهم لأنه يدرك أن بقاء هؤلاء فترة طويلة مع المسلمين القدامى سيؤثر عليهم ، ويجعل الاسلام يرسخ في قلوبهم ، فيأمن بذلك عودتهم الى الكفر مرة أخرى . ومع أن حسانا قتل الكاهنة وأزال ملكها فان ابنيها لحقا بحسان وأسلما وحسن اسلامهما . ولما تأكد حسان من استقامتهما على شرع الله

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٢٣٧ . وانظر كذلك : الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٢٤٠ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ١٠٥-١٠٧ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٤٣ . وانظر كذلك : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٧٢ .

أمرهما على قومهما ومن انضم اليهم في جبل أوراس (١).
لقد كان أسلوبا دعويا جيدا من حسان عندما عين ابني الكاهنة أميرين
على قومهما لأنه كان يدرك - وقد حسن اسلامهما - أنهما سيؤثران على
قومهما تأثيرا حسنا وسيدخل الناس في دين الله وهذا مانرجح أنه حدث
فعلا .

ومضى الوليد بن عبد الملك على سيرة أسلافه ففي سنة ٧٠٩/٥٩١م
أقطع بلدة نكور لصالح بن منصور الحميري وكان يلقب بـ"العبد الصالح"
وقد اجتمعت قبائل غمارة وصنهاجة عنده واسلموا على يده ، وانتشر
الاسلام بينهم .

ولم تقف جهود الخلفاء الامويين عند هذا الحد في دعوة الأفارقة الى
الاسلام ، فعندما جاء عمر بن عبد العزيز اختار رجلا حسن السيرة هو
اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر ليكون أميرا على افريقية ، وكانت
سيرته الحسنة سببا في اسلام جميع البربر في أيامه (٢).

لقد كان دعاة المسلمين من قادة الفتوحات الاسلامية يؤكدون على
أهمية ايجاد مراكز ثابتة للدعوة الاسلامية في المناطق المفتوحة لأن هذه
المراكز لها صفة الاستمرار والاشتهار ، ويقصدها المسلمون من كل مكان
للاستفادة منها . وكانت الجوامع من أهم هذه المراكز ، ومعروف دور الجامع
في الدولة الاسلامية، ولهذا كان يحرص هؤلاء القادة على بناء جامع في كل
مدينة يدخلونها فاتحين .

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٧ ، ص ١٣ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٤٠ .

لقد ذكر ابن خلدون رواية بناء جامع تونس الذى بناه عبيد الله بن الحبحاب سنة ١١٤هـ / ٧٣٢م عندما كان واليا على أفريقية من قبل هشام بن عبد الملك^(١). والغريب أن الطبرى وابن الأثير أغفلا هذا الحدث على أهميته فى مجال الدعوة وثبات الاسلام فى تلك المنطقة ، ولعل اهتمام ابن خلدون بتاريخ تلك المنطقة أكثر من غيره يكون مبررا لتفرده بهذه الرواية . ولما ولى طارق بن زياد على طنجة "أنزل معه سبعة وعشرين ألفا من العرب واثنى عشر ألفا من البربر ، وأمرهم أن يعلموا البربر القرآن والفقه ثم أسلم بقية البربر على يد اسماعيل بن عبد الله بن أبى المهاجر سنة احدى ومائة"^(٢).

وكما كان تصرف طارق بن زياد سببا بارزا فى استقرار الاسلام فى تلك المنطقة ، فقد كان تصرف بعض الولاة وسوء معاملتهم لسكان المناطق المفتوحة سببا فى ارتداد هؤلاء عن الاسلام ومحاربتهم للمسلمين ، فقد ذكر الطبرى وابن الأثير وابن خلدون أن يزيد بن أبى مسلم لما ولى أفريقية سنة ١٠١هـ / ٧١٩م أساء السيرة فى البربر ، وفرض الجزية على من أسلم منهم ، ولم يطق هؤلاء تحملا لهذا الظلم الفادح ، فثاروا عليه ، وقتلوه بعد شهر من قدومه عليهم^(٣). وكرر محمد بن عبيد الله والى طنجة مافعله يزيد وأراد أن يأخذ الخمس على المسلمين مدعيا أن هذا الخمس هو الفىء الذى أحله الله وهو يعرف - فيما نعتقد - أنه ظالم لهم ، ولما عرف هؤلاء بما يريد فعله

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٢٤١ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٤٤ . وانظر كذلك : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٤ ، ص ٥٤٠ ، أما الطبرى فلم يذكر شيئا الا اشارة عن طارق بن زياد ، انظر : ج ٦ ، ص ٤٦٨ ، ٤٨١ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٢٤٠ . وانظر كذلك : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٦١٧ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٥ ، ص ٥٥ .

أجمعوا على الخروج عليه (١).

وكما حرص ولاية بنى أمية على نشر الاسلام فى المغرب فقد حرصوا كذلك على نشره فى بلدان المشرق ، ومع أن ابن خلدون وغيره من المؤرخين لم يوردوا الا أخبارا قليلة جدا عن هذا الموضوع ، الا أننا نستطيع أن نرجح أن ولاية المسلمين فى تلك المناطق أدوا دورا هاما فى الدعوة الاسلامية بدليل انتشار الاسلام فى تلك المناطق ابان الخلافة الأموية .

ولقد ذكر ابن خلدون وغيره من المؤرخين أن عمر بن عبد العزيز كتب الى ملوك السند يدعوهم الى الاسلام فأسلموا فعاملهم كالمسلمين . وفى عهد هشام أسند امرة السند الى الجنيد بن عبد الرحمن فقاتل من ارتد من أهلها ، ثم قام ببناء مدينة للمسلمين سماها "المحفوطة" ، وبني بعده عمر بن محمد بن القاسم مدينة أخرى سماها "المنصورة" (٢).

ويبدو أن مسألة الجزية كانت من العوامل الهامة فى دخول الناس أو خروجهم من الاسلام ، فعندما يصير بعض الولاة على أخذ الجزية ممن أسلم بحجة عدم التثبت من ايمانهم خشية أن يكون اسلامهم لتحاشى دفع الجزية ، لذلك كان طبيعيا أن يكون رد فعل هذه الفئة مباشرا وقويا اما بالثورة على الولاة احتجاجا على سوء مسلكهم أو ربما اتخذ احتجاجهم طابعا أكثر تطرفا وذلك بارتدادهم عن الاسلام كلية .

ولهذا رفض الخليفة عمر بن عبد العزيز أخذ الجزية ممن أظهر الاسلام وصلى مع جماعة المسلمين وكتب الى ولايته بذلك ، ومن هؤلاء الولاة الذين كتب لهم الجراح عامله على خراسان الذى كان يأخذ الجزية من المسلمين فقال له : "انظر من صلى قبلك فخل عنه الجزية" . ولما تظاهر

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٢٤١ . وانظر كذلك : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٥ ، ص ١٩٠-١٩١ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٨٤ . وانظر كذلك : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٤ ، ص ٥٩ .

البعض بالاسلام فرارا من الجزية - كما اعتقد الجراح - امتحنهم بالختان ، فلما علم عمر بذلك كتب اليه : " ان الله بعث محمدا داعيا ولم يبعثه خاتنا " (١).

وكما فعل عمر بن عبد العزيز في رفع الجزية عمن أسلم فقد فعل الشيء نفسه نصر بن سيار والى خراسان ، فعندما تولى امرتها سنة ١٢٠هـ أزال الجزية عمن أسلم من أهلها (٢).

ويبدو أن قضية الجزية كانت مصدر ازعاج كبير لحديثي الاسلام فهم يرون أنها ظلم يجب أن يزول ، فكيف يكونون من المسلمين والجزية تؤخذ منهم ، ولهذا كانوا يشترطون على ولايتهم رفع الجزية عنهم في حال اسلامهم ، ولهذا نرى أن أهل سمرقند استجابوا لدعوة الاسلام سنة ١١٠هـ / ٧٢٨م شرط أن توضع الجزية عنهم ولما علم القائم على خراج سمرقند بهذا كتب الى الوالى يقول له : " بلغنى أن أهل الصغد وأشباههم لم يسلموا رغبة ، وإنما أسلموا نفورا من الجزية فانظر من اختن وأقام الفرائض ، وقرأ سورة من القرآن فارفع خراجه " (٣).

اننا ونحن نتلمس بعض جوانب الدعوة الى الله ونشر الاسلام في بعض المناطق التى تم فتحها في عهد الدولة الأموية لابد أن نشير الى أن الظلم الذى كان يمارسه بعض الولاة والمتمثل معظمه في أخذ الجزية ممن أسلم كان يدفع بهذه الفئة من المسلمين للكفر ومحاربة الجيوش الاسلامية . ولقد حاول بعض الخلفاء الصالحين كعمر بن عبد العزيز أن يقضى على هذه الظاهرة

-
- (١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٩٥ . وانظر كذلك : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٥٥٩ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ٥١ .
- (٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٨٤ . وانظر كذلك : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ ، ص ١٧٣ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٦ .
- (٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٠٩ . وانظر كذلك : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ ، ص ٥٤-٥٦ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ١٤٧-١٤٨ .

السيئة ، فأكد على ولايته أن يحسنوا الظن بالمسلمين ، وأن يضعوا الجزية
عمن أسلم ، فانتشر الاسلام في عهده ، لكن بعض من أتى بعده كان يؤكد
روح الظلم والقهر وينشر رائحة الاستعباد بين المسلمين بفرض الجزية عليهم
بدعوى الشك في ايمانهم أو نقص موارد الدولة عندما تسقط الجزية عن فئة
كبيرة من الناس ، فهذا والى سمرقند علم أن عماله أسلموا وبنوا المساجد -
وهذا مما يؤكد اسلامهم - لكنه أصر على أخذ الجزية منهم ، ولما رفضوا
دفعها قاتلهم فاجتمعوا في سبعة آلاف رجل وانضم اليهم عدد من قادة
المسلمين ممن كان مقتنعا بصحة اسلامهم ، ولما رأى والى سمرقند هذا
الحشد توقف فترة عن قتالهم ، ثم عاد بعد ذلك ووضع الجزية عليهم حتى
اضطر أهل الصغد^(١) وبخارى الى الكفر^(٢).

اننا نقع في حيرة كبيرة من تصرف هؤلاء الولاة وكذلك من سكوت
الخلفاء على هذه الظاهرة السيئة ، فهل يجهل هؤلاء الولاة حقائق الاسلام؟
وهل تبلغ هذه الأخبار والتجاوزات أسماع الخلفاء؟ ومع هذه التجاوزات
فانه "يعود للأمويين فضل نشر الدين الاسلامي في الجناح الشرقي والغربي من
الدولة الاسلامية ، واذا كان الأسلوب الذي اتبعه الأمويون لا يطابق أسلوب
الخلفاء الراشدين تماما الا أنهم ساروا على هديهم في كثير من الأمور"^(٣).
ولهذا لانستغرب انتشار الفتوحات في معظم أرجاء الأرض في زمن الخلفاء
الأمويين ولانستغرب كذلك انتشار الاسلام بين معظم أفراد تلك الأمم
المفتوحة .

(١) هي قرى متصلة من سمرقند الى قريب من بخارى وقصبتها سمرقند وهي كثيرة
الأشجار غزيرة الأنهار وقد نسب الى الصغد طائفة كثيرة من أهل العلم .

عنها انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٤٠٩-٤١٠ .
(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٠٩ . وانظر كذلك : الطبري :
تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ ، ص ٥٤-٥٦ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٥
ص ١٤٧-١٤٨ .

(٣) نجدة خماش : الادارة في العصر الأموي ، (دار الفكر : ١٣٩٨هـ) ، ص ١٣٤-١٣٥ .

وكما ساعد الأمويون على انتشار الاسلام في أقطار العالم الاسلامي فقد ساعدوا كذلك على نشر اللغة العربية وعلى أوسع نطاق . ومعلوم أن اللغة العربية والدين مقترنان لا يكاد ينفك أحدهما عن الآخر ، فالمسلم يحرص على تعلم لغة القرآن ليفهمه بهذه اللغة التي نزل بها ، كما يحرص كذلك على فهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك تاريخ الاسلام ، وكل هذا كتب بلغة العرب . واذا أضفنا الى هذا ماقرره ابن خلدون من أن الناس تبع لسلاطينهم في الغالب ، ولما كانت لغة السلطان عربية ، فقد صار استعمال اللغة العربية دليلا على طاعة السلطان ، ولهذا هجر الناس لغتهم الأصلية وتمسكوا باللسان العربي ، " وصارت الألسنة العجمية دخيلة فيها وغريبة " (١).

ويبدو أن سرعة انتشار الاسلام فاقت سرعة انتشار اللغة العربية لأن المشرك كان يدخل في الاسلام أولا ثم يبدأ رحلة البحث عن اللغة ليتعلم بها قواعد دينه ، ولهذا " كان انتشار اللغة العربية في بعض المناطق أبطأ من انتشار الاسلام كما سنلاحظ في بعض الولايات الشرقية في فارس وأصبهان وفي مصر كذلك " (٢).

وقد انفرد ابن خلدون بالحديث عن غلبة اللسان العربي في المغرب ، وعلل ذلك بقوله : " والسبب في ذلك أن اللسان العربي كان غالبا لغلبة دولة العرب وظهور الملة العربية (٣) ، فالكتاب والخط بلغة الدولة ، ولسان الملك ، واللسان العجمي مستتر بجناحه مندرج في غماده " (٤).

اننا ندرك بدهة أن انتشار العرب في أقطار الأرض المفتوحة يؤدي الى أخذ تلك الشعوب بعادات المسلمين ، والحرص على فهم لغة العرب والتحدث بها .

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٩٠١، ٩٠٠ .

(٢) نجدة خماش : الادارة في العصر الأموي ، ص ١٥٣ .

(٣) لعله يقصد : الدين الاسلامي فاستعمل هذا المصطلح بصورة خاطئة .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٧ ، ص ٨١ .

كما أن بناء المدن وجعلها موطناً للمسلمين يؤدي إلى تعريب الشعوب التي تسكن في تلك المناطق ، وقد حرص عقبة بن نافع على بناء القيروان وأنزل فيها جموعاً من عساكر المسلمين^(١).

إن استصحاب العرب إلى المدن المفتوحة واسكانهم فيها يشجع على تعريب تلك الشعوب - كما ذكرنا - وقد حرص خلفاء بني أمية على هذه المسألة كثيراً ، ويبدو أن أمراءهم كانوا يدركون أهمية استصحاب العرب إلى تلك المناطق الأعجمية ، فقد وافق ابن خلدون الطبري وابن الأثير في أن طارق بن زياد أجاز البحر سنة اثنتين وتسعين في ثلاثمائة من العرب ، وقد فعل موسى بن نصير كما فعل طارق إذ "نهض من القيروان سنة ثلاث وتسعين من الهجرة في عسكر ضخيم من وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر"^(٢).

وكان الولاة الصالحون يحرصون على تعليم الناس القرآن والفقه ليتعلموا أمور دينهم من جهة ، ولتعرب ألسنتهم من جهة أخرى ، وقد أشار ابن خلدون إلى هذا فذكر أن موسى بن نصير ولي طارقاً على طنجة وأرسل معه عدداً من العرب والبربر "وأمرهم أن يعلموا البربر القرآن والفقه . ثم أسلم بقية البربر على يد اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر سنة إحدى ومائة"^(٣).

ومن الأمور الهامة التي قام بها الأمويون وأدت إلى تعريب اللسان العربي ، وجعلت الناس يحرصون على تعلم العربية تعريب الدواوين وقد

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٧٠ . وانظر كذلك : الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٢٤٠ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٤٦٥ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٥٠ . وانظر كذلك : الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٤٦٨ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٥٦١ ، ٥٦٤ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٤٤ .

كانت قبل تعريبها تكتب بالفارسية في العراق والرومية في الشام ، واستمر الحال على هذا المنوال بعد الاسلام ، ولما جاء عبد الملك بن مروان رأى أن مصلحة الدولة وامكاناتها توجب عليها أن تعرب الدواوين وتجعلها بلغة العرب فأمر عبد الملك "والى الأردن لعهدہ أن ينقل ديوان الشام الى العربية فأكملة لسنة من يوم ابتدائه ، ووقف عليه سرجون كاتب عبد الملك ، فقال لكتاب الروم اطلبوا العيش في غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم . وأما ديوان العراق فأمر الحجاج كاتبه ... أن ينقل الديوان من الفارسية الى العربية ففعل ، وَرَغِمَ لذلك كتاب الفرس" (١).

وقد علق ابن خلدون على هذا العمل الذى قام به عبد الملك بن مروان بقوله : "وهذه الوظيفة جزء عظيم من الملك ، بل هى ثلاثة أركانه ، لأن الملك لا بد له من الجند والمال والمخاطبة لمن غاب عنه ، فاحتاج صاحب الملك الى الأعوان فى أمر السيف وأمر القلم وأمر المال فينفرد صاحبها لذلك بجزء من رياسة الملك" (٢).

وفى مضممار التعريب الذى قام به الأمويون اهتموا بتعريب السكة "وهى الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس" (٣)، ويذكر ابن خلدون أن العرب كانوا يتعاملون بالدنانير الفارسية ، ولما كثر الغش فيها أمر عبد الملك الحجاج أن يضرب الدراهم وأن يميز بين المغشوش والخالص وكان ذلك سنة ٦٩٣هـ / ٧٧٤م وكتب عليها "الله أحد الله الصمد" (٤). واستمر الحال على هذا المنوال فى الكتابة باللغة العربية على الدراهم والدنانير ، فكان يكتب على أحد الوجهين أسماء الله والصلاة على النبى ، وعلى الوجه الآخر اسم الخليفة وتاريخ سك العملة (٥).

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٧٧ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٧٨ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٠٠ .

(٤) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٠١ .

(٥) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٠٢ .

ان عملية تحويل الدواوين الى اللغة العربية جعل مجموعة من الناس يقبلون على تعلم اللغة العربية بحكم حرصهم على العمل فى هذه الدواوين ، كما أن عملية اتخاذ عملة عربية يكتب عليها بالخط العربى يعتبر كذلك خطوة هامة على طريق تأكيد أصالة اللغة وأنها صالحة للانتشار .

لقد عزا ابن خلدون مسألة قيام عبد الملك بتعريب الدواوين الى ظهور مجموعة من الكتاب المهرة فى العرب ومواليهم^(١)، لكن الدكتور محمد أمين صالح يرى أن السبب الحقيقى فى هذا التحول هو اعتزاز الدولة بلغتها وحرصها على أن تكون هذه اللغة هى اللغة الرسمية وهى جديرة بذلك^(٢). كما يرى أمين كذلك أن "من نتائج تعريب الدواوين وجعل العربية هى اللغة الرسمية فى الدولة ، اقبال الكتاب من غير العرب على تعلم العربية كى يستمروا فى عملهم بالدواوين ، وفى تعريب ألسنة الشعوب المختلفة الداخلة فى نطاق الدولة مسلمين أو غير مسلمين ، وصارت من بعد لغة العلم والثقافة ، وعلمامن أعلام الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى"^(٣). وقد أكد ضياء الدين الرئيس أنه لولا تعريب الدواوين لبقيت اللغات الأجنبية منافسة للغة العربية ، ولانتشرت هذه اللغات ، وضعف شأن اللغة العربية وبالتالي سيؤدى الى ضعف تكوين الدولة^(٤).

وأخيرا فان ابن خلدون لم يتحدث مباشرة عن الخطوات التى اتخذها الأمويون لنشر اللغة العربية وانما اكتفى بإيراد بعض الوقائع التاريخية التى تشير بصورة أو بأخرى الى اهتمام ولاية بنى أمية بلغة القرآن . وقد حاولت

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٧٦-٦٧٧ .

(٢) محمد أمين صالح : العرب والاسلام من البعثة النبوية حتى نهاية الخلافة الأموية ، (القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى ، نشر مكتبة نهضة الشرق : ١٩٨٠م) ، ص ٢٨٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٩١ .

(٤) محمد ضياء الدين الرئيس : عبد الملك بن مروان والدولة الأموية ، (ط ٢ ، مطابع سجل العرب : ١٩٦٩م) ، ص ٢٢٤ .

- فيما ذكرته سابقا - أن استنطق هذه النصوص لعلها تقودنى الى مذهبتي
اليه من حرص واهتمام ولالة بنى أمية على نشر لغة القرآن ونشر الدين
الاسلامى بين أقطار البلاد المفتوحة فى عهدهم ولعلى أكون قد وفقت فى
ذلك.

المبحث الثاني

الحياة الاقتصادية

وسك العملة الإسلامية

الحياة الاقتصادية وسك العملة الإسلامية

ان المكانة الاقتصادية لأي دولة من الدول تعتمد بالدرجة الأولى على إيجاد معادلة دقيقة بين إيرادات الدولة وبين مصروفاتها . فإذا اختلت هذه المعادلة بحيث أصبحت نفقات الدولة تزيد كثيرا عن دخلها ضعفت الدولة واختل ميزانها الاقتصادي وأصبحت معرضة للانهيـار ، وبالعكس فيما لو زاد دخلها على نفقاتها فإنها في هذه الحالة ستكتسب قوة مالية تجعل اقتصادها العام في ذروته .

ومن هنا حرصت الدول الحديثة على اجراء ميزانيات لها كل سنة لمعرفة معدل الانفاق العام مقارنة مع الدخل العام لتحديد بدقة مدى قدرتها الاقتصادية وامكاناتها في ادارة شئون حياتها العامة.

لكننا بطبيعة الحال لانجد مثل هذه الدقة في معرفة قوة الحياة الاقتصادية عند الدولة الأموية ، كما أننا لم نجد عند ابن خلدون حديثا صريحا عن الحياة الاقتصادية عند الدولة الأموية وإنما كان يورد بعض الروايات التاريخية التي تعطي مؤشرات لهذه الناحية . وقد حاولت قدر الامكان أن أتلـمس جوانب الحياة الاقتصادية من خلال دراسة هذه النصوص ومعرفة مراميها .

ففي مجال إيرادات الدولة نجد أن معظمها كانت تتركز في الغنائم التي يحصل عليها الجيش الاسلامي من المدن المفتوحة بعد نهاية كل معركة يحقق فيها الانتصار .

وكانت هذه الغنائم بكل أشكالها تدخل خزينة الدولة ثم يعاد توزيعها مرة أخرى بحسب ما هو متبع في توزيع الفـىء في أغلب الأحيان .

ذكر ابن خلدون أن أسد بن عبد الله حارب الترك الذين كان يقودهم خاقان وهزمهم واستاق منهم مائة وخمسين ألفاً من الشياه ودواب كثيرة (١).

أما المهلب بن أبي صفرة فقد غزا العجم وحاصرهم فصالحوه على نيف وعشرين ألف ألف ، ثم قاتل أهل خجنده (٢) فصالحوه ، ثم أهل سمرقند وخوارزم (٣) فصالحوه كذلك (٤).

ان المسلمين كانوا يغنمون في بعض الأحيان مبالغ كبيرة اذا قيست بعصرهم ، فقد ذكر ابن خلدون أن محمد بن القاسم حارب ملوك السند وهزمهم ، وكسب في هذه المعركة ذهباً كثيراً ، وقد بعث بالخمس الى الدولة فكان هذا الخمس مائة وعشرين ألف ألف (٥). وبعملية حسابية بسيطة ندرك أن غنيمة الدولة في هذه المعركة كانت ستمائة مليون درهم .

ان هذه الأموال التي كانت تأتي من المشرق شكلت مورداً هاماً لخزينة الدولة الأموية ، ويبدو أنها كانت كبيرة جداً ، ففي عهد هشام كان الجنيد بن عبد الرحمن والياً على السند ، وقد حاصر الجنيد مدينة من أعمال الهند وغنم منها بعد فتحها أربعين ألف ألف درهم سوى ما حمله منها (٦).

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١١٨ . وانظر كذلك : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ ، ص ١٢٣ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ٢٠٥ .

(٢) بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ سيحون وفي وسطه نهر جار ، وهي في غربى نهر الشاش متاخمة لفرغانة ، وينسب اليها جماعة وافرة من أهل العلم . عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٤٧-٣٤٨ .

(٣) خوارزم ليس اسماً للمدينة انما هو اسم للناحية بجمليتها وأكثر ضياعها مدن ذات أسواق وخيرات ودكاكين ، وينسب اليها العديد من العلماء والأعلام . عنها انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٩٥-٣٩٨ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص وانظر كذلك : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٥ ، ص ٤٧٣ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٩٧ .

(٥) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٧٧ ، وانظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٥٣٦-٥٣٩ .

(٦) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٨٤ . وانظر كذلك : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٥٩٠ .

وفي عهد هشام كذلك انطلق حبيب بن أبي عبيدة غازيا الى المغرب فبلغ السوس الأقصى وأرض السودان وغنم من هذه المناطق الشيء الكثير من الذهب والفضة والرقيق^(١).

ان هذه الأموال المتنوعة التي كانت تجبي الى خزينة الدولة كانت تمثل حصيلة خزينة الدولة ، كما كانت تمثل الدخل العام الذي تنفق الدولة منه على احتياجاتها الكثيرة .

ان سعة الرزق كانت تتضح أحيانا في ولايات الدولة وبعض مناطقها ، ونحن نرجح أن كل ولايات الدولة كانت تتمتع بقدر كبير من الرفاهية ، وهذا الترجيح جاء من أن أى دولة اذا كانت غنية فان هذا الغنى يصل بطبيعة الحال الى أجزائها الأخرى .

ان البحرين كانت ترسل الطعام الى الحرمين ، فلما استولى عليها (نجدة)^(٢) ، وكان ثائرا على الدولة قطع الميرة عن الحرمين ، ويبدو أن أهل الحرمين تضرروا من ذلك فكتب له ابن عباس يدعوه الى مواصلة اعطائهم الميرة ، وذكره أن الرسول صلى الله عليه وسلم طلب من ثامة بن أثال^(٣) وكان قد أسلم وقطع الميرة عن أهل مكة أن يواصل اعطائهم مع أنهم مشركون فاستجاب ثامة لذلك ، وقال له : "وانك قطعت الميرة ونحن مسلمون فخلاها لهم نجدة"^(٤).

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٢٤١ . وانظر كذلك : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ١٩٠-١٩١ .

(٢) نجدة بن عامر من زعماء الخوارج الذين شكلوا فرقة تحمل اسمه (النجدية) سيطر على نصف الجزيرة العربية . كان مركزه في اليمامة لكنه مد نفوذه الى البحرين وصنعاء وحضرموت . قتل سنة ٧٢ هـ .

عنه انظر : عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي : الفرق بين الفرق ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، (بيروت ، دار المعرفة) ، ص ٨٧ وما بعدها .

(٣) ثامة بن أثال بن النعمان اليماني ، أسلم وله صحبة ، وقاتل المرتدين مع العلاء ابن الحضرمي ومات مقتولا .

عنه انظر : العسقلاني : الاصابة في تمييز الصحابة ، ج ١ ، ص ٢٠٤ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٨٥ .

ان هذه الحادثة تدل على تمتع أهل منطقة البحرين بحياة اقتصادية هائلة والا لما تمكنوا من ارسال المساعدات الى الحرمين كل سنة ، على أن المساعدات الاقتصادية التي كانت ترسل الى الحرمين من البحرين كانت تعترضها بعض الصعوبات الأمنية أحيانا فيصعب وصولها .

وكان مصدر هذه الصعوبات غالبا يكمن في اعتراض الشائرين على الدولة طريق هذه المساعدات والاستيلاء عليها .

وقد ذكر ابن خلدون أن بلد بني حنيفة وكان فيها أربعة آلاف من الرقيق وذلك سنة ٦٨٤هـ / ٦٨٤م ، كما اعترض عيرا من البحرين جاءت لابن الزبير فأخذها وجاء بها الى أبي طالوت فقسمها بين أصحابه (١) .

ان بلدة بني حنيفة على صغرها فيها أربعة آلاف من الرقيق ، وهذا العدد الكبير فيما أعتقد مؤشر هام وواضح على مدى ماكانت تتمتع به هذه المنطقة من رخاء اقتصادي في هذه الفترة من حكم الدولة الأموية . فالرقيق كما هو معروف يساعدون في نمو الحركة الزراعية كما أنهم يستخدمون في عمل بعض الصناعات اليدوية ، وانتشار بعضهم في خدمة ذوى الجاه واليسار يؤكد ناحية الترف والرفاهية التي وصلت اليها المنطقة في هذا العهد .

واذا أردنا أن نأخذ جانبا آخر من جوانب النهضة الاقتصادية في الدولة الأموية - كما صوره ابن خلدون - فاننا نتلمس هذا الجانب في اقامة المباني وبناء المدن وعمارة المساجد .

ان بناء المدن مظهر من مظاهر الحضارة ، وان الانفاق على بناء هذه المدن دليل القدرة الاقتصادية وعمق النظرة المستقبلية لبناء حضارة مزدهرة ينعم أهلها بالاستقرار والسعادة والرفاهية .

لقد حرص عقبة بن نافع على بناء مدينة القيروان ، وأقام فيها مسجدا جامعاً ، وشجع الناس على بناء دورهم ومساجدهم (٢) ، وكان لهذه المدينة شأن عظيم على مدى التاريخ الاسلامي ومازالت تنعم بهذا الشأن حتى الآن .

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٨٤ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٣ .

وفي سنة ٨٢هـ/٧٠١م بنى الحجاج بن يوسف مدينة واسط (١).

أما الاهتمام ببناء المساجد وعمارتها فكان مظهرا من مظاهر عناية الدولة بهذا الجانب الهام في حياة المسلمين . وقد بدأ الأمويون بالاهتمام بالمسجد الأقصى ، ومن المؤكد أن مكانته الدينية في نفوس المسلمين كانت وراء هذا الاهتمام المتواصل من قبل الخلفاء الأمويين . وقد ذكر ابن خلدون أن عمر بن الخطاب عندما فتح بيت المقدس سأل عن الصخرة فأرى مكانها وقد علاها الزبل والتراب فكشف عنها وبني عليها مسجدا ، ثم جاء الوليد ابن عبد الملك فشيّد مسجدا كبيرا كان العرب يسمونه بلاط الوليد "وألزم ملك الروم أن يبعث الفعلة والمال لبناء هذه المساجد ، وأن ينمقوها بالفسيفساء فأطاع لذلك وتم بناؤها على ما اقترحه" (٢). وفي سنة ٦٨٤هـ/٦٨٤م زاد عبد الملك في المسجد الأقصى وأدخل الصخرة في الحرم (٣).

وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته أن مساحة البيت الحرام كانت فضاء للطائفين ، ولم يكن عليها جدر أيام النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك أيام أبي بكر رضي الله عنه ، وقد قام عمر رضي الله عنه بشراء بعض الدور وهدمها وأضاف مساحتها للمسجد وبني على المسجد جدارا قصيرا ، وقد فعل عثمان رضي الله عنه كما فعل عمر بن الخطاب . أما بنو أمية فلم يعملوا شيئا في توسعة المسجد الحرام بل اكتفى الوليد بن عبد الملك (٨٦-٨٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م) بعمل أعمدة من الرخام للمسجد (٤).

-
- (١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٧٣ .
 (٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٨٦٥ .
 (٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .
 (٤) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٨٥٩-٨٦٠ .

وقد اهتم الوليد بن عبد الملك بعمارة المسجد النبوى فأمر عامله على المدينة عمر بن عبد العزيز أن يدخل حجرات أمهات المؤمنين فى المسجد وأن يشتري ماحول المسجد من دور ليدخلها فى مساحة المسجد بحيث تكون هذه المساحة مائتى ذراع مربعة.

وقد استعان الوليد بملك الروم فى ارسال بعض المساعدات اللازمة لهذا البناء الذى حرص الوليد على أن يكون فى أحسن هيئة ليتلاءم مع مكانة المسجد ومكانة المدينة المنورة^(١).

ومادنا بصدد جهود بنى أمية فى بناء المساجد وتوسعتها فلا بد أن نذكر بناءهم للمسجد الكبير فى دمشق والذى عرف من ذلك الوقت بـ "المسجد الأموى" ، وكان تحفة فى هندسته وسعته وجمال بنائه . وقد بنى هذا المسجد فى عهد الوليد بن عبد الملك "يقال انه أنفق فيه أربعمئة صندوق فى كل صندوق أربعمئة عشر ألف دينار ، وكان فيه من جملة الفعلة اثنا عشر ألف مرخم ، ويقال كانت فيه ستمئة سلسلة من الذهب لتعليق القناديل فكانت تغشى عيون الناظرين وتفتن المسلمين فأزالها عمر بن عبد العزيز وردها الى بيت المال"^(٢).

وكما كان البناء بكل أنواعه مظهرا من مظاهر الازدهار الاقتصادى فان بناء المصانع كان مظهرا آخر من مظاهر الرقى الحضارى وعنوانا على التقدم الاقتصادى .

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٧٥ . وانظر كذلك : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٤٢٧، ٤٣٥-٤٣٦ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٤ ، ص ٥٢٦، ٥٣٢، ٥٣٦ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٢٧١ .

لقد حرص عبد الملك بن مروان على انشاء دار للصناعة في تونس ، وهذه الدار كان مهمتها صناعة الآلات البحرية التي يحتاج اليها المسلمون في جهادهم . وقد أوكل عبد الملك هذه المهمة لعامله على أفريقية حسان بن النعمان ، والمرجح ان الغزوات البحرية التي كان يخوضها المسلمون آنذاك هي التي دفعتهم الى هذا النوع من الصناعة ليستعينوا به على جهاد الأعداء . وهناك دور أخرى أوجدها الأمويون كدار الطراز التي تهتم بصناعة الملابس وغيرها^(١).

ومن موارد الدولة الأخرى التي أشار اليها ابن خلدون الخراج ، ولأهمية الخراج في الدولة طور الأمويون ديوان الخراج واهتموا به كثيرا ، وكان يعد من أهم دواوين الدولة "لأنه مصدر جميع الأموال للأقاليم والدولة"^(٢).

وقد عرف حسن ابراهيم حسن الخراج بقوله : "هو مقدار معين من المال أو الحاصلات ويفرض على الأرض التي فتحها المسلمون عنوة اذا عدل الخليفة عن تقسيمها على المحاربين ووقفها على مصالح المسلمين بعد أن يعوض المحاربين عن نصيبهم فيها أو يسترضيهم كما فعل عمر بن الخطاب ، ويؤخذ عن الأرض التي أفاء الله بها على المسلمين فملكوها وصالحوا أهلها على أن يتركوهم فيها بخراج معلوم يؤدونه الى بيت مال المسلمين"^(٣). وقد كانت اشارات ابن خلدون لمسألة الخراج في الدولة الأموية قليلة جدا ، فقد ذكر أن عبد الملك بن مروان أرسل حسانا الى أفريقية وأمره بجيش لقتال الكاهنة ، فلما قتلها وملك جبل أوراس ، فرض الخراج عليهم

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٩٠، ٧٠٨ .

(٢) نجدة خماش : الادارة في العصر الأموي ، ص ٢٧٢ .

(٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ص ٤٦١-١٦٢ .

وعلى من معهم من الروم والأفرنج (١).

أما عمر بن عبد العزيز فقد بعث على الأندلس السخم بن مالك الخولاني وذلك سنة ١٠٠هـ/٧١٨م للهجرة ، وأمره أن يخمس أرض الأندلس ففعل ذلك (٢).

اننا نعتقد أن ابن خلدون لم يتحدث عن الخراج بما كان ينبغي عليه أن يذكره لاسيما - وقد قلنا - أن ديوان الخراج يعد من أهم دواوين الدولة ، وهو موردها الرئيسى فى الاقتصاد ، ولعل هذه الناحية من النواحي التى قصر فيها ابن خلدون .

اننا نستطيع أن نتلمس كذلك بعض جوانب الحياة الاقتصادية والرخاء المالى الذى كان موجودا عند الأمويين فى اتخاذهم القصور مساكن لهم بدلا من الخيام التى كانت موجودة قبل ذلك ، وكذلك المبالغة فى الزينة ، وهذه الأشياء لم توجد بطبيعة الحال الا بعد أن حققت الدولة دخلا كبيرا جعلها تستبدل الخيام بالقصور مع ماتطلبه هذه النقلة الهائلة من نفقات كبيرة ، يقول ابن خلدون فى مقدمته : "فلما تفننت الدولة العربية فى مذاهب الحضارة والبذخ ونزلوا المدن والأمصار وانتقلوا من سكنى الخيام الى سكنى القصور ، ومن ظهر الخف الى ظهر الحافر ، اتخذوا للسكنى فى أسفارهم ثياب الكتان يستعملون منها بيوتا مختلفة الأشكال مقدرة الأمثال من القوراء والمستطيلة والمربعة ويحتفلون فيها بأبلغ مذاهب الاحتفال والزينة" (٣). ورقى الحياة الاقتصادية يظهر بوضوح فى حرص عاصمة الدولة على الحصول على أرقى المنتوجات وأفخمها مما هو موجود فى ولايات الدولة

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٢٣٩ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٥٢ .

وانظر كذلك : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٥ ، ص ٥٥ .

ورد هكذا (السخم بن مالك) فى نسخة تاريخ ابن خلدون التى اعتمدت عليها

والصحيح أنه (السمح بن مالك) . انظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٥ ،

ص ٥٥ ، المقرئ : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج ١ ، ص ٢٣٥ .

(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٧١١ .

الأخرى . ان الحسين بن على لما خرج من مكة لقي في التنعيم عيرا قادمة من اليمن ومتجهة الى دمشق ، وكانت هذه العير تحمل الورد والحللى الى يزيد أرسلها اليه أمير اليمن ، وقد أخذ الحسين هذه البضائع المنتقاة واكتفى باعطاء حاملها أجرتهم (١).

قلنا فى بداية المبحث أن أى دولة تحرص على معرفة الموازنة الدقيقة بين دخلها وبين مصروفاتها ، وقد حاولنا جاهدين ومن خلال النصوص التى أتاحتها لنا ابن خلدون أن نتحدث عن دخل الدولة الأموية ، وسنحاول كذلك أن نتحدث عن بعض جوانب الانفاق العام لهذه الدولة لأن الانفاق كذلك مظهر من مظاهر الوفرة الاقتصادية .

كان الخلفاء الأمويون يحرصون كثيرا على كسب ود الشعراء ، وهذا الحرص لم يسبق اليه الأمويون بل سبقهم غيرهم اليه ، وكان منطلقهم أن الشاعر هو لسان الأمة والمعبر عنها ، وهو الذى يستطيع من خلال قصيدة أن يعلى من شأن الحاكم أو يحط من شأنه . وكان العرب بطبيعتهم يتلقفون هذه القصائد ويحفظونها وتصبح فيما بعد متداولة على معظم الألسنة.

ان الشاعر كان يحدد مكانة الأمير أو الخليفة فلا بد اذن من ارضائه ، وارضائه فى الغالب لا يتم الا باعطائه الأموال والهبات الكثيرة . وقد كانت مكانة الشاعر بين قومه ومدى اجادته لقصيدته مؤشرا على قدر مكافأته ، وقد استمر الأمويون يقربون الشعراء طيلة حكمهم ، واستمر الحال على هذا المنوال بعدهم كذلك (٢).

ومن أبواب الانفاق كذلك الانفاق على الجيوش الاسلامية ، والجيوش بطبيعة الحال تحتاج الى نفقات كبيرة فى الاعداد والتسليح والاطعام ، ونذكر مثلا على ذلك أورده ابن خلدون فى تاريخه عندما ذكر أن الحجاج أراد أن يغزو بلاد رتبيل ، فاستأذن عبد الملك فى ذلك فأذن له "فجهز عشرين ألف فارس من الكوفة وعشرين ألفا من البصرة واختار أهل الغنى والشجاعة ،

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مخطوطة ، ج ٣ ، ق ١٥ .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٣٢٤ .

وأزاح عنهم وأنفق فيهم ألفى ألف سوى أعطياتهم ، وأخذهم بالخيال الرائعة والسلاح الكامل" (١).

وقد كان جزء من مال الخزينة يذهب الى الولاية أو من يستخدمونهم في مصالحهم الخاصة ، فقد ذكر ابن خلدون أن سلم بن زياد ولى عبد الله بن حازم السلمى على خراسان وأعطاه مائة ألف درهم ، كما أن ابن زياد أخرج من بيت المال تسعة عشر ألف ألف ووزعها على مواليه وأنصاره ليجمعوا عليه (٢).

أما معاوية بن أبى سفيان أول الخلفاء الأمويين فقد أمر لعمر بن الزبير بمائة ألف درهم وكتب بذلك الى زياد بالعراق (٣).

اننا لانريد الآن أن نناقش دور الخليفة في هذا الانفاق ، وهل كان يعلم بكل ما يحدث في ولاياته أم أن الوالى كان لديه من الصلاحيات مايسمح له بفعل مايريده دون الرجوع الى الخليفة .

اننا نرجح ومن خلال دراستنا لدور الوالى فى الدولة الأموية أن هناك أعمالا كان يقوم بها بعض الولاية دون الرجوع الى الخليفة من منطلق حرصهم على كيان الدولة بشكل عام ، وحرصهم كذلك على اثبات جدارتهم فى أعمالهم . ومع هذا فمن المؤكد أنهم كانوا لا يستطيعون أن يردوا للخليفة أى طلب .

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٦٠ . وانظر كذلك : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٣٢٧، ٣٢٩ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٤ ، ص ٤٥٤، ٤٥٦ .

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مخطوطة ، ج ٣ ، ق ٢٤، ٢٦ وانظر كذلك : الطبرى تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٥٤٦، ٥٠٨، ٥٠٩ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٤ ، ص ١٣٤، ١٥٥ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٢٤ . وانظر كذلك : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٣٣٠ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٤ ، ص ١١ .

سك العملة :

من المؤكد أن وجود عملة اسلامية مظهر من مظاهر قوة الدولة ، لأن الدولة التي تعتمد على غيرها في عملتها لا يمكن أن ترقى الى مصاف الدول الكبيرة ذات الكيان القوى ، ومن هنا أدرك عبد الملك بن مروان هذه الحقيقة فسعى الى ايجاد عملة اسلامية وعمل على التخلص من العملات الأخرى التي كانت سائدة في الدولة الاسلامية .

لقد أكد ابن خلدون أن عبد الملك هو أول من ضرب السكة في الاسلام فقال : "كان عبد الملك كتب في صدر كتابه الى الروم : قل هو الله أحد وذكر النبي مع التاريخ ، فنكر ذلك ملك الروم وقال : اتركوه والا ذكرنا نبيكم في دنائيرنا بما تكرهونه فعظم ذلك عليه واستشار الناس فأشار عليه خالد بن يزيد بضرب السكة وترك دنائيرهم ففعل . ثم نقش الحجاج فيها قل هو الله أحد فكره الناس ذلك لأنه قد يمسها غير الطاهر ، ثم بالغ في تخليص الذهب والفضة من الغش وزاد ابن هبيرة أيام يزيد بن عبد الملك عليه . ثم زاد خالد القسري^(١) عليهم في ذلك أيام هشام ، ثم أفرط يوسف ابن عمر^(٢) من بعدهم في المبالغة وامتحان العيار وضرب عليه فكانت الهبيرة والخالدية واليوسفية أجود نقود بني أمية . ثم أمر المنصور أن لايقبل في الخراج غيرها وسميت النقود الأولى مكروهة اما لعدم جودتها أو لما نقش عليها الحجاج وكرهه . وكانت دراهم العجم مختلفة بالصغر والكبر ، فكان منها مثقال وزن عشرين قيراطا واثنى عشر وعشرة قراريط وهي أنصاف المشاقيل فجمعوا قراريط الأنصاف الثلاثة فكانت اثنى وأربعين فجعلوا ثلثها

(١) خالد بن عبد الله القسري كان أمير العراقيين من جهة هشام ، ولد بمكة سنة ٨٩هـ ومات سنة ١٢٥هـ بالحيرة .

عنه انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٢ ، ص ٢٢٦ .
(٢) يوسف بن عمر بن محمد بن عقيل الثقفي ، أمير العراقيين وخراسان والشام . كان جبارا جوادا ، قتل في السجن سنة ١٢٧هـ .
عنه انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٥ ، ص ٤٤٢ .

وهو اثنا عشر قيراطا وزن الدرهم العربى فكانت كل عشرة دراهم تزن مثاقيل . وقيل ان مصعب بن الزبير ضرب دراهم قليلة أيام أخيه عبد الله والأصح أن عبد الملك أول من ضرب السكة فى الاسلام^(١).

ومن الواضح أن السبب الأساسى الذى جعل عبد الملك يقرر عمل نقد اسلامى "هو اتمام استقلال الدولة العربية الاسلامية . ان الشعور العربى القومى الذى كان يمتلكه عبد الملك اضافة للحوافز التى رافقت حكمه من استقرار سياسى واقتصادى للدولة ، اضافة للموارد المالية التى حصلت عليها الدولة ، جميع هذه الأسباب كانت هى الدافع للخليفة عبد الملك بن مروان على تعريب المسكوكات وتكوين شخصيتها المستقلة ، ويعتبر هذا العمل نقلة مهمة فى التاريخ العربى"^(٢).

ونحن لانعتقد أن الشعور القومى هو الذى جعل عبد الملك يقرر عمل نقد اسلامى ، بل هو الشعور الاسلامى واطمام استقلال الخلافة الاسلامية . ان النقود الاسلامية التى أوجدها الخليفة عبد الملك أوجدت للدولة مزايا متعددة "أبرزها أنه حفظ للدولة الاسلامية كيانها ووفر لها استقلالها الاقتصادى وألغى اعتمادها على الأجانب فى مسألة حيوية هامة كالنقود ، كما أنه من ناحية أخرى فوت على الروم تحكمهم فى قيم السلع العربية التى ترتبط ارتباطا وثيقا بتوافر العملة المتداولة فى السوق"^(٣).

واستكمالا لعملية ايجاد عملة اسلامية قرر عبد الملك انشاء دار للضرب فى دمشق وكان ذلك سنة ٦٧٤هـ / ٦٩٣م ، وكذلك أمر الحجاج بعمل دار

-
- (١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٥٧-٥٨ . وانظر كذلك : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ١٥٦ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٤ ، ص ٤١٧-٤١٨ ، عبد الحى الكتانى : نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية (بيروت ، دار الكتاب العربى) ، ج ١ ، ص ٤١٧ .
- (٢) ناهض عبد الرزاق : المسكوكات ، (الكويت ، مطابع دار السياسة) ، ص ٥٣ .
- (٣) عبد العزيز محمد اللميل : وضع الموالى فى الدولة الأموية ، (ط ١ ، الأردن ، جمعية عمال المطابع التعاونية : ١٤١٠هـ) ، ص ٦٧ .

أخرى فى الكوفة ، ومنع ضرب النقود الا فى هذه الدور التى اعتمدها وذلك حفاظا على العملة من الغش^(١).

لقد حاولت الدولة الأموية ايجاد قدر كبير من الحياة الاقتصادية الهائلة لأفراد المسلمين فى عموم الولايات الاسلامية ، وعملت على فصل اقتصادها كلية عن ارتباطه بدول أجنبية حتى يكون لها قدرة كاملة على التصرف بشئونها ، وقد نجحت فى ذلك الى حد كبير . ومن جانبه حاول ابن خلدون فى مقدمته وتاريخه أن يطرح بعض القضايا التى تتعلق بهذا الجانب الهام من حياة أى دولة لكنه لم يورد أمثلة كافية تضىء الطريق وتجعل مافعلته الدولة الأموية الفتية واضحا لاغموض فيه .

وعلى أية حال فان الجوانب التى طرحها أعطت مؤشرا كافيا على رقى الحياة الاقتصادية وعلى قدرة الدولة على تصريف أمورها واسعاد مواطنيها .

(١) محمد ضياء الدين الرئيس : عبد الملك بن مروان والدولة الأموية ، ص ٢٢٢ .

الفصل الخامس

أقوال المؤرخين فى أسباب سقوط

الدولة الأموية ورأى ابن خلدون فيها

* أسباب السقوط فى رأى المؤرخين المسلمين .

(أ) أسباب السقوط فى رأى المؤرخين المتقدمين .

(ب) أسباب السقوط فى رأى المؤرخين المحدثين .

* مرحلة السقوط وطبيعتها .

* أسباب سقوط بنى أمية فى رأى ابن خلدون .

المبحث الأول

أسباب السقوط فى رأى

المؤرخين المسلمين

- (أ) أسباب السقوط فى رأى المؤرخين المتقدمين .
- (ب) أسباب السقوط فى رأى المؤرخين المحدثين .

أسباب السقوط فى رأى المؤرخين المتقدمين :

لم نكن نتوقع أن نجد عند المؤرخين الذين سبقوا ابن خلدون نظرية كاملة عن أسباب سقوط بنى أمية ، ذلك أن مثل هذه الرؤية التحليلية تقوم على النظرة الشاملة للدولة الأموية على أساس أنها وحدة موضوعية ذات ترابط عضوى ، بينما تقوم معظم المؤلفات التاريخية السابقة على ابن خلدون على جزئية النظرة والتركيز على الواقعة التاريخية المستقلة . حقيقة أن الباحث فى الأسباب العامة التى أدت الى سقوط الدولة الأموية لابد له أن يستقصى مادة بحثه مما ورد فى كتب المؤرخين المسلمين الأوائل الذين لم يعطوا أى تفسير للأحداث التى أرخوا لها ولا سيما ما كان منها جسيما أو له دور بارز فى تغيير مجرى الحياة العامة للدولة والناس . ويعد تاريخ خليفة بن خياط المتوفى سنة ٢٤٠هـ / ٨٥٤م من الموسوعات التاريخية المبكرة التى عاجلت تاريخ بنى أمية حسب الطريقة الحولية . ومع أنه قدم عن الأمويين مادة عظيمة الأهمية منصفة لبنى أمية^(١) إلا أن ما قدمه كان شديد الاختصار بحيث لم يقدم اشارات ذات دلالات تحليلية تتصل بموضوع سقوط بنى أمية .

وقد تتبع خليفة بن خياط حركات الخروج على بنى أمية منذ ولاية معاوية سنة ٤١هـ / ٦٦١م حتى نهاية الدولة . فقد تحدث عن خروج ابن أبى الحوساء على معاوية ، وخروج سهم الخطيم ، وخروج شبيب بن بجرة ، ومقتل حجر بن عدى ، وخروج قريب وزحاف ، وخروج الحسين بن على رضى الله عنه على يزيد بن معاوية ، ومقتل الحسين وأصحابه فى كربلاء ، ووقعة الحرة ، وتسمية من قتل فيها^(٣) ، وحرق الكعبة ، ووقعة مرج راهط

(١) رياض عيسى : النزاع بين أفراد البيت الأموى ودوره فى سقوط الخلافة الأموية ،

(ط ١ ، دار حسان للطباعة والنشر : ١٤٠٦هـ) ، ص ٢١١، ٢١٢ .

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ، ص ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٩، ٢١٩، ٢٣١ وما بعدها .

ووقعة المذار ، وخروج نافع بن الأزرق وعبيد الله والزبير ابنا ماحوز ومقتل مرداس بن أدية^(١).

وحتى مقاتل الأفراد من طالبين وخوارج يتتبعها خليفة بن خياط تتبعاً دقيقاً ، حتى تبدو لنا هذه المتابعة لحركات الخروج والشقاق ولمقاتل الخارجين ، وكأنها - في رأى خليفة - من أبرز عوامل سقوط بني أمية . ونحن نستطيع أن نستنتج من هذا أن هذه الحركات كانت عاملاً رئيسياً في التعجيل بسقوط دولة بني أمية ، ومع أن هذا المعنى بارز وواضح من منهج خليفة بن خياط ، إلا أن خليفة - بهذا الإيجاز الذى عرف عن كتابه في عرض الوقائع التاريخية ، وبهذا التتبع المفصل لحركات الخروج على الدولة الأموية - قد ظم الدولة الأموية ، فلم يظهر فتوحاتها العظيمة ، ولا جهودها في نشر الاسلام ولا تعريبها الدواوين وسكها العملة الى غير ذلك من الأعمال الإصلاحية .

وقد طغى الجانب السياسى والعسكرى - كما هو متوقع - على الجوانب الأخرى طغياناً كبيراً باستثناء تتبعه للقضاة والولاة في عهود خلفاء بني أمية المتتابعين . وقد كان هذا من الأسباب التى حالت دون معرفة العوامل الإيجابية والسلبية التى كانت تحرك الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عصر بني أمية .

أما أبو حنيفة بن داود الدينورى المتوفى سنة ٢٨٢هـ / ٨٩٥م فهو ، وإن قدم من خلال كتابه الأخبار الطوال محاولة موضوعية لعرض تاريخى وجيز لا يخلو من نظرات تحليلية ، إلا أن استطراده للحديث عن موضوعات كثيرة بدءاً من آدم عليه السلام^(٢) ، ونزعتة الفارسية ووقوفه عند الجوانب السياسية والعسكرية ولاسيما الخلافات التى وقعت بين بني أمية وخصومهم ،

(١) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦٤ . وانظر تسجيله لقتال الأمويين للأزارقة وخروج داود بن النعمان والريان النكرى بالبحرين وفتنة ابن الأشعث وغيرها من ص ٢٧١-٢٧٨، ٢٧٣ وما بعدها .

(٢) الدينورى : الأخبار الطوال ، ص ٧ وما بعدها .

واستطراذه فيما يتعلق بالدعوة الى العلويين^(١)، وتجاهله التام لفتوحات الأمويين واصلاحاتهم الاقتصادية والادارية قد جعل الكتاب عاجزا عن تقديم رؤية كاملة لسيرة بني أمية وبالتالي استخلاص العوامل التي وجهت تاريخهم الى هذا السقوط خلال أقل من قرن من الزمان .

وعلى نهج آخر متحيز تماما يمضى أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر المعروف باليعقوبى المتوفى سنة ٢٨٤هـ / ٨٩٧م ، فولاؤه لآل البيت يصل الى حد الجنوح ، ولهذا فهو فى كتابه الموسوم "بتاريخ اليعقوبى" يفصل القول فى الحديث عن آل البيت الذين ظهروا فى العصر الأموى ، مثل وفاة على بن الحسين ، ووفاة أبى جعفر محمد بن على . وحسبنا مايرمى به الوليد بن يزيد من بهتان فاضح لندرك مدى قسوته على بني أمية ، حيث يزعم أن الوليد كان مهملا لأمر رعيته ، كما كان صاحب ملاءة وقيان ، كثير اللهو والمجون بلغ من مجونه أنه أراد أن يبنى بيتا على الكعبة للهو^(٢).

وكان لايعترف بدولة الأمويين ولاالعباسيين ولابخلفائهم وكان يسميها أياما كأيام العرب الأولى^(٣).

ويتضح من هذا أن اليعقوبى رافض - جملة وتفصيلا - لأحقية بني أمية للخلافة وللبقاء ، وهو يرى أن سقوطهم أمر طبيعى ناشئ من أن دولتهم لاتستحق الوجود .

لكن الامام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠هـ / ٩٢٢م ، وصاحب الموسوعة التاريخية التى تصدر كتب التاريخ الاسلامى الحولية والغزيرة (تاريخ الرسل والملوك) كان أشمل من سابقه ومصدرا رئيسيا للاحقيه فى المعلومات التى قدمها حول بني أمية .

(١) الدينورى : الأخبار الطوال ، ص ٢١٢ ومابعدها .

(٢) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ٣٠٣-٣٢٠ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٣٣ .

وقد اهتم الطبرى بالتفاصيل معتمدا على منهجى الحديث والتاريخ معا وان لم تسعفه ظروفه بنقد الروايات التاريخية ، فأورد الحادثة التاريخية باسنادها الى رواتها على أساس أنه مجرد راو للأخبار ومصنف لها فقط . وعلى الرغم من غزارة المعلومات التى قدمها الطبرى عن بنى أمية فإنه لم يستطع القيام بتتبع متوازن للجوانب السياسية والحضارية معا ، وان كان ذلك لم يوقعه فيما وقع فيه المصدران السابقان من تجاهل الفتوحات الاسلامية والاصلاحات الحضارية التى قام بها الأمويون .

وقد كان شأن الطبرى شأن غيره من المؤرخين المسلمين فى فقدان التفسير والتحليل ، فهو "مثلا يسرد فى تاريخه كل مايصل الى علمه من روايات حول الحادث الواحد ، ولكنه لايفضل رواية على رواية الا فى القليل النادر ، ويترك ذلك لقارئه ، كما أنه لايعطى أى تفسير للحادث الواحد أو لمجموعة الأحداث التى أدت الى انعطافه فى المسيرة التاريخية ، ولاسيما مايمكن أن نسميه بالفتن الكبرى أو الثورات التى غيرت وجه التاريخ العربى الاسلامى . ومايصح على الطبرى يصح على أقرانه من مؤرخى الطبقة الأولى من أمثال الدينورى ، وخليفة بن خياط ، والبلاذرى ، وابن قتيبة وسواهم فهم نقلة رواية أو سجل دقيق لما وقع اليهم من روايات ، يسردونها دون أن يبدوا فيها رأيا أو يستخلصوا منها صورة يفضلونها على سواها" (١).

ومع ذلك فنحن نستطيع تلمس رأى الطبرى فى سقوط بنى أمية من خلال منهجه فى سرد سيرتهم حين نراه يقوم بالتركيز على بعض النقاط المتصلة بناحية بدرجة تفوق تركيزه على غيرها من الجوانب .

ان الطبرى يبدأ فى تتبعه لوقائع السنوات بالحديث - غالبا - عن الفتوحات فى السنة المذكورة ، لكن ذلك يقع فى ايجاز مالم تكن المعركة مشهورة . ومن عجب أن يكون حديثه عن الفتوحات - بصفة عامة - وجيزا وأن يكون حديثه عن الفتن الداخلية وأخطاء بنى أمية مفصلا .

ففى حديثه عن وقائع سنة ٥٥٠/٦٧٠م - مثلاً - نرى الطبرى يبدأ بالقول بأنه فى هذه السنة كانت غزوة بسر بن أرطأة وسفيان بن عوف الأزدي أرض الروم ، وبعد سطرين فقط يدخل فى الحديث عن وفاة المغيرة بن شعبة وولاية زياد الكوفة معالجا ذلك فى أربع صفحات ، ثم يستطرد الى ذكر "خروج قريب وزحاف". و"ذكر ارادة معاوية نقل المنبر من المدينة" ، و"ذكر هروب الفرزدق من زياد" وهو يعالج ذلك فى نحو خمس عشرة صفحة (١). وبينما يشير فى صدر سنة ٥٥١/٦٧١م الى أنه مما كان فيها مشتى فضالة بن عبيد بأرض الروم وغزوة بسر بن أرطأة الصائفة . يستطرد فى الحديث عن مقتل "حجر بن عدى وأصحابه" فيعالج هذه القضية فى نحو أربعين صفحة (٢).

والمنهج نفسه نجده فى حديثه عن حوادث سنة ٥٥٤/٦٧٣م . وهكذا (٣).

والحق أننى أجد فى هذا التركيز على الجوانب الداخلية بعدا من أبعاد منهج الطبرى فى نظرتة للدولة الأموية ، اذ انه يرى أن العوامل الداخلية هى الأساس فى النظر الى الدول وتقويمها ، ومما لاشك فيه أن حادثا مثل قتل حجر بن عدى وأصحابه كان له تأثيره البالغ على الدولة الأموية . وكذلك يقال فى تأثير الفتن بين أبناء الأمة والسلطة السياسية .

فقد تتبع الطبرى - بتفصيل شديد - شتى الفتن والثورات التى وقعت فى عصر بنى أمية .

ومع ذلك فاننا نستطيع القول ان الطبرى قد أنصف شخصيات الخلفاء فقد تحدث عن معاوية موردا ماله وماعليه (٤). وفى حديثه عن خروج

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٢٣٤-٢٥٠ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٥٣-٢٨٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٢٩٣ وما بعدها .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٣٢٤-٣٣٧ .

الحسين الى الكوفة ذكر شتى الآراء في هذا الخروج من الرافضين والمؤيدين^(١).

وهذا الحديث المنصف من الطبرى لشخصيات خلفاء بنى أمية يدلنا على أن افتقاد بعض هذه الشخصيات الأموية الحاكمة للصفات التى تجلت فى أمثال معاوية وعبد الملك والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز كانت السبب فى خلخلة الأوضاع فى البيت الأموى .

فاذا ماذكرنا ماوقع فى عهد يزيد بن معاوية ، فاننا يجب أن نضيف اليه ماوقع فى عهد الوليد بن يزيد بن عبد الملك . ومع أن الطبرى قد ذكر مالىوليد وماعليه - كما أورده الرواة - فان سلوكه وسلوك عمه هشام معه ، ثم سلوك يزيد الناقص مع الوليد حتى قتله سنة ١٢٦هـ / ٧٤٣م وماأدى اليه هذا من تفاقم الصراع بين أبناء البيت الأموى ، هذا التحول الخطير ركز الطبرى عليه وهو يسوق حوادث السنوات الأخيرة من عمر الدولة الأموية بحيث يمكننا أن نستنتج أن الطبرى يميل الى أن البيت الأموى انما قضى على نفسه بنفسه قبل أن تقضى عليه الحركة العباسية .

ونحن نلمح هذا التردى الذى وصل اليه البيت الأموى فى ذلك النص الذى أورده الطبرى والذى ترد فيه مجموعة من التهم المتبادلة الشائنة بين قيادات هذا البيت ، فقد ذكر أنه لما قتل الوليد أمر يزيد بن الوليد بنصب رأسه ثم أمر بعد ذلك بدفع الرأس الى أخيه سليمان - وكان سليمان أخو الوليد ممن سعى على أخيه - فلما رأى رأسه نظر اليه متشفيا ووصفه بأنه كان فاسقا ماجنا مدمنا للمسكرات كما اتهمه باللواط^(٢).

وينظر الطبرى الى سنة ١٢٦هـ / ٧٤٣م على أنها السنة الفاصلة فى أمر بنى أمية فتحت عنوان : ذكر اضطراب أمر بنى مروان . يستعرض الفتن التى تلاحقت على بنى أمية حتى انفرط عقدهم ومن ذلك وثوب سليمان بن هشام

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٣٨٢ ومابعدها .

(٢) المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٥٠-٢٥١ .

ابن عبد الملك بعدما قتل الوليد بن يزيد بعمان وقدمه الى دمشق يلعن الوليد ويتهمه بالكفر ، وكذلك وثوب أهل حمص واطهارهم الطلب بدم الوليد بن يزيد ، كما أن أهل فلسطين والأردن وثبوا على عاملهم فقتلوه (١).

ولما قتل يزيد الوليد ووجه منصور بن جمهور الى العراق كتب يزيد ابن الوليد الى أهل العراق كتابا يذكر فيه مساوىء الوليد ، ومما جاء فيه : "ثم أفضى الأمر الى عدو الله الوليد ، المنتهك للمحارم التي لا يأتى مثلها مسلم ، ولا يقدم عليها كافر ، تكرما عن غشيان مثلها . فلما استفاض ذلك منه واستعلن ، واشتد فيه البلاء ، وسفكت فيه الدماء ، وأخذت الأموال بغير حقها ، مع أمور فاحشة ، لم يكن الله ليملى للعاملين بها الا قليلا ، سرت اليه مع انتظار مراجعته ، واعذار الى الله والى المسلمين ، منكرنا لعمله وما اجتراً عليه من معاصى الله ، متوخيا من الله اتمام الذى نويت ، من اعتدال عمود الدين ، والأخذ فى أهله بما هو رضا ، حتى أتيت جندا ، وقد وغرت صدورهم على عدو الله ، لما رأوا من عمله ، فان عد الله لم يكن يرى من شرائع الاسلام شيئا الا أراد تبديله ، والعمل فيه بغير ما أنزل الله وكان ذلك منه شائعا شاملا ، عريان لم يجعل الله فيه سترا ، ولالأحد فيه شكا" (٢).

وهى مبالغات واضحة من يزيد ، وقد ذكر الطبرى نفسه نصوصا تناقضها ، ومع ذلك فان هذا لايهمنا بقدر مايهمنا أن قيادات بنى أمية قد وصلت الى هذا المستوى من فضح بعضها ، ونزو كل منها على الآخر ، حتى سقطت فى أعين الأمة ، ومما لاشك فيه أنها قدمت - بهذا - أكبر مساعدة للحركة العباسية النشطة.

ولقد أحسن الطبرى صنيعة فى الاطناب فى كشف هذه الأوضاع الزرية.

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ ، ص ٢٦٢، ٢٦٦، ٢٧٠ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٧٦ .

ويركز أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي المتوفى سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م في كتابه الموسوم باسم كتاب الفتوح على أحداث الفتنة بين علي ومعاوية تركيزا شديدا ، ونحن نلمس في كتابه موقفا غير معتدل من بني أمية على أساس أن دولتهم قامت على خلاف ودماء وحروب بين المسلمين . كما أن ميل ابن أعثم لعلي بن أبي طالب وآل البيت واضح في كل صفحات كتابه بطريقة تفتقد الى الموضوعية .

ونحن نرى من خلال عرضه أنه يرى في انحلال بني أمية أمرا طبيعيا نظرا لقيام دولتهم على أسس غير سليمة ، وأنها قامت بالقوة والحروب بين المسلمين .

ومن المؤرخين المتحيزين ضد بني أمية أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م ، وهو كاليقوبى متهم بالتزعة الشيعية ، فكتابه "مروج الذهب" وان أنصف معاوية وعبد الملك بن مروان في كثير من المواقف الا أنه ملئ بالمبالغات التي لاتعقل في حق خلفاء بني أمية ، بل في حق الانسان العادى ، وانظر الى ما يصف به شره سليمان بن عبد الملك في الطعام لتدرك المبالغة التي وقع فيها المسعودى . يقول عند ذكره للجمع من أخبار سليمان وسيره :

"ذكر الأصمعى قال : ذكرت للرشيد نهم سليمان وتناوله للفراريج بكمه من السفافيد . فقال : قاتلك الله فما أعلمك بأخبارهم ، انه عرضت على جباب بني أمية ، فنظرت الى جباب سليمان واذا كل جبة منها في كمها أثر كأنه أثر دهن ، فلم أدر ما ذلك حتى حدثتني بالحديث ، ثم قال : على بجباب سليمان ، فأتى بها ، فنظرنا فاذا تلك الآثار فيها ظاهرة ، فكسانى منها جبة فكان الأصمعى ربما يخرج أحيانا فيها فيقول : هذه جبة سليمان التي كسانيها الرشيد . وذكر أن سليمان خرج من الحمام ذات يوم وقد اشتد جوعه ، فاستعجل الطعام ، ولم يكن فرغ منه ، فأمر أن يقدم عليه مالحق من الشواء ، فقدم اليه عشرون خروفا ، فأكل أجوافها كلها مع أربعين رقاقة

ثم قرب بعد ذلك الطعام فأكل مع ندمائه كأنه لم يأكل شيئاً^(١).
وتحت عنوان أمثلة من بخل هشام بن عبد الملك يذكر المسعودي أن
هشاماً أهدى له رجل طائرَيْن أعجب بهما هشام ، فلما طلب الرجل مكافأته
أمره أن يأخذ أحدهما ، فاختار الرجل أجودهما لكن هشام رفض ذلك
ومنحه دريهما^(٢).

وما يهمننا في هذين الخبرين هو نزعة المسعودي في المبالغة وتشويه
صورة بني أمية والتركيز على نقاط شخصية لاتفيد كثيراً في الرصد التاريخي
لأسباب سقوط الدول .

ولكن المبالغة تصبح تزويراً واضحاً حين يتصل الأمر بأيام الوليد بن
يزيد بن عبد الملك ، فقد كان المسعودي من أكثر المؤرخين طعناً في هذا
ال خليفة ، وهو لم يذكر - كما فعل الطبري مثلاً - الآراء المختلفة ، بل ظهر
تحيزه واضحاً ضد هذا الخليفة ، ولم يحاول قط مناقشة هذه المطاعن .
وتحت عناوين فرعية من أمثال : "لهو الوليد وخلاعه" ، و"سمير
الوليد يتحدث عنه" ، و"ورث الوليد الخلاعة عن يزيد أبيه" ، و"فعله
بالمصحف وقد استفتح به" ، و"شعر له ألد فيه" ، و"كان مغرى بالخيال" ،
تحت هذه العناوين الفرعية^(٣) التنظيمية شوه المسعودي الوليد أسوأ تشويه .
وهل يعقل أن يكون الوليد الذي صح عنه أنه مات وهو يقرأ في
المصحف ، ويقول لقاتليه : "يوم كيوم عثمان" قد قال هذا الشعر الكافر
الفاجر :

بلاوحي أتاها ولا كتاب
وقل لله يمنعني شرابي^(٤)

تلعب بالخلافة هاشمي
فقل لله يمنعني طعامي

(١) المسعودي : مروج الذهب ، ٣/٢ ، ص ١٧٥ .

(٢) المصدر السابق ، ٣/٢ ، ص ٢١٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ٣/٢ ، ص ٢١٣-٢١٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ٣/٢ ، ص ٢١٦ .

وهل يصح أيضا أن ينسب إليه أنه جعل المصحف غرضا للنشأ وهو خليفة مسلم في القرن الثاني الهجري!!

وقد نقض العلامة ابن خلدون هذه الروايات وأمثالها ، وذكر أنها من باب الحسد ، وأورد مذكره الخليفة العباسي المهدي في الوليد : "لما كان الرجل محسودا في خلاله ومزاحما بكبار عشيرة بيته من بني عمومته" (١). لكن المسعودي - لميوله الشيعية - لم يعمد الى شيء من ذلك بل سار على منهج تتبع مثالب بني أمية وغمطهم حقوقهم اللهم الا الأعلام منهم والذين لم يستطع أن يتغاضى عن فضائلهم . وهذا يوحي لنا بأن المسعودي يرى أن هؤلاء الخلفاء - ولاسيما خلفاء المرحلة الأخيرة بعد عمر بن عبد العزيز - بسلوكياتهم هذه كانوا من أسباب سقوط بني أمية ، فضلا عن أنه يرى أن دولة بني أمية قامت على الدماء والخلاف والاعتصاب ، وهذا - أيضا - من عوامل سقوطها .

وحسبنا أن ندرك مدى تحيز المسعودي أنه لم يعترف بأن دولة بني أمية "خلافة اسلامية" بل سرد تاريخهم تحت عناوين "أيام" فبعد أن ذكر "خلافة الحسن بن علي عليه السلام" (٢)، أورد "ذكر أيام معاوية بن أبي سفيان" - دون أن يترضى عليه - ثم تابع تأريخه ، فذكر "أيام يزيد بن معاوية" و"أيام معاوية بن يزيد" و"أيام مروان بن الحكم" (٣). الى آخر بني أمية ، اللهم الا عمر بن عبد العزيز ، فانه اعترف بأنه خليفة فكتب تاريخه تحت عنوان : "ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله" (٤). ولما وصل الى بني العباس عاد الى ذكر كلمة خلافة ، كخلافة أبي العباس السفاح ، وخلافة أبي جعفر المنصور (٥)، وهكذا .

-
- (١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٣٢ .
 (٢) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي : التنبيه والاشراف ، (بيروت ، دار ومكتبة الهلال : ١٩٨١م) ، ص ٢٧٦ .
 (٣) المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص ٢٧٧ وما بعدها .
 (٤) المصدر السابق ، ص ٢٩٢ .
 (٥) المصدر نفسه ، ص ٣٠٨ وما بعدها .

وهذا الموقف المتحيز من المسعودى دال - بوضوح - على رأيه فى بنى أمية وفى عدم أهليتهم للخلافة ، وفى استحقاقهم - بالتالى - للسقوط .
ويمتاز عز الدين أبو الحسن على بن أبى الكرم المعروف بابن الأثير توفى ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م باعتداله فى الأحكام على بنى أمية ، فكتابه الكامل فى التاريخ سجل حافل بالوقائع ومايكتنفها فى موضوعية وفى نزاهة وانصاف ، وهو يورد كل الأقوال التى صحت عنده سواء كانت للشخص أو عليه ، ففى ذكره لبعض سيرة معاوية وأخباره يفعل ذلك ويورد الأقوال المأثورة فيه سواء كانت له أو عليه (١) .

وهو يورد الثناء الكثير الذى ورد فى حق الوليد بن عبد الملك ، ويورد حكمه على بعض خلفاء بنى أمية . لقد كان الوليد - كما يذكر ابن الأثير - عند أهل الشام "من أفضل خلفائهم ، بنى المساجد ، مسجد دمشق ومسجد المدينة ، على ساكنها السلام ، والمسجد الأقصى ، ووضع المنائر ، وأعطى المجذومين ومنعهم من سؤال الناس ، وأعطى كل مقعد خادما وكل ضرير قائدا ، وفتح فى ولايته فتوحا عظاما ، منها الأندلس وكاشغر والهند . وكان يمر بالبقال فيقف عليه ويأخذ منه حزمة بقل فيقول : بكم هذه ؟ فيقول : بفلس . فيقول : زد فيها .

وكان صاحب بناء واتخاذ المصانع والضياع ، وكان الناس يلتقون فى زمانه فيسأل بعضهم بعضا عن البناء ، وكان سليمان صاحب طعام ونكاح ، فكان الناس يسأل بعضهم بعضا عن النكاح والطعام ، وكان عمر بن عبد العزيز صاحب عبادة ، وكان الناس يسأل بعضهم بعضا عن الخير وماوردك الليلة وكم تحفظ من القرآن وكم تصوم من الشهر؟" (٢) .

وهو يذكر مايفهم منه ادانة بنى أمية فى سبهم لأمر المؤمنين على عليه السلام ، فيذكر أن عمر بن عبد العزيز ترك سب أمير المؤمنين على ، وكان

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٤ ، ص ١١ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٩-١٠ .

بنو أمية يسبونهم الى عهده . لكن يبدو أن ذلك كان محصور في أشخاص من خلفاء بني أمية ، ولم يؤمر الناس به أمرا لازما .

وعند حديثه عن الوليد بن يزيد نراه يورد كل الآراء ، ومن ذلك قول خالد بن عبد الله القسري في الشائعات التي تروج حول الوليد : "إنما هي أخبار الناس" . وهو يصف يزيد بن الوليد بتحفظ فيقول عنه : "أنه كان يظهر النسك ويتواضع"^(١) وهو تعبير علمي موضوعي . وعلى كل حال فإن التشابه كبير بين نظرة الطبري للدولة الأموية ونظيره ابن الأثير ، وكلاهما على منهج أهل السنة والجماعة والذي كان الفضل في تأصيله وإشاعته يعود الى ابن حزم الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م^(٢) ، ولأبي بكر بن العربي المتوفى سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م^(٣) .

لقد وقع بنو أمية في أخطاء ، ولقد تكاثرت من حولهم الأعداء ، ولا سيما الشيعة والخوارج ، وقد نسبت اليهم أخطاء لم يرتكبوها ، لكنهم مع ذلك وقعوا في أخطاء استمرت في دولتهم حتى انتهت بهم هذه الأخطاء الى النهاية المتوقعة . وكانت تلك الخلافات التي أعقبت وفاة هشام بن عبد الملك هي الأيام الحاسمة في سقوط الدولة .

ولم يبعد عن هذا المنهج الامام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م ، ويعد كتابه العظيم "منهاج السنة النبوية"^(٤) تأصيلا

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، ص ٤٢٠، ٢٨١-٢٨٠ .

(٢) انظر : عبد الحليم عويس : ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري ، ص ٢٦٠ .

(٣) انظر : أبي بكر بن العربي : العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي : منهاج السنة النبوية ، (بيروت ، دار الكتب العلمية) .

وافيا كافيا لهذا المنهج الرشيد .

كما كان الحافظ ابن كثير صاحب البداية والنهاية والمتوفى سنة ٧٧٤هـ ١٣٧٢م على هذا المنهج السديد المنصف في تقويم ماشجر بين الصحابة والتابعين ، وفي الحكم على خلفاء بني أمية ورجالهم ، وكان اهتمام ابن كثير بالحديث^(١) في توثيق وقائعه أقرب الى منهج الطبرى وابن تيمية .

وقد كتب ابن كثير في فضل على بن أبى طالب صفحات طويلة ، يمدحه فيها ويعدد مناقبه . لكنه مع ذلك كتب في فضل معاوية بن أبى سفيان في حوادث سنة ٤١هـ / ٦٦١م ، وفي حوادث سنة ٦٠هـ / ٦٧٩م وهى سنة وفاة معاوية كتب بحثا مستقلا تحت عنوان "ترجمة معاوية رضى الله عنه وذكر شىء من أيامه ودولته وماورد في مناقبه وفضائله رحمه الله"^(٢).

وكذلك كان شأن ابن كثير في تقويم الفترة القلقة من حياة بني أمية والتي بدأت في عصر هشام بن عبد الملك وانتهت بأيام مروان بن محمد ، ومع أنه ذكر مثالب الوليد بن يزيد وبالح فيها ، فانه لم يسرف فيها كما أسرف غيره ، بل ذكر أن بداية عهد الوليد كان بداية حسنة ، وذكر بعض اصلاحاته الاقتصادية والادارية^(٣).

وهكذا نجد - من خلال هذا العرض لأهم الموسوعات التاريخية التي سبقت ابن خلدون - أن أغلبها يتجه الى الاعتدال ، ويجعل سقوط بني أمية راجعا للفتن التي وقعت في عهدهم منذ قيام الدولة ، وحتى العصر الأخير الحافل بالفتن منذ ولاية الوليد بن يزيد ، ولم يجعل أحد منهم الأسباب الرئيسية لسقوط بني أمية راجعة الى عدم أهليتهم - بصفة اجمالية - للحكم أو لتقصيرهم في حماية الثغور وتوفير الأمن والعدل للناس ، فقد كان بنو

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ٢٨٩ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٣٣٢-٣٦١ . ، وانظر : ج ٨ ، ص ١-١٣، ٢٠-٢١، ١١٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١٠ ، ص ٤، ٣، ٢ .

أمية - بصفة عامة - أهل خبرة في فنون الحكم وسياسة الدنيا ، وحتى آخرهم مروان بن محمد الذي نعت بالحمار ، كان من أكفأ الناس وأجدرهم بالملك . وإذا ما استثنينا مانسب الى يزيد بن معاوية والوليد بن يزيد من التحلل والفسق - وأكثره يحتاج الى تمحيص - فاننا نجد الخلفاء الأمويين أهل صلاح ودين ، وعلى رأسهم معاوية وعبد الملك والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز .

لقد كشفت المصادر التاريخية الأساسية بدءا من خليفة بن خياط والطبرى عن رؤية رزينة موضوعية رشيدة لبنى أمية ، لكن هذه الرؤية لم تأخذ اطارها التحليلي القائم على رؤية شمولية تتركب الوقائع وتنظر الى "الخلافة الأموية" كظاهرة متكاملة تستكنه ماقبلها وماوقع فيها وماانتهى بها الى هذا السقوط السريع ، حتى جاء عبد الرحمن بن خلدون فقدم هذه النظرة التي كان البحث التاريخي في حاجة ماسة اليها .

أسباب سقوط بني أمية فى رأى المؤرخين المحدثين :

مما لاشك فيه أن المؤرخين المحدثين قد استفادوا من مناهج البحث التاريخى القائمة على رؤية فلسفية شمولية للتاريخ ، كما استفادوا من النظريات التى تحاول تفسير التاريخ شرقية كانت أو غربية .

وجدير بالذكر أن عملية التنظير لتفسير التاريخ قد تختلف من مؤرخ الى آخر ، ومن هنا فقد نجد آراء متباينة فى أسباب سقوط بني أمية .

وعلى سبيل المثال ، فبينما يرى بعض المؤرخين ممن سنعرض لآرائهم أن العصبية العربية كانت من عوامل سقوط بني أمية يرى آخرون أنها لم تكن من عوامل السقوط بل يرون أنها لم تكن موجودة أصلا .

ان الدكتور محمد الطيب النجار عندما يتحدث عن عوامل سقوط بني أمية يرى أن العصبية العربية السمة البارزة التى تميز بها حكم بني أمية يتضح ذلك فى معاملتهم للمسلمين من غير العرب ، الذين يسمونهم "بالموالى" وهى تسمية تشعر بسيادة العنصر العربى وكانوا لايساؤون بين العربى وغير العربى فى العطاء ولا فى وظائف الدولة بل وينظرون اليهم باحتقار وازدراء^(١).

بل انه يرى أن العصبية العربية الأموية تطورت الى ما هو أضيق فأصبحت عصبية قبلية وقد "بلغ من خطورة العصبية القبلية وآثارها المدمرة أنه ترتب عليها قتل خليفة من الخلفاء الأمويين وهو الوليد بن يزيد . ويروى المؤرخون فى ذلك أن أحد عمال الخليفة الوليد بن يزيد قتل خالدا القسرى ، وكان خالد من اليمانية والوليد بن يزيد من المضربية والعصبية بين القبيلتين على أشدها ، فلما علم الوليد بمقتل خالد سر وفرح

(١) محمد الطيب النجار : الدولة الأموية فى الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء ، (القاهرة ، مطابع دار الكتاب العربى بمصر ، نشر مكتبة الجامعة الأزهرية بمصر : ١٣٨٢هـ) ، ص ١٣٧-١٣٨ .

وانظر فى الموضوع نفسه : محمد الطيب النجار : الموالى فى العصر الأموى ، (ط ١ القاهرة ، دار النيل للطباعة : ١٣٦٨هـ) ، ص ٢٨-٤٦ .

وتيقظت في نفسه العصبية المضرية وأظهر التشفى والشماتة وتجلى ذلك في قصيدة له قال فيها :

شددنا ملكنا بنى نزار وقومنا بهم من كان مالا
وهذا خالد أضحى قتيلا ألا منعوه ان كانوا رجالا؟
ولكن المذلة ضععتهم فلم يجدوا لذلتهم مقالا
وهى قصيدة طويلة كان لها في نفوس اليمانية أسوأ الآثار فاجتمعوا
من مدن الشام واتجهوا في جموع وفيرة الى الخليفة في دمشق وخرج اليهم
الوليد في جموع من المضرية واقتتلوا قتالا عنيفا حاقت فيه الهزيمة بمضر
وتحصن الوليد بقصره ولكنهم تسلقوا عليه القصر وقتلوه .
وهكذا انتهت حياة هذا الخليفة بتلك المأساة الأليمة فذهب ضحية
لعصبيته التي تجلت في قصيدته .

ومثل هذه المأساة تصور الروح السائدة في ذلك العصر ، والمتاعب
الكثيرة التي لقيها الأمويون من جراء تلك العصبية^(١).

ويتابع الدكتور محمد الطيب النجار في هذا عدد من المؤرخين الذين
يركزون على العصبية العربية والقبلية الأموية ، ومنهم الأستاذ ضرار صالح
ضرار في كتابه : "العرب من معين الى الأمويين" فهو يرى أن البيت الأموى
أحيا نزعة العصبية الشعبية بين المضرية واليمانية ، فهاهو معاوية بن أبى
سفيان يقرب الكلبيين وغيرهم من اليمانيين على حساب القيسيين وغيرهم من
المضريين ، وقد حاول المضريون أن يجدوا من نفوذ اليمانية في الدولة
الاسلامية واشتد هذا النزاع خاصة بعد موقعة مرج راهط والتي انتهت بهزيمة
القيسيين الذين كانوا يمثلون ابن الزبير على يد الكلبيين بقيادة مروان بن
الحكم .

(١) محمد الطيب النجار : الدولة الأموية في الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء ،
ص ١٣٩-١٤٠ .

ولم يتوقف هذا النزاع بين اليمينية والقيسية طيلة العهد الأموي ، بل صار النزاع مزدوجا بعد أن تطور الى نزاع بين أفراد البيت الأموي نفسه ، وتفاقم الأمر وتعددت الأحزاب ، وكان من أكبر الأحزاب التي قوضت دولة الأمويين ، حزب الموالي . فقد كان الأمويون شديدي التعصب لعربييتهم لا يولون أمورهم الا لعربي ، ولم يعفوا الموالي من الجزية ، مما أورث في نفوس الموالي الحقد على الأمويين فأخذوا يغذون كل فتنة من أجل تغيير موقفهم الاجتماعي والسياسي^(١).

ويسير في هذا الاتجاه المؤرخ المعروف الدكتور عماد الدين خليل ، فيرى في كتابه ملاح الانقلاب الاسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز أن العصبية القبلية كانت أشد الأخطار التي هددت الدولة الأموية بالانهيار والزوال لأنها كانت تمثل تمزقا داخل القاعدة العربية الشامية التي اعتمدها الأمويون في اقامة دولتهم ، وتثبيت ملكهم فقد استند الأمويون الى قوة عسكرية من الشاميين يواجهون بها كل ثائر عليهم ولكن بعد موقعة مرج راهط بدأ الصراع عنيفا بين القيسيين واليمانين وكان للخلفاء دور في زيادة هذا الصراع عن طريق تأييد فئة دون أخرى ، مما كان له أكبر الأثر في سقوط الدولة الأموية^(٢).

والى حد ما يسير في هذا الاتجاه الدكتور حسين عطوان في كتابه عن الدعوة العباسية حيث يورد أسماء عديدة لكثير من الموالي الذين أسلموا وأتقنوا العربية ، واشتغلوا بالعلم فكان منهم علماء في الحديث والتفسير والفقه وغيره يحظون بمكانة علمية مرموقة ، ومنهم من كان يتولى الحكومات لعمال الأقاليم ويفصل في الخصومات ، كما كان الموالي يشاركون الجيش العربي في الغزو من خلال فرق لهم قوادها من الموالي ، ومع ذلك فان

(١) ضرار صالح ضرار : العرب من معين الى الأمويين ، (ط ٤ ، بيروت ، دار مكتبة الحياة : ١٩٧٨م) ، ص ١٤٧، ١٤٩ .

(٢) عماد الدين خليل : ملاح الانقلاب الاسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز ، (ط ٢ ، بيروت ، الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع : ١٣٩١هـ) ، ص ٩٨-٩٩ .

العرب ظلوا يؤخرونهم ويستصغرونهم ويشكون في نياتهم (١).
ويؤيد هذا الاتجاه الدكتور أحمد محمد الحوفى فى كتابه أدب السياسة
فى العصر الأموى فىرى أن الدولة الأموية اطمأنت الى العصبية القبلية
واستندت اليها فى مواجهة خصومها ، ولكنها مالبت أن استشرت فى جسم
الدولة وعجلت بسقوطها حيث أن الأمويين انفسهم استنصروا بها على بعض
بل ان هذه العصبية لم تقتصر على السادة بل تعدتهم الى مواليتهم
وأرقائهم (٢).

ويرى الدكتور على ابراهيم حسن أن العصبية العربية القبلية كانت
العامل الهام الذى أدى الى سقوط الدولة الأموية ، فما كان من تعصب
الأمويين للعرب وتمتعهم بحقوق لم يتمتع بها الموالى دفع هؤلاء الى الكيد
للدولة الأموية ومساندة كل خارج عليها وقد اشتدت حركاتهم فى أواخر
العهد الأموى واستمرت الحروب بينهم وبين الدولة الأموية مما كان له
أكبر الأثر فى نجاح الدعوة العباسية التى احتضنتهم وأيدتهم (٣).

وقريب من هذا الرأى يأتى رأى الدكتور محمد أمين صالح ، فهو يرى
أن العصبية العربية كانت محور الحياة فى العصر الأموى وأنها كانت توجد
"بعض أوكل مظاهرها وراء التيارات والأحداث السياسية البارزة فى هذا
العصر وتعطى انعكاسا أليما فى النتائج والآثار ومؤشرا هابطا فى القوى أو
السيادة العربية مؤديا الى زوال فى مواجهة التطورات السياسية والدينية
والاجتماعية لدى الشعوب الأخرى غير العربية من مواطنى الدولة الذين
أطلق عليهم اسم الموالى .

(١) حسين عطوان : الدعوة العباسية مبادئ وأساليب ، (بيروت ، دار الجيل :
١٩٨٤م) ، ص ١٨-١٩ .

(٢) أحمد محمد الحوفى : أدب السياسة فى العصر الأموى ، (بيروت ، دار القلم :
١٣٨٤هـ) ، ص ٤٦٠، ٤٦٣ .

(٣) على ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامى العام ، (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية) ،
ص ٣٢٨ .

وليت البيت العربى الحاكم استمر يحافظ على التوازن بين شعبى العرب قيسية ويمينية وانما نرى من بداية القرن الثانى انخياز الخلفاء الأمويين الى هذا الجانب أو ذاك بشكل أذكى جذوة الصراع القبلى ، ففقدت الخلافة الأموية مقومات الوحدة أو القوة التى كان يمكن أن تساندها فى أوقات تقرير المصير" (١).

ان هذه العصبية أو مايمكن تسميته بتعبير آخر القومية والطبقية العربية المستعلية والمنعزلة عن بقية الطوائف كانت - كما يذكر المؤرخ محمد عبد الحى شعبان فى كتابه التاريخ الاسلامى فى تفسير جديد - من أسباب السخط على الأمويين ، فقد تحقق عجز الفاتحين العرب عن الاندماج فى أوساط المجتمعات الجديدة التى دخلوها وأدخلوا فيها الاسلام وظلوا مبتعدين عنها فى مساكن خاصة أقاموها فى مدن الحاميات مبتعدين بذلك عن السكان الأصليين مما كان له أثر سلبى على نظرة هؤلاء السكان اليهم (٢). وعلى العكس من هذه الآراء نجد آراء أخرى ترى أن الدولة الأموية لم تتعصب للعرب ، بل انها أهملتهم وكان هذا من أسباب سقوطها . أو هى - على الأقل - لم تقف وقفة حازمة من الأجناس غير العربية .

فعند الدكتور حسين مؤنس أن الناظر فى تاريخ الدولة الأموية يرى بوضوح أنها كانت غير واضحة السياسة فى مواقفها مع العنصر العربى فى الدولة ، بل انها - كما يقول حسين مؤنس - كانت سببا قويا فى اضعاف العرب الذين قامت الدولة على أكتافهم ، وكان خلفاؤها يذكون روح العداء بين عرب خراسان وبين الفرس فى شرق الدولة ظنا منهم أن هذا

(١) محمد أمين صالح : العرب والاسلام من البعثة النبوية حتى نهاية الخلافة الأموية ، ص ٢٨٠ .

(٢) محمد عبد الحى شعبان : التاريخ الاسلامى فى تفسير جديد ، ترجمة : عبد المجيد حسين القيسى ، (أبو ظبى ، دار الدراسات الخليجية ، دار الوفاق : ١٩٨٢م) ، ص ٢٤١ .

يضعف الطرفين ويقوى ملكهم . وقد فطن العرب لكيد الأمويين بهم فمالوا الى تأييد العباسيين ، فلما قامت الدولة العباسية استقر عدد كبير من العرب فى المشرق فظهرت نزعة الصراع بين القيسية واليمانية وامتد هذا الصراع ليشمل الدولة كلها^(١).

ويرى الدكتور عبد الحليم عويس أن الدولة الأموية لم تسقط لأنها كانت دولة عربية متعصبة كما يشيع بعضهم ، "فهذا زعم لم يقم عليه أى سند تاريخى ، فقد كان بنو أمية يوالون من يوالىهم مهما كان أصله ... بل كان بعض ولائهم يقرب الموالى ويجفوا العرب مثل عبيد الله بن زياد ، وكذلك كان المختار الثقفى يولى الموالى الوظائف وأعد منهم جيشا .. وقد أورد ابن قتيبة فى الامامة والسياسة المعزو اليه ، وأورد أبو حنيفة الدينورى فى أخباره الطوال صورا من المكانة الرسمية التى يتمتع بها الموالى !!.. أما قصة ترفع العربى عن التزوج من الموالى ، فحسبنا أن نذكر أن (أولاد عبد الملك : الوليد وسليمان ويزيد وهشام ، وجميعهم صاروا خلفاء ... ثم مسلمة بن عبد الملك ، وعبد الله ، وسعيد ، وهم لأمهات أولاد) أى أن رأس العرب ، خليفة المسلمين الأموى ، كانت أمه أمة من الموالى .. والخليفة مروان أليست أمه أمة؟^(٢).

وأيا كان الأمر فنحن نرى أن الانفصال الطبقي الاجتماعى الذى وقع فيه الأمويون والعرب المحيطون بهم ، وان لم يبلغ مبلغ العصبية العنصرية التى لايعرفها الاسلام ، الا أن تأثيره على الدولة الأموية لايمكن انكاره . وهذا لايعنى بالضرورة وجود تعصب فى الدولة الأموية ، بل يعنى أنه من طبيعة الطبقة الثرية الحاكمة ومن يلودون بها أن تشكل كيانا مستقلا له أسلوبه فى الحياة بعيدا عن الاختلاط بالغالبية من أبناء الشعب ، وهذا - مع

(١) حسين مؤنس : تاريخ قریش ، (ط ١ ، جدة ، الدار السعودية للنشر والتوزيع : ١٤٠٨هـ) ، ص ٦٧٧-٦٨٠ .

(٢) عبد الحليم عويس : بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهيال الداخلى ، (ط ١ ، القاهرة ، هجر للطباعة والنشر : ١٤٠٨هـ) ، ص ٧٢ .

استمراره - يوجد نوعا من الفصل بين الطبقة الحاكمة والمحكومين .
والى جانب هذا فقد وجدت أسباب أخرى رصدها المحدثون لسقوط
دولة بنى أمية .

ومن أقوى هذه الأسباب مابسطه رياض عيسى فى بحث كامل حول
"النزاع بين أفراد البيت الأموى ودوره فى سقوط الخلافة الأموية" ، فمما
لاشك فيه أن انقسام بنى أمية على أنفسهم كان العامل الأكبر فى السقوط
المباشر لهذا البيت ، ويكفى أن نتبع الصراع الدامى الذى وقع بين هشام
بن عبد الملك وابن أخيه الوليد بن يزيد "ولى العهد" ثم ماتبع ذلك من
صراع بين الوليد ويزيد بن الوليد "يزيد الناقص" ، ثم الصراع بين يزيد
هذا وابراهيم الذى خلفه ومروان بن محمد . "وليس من شك فى أن الثورة
على الوليد بن يزيد لم تكن حادثا فردا يعبر عن موقف عدائى نشأ بين خليفة
قائم بالحكم ومتطلع الى الخلافة يريد استلابها من صاحبها ، وانما هى تعبير
عن تناقضات كثيرة وكبيرة كانت تعتمل فى جسد الأسرة الأموية ومن
يساندها من رجالات القبائل من جهة ، وعن الحال المتردية التى آلت اليها
أمور الدولة والناس بنتيجة هذه التناقضات وسواها من أمور ولاسيما
الدعوة العباسية من جهة أخرى . وبعد أن تولى يزيد الثالث الخلافة فى
دمشق أخذ يعد العدة لمحاربة الوليد الثانى ، فدعا الناس الى التطوع فلم
يتقدم منهم الكثير ، فاضطر لأن يرشوهم بالمال ، وأعلن أن من سار فله
ألفان . فاجتمع ألفا رجل أعطى كلا منهم ألفين وجعل القائد على هذا
الجيش الصغير عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، وهو ابن عمه ومعه
منصور بن جمهور الكلبى ، وآخرون من رؤساء حزم وكلب وعلم الناس بأمر
هذه الحملة فخرج رجل من موالى الوليد الثانى لينقل الخبر الى سيده ، فلما
وصل اليه وأبلغه الخبر كان جزاؤه أنه ضربه مائة سوط وعنفه أشد
التعنيف.

وقد أدى مقتل الوليد الى أمور كثيرة كان أهمها ازدياد البغض
والعداوة بين القبائل ، وانهيار الجبهة الأموية فى الشام وزوال تماسكها
وضياع هيبة الخلافة .

ويلاحظ من دراسة بعض الوقائع التي يوردها الطبرى أن الفرع السفىانى من الأسرة الأموية كان خلال فترة الصراع بين يزيد بن الوليد والوليد الثانى كان أقرب الى تأييد الوليد الثانى ، ولكن هذا التأييد لم يصل حد الاستشهاد فى الدفاع عنه ، فمن ذلك مثلا موقف أبى محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية الذى كان موفد الوليد الثانى الى دمشق ليقف على حقيقة الأمر من جهة وليدفع العدوان عن الوليد الثانى ان أمكن ، ولكن أبا محمد هذا مالبت أن انضم الى صفوف يزيد بن الوليد" (١).

ويؤكد الدكتور عبد الحليم عويس أن مسيرة الدم التى بدأت بين أفراد البيت الأموى لم تتوقف ، فقد بدأ الخلاف بينهم أن أرسل الخليفة الأموى ابراهيم جيشا بقيادة سليمان بن هشام سنة ١٢٦هـ / ٧٤٣م ليحارب مروان وقد انتصر مروان فى هذه المعركة لكنها بطبيعة الحال أضعفت الدولة وكانت مع مثيلاتها سببا فى زوالها (٢).

وهكذا تآكل الأمويون من داخلهم ، وقضى بعضهم على بعض ، فان "هذه الاضطرابات الخطيرة فى الدولة الأموية ، لم تغب عن أعين منافسيهم من بنى هاشم ، الذين كانوا يتربصون بهم الدوائر ، فنشطوا للاستفادة منها بزعمامة فرع آخر هو بنو العباس من نسل العباس عم النبى [صلى الله عليه وسلم] بقصد المطالبة بحق آل البيت فى الخلافة" (٣).

وثمة أسباب أخرى فى سقوط بنى أمية لا يكاد يوجد خلاف حولها ، لكنها تأتى فى درجة تالية لأسباب السقوط الأساسية .

(١) رياض عيسى : النزاع بين أفراد البيت الأموى ودوره فى سقوط الخلافة الأموية ، ص ١٤٤، ١٤٩-١٥٠، ١٥١ .

(٢) عبد الحليم عويس : بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهيار الداخلى ، ص ١٠٠ .

(٣) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، (ط ٧ ، مكتبة الانجلو المصرية : ١٩٨٢م) ، ص ٣٢٣ .

ومن هذه الأسباب النواحي المالية ، فقد كانت يد العمال مطلقة في الأموال وفي استيلائهم عليها وقد أصبح من غير المستغرب أن يحاسب العامل الجديد ولاية العامل الذي قبله ، بل قد يقتلهم أحيانا . وكان الولاة لحرصهم على ارسال المال الى الخليفة كل عام غير منقوص عن العام الذي قبله يأخذون أكثر مما ينبغي لهم أن يأخذوه من الناس ، بل بلغ بهم الحد أحيانا أن يأخذوا الجزية من المسلمين وأن يجرموا المقاتلة من حقوقهم من الغنائم المكتسبة في الحرب ، وقد أدى هذا الى تدمير عامة الناس لاسيما المسلمين من غير العرب لشعورهم بالظلم الذي كان يقع عليهم أكثر من غيرهم وطالبوا ورفعوا أصواتهم لرفع الظلم عنهم" (١).

ويرى الشيخ محمد الخضرى أن نظام ولاية العهد كان من أسباب السقوط ، فلقد كانت ولاية العهد "سببا كبيرا في انشقاق البيت الأموى ، وذلك أن بنى مروان اعتادوا أن يولوا عهدهم اثنين يلى أحدهما الآخر ، وأول من فعل ذلك مروان فانه ولى عهده عبد الملك ثم عبد العزيز فكاد عبد الملك يبدأ بشق هذا البيت حيث أراد تحويل ولاية عهده الى ابنه الوليد وعزل أخيه لولا أن ساعده القضاء المحتوم بوفاة عبد العزيز فلم تبدأ الأزمة ولكنه هو الذى رأى ذلك وعلمه لم يستفد من تلك التجربة بل ولى الوليد وسليمان . خطر ببال الوليد أن يعزل سليمان ويولى ابنه فعاجله القضاء وآخر الأمر الى حين . لم يستفد سليمان مما حصل له فولى عهده عمر بن عبد العزيز ثم يزيد بن عبد الملك ولم يكن عمر يميل الى يزيد فخيف منه فعوجل حتى قيل انه سم ، أعاد يزيد هذه الغلطة فولى عهده هشاما أخاه ثم الوليد ابنه فأراد هشام أن يخلع الوليد ولج في ذلك حتى تباعد ما بين هشام والوليد وكان كثير من كبار القواد وذوى الكلمة المسموعة في الدولة الأموية صرحوا بمالأة هشام على رأيه ولكنه مات قبل أن ينفذ مارأى فجاء الوليد مشمرا عن ساعد الجد في الانتقام من أولئك الخصوم الذين عليهم

المعول في اشادة بيتهم ومنهم بنو عمه وكبار أهل بيته فكان ذلك نذير الخراب" (١).

كما يرى الدكتور النجار أن الترف كان من أسباب سقوط بني أمية ، فقد انغمس بعض خلفاء بني أمية في حياة البذخ وانشغلوا بذلك عن حسن تدبير سياسة الدولة وانصرفوا عن ميادين العمل الجاد الذي تتطلبه الدولة منهم (٢).

ومن المؤكد أن الترف مفسدة للأمة ، ولكن الجدير بالذكر أن كثيرا مما نسب الى بني أمية في هذا الجانب ولاسيما يزيد بن معاوية فيه تزويد وتحريف . ولاشك أن مقتل الوليد بن يزيد كان بداية النهاية بالنسبة لبني أمية .

وقد أضاف مؤرخ معاصر - الى أسباب سقوط بني أمية من وجهة نظره - أسباب أخرى منها قصر مدة حكم أواخر الخلفاء الأمويين ، وانتماء بعضهم لمذاهب دينية تغاير مااجتمعت عليه الأمة مثل مذهب القدرية الذي اعتنقه يزيد بن الوليد ، وكذلك تقليد بعض الخلفاء للأكاسرة أو القياصرة في ترفهم المفرط فابتعدوا بذلك عن حياة الزهد والورع التي عاشها أسلافهم في بداية الدولة الاسلامية (٣). وكلها أسباب صالحة تستحق أن تضاف الى الأسباب الأساسية التي عرضنا لها .

-
- (١) محمد الحضري بك : محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية (الدولة الأموية) ، (دار الفكر) ، ص ٢٢٣ .
- (٢) محمد الطيب النجار : الدولة الأموية في الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء ، ص ١٤٢ .
- (٣) أحمد الشامي : الدولة الاسلامية في العصر العباسي الأول ، (الدمام ، دار الاصلاح : ١٤٠٤هـ) ، ص ١٨ .

المبحث الثاني

مرحلة السقوط وطبيعتها

مرحلة السقوط وطبيعتها

اختلفت الرؤية لطبيعة الظروف التي بسببها أو بسبب غيابها تنحل الحضارة وتتداعى آيلة للسقوط .

ويرجع اختلاف الرؤية الى طبيعة فهم كل حضارة وأبنائها لطبيعة الانسان والمؤهلات الصالحة لبقائه واطار علاقته بخالق الكون وبالكون والانسان .

واذا كانت بعض المذاهب والأديان ترى في الانسان كائنا روحيا ، فانها تعزو سقوط الحضارة الى تعلق الانسان بالمادة وضياع الجانب الروحي في حياته ، والى هذا التفسير ينتحى الفكر المسيحي وبعض النظريات الدينية الوثنية .

وفي المقابل ترى بعض النظريات المادية والوضعية أن الانسان كائن مادي أو بيولوجي ، وترى - بالتالى - أن توافر العناصر المادية هي التي تؤهل للبقاء ، وأن فقدان هذه العناصر وغلبة الروح من شأنه القضاء على الحضارة .

ان الفيلسوف (هيجل) "يرى الناس والمجتمعات والدول في ممارساتهم وتجاربهم التاريخية كأدوات مرحلية يستخدمها العقل الكلى في فترة زمنية محدودة ، ثم مايلبث أن يطيح بها صوب الفكرة الأحسن لكى يجيء ذلك اليوم الذى يكون التاريخ فيه ، بشتى معطياته ، تعبيرا متجليا كاملا لهذا العقل" (١).

(١) عماد الدين خليل : التفسير الاسلامى للتاريخ ، (ط ٤ ، بيروت ، دار العلم للملايين : ١٩٨٣م) ، ص ٢٥٥ .

ومن المؤرخين نفر "يرون أن صانعي التاريخ إنما هم عظماء الرجال ،
فالفرد العظيم عندهم يقود أمته ويجمع شملها ويتغلب على أعدائها ويثبت
دعائم ملكها ويخلق حضارتها" (١).

وبالتالى فغياب الصفوة أو الأبطال المبدعين هو السبب - عند هؤلاء -
فى ضمور الحضارة .

ومنذ أوائل القرن التاسع عشر - وعندما بدأت العلوم الطبيعية تتقدم
حاول نفر من المؤرخين إيجاد أسلوب علمى لمعالجة تدوين التاريخ فجعلوا
تاريخ العلوم الطبيعية جزء من التاريخ العام لأهمية هذا النوع من التاريخ
فى حياة الانسان . كما اهتموا كذلك بالجغرافية فدرسوا تأثير المناخ على
الحضارة والثقافة وأشاروا الى كثرة النسل فى الطبقات الفقيرة وقلته فى
الطبقات الغنية .

وكان أرنولد توينبى من الذين اهتموا بتعليل التاريخ فجعل له ثلاث
خصائص : الاهتمام بتاريخ الحضارة ، والاكتثار من دراسة تاريخ اليونان
قديمه وحديثه ، والميل الى جعل التاريخ عالميا وليس محصورا بقضايا اقليمية
ضيقة .

وقد أبرز توينبى عنصرا هاما عند حديثه عن رقى الحضارة وانحطاطها
وهو عنصر التحدى والرد على التحدى ، فهو يرى أن فى سير التاريخ
عاملين : الجنس البشرى والبيئة . ان رأى توينبى القائل بأنه كلما زادت
قسوة الأرض على ساكنيها زاد كفاح أهلها للتغلب على صعابها ، وادراكه
أخطاء فلاسفة التاريخ الأوربيين وتبنيه للآراء الصحيحة من أقوالهم ، كل
هذا سبقه اليه ابن خلدون ولو أنه درس مقدمة ابن خلدون لما اضطر الى
كتابة تاريخه فى نشوء الحضارات (٢).

(١) عمر فروخ : كلمة فى تعليل التاريخ ، (بيروت ، دار العلم للملايين : ١٤٠٤هـ) ،
ص ١٦-١٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٧-١٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ .

والحق أن أرنولد توينبي ، قد بذل جهدا كبيرا في محاولة الوصول الى السنن التي تخضع لها سقوط الحضارات . وقد دحض الآراء التي تعزو سقوط الحضارة الى أسباب خارجية مثل : الغزوات والأعداء وظواهر الطبيعة ، ولهذا فهو ينفي أهم الآراء التي كانت شائعة في عملية السقوط الحضارى ، ومنها "أولا : المبدأ القائل بصيرورة (الكون) الى الشيخوخة وانتهائه الى العدم المحتوم ...

ثانيا : الخضوع للمؤثرات البيولوجية ولناموس الكائنات الحية في الولادة والموت مرارا بأدوار العمر المختلفة ...

ثالثا : التقيد بقانون التشابه أو مبدأ الحركة الدورية في التاريخ ...

رابعا : فقدان السيطرة على المحيط الانسانى ، والعجز عن صد الاعتداءات الخارجية على كيان الحضارات .

خامسا : النقص فى الميادين العلمية والتقنية .

وبعد أن يدحض توينبي هذه الحلول الحتمية كلها يورد تفسيره الخاص لطبيعة السقوط الحضارى ويرده الى أسباب ثلاثة :

أولا : ضعف القوة الخلاقة فى الأقلية الموجهة وانقلابها الى سلطة تعسفية .

ثانيا : تخلى الأكثرية عن موالة الأقلية الجديدة المسيطرة وكفها عن محاكاتها .

ثالثا : الانشقاق وضياع الوحدة فى كيان المجتمع كله" (١).

وفى الاطار الاسلامى الحديث قدم الأستاذ مالك بن نبي المفكر المسلم الجزائرى - سلسلة من الكتب تحت اسم : "مشكلات الحضارة" وانتهى الى أن عوامل قيام الحضارة هى الانسان والوقت والتراب والعقيدة التى تحكم الرباط وتعطى الوقود اللازم لانطلاق الحضارة . وعندما تتحلل شبكة العلاقات الاجتماعية ويعجز الانسان عن استغلال التراب والوقت وتخمّد جذوة العقيدة فان الحضارة تبدأ فى المغيب .

(١) عماد الدين خليل : التفسير الاسلامى للتاريخ ، ص ٨٢-٨٣ .

وتنبثق عن هذا التحلل الأساس صور من التحلل الأخرى مثل الترف وفقدان الذوق الجمالى ، وضمور الأخلاق وتحويلها الى أخلاق مصلحة ، وضياع الأهداف السامية والمثل العليا^(١).

ويعزو الدكتور عماد الدين خليل سقوط الحضارة - من منظور اسلامى - الى فقدان الانسجام السياسى والادارى والاقتصادى والأخلاقى والاجتماعى ذلك لأن الاسلام ينظر الى كل هذه الجوانب نظرة ترابطية شمولية . وعندما يقف الدكتور عماد الدين خليل ليتفحص موقف القرآن ازاء المسألة الاجتماعية فى جانبها الاقتصادى يكتشف واقعية التفسير الاسلامى وتأكيده على العامل الاقتصادى المتوازن بين الترف والسلطة التى يقودها الترف الى الهلاك^(٢). {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا^(٣)}.

ان الترف ممارسة مدمرة سواء للجماعة كلها التى تسكت عليها وتغض عنها الطرف أو تغلو فى انهزاميتها فتتملق وتتقرب وتداهن أو للمترفين أنفسهم الذين يعمى الثراء الفاحش بصائرهم ويطمس على أرواحهم^(٤). والآيات القرآنية الكثيرة منها قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ^(٥)﴾، وقوله تعالى ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاءُ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ^(٦)﴾، وقوله تعالى ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَلًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ^(٧)﴾، وقوله تعالى ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ

(١) انظر - خاصة - كتاب : مالك بن نبي : شروط النهضة ، ترجمة : عبد الصبور شاهين ، (نشر بيروت) .

(٢) عماد الدين خليل : التفسير الاسلامى للتاريخ ، ص ٢٧١ .

(٣) سورة الاسراء : آية ١٦

(٤) عماد الدين خليل : التفسير الاسلامى للتاريخ ، ص ٢٧٢-٢٧٣ .

(٥) سورة البقرة : آية ١٦٨

(٦) سورة الأنعام : آية ١٤٢

(٧) سورة الأنفال : آية ٦٩

مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ (١)، وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٢) تأمرنا بربط الاشباع بالاعتدال والتقوى والعمل الايجابي الصالح وتنهى عن الاسراف والفساد واتباع خطوات الشيطان حتى لا يتحول الأمر الى ظلم اجتماعى ينتهى الى الافساد فى الأرض (٣).

وتمتد مسألة التوازن بحيث نراها تأخذ أكثر من اتجاه فالدعوة الى الأكل والشرب صريحة شرط أن لا يبلغ ذلك حد الاسراف ، والزينة مطلوبة بالشرط نفسه ، ومتعة الجسد كذلك الا أن تصل الى الفاحشة ، بل ان تحريم الطيبات الحلال اثم فى الاسلام ، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ (٤).

"وفى مقابل حالة التوازن هذه التى يرسمها القرآن ، ويدعو المؤمنين الى التشبث بها ، والتحرك وفق مقاييسها الموضوعية العادلة .. تبدو أية تجربة بشرية تجنح باتجاه المادية ، مهملة الروح ، أو تشبث بالروحية مهملة المتطلبات المادية ، شذوذا وانحرافا لأنه تزوير وتزييف للموقف البشرى فى الأرض" (٥).

أى أننا - كما نستنتج - من كلام الدكتور عماد الدين خليل نتوقع سقوط الحضارة عندما يختل الانسجام والتوازن والشمول فى بنائها وتجنح الى التركيز على عامل واحد من العوامل الصانعة للحضارة وتنسى العوامل الأخرى .

(١) سورة طه : آية ٨١

(٢) سورة المؤمنون : آية ٥١

(٣) عماد الدين خليل : التفسير الاسلامى للتاريخ ، ص ٢٧٨ .

(٤) سورة يونس : آية ٥٩

(٥) عماد الدين خليل : التفسير الاسلامى للتاريخ ، ص ٣٠٠ .

ويرى الدكتور نعمان السامرائي أن الحضارة تسقط لعدد من الأسباب كما تقوم لعدد من الأسباب بعضها يعمل ببطء بينما يعمل البعض بسرعة أكبر ، ولا تسقط الحضارة بضربة واحدة بل بتضافر جملة من العوامل أهمها الفساد السياسي حين تصل حفنة من المترفين الفسقة الى قمة الحكم ، ومنها الفساد الاقتصادي حين تنقسم الأمة الى فئة قليلة مترفة وكثرة فقيرة معدمة ويتولد عن الفئة القليلة الترف والطغيان ، ومنها الظلم الذي يعتبر أساسا في تدمير الدول وتقويض الحضارات ، ومنها تمزق الأمة وضياع الوحدة حين ينفرط عقد الحضارة وتتحول الى جماعات متنافرة لا يجمعها جامع ، ومنها الفساد الاجتماعي حين تضع الأخلاق من صدق وشجاعة وإخلاص وينتشر الكذب والغدر والنفاق^(١). عند توافر هذه العوامل تسقط الحضارة ببطء حين يكون جسم الحضارة قويا وبسرعة حين يكون جسم الحضارة هزيلا .

ويرى الدكتور عبد الحليم عويس أن فساد الفكر هو المرحلة الأولى في طريق السقوط الحضاري حين تختل العلاقة بين الإنسان وربه ، وبين الإنسان والنواميس الكونية وذلك عن طريق انقلاب نفس وعقل الى الأدنى يعقبه انقلاب عملي وخلقي ، وبعد فساد الفكر يأتي فساد السلوك عقوبة من الله للذين حادوا بعقولهم وعواطفهم عن هديه الكريم . "انه الاستدراج الالهي الذي يحقق الله به ناموسه الكوني في ألا يأخذ الناس بظلم وهم مصلحون ، ولا يأخذهم الا بعد أن يمتنعهم بنصيبتهم المقدر من المتعة ، حيث تتاح الفرصة لمن يريد أن يتمادى وتعميه فرص المتعة المتاحة ، وتتاح الفرصة أيضا لمن يبصر من وراء الحجب المادية والاجتماعية الحقيقة الأزلية فيئوب الى رشده ، ويعود الى الحق قبل اللحظة الفاصلة"^(٢).

(١) نعمان عبد الرزاق السامرائي : في التفسير الاسلامي للتاريخ ، (ط١ ، الأردن ،

مكتبة المنار : ١٤٠٦هـ) ، ص ١٢٨، ١٣١، ١٣٥، ١٣٧، ١٣٨ .

(٢) عبد الحليم عويس : تفسير التاريخ علم اسلامي ، ص ١٧٦ .

ان القرآن يقول : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

ويقول القرآن أيضا : ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ (٣).

ومن أخلاقيات هذه المرحلة عدم التفرقة بين الحلال والحرام ومحابة الكبار والتجرؤ على الفتوى والعكوف على وسائل الترف وسيادة بعض المجرمين والسفهاء والاعلان بالخمور والزنى وخروج النساء سافرات ، وتأتى المرحلة الأخيرة وهى مرحلة الانهيار عندما يصبح البناء الاجتماعى هشاً يقوم على أسس فاسدة ويختل النسيج كله وتختلط المعايير وتتقطع خيوط الأخلاق وهنا تأتى الضربات الداخلية والخارجية وتنتهى بالأمة الى السقوط (٣).

ونحن نرى من مجموع هذه الآراء التى تنتمى الى الرؤية الاسلامية أنها كلها تلتقى على حقائق واضحة وأن المقومات التى تحكم نسيج الحياة الاجتماعية وتحفظ انسانية الانسان من عقيدة وأخلاق وتوازنية اقتصادية ونفسية ، عندما تختل هذه الشبكة ويسود فساد الفكر والترف والطغيان والظلم فان سقوط الحضارة يصبح مسألة وقتية .

(١) سورة الأنفال : آية ٥٣

(٢) سورة الأنعام : آية ٤٤

(٣) عبد الحليم عويس : تفسير التاريخ علم اسلامى ، ص ١٨١-١٨٢، ١٨٧ .

المبحث الثالث

أسباب سقوط دولة بنو أمية

فد رأه ابن خلدون

أسباب سقوط دولة بنى أمية فى رأى ابن خلدون

عندما نعرض لآراء ابن خلدون فى سقوط دولة بنى أمية من خلال عرضه لتاريخها ، فإننا نتوقع أن يطبق ابن خلدون آراءه فى سقوط الدول بصفة عامة على بنى أمية بصفة خاصة .

وفى الواقع يلمح القارىء صدق نظرية ابن خلدون عندما نرى أثر العصبية فى قيام دولة بنى أمية ، دولة القبيلة الكبيرة المعروفة ، ثم أثر هذه العصبية نفسها فى سقوط دولة بنى أمية عندما انقلب البيت الأموى على نفسه بدءا من صراع هشام بن عبد الملك وابن أخيه الوليد ، ثم صراع الوليد ويزيد بن الوليد ، وحتى سقوط الدولة .

يقول ابن خلدون مفسرا أثر العصبية فى بنى أمية سواء فى عصر قوتهم أو انحلالهم : "اعلم أن مبنى الملك على أساسين لا بد منهما . فالأول الشوكة والعصبية وهو المعبر عنه بالجند ، والثانى المال الذى هو قوام أولئك الجند وإقامة ما يحتاج إليه الملك من الأحوال . والخلل إذا طرق الدولة طرقها فى هذين الأساسين ... واعتبر هذا فى دول العرب فى الاسلام انتهت أولا الى الأندلس والهند والصين . وكان أمر بنى أمية نافذا فى جميع العرب بعصبية بنى عبد مناف" (١) .

وفى حديثه عن "اتساع نطاق الدولة أولا الى نهايته ثم تضايقه طورا بعد طور الى فناء الدولة واضمحلالها" ذكر أن كل دولة لها حصة من الممالك والعمالات لا تزيد عليها ، فحيث نفذ عددهم فالطرف الذى انتهى عنده هو الثغر ، فإذا استفحل العز والغلب وتوفرت النعم والأرزاق وزخر بحر الترف والحضارة أفضى ذلك الى الكسل والتزاع وقتل بعضهم بعض ، ويقع الخلل الأول فى الدولة من جهة "الجند" ، والخلل الثانى من جهة المال

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٧٥٥، ٧٥٧ .

والجباية^(١). ويطبق ابن خلدون ذلك على الدولة الأموية فيقول : "واعتبر ذلك في الدولة الإسلامية كيف اتسع نطاقها بالفتوحات والتغلب على الأمم ، ثم تزايد الحامية وتكاثر عددهم بما تحولوه من النعم والأرزاق ، الى أن انقرض أمر بني أمية وغلب بنو العباس"^(٢).

وهو في تأريخه "العبر" لا يفوته التركيز على هذه الصورة التي انتهى اليها الأمويون عندما اختل الأمر بين هشام بن عبد الملك والوليد حتى عاشا متصارعين الى وفاة هشام ، حيث ذكر ابن خلدون : أن هشاما أراد خلع الوليد فلم يستطع ، فكان يعاقب خاصته ومواليه مما اضطر معه الوليد الى الإقامة بالبرية حتى مات هشام ، فعندها عاد الوليد وهو خليفة فأراد أن ينتقم من هشام على ما فعله به فكتب الى عمه العباس بن عبد الملك أن يأتي الى الرصافة فيحصي مافيها من أموال لهشام وأولاده وخدمه فيأخذها جميعا"^(٣).

ويرى ابن خلدون أن الاستئثار بالمجد في العصبية الواحدة من طبيعة الملك وبالتالي فهو يعطى مبررا قويا لأسلوب ولاية العهد الذي اتبعه بنو أمية منذ عهد معاوية الى يزيد بالخلافة ، ولعله من أقوى المبررات التاريخية في انصاف هذا الموقف الأموي ، وهو يقول انه لم يكن لمعاوية أن يدفع ذلك عن نفسه وقومه فهو أمر طبيعي ساقته العصبية بطبيعتها ولو حملهم معاوية على غير تلك الطريقة لوقع في افتراق الكلمة^(٤).

وكذلك كان سلوك مروان بن الحكم مع ابنه عبد الملك يشهد بذلك ماكانوا عليه من الاتباع والاقتداء وماعلم السلف من أحوالهم ومقاصدهم^(٥).

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٧٦٠ ومابعدها .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٦٣ .

(٣) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ١٢٩ .

(٤) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٠٤ .

(٥) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٠٥ .

لكن هذا النظام نفسه عندما يساء استغلاله سيصبح سببا من أسباب سقوط الدولة الأموية ، وقد ظهر هذا بدءا مما وقع بين هشام والوليد بن يزيد . ويطبق ابن خلدون نظريته في تبرير انفراد المجد في العصبية الواحدة وفي سقوط الأمة عند انفراط هذا العقد فيقول عن بني أمية بعد عمر بن عبد العزيز "ثم جاء خلفهم واستعملوا طبيعة الملك في أغراضهم الدنيوية ومقاصدهم ونسوا ما كان عليه سلفهم من تحرى القصد فيها واعتماد الحق في مذهبها . فكان ذلك مما دعا الناس الى أن نعوا عليهم أفعالهم وأدالوا بالدعوة العباسية منهم" (١).

ثم يقدم ابن خلدون صورة من صور سقوط بني أمية امتزج فيها الفساد السياسى بالتزرف الاجتماعى فى اتباع الشهوات فيحكى عن المسعودى (٢) عن أبى جعفر المنصور عندما تذاكر وصحبه بنى أمية فقال أبو جعفر : "ولم يزل بنو أمية ضابطين لما مهد لهم من السلطان يحوطونه ويصونون ما وهب الله لهم منه ، مع تسنمهم معالى الأمور ، ورفضهم دنياتها ، حتى أفضى الأمر الى أبنائهم المترفين ، فكانت همتهم قصد الشهوات وركوب اللذات من معاصى الله جهلا باستدراجه وأمنا لمكره ، مع اطراحهم صيانة الخلافة ، واستخفافهم بحق الرياسة ، وضعفهم عن السياسة ، فسلبهم الله العز وألبسهم الذل ونفى عنهم النعمة . ثم استحضر عبد الله ابن مروان فقص عليه خبره مع ملك النوبة لما دخل أرضهم فارا أيام السفاح ، قال : "أقمت مليا ثم أتانى ملكهم فقعد على الأرض وقد بسطت لى فرش ذات قيمة ، فقلت له مامنك من القعود على ثيابنا ، فقال : انى ملك ! وحق لكل ملك أن يتواضع لعظمة الله اذ رفعه الله . ثم قال لى : لم تشربون الخمر وهى محرمة عليكم فى كتابكم ؟ فقلت : اجتراً على ذلك

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٠٥ .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ، ٣/٢ ، ص ٢٨٣-٢٨٤ .

عبيدنا وأتباعنا بجهلهم! قال ، فلم تطؤون الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم؟ قلت فعل ذلك عبيدنا وأتباعنا بجهلهم! قال : فلم تلبسون الديباج والذهب والحرير وهو محرم في كتابكم؟ قلت : ذهب منا الملك وانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا . فأطرق ينكت بيده في الأرض ويقول : عبيدنا وأتباعنا وأعاجم دخلوا في ديننا!! ثم رفع رأسه الى وقال : ليس كما ذكرت! بل أنتم قوم استحللتم ما حرم الله عليكم وأتيتم ماعنه نهيتم ، وظلمتم فيما ملكتم ، فسلبكم الله العز وألبسكم الذل بذنوبكم . ولله نقمة لم تبلغ غايتها فيكم ، وأنا خائف أن يحل بكم العذاب وأنتم ببلدى فينالني معكم . وانما الضيافة ثلاث ، فتزود ما احتجت اليه وارتحل عن أرضي . فتعجب المنصور وأطرق" (١).

ويعلق ابن خلدون على هذه الصورة التي رواها أبو جعفر المنصور قائلاً : "فقد تبين لك كيف انقلبت الخلافة الى الملك . وأن الأمر كان في أوله خلافة ، ووازع كل أحد فيها من نفسه وهو الدين ، وكانوا يؤثرونه على أمور دنياهم وان أفضت الى هلاكهم وحدهم دون الكافة" (٢).

ويقول أيضا : "وهكذا كان الأمر لعهد معاوية ومروان وابنه عبد الملك ... ثم ذهبت معاني الخلافة ولم يبق الا اسمها ، وصار الأمر ملكا بجنا وجرت طبيعة التغلب الى غايتها ، واستعملت في أغراضها من القهر والتغلب في الشهوات والملاذ . وهكذا كان الأمر لولد عبد الملك ، ... فقد تبين أن الخلافة قد وجدت بدون الملك أولا ، ثم التبت معانيهما واختلطت ، ثم انفرد الملك ، حيث افترقت عصبية من عصبية الخلافة" (٣).

وهكذا نجح ابن خلدون في الجمع بين النظرية والتطبيق فيما يتعلق بنظرته لسقوط الدول وتطبيقه ذلك على بني أمية . ولهذا نراه في تاريخه

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦٠٦-٦٠٧ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٠٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٠٨ .

العبر يطيل الحديث وينطق بالأحكام الدالة على نواحي الخلل التي ظهرت واحدة تلو الأخرى في بني أمية ونحن نجد ذلك مفصلاً في حديثه عن خلفاء بني أمية الذين جاءوا بعد هشام بن عبد الملك . بل انه ليعزو استفحال أمر الخارجين على الدولة الأموية الى بعض صور الخلل ، فالإساءة الى القادة الذين بذلوا جهداً كثيراً في الفتوحات الإسلامية من أمثال محمد بن القاسم الثقفي ، وقتيبة بن مسلم^(١) كان سبباً من أسباب تغير النفوس على بني أمية . وكانت بعض صور التعسف التي نسبت الى الحجاج بن يوسف الثقفي من أسباب تغير الناس على الدولة أيضاً . بل ان قبضة الدولة الأموية قد ضعفت عن الهند بسبب هذا السلوك الخاطئ^(٢) .

وفي هذه الظروف بدأ المناخ صالحاً لظهور الدعوة العباسية وأبى مسلم الخراساني . ولم ينس ابن خلدون الأسباب المباشرة لسقوط الدولة الأموية ، وهو ذلك التكتل الذي وقف تحت راية الرضا من آل البيت وأخذ يعمل قدر استطاعته على أحداث الخلل في جسم الدولة الأموية ، وهو خلل بدأت بذوره في الإيناع في السنة نفسها تقريباً التي توفي فيها الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه . وقد أشار ابن خلدون كثيراً الى المجنون الذي عزي الى بعض خلفاء بني أمية ومنهم الوليد بن يزيد الذي يصفه ابن خلدون أنه كان متلاعباً وله مجنون وشراب وندمان^(٣) .

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٨٣ ، ٨٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٣ وما بعدها ، ص ٨٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٢٥ - ١٢٩ .

ومما لاشك فيه أن هذا السلوك من خليفة محسوب على الاسلام مهما كان القول فيه فانه قد أساء الى دولة بني أمية .

وكان قتل الوليد بن يزيد مؤشرا على اختلال الأمور . ومن هنا فقد ربط ابن خلدون بين مقتل الوليد ومحاولة مروان بن محمد في القصاص له ثم انتفاض مروان بن محمد على ابراهيم ونجاحه في الانفراد بالخلافة .. ربط ابن خلدون بين هذه الظروف السيئة وبين انتشار الدعوة العباسية في خراسان ومن ثم سقوط الخلافة الأموية بعد عدة معارك أهمها معركة الزاب .

وبيقين فان معركة الزاب التي هزم فيها مروان بن محمد وهو في مئة وعشرين ألفا من الجند الذين يفتقدون الانسجام بينهم والوازع والولاء الحقيقي ، ومع الشجاعة المعروفة عن مروان ، ومع أنهم أكثر بكثير من عدوهم ، هذه الهزيمة في الزاب التي عرض لها ابن خلدون بتفصيل كبير تعطينا عددا من الدلالات على ما كان قد أصاب البيت الأموي من صورالتفكك بحيث أصبحت علاقة جنده به علاقة مصلحة ومادة ، بينما كان جند العباسيين يدافع عن قضية يعتقد أنها الحق في سبيل هدف يؤمن بأنه جزء من العقيدة والدين .

ومع كل ذلك فقد كنا نتوقع من ابن خلدون تطبيقا كاملا لجوانب نظريته على وقائع الدولة الأموية لأهميتها ومكانتها ، كما كنا نتوقع أن يقدم لنا النظرية والوقائع في ربط محكم ونسيج منسجم ، حتى يعطينا درسا عمليا تطبيقيا لنظريته وقد كان ذلك - لو تحقق - ردا عمليا على بعض الذين يقولون ان ابن خلدون قدم نظرية في تفسير التاريخ وعلم العمران لكنه لم يقدم تطبيقا لها ، ونحن وان كنا نجد في هذا القول مبالغة الا اننا كنا نتمنى أن يقدم لنا ابن خلدون دراسة كاملة جامعة كما ذكرنا بين قوانينه في قيام الدول وسقوطها وبين وقائع دولة بني أمية وان كان ذلك لاجعلنا نبخس ابن خلدون حقه الجدير به .

والحمد لله رب العالمين وله عاقبة الأمور .

الخاتمة

الخاتمة

من المعروف أن العلامة عبد الرحمن بن خلدون ملء السمع والصر ، وأنه ظفر بدراسات لم يظفر بمثله مؤرخ أو فيلسوف مسلم . وعالم هذا شأنه لانزعم أننا جئنا بجديد عند حديثنا عن حياته أو عصره . وما كانت دراستنا لحياته أو عصره الا توطئة لدراسة قضيتنا الأساس وهى منهجه وآراؤه فى الدولة الأموية ، رجالا وأعمالا وسياسة خارجية وداخلية مع مقارنة آرائه المتصلة بالدولة الأموية بآراء غيره حول الدولة الأموية أيضا . ومع مقارنة عرضه التاريخى للدولة الأموية فى عصرها السفىانى والمروانى بما عرضه غيره من المؤرخين ، بالاضافة الى ذكر ماأورده حول التطور الحضارى للدولة الأموية .

وفى نهاية المطاف دراسة آرائه - مع المقارنة - حول أسباب سقوط الدولة الأموية على أساس أن سقوطها السريع قد يبدو غير منسجم مع سيرة خلفائها العظام وفتوحاتها الكثيرة مما يوجب دراسة مقارنة ، وتحليلا تاريخيا وافيا .

وهذه الجوانب الخاصة بالدولة الأموية فى تأريخ ابن خلدون وفكره كانت جوهر بحثنا ومقصودنا الأسمى ، وفى سبيلها كانت هذه الرسالة حول دراسة آراء ابن خلدون فى الدولة الأموية .

وقد يكون من السهل أن ندرس آراء أى مؤرخ تقليدى فى الدولة الأموية أو فى غيرها من الدول ، لكن - بالنسبة لمؤرخ وفيلسوف تاريخ من طراز ابن خلدون المتفرد - فان متابعة آرائه تحتاج الى جهد خاص ، والى منهجية سديدة فى التحليل والدراسة التاريخية .

فالعهد بابن خلدون أن أحكامه وآراؤه لاتأتى الا من خلال منظوره فى علم العمران وفلسفة التاريخ ، كما أن من مقتضيات منهجه أن لايمضى وراء الأحكام التاريخية الشائعة ، بل يقف عندها ناقدا وفاحصا وفق منهجه فى

دراسة التاريخ سواء في مقدمته المشهورة التي تقدم منظوره الفكرى والتي تمثل الجزء الأول من كتابه أو في الأجزاء الأخرى من كتابه العبر التي تمثل رصده التاريخى للدول الاسلامية حتى عصره ، وهى المجال التطبيقى لمنهجه فى عرض أحداث التاريخ الاسلامى .

وكان لزاما علينا - اذن - أن نعمل على الجمع بين فكره الذى بثه فى المقدمة وعرضه التاريخى الذى أورده فى بقية أجزاء العبر .

كما كان لزاما علينا أن نرصد آراءه مشفوعة بآراء غيره من السابقين واللاحقين ، ذلك لأن الدولة الأموية قد ابتليت بالأحكام المتسرعة والظلمة التى أشاعها حولها وحول خلفائها وسياستها الداخلية مؤرخون موالون للعباسيين أو للشيعة أو للخوارج . ولم يستطع هؤلاء فى الأعم الأغلب أن يكونوا منصفين .

وقد اكتشفنا أن ابن خلدون قد نجح فيما لم ينجح فيه غيره من انصاف للدولة الأموية ، ومن تمحيص لكثير مما نسب الى خلفائها ... ولئن كان ابن جرير الطبرى قد وفق - بدرجة كبيرة - فى سرد الوقائع التى من شأنها أن تقدم المادة الصالحة - عند الدراسة المنهجية المنصفة - لتقويم الدولة الأموية تقويما سديدا ، فان ابن خلدون كان الباحث الأسبق والأكبر الذى شكل المادة التاريخية التى أوردها ابن جرير الطبرى تشكيلا جمع بين السرد التاريخى والتحليل المنهجى ، فوازن بين الآراء ، وتقدها بمنطق العقل والمنهج العلمى ، وأبرز الآراء التى تستحق البروز والتى حاول كثيرون اخفاءها .

وقد وصل ابن خلدون من خلال منهجه الى انصاف شخصيات الدولة الأموية الجديرة بالتقدير ، مثل معاوية بن أبى سفيان ، وعبد الملك بن مروان ، والوليد وسليمان وهشام أبناء عبد الملك ، وقد انبرى ابن خلدون لدحض الآراء العامة المجملة التى حاول أصحابها المغرضون الاتيان على كل حسناتهم ، كما انبرى لابرار أياديهم البيضاء على الدولة الاسلامية والأمة الاسلامية بصفة عامة .

لقد فرضت منهجية البحث أن نحلل منهجية ابن خلدون التاريخية توطئة لتحليل منهجيته في دراسة الدولة الأموية بخاصة .

وقد سردنا الأسباب التي من أجلها عاب ابن خلدون المنهاج التاريخي التقليدي ، والأسباب التي تؤدي الى الكذب في نقل الأخبار التاريخية كالتشيع المسبق للآراء والمذاهب والثقة العمياء بالناقلين ، والغفلة عن المقاصد ، وتوهم الصدق ، والجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع ، وتقرب الناس لأصحاب السلطان مما يؤدي الى تزوير الوقائع لارضائه . أما السبب الأخير فهو الجهل بطبائع أحوال العمران - الاجتماع - وقد أوردنا أن ابن خلدون كان منصفاً للأمويين ، وقد دافع عنهم وهذا معناه أنه لا يمكن أن يتهم بالتشيع مما يجعل اجتهاده الخاطيء الذي جعله يؤيد صحة نسب الفاطميين لآل البيت مجرد اجتهاد خاطيء وقع فيه ، وليس عاطفة نحوهم ، ومخالفة ابن خلدون للمؤرخين في هذه النقطة لا يدفعه الى التشيع ، فقد خالف المؤرخين في كثير من النقاط وأصاب فيها .

وقد أثبتنا أن ابن خلدون كان منصفاً في تحليله لثورة الحسين وأنه لم يتهرب من قول الحق في هذه القضية وهو أن الحسين كان مجتهداً مأجوراً على كل حال وهو رأى الطبرى وابن الأثير أيضاً .

وأثبتنا أن ابن خلدون كان يؤمن بعدالة الصحابة ، وبالتالي فهو لا يتعرض لأحدهم بالقدح اعتماداً على تعليمات الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن .

وقد رصدنا بعض القضايا التي أخطأ فيها ابن خلدون في إطار رصدنا لمعالم منهجه التاريخي ، ومن ذلك عيبه على بعض المؤرخين الاغراق في التفاصيل مع أنها قد تكون مهمة ودالة على أبعاد معينة في الحياة الاجتماعية ، ومن ذلك قوله ان الآثار والمباني دالة على عظمة الدولة ، فدولة الاسلام الأولى لم تترك آثاراً مادية عظيمة بل تركت فكراً ومنهج حياة ومن أخطائه تناقضه أحيانا بين الفكر والتطبيق وتكراره الروايات لحدث واحد دون ترجيح ، وإيراده لبعض الروايات الضعيفة .

وقد درسنا بالتفصيل مدى التزام ابن خلدون بالقواعد التاريخية التي ذكرها في مقدمته ، وأوردنا آراء القائلين بعدم التزامه والقائلين بالتزامه وانتهينا الى أنه مع وقوعه في هذا القصور الا أنه مع ذلك طبق كثيرا من نظرياته وبقي أفضل المؤرخين ومفسري التاريخ خلال القرون الثمانية الأولى من تاريخ الاسلام .

وفيما يتعلق بآراء ابن خلدون في قيام الدولة الأموية أثبتنا من خلال الدراسة أن ابن خلدون قد رصد التطور الأخلاقي والنفسي والجغرافي في الدولة الإسلامية مما جعل الأمور تحتاج الى نوع خاص من الرجال يحسنون اصطناع الناس ومجاراة الوقت ، وقد كان صعبا أن يستمر الناس في مستوى أبى بكر وعمر ، وقد حاول الامام على أن يقاوم التيار الجارف لكنه حافظ على الأسلوب الصارم فتفلتت الأمور من بين يديه ، وقد كان ابن خلدون موفقا غاية التوفيق في تحليله للفتنة بين على ومعاوية رضى الله عنهما ، وقد ذكرنا آراءه بالتفصيل ، وذكرنا أن المنهاج الملائم للوقت المستوعب للظروف الحضارية الطارئة هو الذى مثله معاوية ورجاله ، وبه انتصروا ، وقد قارنا بين ابن خلدون وجمهرة من المؤرخين في أمر الفتنة التي انبثقت عنها الدولة الأموية ، وحصرننا النقاط التي برز فيها ابن خلدون وعلى رأسها عدم اتهامه لعمر بن العاص ولا معاوية في دينهما ، ودفاعه عن اجتهاد جميع الصحابة ، كما قمنا بتقويم آراء ابن خلدون حول هذه الفترة الشائكة من تاريخ الأمة الإسلامية وذكرنا مصادره في الفتنة وعلى رأسها الطبرى وأبو بكر بن العربى والى أية مدرسة ينتمى في تحليله لهذه الفترة .

وقد اجتهدنا في استخلاص العرض التاريخى لدولة بنى أمية كما قدمه ابن خلدون في المقدمة والكتاب . ونعتقد أننا قدمنا نسقا متكاملا لهذا العرض ، بدء من معاوية وانتهاء بمروان بن محمد ، أى من قيام الدولة حتى سقوطها .

ولقد قدمنا العرض التاريخى بفرعيه السفىانى والمروانى مقارنا بما أوردته المصادر الثقات من أمثال الطبرى وابن الأثير وابن العربى مشيرين في الوقت

نفسه الى ماتفرد به ابن خلدون وما أغفله ، مستخلصين آراءه الماثوثة في مواقعها من الحوادث .

وفي ثنايا العرض كانت ثمة وقفات تميز بها ابن خلدون ولهذا وقفنا عندها وقفة تحليلية خاصة ، وأهمها آراؤه في الوليد بن يزيد والمرحلة التالية له ، وهي مرحلة سقوط بني أمية ، والحق أن انصاف ابن خلدون للوليد بن يزيد مما يعد اضافة حقيقية في فكره التاريخي .

ومن خلال الفكر الموضوعي لابن خلدون ذكرنا آراءه المتميزة في موقف بني أمية من المعارضين لهم ، فلقد تحدث عن هذه الثورات ، وأدان المنهاج الثوري كله ، وحافظ على منهاجه في تعديل كل الصحابة ، وقدم تفصيلات لم توجد عند غيره من المؤرخين .

وقد لاحظنا من تتبعنا لما كتبه ابن خلدون وغيره من المؤرخين أن كل الثورات التي قام بها الشيعة كانت تنطلق من العراق وأنها لم تحقق أهدافها وانتهت بمقتل معظم قادتها ، كما تميز ابن خلدون في رصده للثورات بالمعلومات التي قدمها عن ثورات البربر في العهد الأموي ، كما أن معلوماته عن البربر عموما وفتح المسلمين للمغرب والأندلس هي مما تفرد به ابن خلدون كذلك .

وقد قمنا بدراسة مقارنة لمنهج كل من الطبرى وابن الأثير وابن كثير وابن خلدون في عرض جهود بني أمية في الفتوحات الاسلامية وقد انتهينا الى اعتماد هذه الموسوعات على بعضها ، وأن الجديد فيها كان - أولا - عند ابن الأثير فيما يتصل بتاريخ المغرب والبربر والأندلس ، ثم تألق هذا الأمر - ثانيا - عند ابن خلدون بدرجة لم يسبق اليها استقصاء وتحليلا . ولقد تعقب ابن خلدون عملية انتشار الاسلام واللغة العربية خلال العصر الأموي على مستوى جبهات الفتوحات كلها ، وأدان ابن خلدون ولاية الجور وأخذ الجزية ممن أسلم والذين كانوا يقفون ضد نشر الاسلام ، وأما جهود عمر ابن عبد العزيز في هذا المجال فهي معروفة ، كذلك أبرز ابن خلدون الجهود الطيبة التي وفقت فيها دولة بني أمية في نشر اللغة العربية ، كما أن الانصاف يقتضى أن نذكر أن كثيرا من الولاة كانوا حريصين على نشر الاسلام .

كما تعقب ابن خلدون تطور الحياة الاقتصادية وسك العملة في الدولة الأموية ، فضلا عن المدن الكثيرة وحركة العمران والانفتاح الحضارى والجبايات التى كانت ترد من أقطار العالم الاسلامى الواسعة . وقد كنا نود أن يسهب ابن خلدون فى حديثه عن الجوانب الحضارية للدولة الاسلامية لأنها هى الأساس لكل دولة لكنه مر على هذه الجوانب مروراً دون الغوص فيها .

وكما تتبعنا قيام الدولة الأموية عند عدد من المؤرخين وقارناهم بالعلامة ابن خلدون كذلك تتبعنا سقوط الدولة الأموية مقارنا بين ابن خلدون وعدد من المؤرخين المسلمين الكبار كابن خياط والطبرى وابن الأثير وأبى بكر بن العربى وابن كثير . ومعروف أن ابن خلدون ينتمى الى هذه المدرسة ، وهى أقرب المدارس الى المنهاج الاسلامى الذى ينصف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤصل المنهج الاسلامى فى تحليل التاريخ ، وان كان لابن خلدون حق برونه فى التفسير والتحليل . وهؤلاء عكس المدرسة الشيعية التى يقف فيها ابن أعثم الكوفى ، واليعقوبى ، والمسعودى وغيرهم .

وقد كان سقوط بنى أمية وتقويمهم مجالا لتظهر خصائص كل مدرسة ، ولهذا نجد ابن خلدون ومدرسته تعطى بنى أمية حقهم من الثناء والمدح بينما لا ترى المدرسة الأخرى فى هؤلاء الا أسرة وثبت الى الحكم وخرج عليها الناس وتستحق السقوط .

وقد أثبت استعراض آراء المدرسة الخلدونية أن سقوط بنى أمية يرجع الى الفتن فى عهدهم منذ قيام الدولة وحتى العصر الأخير الذى انقسمت فيه الدولة على نفسها أيام الوليد بن يزيد ، ولم يجعل أحد منهم أسباب سقوط بنى أمية راجعا الى عدم أهليتهم أو لتقصيرهم فى حماية الثغور وتوفير الأمن والعدل ، فهم - بكل المقاييس - أوفر حظا فى هذه المؤهلات من الفاطميين الذين عاشوا ثلاثة أضعاف ماعاشه بنو أمية .

وقد اختلف المؤرخون المحدثون في تحديد أسباب سقوط بني أمية فذهب بعضهم الى أن عصبيتهم التي تميل الى العرب كانت من أبرز أسباب السقوط ، بينما ترى الكثرة أن الأمويين لم يتعصبوا للعرب ، وأن سقوطهم يرجع الى اغيائهم المتذبذب لهؤلاء أو أولئك ، بينما يرى آخرون أن للسقوط أسبابا أخرى مثل النزاع بين أفراد البيت الأموى واطلاق يد العمال في الشؤون المالية ، والترف والبذخ الذى كانوا يعيشون فيه ، ومع ذلك نستطيع القول أن الفكر التاريخى المعاصر ينجح الى آراء ابن خلدون ومدرسته في تحديد أسباب سقوط بني أمية .

وفي نهاية هذا البحث وجدنا من الضرورى أن تقدم تصور لطبيعة مرحلة السقوط ، والمؤثرات التي تتحكم فيها عقائدية كانت أو اجتماعية مثل الانشقاق بين عناصر الأمة ، والخلل الاقتصادى وفقدان العدل والتوازن أو الخلل الفكرى حين تختل العلاقة بين الانسان وربّه وبين الانسان والكون وبينه وبين أخيه الانسان .

أما ابن خلدون - فقد كشف البحث - رصده لطبيعة هذه المرحلة التي تؤدى الى السقوط دون أن ينسى فلسفته الحضارية ، وبالتالى عاد ابن خلدون الى رأيه فى العصبية كمحرك سياسى واجتماعى وابن خلدون على حق ، فقد انقسم البيت الأموى على نفسه ، فانخلت العصبية ، كما أن الدولة اتسعت فلم تعد العصبية القبلية كافية فكان من المفروض الانتقال الى العصبية الدينية حتى لا يقعوا فى الانحلال ، لكن بني أمية لم يقفزوا هذه القفزة بسبب الثورات وعمال الجور وعدم تعاونهم مع محاولة عمر بن عبد العزيز الرائعة .

وهكذا أثبت البحث أصالة ابن خلدون وسبقه لعصره وتقديمه لمنهاج تاريخى منصف حافل بالوقائع التفصيلية والتحليل المنهجى السديد لدولة بني أمية ولخلفائها ولحياة الأمة فى عصرها اجتماعيا واقتصاديا ولأسباب قيامها وعوامل سقوطها ..

والله من وراء القصد .

الملاحق

ملحق رقم (١)

المخطوط المفقود من الكتاب المطبوع مسير الحسين الى الكوفة ومقتله

[في النية القيام بنشر هذا المخطوط وتحقيقه قريبا ان شاء الله]

ولما خرج الحسين الى مكة لقيه عبد الله بن مطيع وسأله أين تريد ؟ فقال : مكة وأستخير الله فيما بعد ، فنصحه أن لا يقرب الكوفة ، وذكره قتلهم أباه وخذلانهم أخاه ، وأن يقيم بمكة لا يفارق الحرم حتى يتداعى اليه الناس ، ورجع عنه ونزل الحسين بمكة فأقام والناس مختلفون اليه وابن الزبير في جانب الكعبة يصلى ويطوف عامة النهار ، ويأتى الحسين فيمن يأتى ويعلم أن أهل الحجاز لا يلقون اليه مع الحسين . ولما بلغ أهل الكوفة بيعة يزيد ولحاق الحسين بمكة اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد ، وكتبوا اليه عن نفر منهم سليمان والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر وغيرهم يستدعونهم وأنهم لم يبايعوا للنعمان ، ولا يجتمعون معه في جمعة ولا عيد ، ولو جئتنا أخرجناه ، وبعثوا بالكتاب مع عبد الله بن سبع الهمداني وعبد الله بن وال ثم كتبوا اليه ثانية بعد ليلتين نحو مائة وخمسين صحيفة ثم ثالثه يستحثونه للحاق بهم كتب بذلك اليه شيث بن ربيع وحجاز بن أجزر ويزيد بن الحرث ويزيد بن رويم وعروة بن قيس وعمرو ابن الحجاج الزبيدي ومحمد بن عمير التميمي فأجابهم الحسين فهمت ما قصصتم وقد بعث اليكم أخى وابن عمى وثقتى من أهل بيتى مسلم بن عقيل يكتب الى بأمركم ورأيكم فان اجتمع ملؤكم على مثل ما قدمت به رسلكم أقدم عليكم قريبا ولعمري ما الامام الا العامل بالكتاب القائم بالقسط الدين بدين الحق وسار مسلم فدخل المدينة وصلى فى المسجد وودع أهله واستأجر دليلين من قيس فضلا الطريق وعطش القوم فمات الدليلان بعد أن أشارا اليهم بموضع الماء فانتھوا اليه وشربوا ونجوا فتطير مسلم من ذلك وكتب الى الحسين يستعفيه فكتب اليه خشيت أن لا يكون حملك على ذلك الا الجبن فامض لوجهك/والسلام . وسار مسلم فدخل الكوفة أول ذى الحجة

من سنة ستين واختلف اليه الشيعة وقرأ عليهم كتاب الحسين فبكوا ووعدوه النصر وعلم بمكانه النعمان بن بشير أمير الكوفة وكان حليماً يجنح الى المسالمة فخطب وحذر الناس الفتنة وقال لأقاتل من لا يقاتلني ولا آخذ بالظنة والتهمة ولكن ان نكثتم بيعتكم وخالفتم امامكم فوالله لأضربنكم بسيفي مادام قائم في يدي ولو لم يكن لي ناصر . وقال له بعض خلفاء بني أمية لا يصلح ماترى الا الغشم وهذا الذي أنت عليه مع عدوك ، رأى المستضعفين ، فقال أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب الى من أن أكون من الأعززين في معصية الله ، ثم نزل فكتب عبد الله بن مسلم وعمارة بن الوليد وعمرو بن سعد ابن أبي وقاص الى يزيد بالخبر وتضعف النعمان أو تضعفه فابعث الى الكوفة رجلاً قوياً ينفذ أمرك ويعمل عملك في عدوك فأشار عليه سرجون (من هنا يبدأ الجزء المفقود) الرومي كاتب أبيه بعبيد الله بن زياد وكان منحرفاً عنه فقال ان معاوية ولاه قبل موته فكتب له بعهدة على الكوفة مضافاً الى البصرة وبعثه اليه مع مسلم بن عمرو الباهلي والد قتيبة وأمره بطلب مسلم ابن عقيل وقتله أو نفيه وكان الحسين قد كتب الى أشرف البصرة الأحنف ابن قيس والمنذر بن الجارود ومالك بن مسمع البكري ومسعود بن عمرو وقيس بن الهيثم وعمر بن عبيد الله بن معمر يدعوهم الى الكتاب والسنة وامانة البدعة وخشى المنذر أن يكون دسيساً من ابن زياد فأتاه بالرسول والكتاب من بين أصحابه فقتل الرسول ثم خطب الناس وأخبرهم بولايته الكوفة ومسيره اليها واستخلافه أخاه عثمان على البصرة وتهدهم على الخلاف بالقتل وأخذ الأدنى بالأقصى والقريب بقريبه ، ثم خرج في حشمه وأهل بيته ومعه مسلم بن عمرو الباهلي وشريك بن الأعور الحارثي وكان شريك شيعياً ثم أغذ عبيد الله السير يسابق الحسين الى الكوفة وكان في نحو خمسمائة فتخلفوا عنه شيئاً فشيئاً حتى دخل الكوفة وحده ومر بالمجالس فظنوه الحسين فحيوا ورحبوا وهو يسمع وساء ذلك ثم انتهى الى القصر في هجيج الناس يتبعونه فأغلق النعمان الباب دونه يظنه الحسين وقال ما أنا مسلم أمانتي اليك ولا أقاتلك . فدنا منه عبيد الله وقال افتح لافتحت فعرف وفتح

له النعمان وتفرق الناس ثم خطب بولايته ووعد بالاحسان للمحسن والشدة على/المريب والعاصي وحذر من المخالفة ، ثم أخذ العرفاء بأن يكتبوا له الغربا والحرورية وأهل الريب ويضمن كل أحد مافي عرافته ومن وجد في عرافته أحد لم يرفعه صلب على باب داره وأخرجت العرافة من العطا وسيرت الى عمان ثم نزل وسمع مسلم بذلك فأتى منزل هاني بن عروة فاستجار به فأواه على كره لمكانه خشية العاقبة وأقامت الشيعة تختلف اليه في دار هاني ودعا بن زياد مولى له وأعطاه مالا ودرسه عليهم ليأتيه بعلمهم فأتى مسلم بن عوسجة الأسدى وهو يصلى بالمسجد وكان من كبار دعائهم فقال له أنا من أهل الشام وأردت لقاء هذا الرجل الذى يبايع للحسين فاقبض هذا المال وأدخلني اليه أبايعه والا فخذ أنت بيعتي قبل لقائه فأخذ بيعته وبقي يختلف اليه ومرض هاني بن عروة فأتاه ابن زياد يعوده وحمله أصحابه على الفتك به فقال هاني ماأحب ذلك فى بيتي ثم مرض شريك بن الأعور وكان قد نزل على هاني وكان شديد التشيع شهد صفين مع عمار فقال لمسلم اذا جلس فاخرج واقتله ثم اقصد القصر فلاحائل دونه وان برئت من وجعى كفيتك أمر البصرة فلما جاء ابن زياد جبن مسلم عن قتله وبقي شريك ينبه لذلك فلايجيب حتى خرج ابن زياد واعتذر مسلم عن قتله بأن هاني يكره ذلك فى بيته وبأن عليا حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الايمان قيد الفتك ثم قضى شريك بعد ثلاث وصلى عليه عبيد الله ثم علم بعد ذلك بشأنه فحلف ألا يحضر جنازة عراقى . ثم ان المولى الذى دسه ابن زياد بالمال اختلف الى مسلم بن عوسجة بعد موت شريك فأدخله على مسلم ابن عقيل فأخذ بيعته وقبض ماله وأقام يختلف اليهم ويخبر ابن زياد بأحوالهم حتى تبين جليلة الأمر وكان هاني انقطع عن عبيد الله بعذر المرض فدعى محمد بن الأشعث واسماء بن خارجة وعمرو بن الحجاج الزيندى وعذل هائثا فى انقطاعه وأنه بلغه برؤه وقال القوه فمروه أن لاينقطع عنى فلقية القوم ولاموه فى ذلك ثم حلفوا عليه واستركبوه معهم ودخلوا به على ابن زياد وكان مكرما له فقال ياهانى ماهذه الأمور التى تربص فى دارك للمسلمين

وأمر المؤمنين وأخبره بشأن مسلم فأنكر ، فدعا ابن زياد المولى الذى دسه عليهم وراه هانى فسقط فى يده ثم قال والله مادعوت الرجل ولا علمت بشىء من أمره وصدقه الخبر عن مجيئه الى داره واستجارته/به وانه استحيى من رده وقد كان من أمره مابلغك وأنا الآن أعطيك عهدا ورهينة حتى أخرجك من دارى وأعود اليك فقال له ابن زياد والله لا تفارقنى حتى يأتينى به فقال آتيك بضيفى تقتله والله لافعلت ، ثم قام اليه مسلم بن عمرو الباهلى ولم يكن هنالك أعز منه فاستأذن ابن زياد وخلا به ناحية ونصحه أن يأتى به فانه ابن عمهم وليسوا قاتليه ولا ضاربه وليس عليك فى ذلك منقصة وانما دفعته الى السلطان فأبى ولج وسمعه ابن زياد فاستدناه وقال والله لئن لم تأتني به لأضربن عنقك قال اذا والله تكثر البارقة حول دارك ويقال ان هانئا لما رأى الرجل الذى كان عينا لعبيد الله قال أيها الأمير أنت امرؤ هالك فسر حيث شئت فأشار الى مهران مولاه وهو قائم على رأسه فأخذ بضيفرتي هانى وأخذ ابن زياد القضيبي من يد مهران ولم يزل يضرب به وجهه حتى كسر أنفه ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته ثم أغلق عليه فى بيت وجاء أسماء بن خارجة منكرا لذلك وأنه جاء به فى جواره فأمر به ابن زياد فطرد عنه وجلس وأظهر محمد بن الأشعث الرضى وجلس وبلغ عمرو بن حجاج أن هانئا قتل فأقبل فى مذحج فأحاطوا بالقصر وأمر ابن زياد شريحا القاضى أن يخرج اليهم ويعلمهم بحياة هانىء بعد أن أدخله اليه وراه حيا فأخبرهم وانصرفوا وجاء الخبر الى مسلم بن عقيل وكان قد بايعه ثمانية عشر ألفا وحوله فى الدور أربعة آلاف فنادى فيهم وركب نحو القصر فى التعبئة وأحاط به وامتلا المسجد والسوق من الناس الى المساء وضاق بعبيد الله أمره وليس معه فى القصر الا نحو خمسين من أهل بيته ومواليه وتسلى اليه الأشراف وأمر كثير بن شهاب الحارثي أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج فيخذل الناس وأمر الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كنده وحضرموت فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس وبعث بمثل ذلك القعقاع بن سور الدهلى وشمس بن ربيع التميمي وحجار بن أبحر العجلي وشمز بن ذى

الجوشن الضبابي وترك وجوه الناس عنده استئناسا بهم وخرج أولئك النفر على الناس فافترقوا عن ابن عقيل الى أن بقى في المسجد في ثلاثين فخرج واختفى عند عجوز من ذوى ابن الأشعث وتعرف اليها فأخفته وخرج ابن زياد الى المسجد قبل العتمة ونادى في الناس فامتلاً المسجد وأمر الحصين بن تميم وكان على الشرطة/تفتيش الدور وعقد لعمر بن حريث الى أن أصبح وشعر ابن العجوز بابن عقيل عند أمه فأتى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأخبره وأخبر أباه فأخبر ابن زياد فقال ائتنى به الساعة وبعث معه عمرو بن عبيد الله السلمى فى سبعين من قيس فلما أتوا الدار وسمع مسلم ابن عقيل الأصوات فخرج بسيفه ومازال يحمل عليهم وقطعت شفته العليا وسقطت ثنيتاه والقوا عليه النار فى القصب وهو يقاتل حتى أثنى وعجز عن القتال فأمنه ابن الأشعث وحمله على بغل وانتزعوا سيفه فقال هذا أول الغدر وبكى فعذله عمرو بن عبيد الله السلمى فقال انما أبكى الحسين وآله ثم قال لابن الأشعث عساك تبعث من يخبر الحسين بحالى ليرجع بأهل بيته ولا يغتر بأهل الكوفة ففعل ذلك ابن الأشعث ولقيه الرسول بزباله وقد هاجه للمسير كتاب مسلم يخبره بمن بايع ويستحثه للمسير فقال الحسين كلما قدر كائن وعند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمتنا ثم ادخل محمد على ابن زياد وأخبره بما أعطاه من الأمان فقال مابعثناك لتؤمنه واستسقى مسلم وهو بباب القصر فجاءه عماره بن عقبة بما بارد فلم يطق الشرب بما كان يسيل من دم فمه فتركه وأدخل على ابن زياد فقال له لتقتلن فقال دعنى أوصى والتفت الى عمرو بن سعد فناجاه بأن يقضى عنه دينه ويوارى جثته ويبعث الى الحسين يرده فأخبر ابن زياد بها فتركه وشأنه ثم حاوره واساء بعضهما على بعض ثم اصعد فوق القصر وضربت عنقه تولى ذلك منه بكير بن حمران الأحمرى لضربة أصابه بها فى الجولة عند الدار وكان ابن الأشعث قد شفع فى هانى بن عروة فوعده باستبقائه فلما قتل مسلم أخرج الى السوق فضربت عنقه وبعث ابن زياد بالرأسين الى يزيد فكتب اليه يشكره ويأمره بالاحتراس ووضع المراصد فان الحسين قد سار الى الكوفة ثم طلب ابن زياد المختار بن

أبى عبيد وعبد الله بن الحرث بن نوفل وكانا جاء مع ابن عقيل فحبسهما ولما أراد الحسين المسير الى الكوفة بكتاب مسلم بن عقيل وأهل العراق جاءه عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وهو بمكة فقال له بلغني انك تريد العراق فأنا مشفق عليك تأتى بلدا فيه العمال والأمرء وبيوت الأموال والناس عبيد الدينار والدرهم فلا آمن عليك فجزاه خيرا وأتاه ابن عباس بمثل ذلك فعصاهما ولج واتهم ابن الزبير ثم راجعه ابن عباس/وأشار عليه بالخروج الى اليمن فقال يا ابن عمى لا أنقض عزمى قال فلاتسر ببناتك وصبيانك فاني أخاف أن تقتل وهم ينظرون كما قتل عثمان ولقد أقررت عين ابن الزبير بخروجك من الحجاز وخرج الحسين يوم التروية واعترضه يحيى بن سعيد بن العاص وأخوه عمرو أمير ليزيد على مكة ومع يحيى طائفة ليمنعوا الحسين فأبى عليهم وسار مع أصحابه ولقى بالتنعيم عيرا مقبلة من اليمن عليها الوركس والحلل بعث بها بجير بن روسان عامل اليمن الى يزيد فأخذها الحسين وأعطى أصحاب الابل كراهم ثم سار فلقى الفرزدق بالصفاح فقال أخبرني عن الناس خلفك قال القلوب معك والسيوف عليك والقضاء في السماء فقال صدقت لله الأمر يفعل ما يشاء كل يوم هو في شأن ثم لحقه كتاب عبد الله بن جعفر مع ابيه عون ومحمد يسأله الله في الانصراف ولا يهلك نفسه وأهل بيته واني في اثر كتابي ثم جاءه كتاب عمرو بن سعيد عامل مكة مع أخيه يحيى بالامان والترغيب فلم يفعل واعتذر بأنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره بأمر فهو ماض له . ولما بلغ ابن زياد مسير الحسين من مكة بعث الحصين بن تميم التميمي صاحب شرطته فزل القادسية ونظم الخيل ما بينه وبين خفان وما بينه وبين القطقطانة الى جبل لعلع ولقى هنالك قيس بن مسهر الأسدى ثم الصيداوى بكتاب الحسين من الحاجر الى أهل الكوفة يعرفهم بقدومه فبعث به الحصين الى ابن زياد فلما جاءه قال اصعد القصر فشب الحسين فصعد وأدى رسالته الى أهل الكوفة وأنه فارقه بالحاجر ولعن ابن زياد وأباه واستغفر لعلى وبنيه فأمر ابن زياد فرمى به من القصر فتقطع وانتهى الحسين في مسيره الى عبد الله بن مطيع فعذله فيما جاء

له وناشده الله في حرمة الاسلام والعرب وبنات الرسول الا تأتي الكوفة فيقتلك بنو أمية فأبى وسار ولقيه قتل مسلم بن عقيل بالثغلبية فناشده الله أصحابه في الرجوع فقال بنوا عقيل لا والله حتى ندرك بشارنا فقال الحسين لاخير في العيش بعد هؤلاء ثم سار وكان لاير بماء الا اتبعه من عليه حتى انتهى الى زبالة فلقية مقتل أخيه عبد الله بن بقطر الذي ألقاه ابن زياد من أعلى القصر واعلم الناس الذين معه وقال قد خذلنا شيعتنا فمن أحب فليصرف وقصده أن يوطنهم على مايقدمون عليه فافترقوا عنه ولم يبق الا أصحابه الذين خرجوا معه من مكة فسار الى سراف ثم سار منها/الى منتصف النهار فلقاهم الحر بن يزيد التميمي ولما رآوه على البعد قال له بعض الناس معه مل بنا الى ذى جسم تجعله عن يسارك وتستقبل القوم من وجه واحد ففعل وسبقهم الى الجبل وجاء الحر في ألف فارس أرسله الحصين ابن تميم من القادسية يستقبل الحسين فقال الحسين اني لم آت الا بكتبكم ورسلكم فان تعطوني مااطمنن اليه من العهد أقدم مصركم والاأرجع من حيث جئت ثم حضرت الصلاة فصلى الحسين وصلى الحر وأصحابه بصلاته ثم استقبلهم وأعاد عليهم شأن الكتب وذم الولاة فقال الحر والله ماندرى ماهذه الكتب والرسل فاستدعى بخرجين مملوءين صحفا ونشرها فقال الحر لسنا من هؤلاء وانما أمرنا اذا لقيناك أن لانفارقك حتى نقدمك الكوفة على ابن زياد فقال الحسين الموت أدنى من ذلك ثم أمر أصحابه فركبوا لينصرفوا فمنعهم الحر وطال بينهما الكلام وقال الحر لم أوامر بقتالك وانما أمرت أن لأفارقك حتى أقدمك الكوفة فخذ طريقاغير طريقها واكتب أنا الى ابن زياد واكتب أنت اليه أو الى يزيد فعسى أن يأتي من الأمور مايدفع عني أن أبتلى بشيء من أمرك فتياسر عن طريق العذيب والقادسية وسار والحر معه وهو يعظه ويذكره حقوق أهل البيت ووجوب طاعتهم ويقده له في ولاته وآمرية بما كان منهم ويذكر له كتب أهل الكوفة ورسلكم والحر يحفظه ويقول اتق الله في نفسك فلئن قاتلت لتقتلن فيقول أبا الموت تخوفني ويضرب الأمثال وينشد في الشجاعة فلما رآه الحر كذلك عدل يسير ناحية

عنه حتى انتهوا الى عذيب الهجانات سمي بهجان ابن النعمان كانت ترعى فيه فاذا هو بأربعة فرسان دليلهم الطرماح بن عدى الطائى وأجمع الحر حبسهم وردهم فقال الحسين هم بمنزلة أصحابى والا ناجزتك ثم اخبروه بخبر الكوفة وقتل قيس بن مسهر فبكا وقرأ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ثم دعا لهم وقال له الطرماح ماأرى معك كثير أحد ولو لم يقاتلك الا هؤلاء الذين مع الحر لكانوا أكثر من كفوك^(١) فكيف بمن سار اليك من الكوفة فلم تر عيناي جمعا أكثر منهم فأنشدك الله أن تتقدم اليهم شبرا وان أردت فسر معى انزل جبلنا أجا فقد امتنعنا به والله من ملوك غسان وحمير والنعمان ومن الأبيض والأحمر وتجتمع عليك طيء في عشرين ألفا/لايوصل اليك وفيهم عين تطرف فجزاه خيرا وقال قد عاهدنا هؤلاء القوم الذين معنا فلا بد من الوفاء لهم فودعه الطرماح وانصرف وسار الحسين وممر بقصر بنى مقاتل فرأى فسطاطا لعبيد الله ابن الحر الجعفى فاستدعاه فقال والله ماخرجت من الكوفة الا فرارا من الحسين فركب الحسين وجاءه ودعاه الى النصرة أو أن يكون ممن يكف فأجابه الى هذه ثم ركبوا من الغد وأراد أن يفارق الحر فمنعه واذا بكتاب من ابن زياد الى الحران يجمعع بالحسين حتى يجىء كتابه ورسوله ولاينزله الا بالعرا في غير حصن ولاماء ، وقد أمرت الرسول أن يلزمك حتى يأتيني بانفاذك أمرى فقرأ الحر الكتاب واعلم الحسين وأصحابه بما فيه فقالوا دعنا ننزل فى الغاضر . فقال لأستطيع وهذا الرجل قد بعث عينا على فقال زهير بن القين للحسين وكان صحبه من مكة تعالى نحاجر هؤلاء فهم أهون علينا ممن يأتينا بعدهم فقال ماكنت لأبدأهم بالقتال وذلك لليلتين من المحرم سنة احدى وستين فلما كان الغد قدم عمرو بن سعد بن أبى وقاص من الكوفة فى أربعة آلاف وكان ابن زياد قد جهزه الى حرب الديلم وكتب له عهده على الرى فلما كان أمر الحسين دعاه أن يقدم

(١) هكذا بالأصل . وعند ابن الأثير : "ولو لم يقاتلك الا هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكان كفى بهم". ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٤ ، ص ٥٠ .

حربه ثم يرجع الى عمله فاستعفاه فقال نعم على أن يرد ولاية الرى فقال امهلنى واستشار أصحابه فكلهم نهاه حتى ابن أخيه حمزة بن المغيرة بن شعبة وقال له تفتدى من دم الحسين بسultan الأرض لو كان لك ثم غدا على ابن زياد واستعفاه ثانيه فقال له مثل الأول قال فانى ساير واقبل فى الجيوش حتى نزل بالحسين وبعث اليه يسأله فأجابه فقال كتب أهل الكوفة فان كرهونى فأنا أنصرف عنهم فكتب بذلك الى زياد فكتب اليه أن يعرض على الحسين البيعة ويمنعه ومن معه من الماء فأرسل عمرو بن الحجاج الى الشريعة ومنعوهم الماء واشتد عليهم العطش فركبوا الى الماء وقتلوههم عليه وملؤا قربهم ، ثم بعث الحسين الى عمرو فى اللقاء فلقيه ليلا وتحادثا طويلا وافترقا وكان مما قال له الحسين دعونى أرجع الى المكان الذى جئت منه أو اذهب فى الأرض العريضة حتى يستقر أمر الناس وكتب عمرو بذلك الى عبيد الله ابن زياد يبشر بأن الله أطفأ الثائرة وجمع الكلمة فقبل ابن زياد/ذلك وقام اليه شمر بن ذى الجوشن منكرا لذلك وقال تقبل هذا منه وقد نزل بأرضك ولئن رحل ولم يضع يدك فى يده ليكونن أعز وتكون أعجز ولكن ليتزل على حكمك ولقد بلغنى ان الحسين وعمروا يتحادثان عامة ليلتهما بين العسكرين فقال ابن زياد نعم ماقلت اخرج انت اليه بهذا الكتاب ليعرض على الحسين وأصحابه الزول على حكمى وتبعث بهم سلما وان امتنعوا فليقاتلهم وان أبى عمرو من ذلك فأنت الأمير وابعث الى برأسه وكتب الى عمرو بذلك وعنفه على المطاولة والشفاعة وان يفعل ماأمره به والا فليعتزل العسكر ويخلى بين شمر وبينهم وكتب معه أمانا لبني على بن أبى طالب من أم البنين بنت حزام وهم العباس وعبيد الله وجعفر وعثمان سأله الأمان لهم عبد الله بن خالهم أبى المحل بن حزام وكان حاضرا عند ابن زياد فردوا أمانه وقالوا لاحاجة لنا فيه ولما أتى شمر الى عمرو قال له يا شمر أظنك أنت ثنيته عما كتبت به اليه وأفسدت علينا أمرا رجونا أن يصلح والحسين والله لا يستسلم أبدا ونهض اليه عشية تاسوعا فركب العباس أخو الحسين فى عشرين فارسا وتلقاهم فأخبروه بما جاء من أمر ابن زياد فجابه الى الحسين

فقال ارجع اليهم ووخرهم الى الغداة لنستكثر من الصلاة والدعاء والاستغفار فوعدهم الحسين الى الغداة اما رضيناه واما رددناه فشاور عمرو أصحابه فأشار بعضهم بامهاله وهو عمرو بن الحجاج الزبيدي والله لو كان من الديلم لوجب امهاله وأشار قيس بن الأشعث بالمناجزة وقال ليصبحنك بالقتال فرجع عمرو وجمع الحسين أصحابه واستشارهم وجزاهم خيرا وأذن لهم في الانطلاق وقال هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه حملا وافترقوا في البلاد والقوم اذا أصابوني لهوا عن غيري فأبوا فقال يابني عقيل حسبكم من القتل بمسلم واذهبوا فقد أذنت لكم قالوا فما يقول الناس والله لانفعل ولنقاتلن معك حتى نرد موردك وقام اليه بعض أصحابه من غير عشيرته فقال كيف نتخلى عنك ولم نعذر الى الله في حقك والله لأفارقك حتى أكسر رمحي وسيفي وأقذفهم بالحجارة دونك حتى أموت وتكلم أصحابه بمثل ذلك فجزاهم خيرا وسمعت اخواته ذلك فطفقن يعولن ويلطمن حتى غشى على بعضهن فجاء اليهن وعزاهن برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن سلف من قومه وعاهدهن أن لا يكثرن عليه الصراخ ولا يشقن الجيوب ولا يخمشن الوجوه ولا يدعين بالويل والشبور ثم أمر أن يدخل اطناب البيوت بعضها في بعض ليستقبلوا العدو من أمامها ثم قاموا يصلون ويدعون ويستغفرون حتى أصبح وذلك يوم عاشوراء وركب عمرو بن سعيد في التعبئة وعبأ الحسين أصحابه اثنين وثلاثين فارسا وأربعين راجلا وأعطى رايته أخاه العباس وضرب للحسين فسطاط أمام أخبته فدخل فيه واستعمل النورة ثم اميت المسك في جفنه وأطلابه ثم ركب ووضع المصحف أمامه وقاتل أصحابه بين يديه وهو يدعو ثم تقدم على راحلته ونادى الناس وعرفهم بنفسه ووعظ وذكر بحقوقه وقال ان كذبتوني فعندكم من يخبركم سلوا جابر بن عبد الله وأبا سعيد وأنسا وسهل بن سعد وزيد بن أرقم يخبروكم بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقنا أهل البيت اما في هذا حاجز يحجزكم عن دمي أتطلبوني بمال أو بدم أو قصاص فلم يجيبوه فنادى ياشيث بن ربيع يا حجار بن اجر يا قيس بن الأشعث يا يزيد بن الحرث ألم تكتبوا الى في

القدوم ؟ قالوا لا ، قال بلى قد فعلتم فدعوني أنصرف الى مامنى من الأرض فقال له قيس أفلاتنزل على حكم ابن زياد وهو ابن عمك ؟ قال لا والله لأعطى اعطاء الذليل ولأأفر فرار العبد عباد الله انى عدت برى وربكم أن ترجمون أعوذ برى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ثم أناخ راحلته ونزل عنها وخرج زهير بن القين وهو شاك السلاح وكان صاحب الحسين من مكة فوقف بين يدى العسكر ووعظ أهل الكوفة ونصحهم ودعاهم الى نصره ابن رسول الله وخذلان بن زياد وافحش فى ذم عبيد الله وأبيه وقال يقتلانكم ويقطعانكم ويسملانكم ويقتلان أمثالكم^(١) اذكروا حجر بن عدى وهانىء بن عروة فشتموه وأثنوا على ابن زياد وقالوا لانبرح حتى تقتلكم أو نأسركم فقال لهم أعيذكُم بالله أن تقتلوا ابن فاطمة خلوا بينه وبين ابن معاوية فان يزيد يرضى منكم بدون هذائم رماه شمر وشتمه فتشاقما ساعة ورده الحسين فرجع ولما زحف عمرو بن سعد نحو الحسين قال له الحر بن يزيد الذى كان حايلا الحسين أمقاتل أنت هذا الرجل قال نعم قال ولا تقبلون منه واحدة من الخصال/التي عرض عليكم فقال عمرو لو كان الأمر الى لفعلت ولكن أميرنا قد أبى ذلك ثم أقبل يدنوا نحو الحسين حتى استراب به أصحابه ولحق به وقال يا ابن رسول الله أنا صاحبك الذى حبستك عن الرجوع وسأيرتك فى الطريق وجعجت بك فى هذا المكان ووالله لو ظننت انهم لا يقبلون منك واحدة مما عرضت عليهم أو يبلغون بك هذه المنزلة مافعلت الذى فعلت وقد جئتك تائباً أموت دونك افتراها الى توبة قال نعم يتوب الله عليك ويغفر لك ثم انعطف الى أصحابه وقال ألا تقبلون من الحسين واحدة مما عرض عليكم فيعافىكم الله من حربه وقتاله فقال عمرو قد حرصت على ذلك وما وجدت اليه سبيلا ثم نادى أهل الكوفة ووجههم على أن دعوه وأسلموه ثم منعوه من التوجه فى بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهل بيته فأصبح كالأسير لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا

(١) هكذا بالأصل والمقصود "أمثالكم" والله أعلم .

ومنعتموه وأصحابه ماء الفرات يشربه اليهودى والنصرانى والمجوسى وقرغ فيه كلاب السواد وخنازيره وهو وأهله صرعى من العطش بئس ما خلفتم محمدا فى ذريته ودعا عليهم فرموه بالنبل فرجع ثم قدم عمرو بن سعد رايته ورمى بسهم وقال اشهدوا انى أول من رمى وتبارز الناس وقتل فى البراز يسار مولى زياد وسالم مولى عبيد الله بن زياد قتلهما عبد الله بن عمير الكلبي وكان قد لحق بالحسين من الكوفة ومعه امرأته ثم حمل عمرو ابن الحجاج على الحسين وأصحابه فجثوا على الركب واشرعوا نحوهم الرماح فلم يقدموا وذهبوا ليرجعوا فأصابوهم بالنبل فصرعوا منهم رجالا وخرج يزيد بن حصين من أصحاب الحسين يبارز يزيد بن معقل فبازره ثم قتله آخر دونه وخرج عمرو بن قرظة الانصارى فقاتل وقتل وقاتل الحر بن يزيد مع الحسين قتالا شديدا وقتل من أصحاب عمرو وصاح عمرو بن الحجاج بالناس يقاتلون فرسان المصر مستميتين وهم قليل وقل مايقون ولو رميتموهم بالحجارة لقتلتموهم ووافقهم عمر فمنع الناس من المبارزة ثم حمل عمرو بن الحجاج على جانب الحسين واقتتلوا ساعة وقتل مسلم بن عوسجة الأسدى وانصرف عمرو ومسلم صريع فجاء اليه الحسين ودعا له ودنا منه حبيب بن مطهر واستوصاه فقال أوصى اليك بهذا ان تموت دونه فأشار الى الحسين فقال افعل ثم قضى مسلم وصاحت جاريته وسمعها شمس بن ربعى / وقد سمع أصحابه يقولون قتلنا مسلم بن عوسجة فنكر قتله وتسخط وقال تفرحون لمثل مسلم وعدد موافقه ثم حمل شمر فى الميسرة فثبتوا له ثم حملوا على الحسين وأصحابه من كل جانب وهم يكرون ولا يحملون على جانب من خيل الكوفة الاكشفوه وبعث عروة بن قيس وهو على خيل الكوفة الى عمرو بن سعد ان ابعث الينا الرجال والرماة فقال لشيث بن ربعى تقدم فقال مثلى لا يبعث فى الرماة وكان يكره ذلك القتال كله . فقال للحصين بن تميم تقدم فرشقوا الحسين وأصحابه بالنبل فعقروا خيولهم وارجلوهم وقاتل الحر بن يزيد أشد قتال الى أن انتصف النهار ولا يقدرين يأتونهم الا من وجه واحد لاجتماع مضاربهم فبعث عمرو من يقوض تلك

الأبنية فكان أصحاب الحسين يتخللون الأبنية فيقتلون الرجل يقوض أو ينهب فأمر عمرو بن سعد فاضرمت نارا ومنعت العدو الى الحواز من جانبها وبلغ شمر فسطاط الحسين ليحرقه بالنار وصاح به الحسين والنساء وجاءه شبيث ابن ربعي فجزره عن ذلك فرجع واتبعه زهير بن القين في عشرة فكشفهم عن البيوت وقتلوا من أصحاب شمر أبا عودة الضبابي وعطف عليهم فأصاب منهم ثم حضر وقت الصلاة وذكر أبو ثامة الصابري بالصلاة فقال الحسين الامهال لنصلى ووقع الكلام في ذلك بين الحصين بن يزيد من أهل الكوفة وحبيب بن مطهر من أصحاب الحسين وقتل حبيب رجلا من بني تميم وقتله الحصين ولما قتل حبيب هد ذلك من الحسين حمل الحر بن يزيد فقاتل حتى قتل ثم صلى الحسين الظهر صلاة الخوف ثم اشتد القتال بعد الصلاة وخلصوا الى الحسين فاستقدم الحنفى أمامه واستهدف لهم فرموه حتى سقط وقاتل زهير بن القين حتى قتل وأسر نافع بن هلال الحملي بعد أن قتل اثني عشر منهم فقتله شمر وتنافس أصحاب الحسين أن يقتلوا بين يديه فقتل منهم جماعة ثم رموا بالحجارة من كل جانب واستأذنه الضحاك بن عبد الله في الانصراف والنجاة فأذن له فانصرف ثم خلص القوم الى أهل البيت فقتل على الأكبر بن الحسين بعد أن حمل عليهم مرارا فطعنه مرة بن منقذ فصرع فجاء الحسين فحمله حتى وضعه بين يدي فسطاطه ثم رمى عبد الله بن مسلم ابن عقييل بسهم فقتل ثم حمل آخر على عون بن عبد الله بن جعفر فقتل ثم على عبد الرحمن بن عقييل فقتل ثم على جعفر بن عقييل فقتل ثم على القاسم بن الحسين فقتل وجالوا عنده جولة وطئته فيها الخيل ثم انجلت الغيرة والحسين قائم على رأسه وهو يفحص برجليه ثم احتمله فالتقاه مع ابنه وقتلى أهل بيته ومكث الحسين طويلا من النهار والناس يتحامون قتله ثم جاء مالك بن النسير من كنده فضربه على رأسه بالسيف فأدماه ودعا الحسين بابنه عبد الله وهو صغير فأجلسه في حجره فرمى بسهم ذبحه ثم رمى أبو بكر بن الحسين بسهم فقتل ثم تقدم العباس بن علي واخوته من أمه فقتلوا جميعا واشتد عطش الحسين فجاء ليشرب من الفرات فرماه حصين بن تميم بسهم في

فمه فجعل يتلقى الدم ويدعوا ثم أقبل شمر بن ذى الجوشن فى عشرة من رجالته فحال بين الحسين وبين أهله فقال امنعوا رحلى واهلى من طعامكم فقال ذلك لك ثم حمل عليهم وحملوا عليه وأحاطوا به من يمينه وشماله وخرجت أخته زينب تنادى فلقيت عمرو بن سعد فقالت ياعمرو يقتل أبو عبيد الله وأنت تنظر فبكى وزوى عنها وجهه ثم نادى شمر ماذا تنتظرون بالرجل فحملوا عليه وضرب زرعة بن شريك التميمى كفه اليسرى وعلى عاتقه فأوهنه ثم طعنه سنان بن أنس النخعى بالرمح وقال لحولى بن يزيد الأصبحى حز رأسه فارعد فتزل اليه سنان فأخذ رأسه ودفعه الى خولى وسلب ماكان عليه فأخذ سراويله بحر بن كعب وقطيفته قيس بن الأشعث وكانت من خز وسيفه رجل من دارم وانتهب الناس ثقله ومتاعه وابله وسلبوا نساءه وانتهبوا الى على بن الحسين وهو مريض وأراد شمر قتله فمنعه حميد بن مسلم ثم جاء عمرو بن سعد فقال لايدخلن بيت النسوة أحد ولايعرض لهذا الغلام المريض وليرد عليهم متاعهم ولم ينج من القوم الا اثنين ونادى عمرو بن سعد فى أصحابه من ينتدب للحسين فيوطئه فرسه وكان ابن زياد أمره بذلك فانتدب عشرة وداسوه حتى رضواظهره وصدره وكان به ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة وقتل من أصحابه اثنان وسبعون رجلا ودفنهم أهل الغاضرية من بنى أسد وقتل من أصحاب عمرو بن سعد ثمانية وثلاثون^(١) رجلا فصلى عليهم ودفنهم وبعث برؤوس الحسين وأصحابه الى ابن زياد مع شمر وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج وعروة بن قيس فأحضرها بين يديه وجعل ينكت بقضيبه بين ثنيتي الحسين فقال له زيد بن أرقم ارفع قضيبك عنها فلقد رأيت شفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على هاتين الشفتين يقبلهما ثم بكى فزجره ابن زياد فخرج مغضبا ثم ارتحل عمرو بن سعد الى الكوفة بعد مقتلهم بيومين ومعه نساءهم

(١) عند ابن الأثير ثمان وثمانون . ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٤ ، ص ٨٠ .

وصبيانهم وثيابهم وعلى بن الحسين مريض ومروا بالحسين وأصحابه صرعى فأعولوا ولطموا ولما أدخلوا على ابن زياد قال عبيد الله من هذه يشير الى زينب فقيل له هذه زينب بنت فاطمة فكلّمها وأجابته وأبلغت واغضبت حتى قال لها هذه شجاعة ولقد كان أبوك شجاعا فقالت مالمراة والشجاعة ثم قال لعلى بن الحسين ما اسمك فأخبره فقال ألم يقتل الله عليا فقال وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله فقال أنت والله منهم ثم قال انظروا هل انبت فقيل له نعم فقال اقتلوه فقال ومن يوكل بهذه النسوة وتعلقت به زينب وقالت يا ابن زياد حسبك أما رويت من دمائنا ثم اعتنقته وقالت ان قتلته فاقتلني معه وقال على يا ابن زياد ان كان بينك وبينهن قرابة فابعث معهن من يصحبهن بصحبة الاسلام ثم خطب الناس وتعرض للحسين فشتمه بعض شيعته فأمر بقتله وصلبه ثم أمر برأس الحسين فطيف به في الكوفة ثم بعث به وبرؤوس أصحابه الى يزيد مع شمر بن ذي الجوشن ويقال مع زحر بن قيس وبعث معهم بالنساء والصبيان محمولات على الاقتاب والغل في عنق الحسين ورقبته فدخل على يزيد زحر بن قيس فقال ما وراءك قال ابشر بفتح الله ونصره ورد علينا الحسين في ثمانية عشر من أهل بيته وستين من شيعته وسرنا اليهم وسألناهم أن يزلوا على حكم الأمير عبيد الله أو القتال فاختراروا القتال فغدونا عليهم مع شروق الشمس فأحطنا بهم من كل ناحية حتى أخذت السيوف مأخذها من هام القوم وجعلوا يهربون الى غير وزر ويلوذون بالاكام والحفر كما لا ذ الحمايم من صقر فما كان الا جزر جزور أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم فهاتيك أجسامهم مجردة وثيابهم مرملة وخدودهم معفره تصهرهم الشمس وتسفى عليهم الريح زوارهم العقبان والرخم بغى سبب قال فدمعت عينا يزيد وقال كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن سمية أما والله لو انى صاحبه لعفوت عنه فرحم الله الحسين ويقال ان آل الحسين لما وصلوا الى الكوفة حبسهم ابن زياد وبعث الى يزيد بالخبر فأمره بارسالهم اليه فبعثهم مع مخفر بن ثعلبة وشمر معهما الثقل والرأس وانهما لما/وضعا الرأس بين يديه وحدثاه

سمعت حديثهما هند بنت عبد الله بن عامر وكانت تحت يزيد فتقنعت بثوبها وخرجت فقالت ياأمير المؤمنين رأس الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله قال نعم فاعولى عليه عجل عليه ابن زياد فقتله قتله الله ثم دخل عليه الناس والرأس بين يديه ثم قال ان هذا وايانا كما قال الحصين ابن الحمام :
أبى قومنا ان ينصفونا فأنصفت قواضب فى أيماننا تقطر الدما
يفلقن هاما من رجال أعزة وهم كانوا أعق وأظلما
وانه نكت فى ثغر الحسين بقضيبه كما فعل ابن زياد فقال له أبو برزة
الاسلمى ما قال زيد بن ارقم لابن زياد ثم قال يزيد يا حسين والله لو انى
صاحبك ما قتلتك ثم قال اتدرون من أين أتى الحسين قال أبى خير من أبيه
وأُمى فاطمة خير من أمه وجدى رسول الله خير من جده وأنا خير منه فأما
أمه وجده فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يعتقد غير هذا وأما أبى
وأبوه فقد تحاجا عند الله وعلم الناس أيهما حكم له ولكنه انما أتى من قبل
فقهه ولم يقرأ قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء ثم أدخل نساء
الحسين عليه والرأس بين يديه فجعلت فاطمة وسكينة بنتا الحسين يتطاولان
ينظران الى الرأس ويزيد يتطاول يستر عنهما الرأس فلما بصرنه صحن
فصاح نساء يزيد وبنات معاوية فقالت فاطمة أبنات رسول الله سبايا
يا يزيد؟ فقال يا ابنة أخى كنت لهذا أكره قالت والله ماترك لنا من حرص
قال أما انى سأوصل اليكن اعظم مما أخذ منكن ثم اخرجن وادخلن دور
يزيد فلم تبق امرأة فى بيتهن الا اتتهن وأقمن المآتم وسال عما أخذ منهن
فاضعهن لهن وأقمن المآتم وكانت سكينة تقول مارأيت عدوا خير من يزيد
بن معاوية ثم أدخل على بن الحسين مغلولاً فقال يا يزيد لو رآنا رسول الله
مغلولين لفك عنا قال صدقت وأمر بفكه عنه فقال ولو رآنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم على بعد لقربنا فأمر به فقرب منه وقال له يا على أبوك الذى
قطع رحمى وجهل حقى ونازعنى سلطانى فصنع الله به مارأيت فقال على
ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب الآية ، فقال يزيد
وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ثم سكت عنه وأمر بانزاله

وانزال/نساءه في دار جده ثم لم يزل يزيد يذم من ابن زياد فعله في الحسين ويقول لعن الله ابن مرجانة سأله أن يضع يده في يدي أو يلحق بشعر حتى يتوفاه الله فلم يجبه الى ذلك وقتله وبغضني الى المسلمين وزرع لي العداوة عند البر والفاجر مالى ولابن مرجانة لعنه الله وغضب عليه ثم أمر النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم وبعث معهم الى المدينة رجلا أمينا من أهل الشام في خيل تسير معهم ودعا عليا ليودعه فقال له لعن الله ابن مرجانة والله لو انى صاحب أبيك ماسألني خصلة أبدا الا أعطيته اياها ولدفعت الحنق بما استطعت ولو بهلاك ولدى ولكن قضاء الله مارأيت فكاتبني بأية حاجة تكون لك وأوصى بهم ذلك الرسول فخرج بهم وكان يسايرهم ليلا من ورائهم بحيث لا يفوتون نظره فاذا نزلوا تنحى عنهم هو وأصحابه فكانوا حولهم كالحرس ويتلطفون بهم ويسأل عن حوائجهم حتى دخلوا المدينة فقالت فاطمة لأختها زينب لقد أحسن إلينا هذا الرجل فهل لك أن نصله بشيء فقالت مامعنا الا حلينا وأخرجتا سوارين ودملجين لهما فبعثتا بذلك واعتذرتا فرد الجميع وقال لو كان الذى صنعته للدنيا لكان في هذا مايرضيني وانما صنعته لله ولقرابتكم من رسول الله وكان ابن زياد بعث الى المدينة بنجر الحسين وبها عمرو بن سعيد فأعلم الناس وبكا نساء بنى هاشم فلما سمع عمرو أصواتهن قال ناعيه بناعيه عثمان .

ولاية سلم بن زياد خراسان وسجستان

قدم سلم بن زياد سنة احدى وستين على يزيد فقال له يزيد أوليك عمل أخويك عبد الرحمن وعباد وولاه خراسان وسجستان فبعث الحرث بن معاوية الحرثي جد عيسى بن شبيب من الشام الى خراسان فحبس عاملها قيس بن الهيثم وقدام سلم البصرة فجهز الى خراسان وبعث أخاه يزيد بن زياد على سجستان وكان عليها عباد أخوهما فكتب اليه عبيد الله بن زياد وكان صديقا له بولاية سلم فقسم عباد مافي بيت المال في مواليه ونادى في

الناس فأسلفهم ما فضل وخرج عن سجستان وبلغه وهو بجيرفت مكان سالم وبينهما جبل فعدل عنه محفلا وذهب له تلك الليلة الف مملوك مع كل واحد عشرة آلاف ثم سلك على فارس وقدم على يزيد فقال له أين المال قال كنت صاحب ثغر اقسام ما أصيب به الناس ولما ولي يزيد سلم بن زياد على خراسان كتب له الى عبيد الله بن زياد/ بانتخاب ألفى رجل وقيل ستة آلاف ورغب اناس في الجهاد فطلبوا الخروج وشخص معه عمران بن الفضيل البرجمي وعبد الله بن حازم السلمي وطلحة بن عبيد الله بن خلف الخزاعي والمهلب ابن أبي صفرة وحنظلة بن عرادة ويحيى بن يعمر العدواني وصلة بن اشيم العدوي ولما قدم على خراسان خرج للغزو فعبى النهر وهو أول من عبره وكانت مدينة للعجم من وراء خوارزم يجتمع بها ملوك العجم عند انصراف المغازي عنهم فيتشاورون في أمورهم ويتعاقدون على الاجتماع لعدوهم فاستأذنه المهلب بن أبي صفرة في غزوها فأذن له ولم يكن الأمراء قبله يأذنون لأحد في ذلك فسار اليها المهلب في ستة آلاف وقيل اربعة فحاصروهم حتى صالحوه على نيف وعشرين الف الف وبعث جيشا الى خجنده فصالحوه وقاتل أهل خوارزم وسمرقند فصالحوه ثم جاء الخبر عن أخيه يزيد بسجستان أن أهل كابل انتقضوا عليه وأسرُوا أخاه أبا عبيدة وأنه سار اليهم فهزموه فبعث سلم طلحة بن عبيد الله بن خلف الخزاعي وهو طلحة الطلحات عاملا على سجستان ففدى أبا عبيدة بن زياد بخمس مائة الف درهم ونزل سجستان فجبى المال وأكرم الوفود ومات بسجستان واستخلف رجلا من بني يشكر فأخرجته المضرية ووقعبت العصبية فطمع فيهم رتبيل ملك الترك وانما سمي طلحة الطلحات لأنه كان أجود الكرماء المسمين بطلحة وهم معروفون منهم الفياض وطلحة الجواد وطلحة الخير وغيرهم .

ولاية الوليد بن عتبة على الحجاز وعزل عمرو بن ربيعة

ولما قتل الحسين وبلغ خبره الى مكة قام ابن الزبير في الناس فخطبهم وعظم قتل الحسين وعاب من تولاه أو أمر به وترحم عليه ولعن قاتله وتعرض ليزيد بسماع الغناء والحداء وشرب الخمر وطلاب الصيد وقد كان ببيع سرا وأظهر أنه عائد بالبيت فقال له أصحابه أظهر بيعتك فلم يبق بعد الحسين من ينازعك فقال لاتعجلوا وبلغ الخبر الى يزيد بأمره فحلف ليؤتين اليه به في جامعة فصنع جامعته من فضة وبعث بها اليه لتبر يمينه فامتنع من رسله ورجعوا الى يزيد فأغراه بنو أمية بعمرو بن سعيد العامل بالحجاز وقالوا لو أراد لبعث به اليك فعزله وولى مكانه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فسار الى الحجاز ولحق عمرو بيزيد وبين له مكايده ابن الزبير فعذره وأقام الوليد يحاول غره ابن الزبير فيجده مستحذرا ممتنعا ثم كتب ابن الزبير الى يزيد/ بعثت الوليد بأنه أخرج لايتجه لرشد ولايرعوى لعظة فابعث رجلا سهل الخلق أن يسهل به من الأمور مااستوعر ويجتمع به ماافترق فعزل الوليد وولى عثمان بن محمد بن أبي سفيان .

خلع أهل المدينة يزيد ووقعة الحرة وحصار مكة

لما ولى عثمان بن محمد بن أبي سفيان على أهل الحجاز سنة ثنتين وستين بعث الى يزيد وفدا من أهل المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة الغسيل وعبد الله بن عمرو بن أبي حفص بن المغيرة والمنذر بن الزبير ورجال من أشرف أهل المدينة فأكرمهم يزيد وأجازهم بمائة الف درهم لكل واحد منهم واستأذنه المنذر في القدوم على ابن زياد بالعراق فأذن له ورجع الوفد الى المدينة فقاموا بمعايب يزيد فقالوا يشرب الخمر ويضرب بالطناير ويلعب بالكلاب ويسمر عنده الحراب واللصوص فنكر الناس شأنه وبايعوا عبد الله ابن حنظلة الغسيل على خلعه وبلغ الخبر الى يزيد فبعث الى ابن زياد بحبس

المنذر وكان صديقا له ولأبيه فكره ذلك وأذن له في الانصراف الى بلده فقدم المدينة وعاب يزيد أعظم من الأولين وحرّض الناس عليه فبعث يزيد النعمان بن بشير الى المدينة لردّهم عما كانوا فيه من الانتقاض فأتاهم وخوفهم الفتنة وقال لاطاقة لكم بأهل الشام فقال له عبد الله بن مطيع يانعمان تفرق جماعتنا وتفسد ماأصلح الله من أمرنا فقال له النعمان والله لكأنى بك لو نزلت بك الجموع ودارت الحرب ركبت بغلتك الى مكة وتركت هؤلاء المساكين يعنى الأنصار يقتلون فى سككهم ومساجدهم وعلى أبواب دورهم فعصاه الناس وانصرف الى يزيد فلما كان سنة ثلاث وستين وقد بايعوا لعبد الله بن الغسيل على خلع يزيد أخرجوا عثمان بن محمد بن أبى سفيان عامل يزيد عليهم فاجتمع له بنو أمية ومواليهم فى الف رجل وامتنعوا بدار مروان بن الحكم وكتبوا الى يزيد يستجيشون فأمر عمرو بن سعيد أن يسير اليهم فى الناس فأبى وقال كنت قد ضبطت البلاد والآل تهراق الدماء بالصعيد فبعث الى عبيد الله بن زياد بالمسير الى المدينة وحصار ابن الزبير بمكة فأعظم غزو الكعبة مع ماكان من قتله الحسين فأبى واعتذر فبعث الى مسلم بن عقبة المرى وأخبره خبر بنى أمية فقال أما يكونون الف رجل فقال الرسول بلى قال فما استطاعوا القتال/ساعة من نهار هؤلاء أذلاء دعوهم حتى يجهدوا أنفسهم فى حصار عدوهم فقال يزيد ويحك لاخير فى العيش بعدهم فاخرج بالناس ويقال أن معاوية أوصاه ان حدث بك حدث من أهل المدينة فأرسل مسلم بن عقبة فتجهز مسلم ونادى بالعطاء ومعونة مائة دينار فاجتمع له اثنا عشر ألفا فسار بهم الى الحجاز وقال له ادع القوم ثلاثا قبل القتال واذا ظهرت فاجها ثلاثا بما فيها من مال ورثه^(١) وطعام وسلاح فهو للجند واكفف عنهم بعد الثلاث وان حدث بك حدث فاستخلف الحصين بن نمير السكونى واستوص بعلى بن الحسين خيرا فقد أتانى كتابه ولم يدخل مع الناس وقد كان مروان بن الحكم لما أصاب بنى أمية من أهل المدينة

(١) هكذا بالأصل . وعند ابن الأثير "دابة" . ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٤ ،

ماأصابهم رغب الى على بن الحسين أن يكون حرمه مع حرمه فأجابه وخرج
 بحرمه وحرم مروان وفيهم عائشة بنت عثمان الى ينبع وقيل بل بعثهم مع
 ابنه عبد الله الى الطائف ثم سار مسلم بالجيش وبلغ أهل المدينة خبره فاشتد
 حصارهم لبني أمية بدار مروان حتى أنزلوهم على أن يخرجوا الى الشام
 ولا يظاهروا عليهم ولا يدلوا على عوراتهم وبعث أهل المدينة الى الموارد
 بينهم وبين الشام فألقوا فيها القطران فأرسل الله المطر بالسمااء واستغنى
 العسكر عن الموارد ولقى بنو أمية مسلم بن عقبة بوادي القرى فسأل عمرو
 ابن عثمان بن عفان واستشاره فقال أخذوا علينا العهد أن لاندل على عورة
 فقال لولا انك ابن عثمان لضربت عنقك ولا أقبل منها قرشيا بعدك ثم
 استدعى مروان بعده فقال لابنه عبد الملك ادخل قبلى لعله يجتري بك فدخل
 فقال هات ما عندك قال أرى أن تسير الى أدنى نخلها ثم تترج (١) فاذا
 أصبحت تركت المدينة ذات اليسار ومضيت حتى تأتيهم من قبل الحرة مشرقا
 ثم تستقبل القوم فاذا أشرقت الشمس كانت في ظهوركم ووجوههم ويرون
 من أشعة سلاحكم مالاترونها ويتأذون بشعاع الشمس ولا تتأذون ثم قاتلهم .
 فقال له مسلم لله أبوك أى أموى ولدك!! ثم دخل مروان وقال اذا لقيت
 عبد الملك فقد لقيتني فقال ما كلمت من رجال قريش مثله ثم ارتحل وعمل
 برأى عبد الملك وأتاهم من قبل الشرق ثم دعاهم وقال أنتم أصل أمير
 المؤمنين وأنا أكره اراقة دمائكم واني أوجلكم ثلاثا فان راجعتم الحق/قبلت
 وسرت الى مكة وان أبيتم كنت قد أعذرت ولما مضت الثلاث قال ماتصنعون
 يا أهل المدينة قالوا نحارب فلاطفهم في الطاعة لينصرف الى مكة فقالوا
 لاندعك تأتى بيت الله وتلحد فيه وتستحل حرمة وكانوا قد خندقوا على
 أنفسهم وكان عبد الرحمن بن مطيع في قريش على ربع وعبد الرحمن بن
 أزهر بن عبد عوف على ربع ومعقل بن سنان الاشجعي في المهاجرين على
 ربع وأمير جماعتهم عبد الله بن الغسيل على الأنصار فى اعظم تلك الأرباع

(١) هكذا بالأصل والمقصود تستريح والله أعلم .

وصمد مسلم في العساكر فانكشفت وانتهت أهل المدينة من كل جانب ثم حمل ابن الغسيل فانكشفت العساكر وانتهت الى مسلم فنهض في وجوههم بالرجال واشتد القتال ثم جاء الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب لابن الغسيل فقاتل معه ثم انتقى الشجعان يريد قتل مسلم فحمل على أهل الشام فانفرجوا وجثت الرجال أمامه على الركب ومضى نحو راية مسلم فقتل صاحبها يظنه مسلم بن عقبة فأخذ مسلم رايته وسار وشدت الرجال أمامه فصرع الفضل بن عباس وقتل معه زيد بن عبد الرحمن بن عوف وتقدمت خيل مسلم الى ابن الغسيل حتى دنا بعضهم من بعض واستمات أهل المدينة حتى قتل الكثير منهم وقتل عبد الله بن الغسيل ومعه أخوه لأمه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس وعبد الله بن زيد بن عاصم ومحمد بن عمرو بن حزم وابلا محمد بن سعد بن أبي وقاص ثم انهزم الناس وأباح مسلم المدينة ثلاثا للقتل والنهب وأفزع ذلك الصحابة الذين بها وخرج أبو سعيد الخدري ليأوى الى كهف في الجبل فاعترضه رجل من العسكر ليقتله فعرفه بنفسه فتركه ويقال أن مسلما لما حارب أهل المدينة ووقف ابن الغسيل والناس لقتاله خالفهم بنوا حارثة من الأنصار وأدخلوا أهل الشام من ناحيتهم فانهزم الناس وكان من هلك في الخندق أكثر ممن قتل ثم دعا مسلم الناس الى بيعة يزيد على أنهم خول له يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم بما شاء ومن امتنع قتله وجيء بعد يوم بيزيد بن عبد الله بن زمعة بن الأسود ومحمد بن أبي الجهم بن حذيفة فقالا نبايع على الكتاب والسنة فقتلها وأنكر عليه مروان قتل قرشيين على أمان فطعنه بالقضيب في خاصرته وقال والله لو أنت قلتها لقتلتك ثم جىء بمعقل بن سنان فقال له والله لاقتلنك/فناشده الله والرحم فقال ماأنت لقيتني بطبرية ليلة انصرف وفدكم من عند يزيد فاثبت عليه شرا وقلت نرجع الى المدينة فنخلع هذا الفاسق بن الفاسق ونبايع لرجل من أبناء المهاجرين واني آليت لألقاك بحيث أقدر على قتلك الا قتلتك ثم أمر به فقتل وجىء بيزيد بن وهب فقال أبايع على سنة عمر فقتله وشفع فيه مروان لصهر بينهما فلم يشفعه ثم جاء على بن الحسين

بين مروان وعبد الملك وجلس بينهما فقال تبيئني بين هذين لتأمن عندي والله لو كان الامر اليهما لقتلتك وانما أمير المؤمنين أوصاني بك وأخبرني انك كاتبته ثم اجلسه معه على السرير وقال لعل أهلك فزعوا فقال نعم فردّه الى بيته على دابته ولم يلزمه البيعة كما ألزم أهل المدينة ثم أحضر على بن عبد الله بن عباس للبيعة وكانت أمه كندية فقال الحصين بن غير لانبايع ابن أختنا الأمثل ما بايع على بن الحسين فتركه ثم جاء عمرو بن عثمان بن عفان ولم يكن خرج مع بني أمية فقال هذا الخبيث ابن الطيب وأمر به فتنفت لحيته وكان ممن قتل في الحرة زيد بن عاصم الأنصاري وعبيد الله بن عبد الله بن وهب ووهب بن عبد الله بن زمعة وعبد الله بن عبد الرحمن بن حاطب والزبير بن عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وكانت لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين وأتى خبر الواقعة لابن الزبير مع المسور بن مخرمة فاستعد هو وأصحابه وعرفوا أن مسلم بن عقبة نازل بهم ثم استخلف مسلم على المدينة روح بن زنباع الجذامي وقيل عمرو بن محرز الأشجعي وشخص الى مكة لقتال ابن الزبير فمات بالمشلل وقيل بثنيه هرشي وأوصى الحصين بن غير فقال يابردة الحمار لو كان الأمر الى ماوليتك هذا الجند لكن أمير المؤمنين ولاك فأسرع السير وعجل المناجزة ولا تمكن قرشيا من اذنك ثم مات وسار الحصين بالناس وقدم مكة لأربع بقين من المحرم وقد بايع أهلها وأهل الحجاز لعبد الله بن الزبير واجتمعوا عليه ولحق به فل أهل المدينة وقدم عليه نجده بن عامر الحنفى فى الخوارج لمنع البيت وخرج ابن الزبير للقاء أهل الشام فقتل أخوه المنذر فى البراز ثم انكشفوا أمام أهل الشام وعثرت البغلة بعبد الله فزل واجتمع اليه المسور بن مخرمة ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف / وجماعة من أصحابه فقتلوا جميعا وصابروهم ابن الزبير الى الليل ثم انصرفوا وأقاموا يقاتلونه شهرا وبعض شهر فاحترق البيت يقال قذفوه بالنار فى المجانيق ويقال كان أصحاب ابن الزبير يوقدون حول الكعبة فعلفت شررة منها بثياب الكعبة واحترق خشب البيت والاول أصح لأن البخارى ذكر فى

صحيحه أن ابن الزبير لما احترقت الكعبة تركها ليراها الناس محترقة فيجرئهم على أهل الشام ثم لم يزل العسكر محاصرا لابن الزبير حتى جاءهم نعي يزيد الأول ربيع الثاني .

وفاة يزيد وبيعة معاوية ابنه ومهلكه

ثم مات يزيد منتصف ربيع الأول سنة أربع وستين وبويع بعده ابنه معاوية فمكث ثلاثة أشهر ثم خطب الناس وقال انى ضعفت عن أمركم وطلبت لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه أبوبكر فلم أجده فطلبت ستة مثل أهل الشورى فلم أجدهم فأنتم أولى بأمركم اختاروا له ودخل منزله فمات ويقال مسموما وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبى سفيان وهلك ليومه بالطاعون وقيل ان معاوية بن يزيد أوصى الضحاك بن قيس أن يصلى بالناس حتى يجتمع الناس على امام .

اظهار ابن الزبير البيعة

ولما هلك يزيد بلغ الخبر عبد الله بن الزبير بمكة قبل أن يعلم الحصين بن نمير ومن معه وكان حصارهم قد اشتد فناداهم ابن الزبير وأهل مكة علام تقاتلون وقد هلك صاحبكم فلم يصدقوه فلما بلغ الحصين موته بعث الى ابن الزبير وواعده الابطح ليلا فالتقيا فقال له الحصين هلم نبايعك فأنت أحق وهذا الجند الذين معى هم وجوه أهل الشام وفرسانهم واخرج معنا فلايختلف عليك اثنان على أن تؤمن الناس وتهدر لهم ماأصابوا من الدماء فأبى من اهدارها وكان الحصين يكلمه سرا وهو يجهر ويقول والله لأفعل فقال الحصين قبح الله من يعدك بعد هذا داهيه ثم ارتحل الى المدينة وراجع ابن الزبير رأيه فأرسل اليه للأسير الى الشام ولكن بايعوا لى هناك وأنا مؤمنكم فقال الحصين لايتم الا بحضورك فهناك بنو أمية يطلبون الأمر ومر

الحصين بالمدينة فكانوا يخيفون عسكره وهم حذرون منهم الى أن بعدوا ثم وصلوا الى دمشق .

انتقاض أمر ابن زياد ورجوعه الى الشام

لما جاء الخبر الى ابن زياد بالبصرة بمهلك يزيد بن معاوية ثم معاوية ابنه واختلاف الناس / بالشام جمع الناس فعنى يزيد وثلبه فنهاه الأحنف ثم تطف لأهل البصرة وقرر وسائله اليهم بالمهاجرة والمولد وحسن الآثار في الجباية والعسكر واصلا السابلة وكف الأذى وأعلمهم باختلاف الناس بالشام بعد يزيد وقال أنتم أعز الناس وأغناهم عن الناس وأوسعهم بلادا فاختاروا من تولونه وأنا أول راض به فقال أهل البصرة هلم فلنبايعك فأبى ثم ألحوا عليه ثلاثا فأجاب وبايعوه ثم انصرفوا وتناجوا ومسحوا أيديهم بالحيطان وقالوا يظن ابن مرجانة اننا ننقاد له في الجماعة والفرقة ولما بايعوه أرسل الى أهل الكوفة يعلمهم ببيعة أهل البصرة ويدعوهم اليها وكان خليفته على الكوفة عمرو بن حريث فجمع الناس وذكر لهم رسوله ذلك فقام يزيد بن الحرث بن رويم الشيباني فقال الحمد لله الذي أراحنا من ابن سمية لانبايعه وحصبه ثم تبعه الناس وحصبوه ورجع بالخبر الى ابن زياد فبدا لأهل البصرة في بيعته وضعف سلطانه وأقام لاتنفذ أوامره ويحال بين أعوانه وبين الخصوم اذا سحبوهم ثم جاء الى البصرة سلمه بن ذويب التميمي الحضرمي فنصب لواء في السوق ودعا لابن الزبير فبايعه ناس وأتى الخبر ابن زياد فجمع الناس وقال بلغني أنكم مسحتم أيديكم بالحيطان وقلتم ماقلتم ، وأنا الآن ترد أوامري ويحال بين أعواني وبين طلبتي هذا سلمه بن ذويب يدعوكم الى الخلاف فيجيبه منك مجيبون فقال الأحنف والله نحن نأتيك بسلمة وخرجوا ليأتوه به فاذا جمعه قد كثف والخرق قد اتسع فقعدوا عن ابن زياد ولم يرجعوا اليه فدعاهمقاتلة السلطان ليقاتلوا معه فقالوا ان اذن قوادنا في ذلك وقال له اخوته وأصحابه ليس لنا خليفة نقاتل عنه وان كانت علينا

هلكنا وهلكت أموالنا فعند ذلك أرسل الحرث بن قيس من بنى جهضم بن جذيمة بن ملك بن فهم من الأزد وقال ان أبى أوصانى بك ان أصابنى الدهر بشىء فعدد عليه قلة المكافأة منه ومن أبيه وأقام عنده الى الليل ثم اردفه خلفه وخرج به وفرق ابن زياد على مواليه الكثير مما كان فى بيت المال وهو تسعة عشر ألف ألف مرتين وسار به الحرث والناس يتحارسون خوفا من الحرورية ويمر بالناس فيسألونه فيقول أنا الحرث بن قيس الى أن أنزله بداره فى الجهاضم فأثنى عليه ابن زياد وقال له / اذهب بنا الى مسعود بن عمرو فقد علمت شرفه فى الأزد وطاعتهم له فأكون فى داره والا فرق عليك أمر قومك فجاء الى مسعود فتطير من ابن زياد ومازال الحرث يلاطفه حتى سكن وقال له افتخرجه من بيتك بعدما دخله فجعله فى بيت أخيه عبد الغافر بن عمر ثم ركب هو والحرث وجماعة من قومه فطافوا فى الأزد وقالوا لهم ابن زياد فقد ولانأمن أن يتهمونا به فأصبحوا فى السلاح وقيل ان الحرث لم يلق مسعود بن عمرو وانما جاء بعبد الله ومعه مائة ألف وأتى بها امرأة مسعود وطلب منها الجوار لابن زياد بأن تلبسه ثياب مسعود فلما جاء مسعود تلطفوا به حتى رضى وأصبح الناس فى البصرة بغير أمير ثم دفعوا رايتهم الى قيس بن الهيثم السلمى وكان أمويا والى النعمان بن سفيان الراسبي وكان هاشميا يؤمران عليهم من يختارانه فقدم النعمان عليهم عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب ويلقب به فرضيه الناس وبايعوه وأنزلوه بدار الامارة فى جمادى الآخرة سنة أربع وستين ثم أنفق ابن زياد أموالا فى جمع ربيعة والأزد واتفقوا على أن يرد ابن زياد الى امارته وركبوا لذلك وتركوا ابن زياد فى حيههم وبعث مواليه معهم وجاء مسعود فدخل المسجد وصعد المنبر وأخبر الأمير عبد الله بن الحرث بذلك وقيل له اركب فى بنى تميم واصلح بين الناس فأبى وجاء بنو تميم الى الأحنف ليركبوه فتعلل ولم يركب ثم اركب عباد بن حصين وطلق من بنى عمرو بن تميم وعبس بن طلق ابن سعد بن زيد مناه ومسعود يخطب فاستنزلوه وقتلوه ثم قتلوا مالك ابن مسمع ببيته وهرب عبيد الله بن زياد فلحق بالشام ولزم عبد الله بن

الحرث بيته وكتب أهل البصرة الى ابن الزبير فكتب الى أنس بن مالك يصلى بهم حتى بعث عمر بن عبيد الله بن معمر بعد ثلاثة أشهر فحبس عبد الله ابن الحرث فأقام عمر في ولايتها شهرا ثم جاء الحرث بن عبيد الله بن أبي ربيعة المخزومي من قبل ابن الزبير ويلقب القباع وفي أيامه سار نافع بن الأزرق من البصرة الى الأهواز وأما الكوفة فلما طرد يزيد بن الحرث بن رويم رسول ابن زياد اجتمع أهل الكوفة على عمرو بن سعد بن أبي وقاص ثم عزلوه واجتمعوا على عامر بن مسعود بن أمية بن خلف بن حذافة الجمحي وكتبوا بذلك الى ابن الزبير فأقره وأقام عاملا على الكوفة وبلغه انتقاض أهل الرى فبعث محمد بن عمير بن عطار التميمي فهزمه أهل الرى فبعث اليهم عتاب بن ورقاء التميمي فهزمهم وقتل أميرهم الفرحان ثم قدم الكوفة من قبل ابن الزبير عبد الله بن زيد الخطمي على الصلاة وابراهيم بن طلحة على الخراج واستعمل محمد بن الأشعث بن قيس على الموصل فاجتمع لابن الزبير أهل البصرة وأهل الكوفة ومن بالقبلة من العرب وأهل الجزيرة وأهل الأردن .

بيعة مروان ووقعة مرج راهط

ولما بويع ابن الزبير بمكة بيعته الظاهرة ولى على مصر عبد الرحمن بن جحدر الفهري وعلى المدينة عبيدة بن الزبير وأخرج بنى أمية فلاحقوا بالشام وفيهم مروان بن الحكم فأقام هنالك ومر به الحصين بن نمير مرجعه من مكة بعد موت يزيد فأخبره بما دار بينه وبين ابن الزبير وحرص بنى أمية على طلب الأمر وكان رأى مروان أن يسير الى ابن الزبير فيبايع له بالخلافة فقدم ابن زياد من العراق حين انتقضوا عليه وأخرجوه فسفه رأى مروان في ذلك وحثه على طلب الأمر لنفسه فقام لذلك وسار الى دمشق والضحاك بن قيس يومئذ قد بايعه أهلها على الصلاة بهم حتى يجتمع الناس على امام وهواه مع ابن الزبير وهو يدعوا له في السر وزفر بن الحرث الكلبي بقنسرين على مثل

رأيه والنعمان بن بشير بحمص كذلك وكان بفلسطين حسان بن مالك بن
بجدل الكلبي عامل معاوية وابنه وهواه في بني أمية فسار الى الأردن
واستخلف على فلسطين روح بن زنباع فأخرجه ناتل بن قيس^(١) وبائع لابن
الزبير وبائع أهل الأردن حسان بن مالك على أن يجنبهم بيعة خالد وعبد
الله ابني يزيد لصغرهما وكتب حسان الى الضحاك يعظم حق بني أمية ويذم
ابن الزبير بالفتنة وخلع الأئمة وكتب مع الرسول نسخة كتابه وقال ان لم
يقرأ الضحاك على الناس والا فاقراً أنت هذا عليهم فلما دفع الكتاب الى
الضحاك حبسه وصعد المنبر فلم يقرأه فقرأ الرسول نسخته على الناس
فاضطربوا بين مصدق لحسان ومكذب وتشاقموا ثم سكتوا وقضى الضحاك
صلاة الجمعة ودخل القصر ثم خرج الى المسجد واختلفت قبائل قيس
وكلب قيس تدعوا لابن الزبير ونصره الضحاك وكلب تدعوا الى بني أمية
وهم أخوال عبد الله وخالد/ابني يزيد فاقتتلوا ثم افرقوا من يومهم وبعث
الضحاك الى بني أمية يعتذر اليهم ويواعدهم الاجتماع بحسان بن بجدل
بالجابية وكتبوا اليه جميعاً بذلك وساروا نحو الجابية ثم ثناه ثور بن معن
السلمي عن رأيه في ذلك خشية أن يميل حسان الى ابن أختهم خالد بن
يزيد وأشار عليه بالدعاء لابن الزبير فرجع الضحاك ونزل مرج راهط
 واجتمع بنو أمية وحسان بالجابية وأقام يصلي بهم أربعين يوماً وهم
يشتورون وأشار مالك بن هبيرة السكوني على الحصين بن نمير ببيعة خالد لأن
أباه يزيد ابن أختهم فأبى الحصين وقال تأتينا العرب بشيخ ونأتيها بصبي
فقال له مالك والله لئن ولي مروان لتكونن عبيدا له ولقومه فانه أبو عشرة
وأخو عشرة وعم عشرة ثم قام روح بن زنباع فخطب الناس وذكر فضل
ابن عمر وسابقتة وأشار الى ضعفه ثم ذكر ابن الزبير وأثنى عليه بأبيه وأمه
ثم ذكر دخوله في الفتنة وسفك الدماء وشق العصا وخلع الأئمة ومثل هذا

(١) فراغ في الأصل مع أن الكلام متصل كما هو عند ابن الأثير .

ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ١٤٦ .

لا يكون اماما فعليكم مروان بن الحكم فلا يكون صدع الا شعبه ولا تعدلوا عن الكبير الى الصغير ثم أجمع رأيهم على البيعة لمروان ثم لخالد بن يزيد ثم لعمر بن سعيد بن العاص على أن امرة دمشق لعمر بن و امرة حمص لخالد وقال حسان لخالد ان الناس أبوك لصغرك وما أريد الا أهل بيتك لكن فعلته نظرا لكم ثم بايعوا مروان أول ذى القعدة سنة أربع وستين وسار الناس من الجابية الى الضحاك وقد بعث الى النعمان بن بشير بجمص فأمدّه بشرحبيل بن ذى الكلاع وأمدّه زفر بن الحرث بأهل قنسرين وناقل بن قيس بأهل فلسطين فاجتمع على مروان كلب وغسان والسكاسك والسكون وجعل على ميمنته عمرو بن سعيد وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد وثار على الضحاك بدمشق يزيد بن أبي النمش الغساني فأخرج عنها عامله وباع مروان وأمدّه بالأموال والرجال والسلاح واقتتل مروان والضحاك بمرج راهط عشرين ليلة ثم انهزم الضحاك وقتله دحية بن عبد الله الكلبي وقتل معه في المعركة ثمانون من أشراف أهل الشام واستلحمت قيس بالقتل وكانت الواقعة آخر سنة أربع وستين وقيل في المحرم من سنة خمس وأتى مروان برأس الضحاك فساءه وبلغ خبر الهزيمة الى النعمان بن بشير بجمص مع الفل فخرج هاربا منها بأهله وبيته/ وخرج في طلبه عمرو بن الخلى الكلاعى فقتله وجاء برأسه وهرب زفر بن الحرث من قنسرين فلاحق بقرقيسيا وعليها عياض الحرشى كان يزيد ولاه فخدعه وغلبه عليها وتحصن بها واجتمعت اليه قيس وهرب ناقل بن قيس الجذامى عن فلسطين ولحق بابن الزبير بمكة واستعمل مروان بعده على فلسطين روح بن زنباع واستوثق الشام لمروان وتزوج أم خالد بن يزيد وقيل ان عبيد الله بن زياد انما جاء الى بنى أمية بتدمر ومروان مجمع على المسير لابن الزبير فثناه عن ذلك وأخذ له البيعة على بنى أمية وأهل تدمر وساروا الى الضحاك فهزموه فلما ملك مروان الشام سار الى مصر وعليها عبد الرحمن بن جحدر الفهرى يدعوا لابن الزبير فخرج للقاءه وبعث مروان عمرو بن سعيد فخالف عبد الرحمن الى مصر فرجع وانتقض أمره وباع الناس مروان وملك مصر ورجع الى دمشق فبلغه أن مصعب بن

الزبير أقبل في الجيوش فبعث اليه عمرو بن سعيد وحال بينه وبين الشام وانهزم مصعب ورجع مروان الى دمشق فاستقر بها وبعث عبيد الله بن زياد الى الجزيرة واذا فرغ منها سار الى العراق وبعث حبيش بن دجلة القيني الى المدينة وعليها جابر بن الأسود بن عوف لعبد الله بن الزبير فهرب البصرة للقاء حبيش فسار اليهم وبعث عبد الله بن الزبير عباس بن سهل بن سعد أميرا على المدينة ويسير في طلب حبيش حتى يوافي عسكر البصرة فلحقهم بالربذة وقتل حبيش واعتصم من عسكره بالمدينة خمسمائة فارس فقتلهم عباس وكان مع حبيش الحجاج وأبوه يوسف بن الحكم على جمل واحد وكان عمرو بن سعيد لما رجع من قتال مصعب بفلسطين نهى عنه الى مروان انه يقول الأمر لي من بعده فشكا ذلك الى حسان بن مجدل فقام في الناس وقال بلغنا أن رجالا يتمنون أمانى قوموا فبايعوا لعبد الملك وعبد العزيز فبايعوا من عند آخرهم وولى ابن الزبير أخاه عبد الله على المدينة ثم عزله وولى مصعبا .

انتقاض خراسان على سلم بن زياد واستقرارها لابن خازم

ولما بلغ الخبر بموت يزيد الى خراسان دعا سلم بن زياد الناس الى البيعة على الرضى يستقيم الناس على خليفة فبايعوه ثم نكثوا بعد شهرين وكان محسنا مجيبا فخرج عنهم واستخلف المهلب بن أبي صفرة ولقيه سليمان بن مرثد/من بنى قيس بن ثعلبة بن ربيعة فعذله على ولاية الأزد واليمن والعدول عن نزار فولاه مرو والروذ والفارياب والطالقان والجوزجان وولى اوس بن ثعلبة بن زفر هراه ثم لقيه عبد الله بن خازم السلمى بنيسابور عذله فى ولاية الأزد وربيعة والعدول عن مضر فكتب له بالعهد على خراسان وأعطاه مائة ألف درهم وسار ابن خازم الى مرو وبلغ خبره المهلب فخرج عنها الى العراق واستخلف رجلا من تميم فلما وصل ابن خازم قاتله فغلبه على مرو ومات التميمي من جراحة أصابته ثم سار الى مرو الروذ فقاتله

سليمان وغلبه ابن خازم وقتله ثم سار الى الطالقان وبها عمرو بن مرثد أخو سليمان فهزمه وقتله ولحق أصحابه بأوس بن ثعلبة في هراه واجتمع اليهم من كان بخراسان من بكر بن وائل ورجع ابن خازم الى مرو ثم سار الى هراه فخرج أوس وبكر بن وائل وخندقوا على أنفسهم وقتلهم ابن خازم سنة ثم هزمهم وقتلهم قتلا ذريعا نحو من ثمانية آلاف وهرب أوس الى سجستان فهلك بها وغلب ابن خازم على هراه واستعمل عليها ابنه محمدا وعلى شرطته بكير بن وشاح الثقفي ورجع الى مرو .

مفارقة الخوارج لابن الزبير

كان الخوارج عند اشتداد ابن زياد عليهم بالكوفة ومسير العساكر من الشام الى ابن الزبير قال لهم نافع بن الأزرق منهم سيروا بنا الى ابن الزبير نجاهد معه ان كان على رأينا والا ندافع عن البيت فجاءوا اليه وقاتلوا معه أهل الشام ثم أرادوا اختبار رأيهم فسألوه وقال ائتنوني من الغداه وجمع أصحابه بالسلاح فلما جاءوا من الغد ونظروا اليهم قال لهم ابن الأزرق ان الرجل مزعج خلافكم ثم قال له عبيده بن هلال من الخوارج ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم يدعو الى الدين فأجابه المسلمون وعمل فيهم بكتاب الله حتى قبضه الله واستخلف أبو بكر وعمر وعمرلا بالكتاب والسنة ثم استخلف عثمان فحما الاحما واثر القربى ورفع الدرة ووضع السوط ومزق الكتاب وضرب منكري الجور وأوى طريد الرسول وضرب السابقين بالفضل وحرّمهم وأخذ فيء الله الذي أفاءه عليهم فقسمه في فساق قريش ومجان العرب فسارت اليه طائفة فقتلوه فنحن أولياءهم ومن ابن عفان وأوليائه براء فما تقول أنت فقال ابن الزبير أما الذي ذكرت به النبي صلى الله عليه وسلم فهو فوقه وما ذكرت به /أبا بكر وعمر فقد وفقتم وأصبتم وفهمت الذي ذكرت به عثمان ولا أعلم أحدا من خلق الله اليوم أعلم بعثمان وأمره مني نعموا عليه واستعتبوه فلم يدع شيئا الا أعتبهم ثم

جاؤوه بكتاب له يأمر بقتلهم يزعمون أنه كتبه فقال ماكتبته وان لم تكن بينة حلفت لكم فوالله ما جاءوا ببينة ولا استحلفوه ووثبوا عليه فقتلوه وأما ما عبتموه به فليس كذلك وأنا أشهدكم ومن حضر انى ولى ابن عفان وعدو أعدائه قالوا فبرىء الله منك وتفرقوا فأقبل نافع ابن الأزرق وعبد الله بن صفار وعبد الله بن اباض وحنظلة بن يهس وبنوا الماخور عبد الله وعبيد الله والزبير وهم من تميم حتى أتوا البصرة وانطلق أبو طالوت من بكر بن وائل وأبو فديك من قيس بن ثعلبة وعطية بن الأسود من يشكر فوثبوا بها مع أبي طالب^(١) ثم تركوه واجتمعوا على نجده بن عامر الحنفى وكان من خبرهم ما يذكر عند ذكر الخوارج .

خروج سليمان بن صرد فى التوابين من الشيعة

لما قتل الحسين ورجع ابن زياد الى الكوفة تلاوم الشيعة على ما أضعوه من أمر الحسين وانهم دعوه ثم لم ينصروه فندموا وقالوا لا كفارة لذلك الا قتل قاتليه أو الموت دون ذلك كما قال الله لبني اسرائيل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم واجتمعوا الى خمسة نفر من رؤوسهم سليمان بن صرد الخزاعى وكانت له صحبة والمسيب بن نجبة الفزارى وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي وعبد الله بن وال التميمى من تيم بكر ورفاعة بن شداد البجلي وكانوا من خيار أصحاب على واجتمعوا فى منزل سليمان بن صرد وتفاوضوا فى تلك الندامة واعترفوا بذنبهم واتفقوا على البيعة لسليمان بن صرد وطاعته وأخرجوا من أموالهم للنفقة على ذوى الخلعة من أشياعهم وجعلوا قبض ذلك ونفقته لعبد الله بن وال وكتب سليمان الى سعد بن حذيفة وهو بالمدائن بما اعتزموا عليه فقرأه سعد على من هنالك من الشيعة

(١) هكذا بالأصل والأصح أبو طالوت .

انظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٤ ، ص ١٦٧ .

فأجابوا بالموافقة والخروج عند الأجل الذى ضرب لهم وكانوا يدعون الى ذلك فى السر منذ مقتل الحسين والناس يجيبونهم نفرا بعد نفر ولما هلك يزيد دعا بعضهم الى الوثوب على عمرو بن حريث خليفة ابن زياد على الكوفة ثم رأوا أن الأمر لا يستتب لهم بذلك لأن قتلة الحسين هم جماعة الكوفة فاقصروا عن ذلك وبثوا الدعاة فى النواحي واستجاب لهم الناس ثم أخرج أهل / "ثم أخرج" (١) الكوفة عمرو بن حريث وبايعوا لابن الزبير وقدم عبد الله بن يزيد الخطى أميرا على الكوفة من قبله فى رمضان سنة ثلاث وستين ومعه ابراهيم بن محمد بن طلحة على الخراج والمختار بن أبى عبيد الثقفى وبلغ الى عبد الله بن يزيد الخطى خبر سليمان وأصحابه التوابين وأشير عليه بجسهم وخوف عاقبة أمرهم فقال نحن تاركوهم ما تركونا وهم يطلبون قتلة الحسين ولسنا منهم ثم خطب بمثل ذلك وقال والله ماقتلنا حسينا ولقد أصبنا بمقتله وهؤلاء القوم الذين رفع الينا أمرهم آمنون فليسيروا الى قاتلى الحسين وهو ابن زياد منها هو على جسر منبج وهو سائر اليكم فسيروا اليه وأنا ظهر لكم عليه ولا يقتل بعضكم بعضا فقام ابراهيم بن محمد بن طلحة فقال أيها الناس لا يغرنكم مقالة هذا المداهن والله من خرج علينا لنقتلنه ومن علمنا بخروجه لناخذن القريب بالقريب والولى بالولى والعريف بعرفته حتى تستقيم فوثب اليه ابن نجبه وعبد الله بن وال وأساوا عليه ثم تشاقوا ونزل الأمير عن المنبر وخرج أصحاب سليمان يشيرون (٢) السلاح ويتجهزون والمختار يسفه رأيهم فى ذلك ويرى أنه أبصر منهم .

وكان سبب قدوم المختار الكوفة أن الشيعة كانت تسب المختار بما كان منه فى أمر الحسن وإشارته على عمه بالمداخن أن يقبض عليه لمعاوية ولما جاء مسلم بن عقيل الى الكوفة نزل داره وبايعه ودعا له ثم جاء يوم خروجه من

(١) زيادة بالأصل وسياق المعنى الصحيح ثم أخرج أهل الكوفة عمرو بن حريث .

(٢) هكذا بالأصل وعند ابن الأثير "ينشرون" .

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٤ ، ص ١٦٥ .

قريته بظاهر الكوفة ففاته أمر ابن عقيل ووقع في يد ابن حريث فأمنه ثم رفع عمارة بن الوليد أمره الى عبيد الله فاعتذر بأنه كان مع ابن حريث وشهد له فضرب عبيد الله وجهه بقضيب شتر عينه وحبسه حتى قتل الحسين فبعث الى عبد الله بن عمران يشفع فيه الى ابن زياد وكان زوج أخته صفية بنت أبي عبيد فشفعه على أن لا يقيم بالكوفة فخرج الى الحجاز وسأل في طريقه عن ابن الزبير فقيل انه عائذ بالبيت ومبايع سرا ولو كثر جمعه لظهر فقال هذه فتنة فاعتزم المختار على الطلب بدم الحسين من يومئذ وقدم على ابن الزبير وأخبره خبر العراق ودعاه الى البيعة فكنم أمره عنه ففارقه وغاب بالطائف سنة ثم رجع الى مكة ولم يأت ابن الزبير وكان قد ظهر أمره فدرس عليه ابن الزبير عباس بن سهل بن سعد فلقيه وعذله على تأخره عن ابن الزبير وقال كنتم عني وأراني الاستغناء فاستغنيت عنه فحمله على لقائه معه / وحضرا عند ابن الزبير ليلا وقال أبايعك على أن لا يقضى أمرا دوني وأكون أول داخل وتوليئي أفضل عملك فقال ابن الزبير أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله فقال لا فبايعه ابن الزبير على ما أحب وشهد معه قتال الحصين بن نمير وأبلى فيه فلما هلك يزيد وأطاع أهل العراق ابن الزبير فاذا هو لا يستعمله وبلغه الخبر عن الشيعة بالكوفة ففارق ابن الزبير اليهم وقدم الكوفة فتزل بداره واختلفت اليه الشيعة وجاء رؤوس الناس من كندة وبنى هند وأخبروه بخبر سليمان بن صرد وأصحابه وانهم على المسير فقال ان ابن الزبير بعثني اليكم وأمرني بقتال الملحدين والطلب بدم أهل البيت والرفع عن الضعفاء فبايعوه وبعث الى الشيعة الذين عند سليمان بن صرد بمثل ذلك ودعاهم الى طاعته واستمالهم عن سليمان فمال اليه طائفة منهم وخرج سليمان نحو الجزيرة لشأنه وجاء الناس الى الأمير عبد الله بن يزيد الخطي وصاحبه ابراهيم بن محمد بن طلحة منهم شبت بن ربيع ويزيد بن الحرث بن رويم فقالوا لهما ان المختار يريد أن يشب عليكم وهو أشد من سليمان وجاءوا به فقال عبد الله ماكنت لآخذ أحدا على الظنة وتولى ابراهيم أمره وحبسه وقيل انما جاء المختار الى الكوفة بأمر ابن الزبير وانه قال له ابعثن

أستخرج لك جندا من شيعة على تقاتل بهم أهل الشام فبعثه حتى اذا اجتمع اليه الناس وثب على ابن مطيع عامل ابن الزبير بالكوفة وكتب اليه أنا بن مطيع داهن وراسل عبد الملك فأخرجته .

وأما سليمان بن صرد فخرج في ربيع سنة خمس وستين ونزل النخيلة ثم استقل عدد الناس وأرسل من نادى في الكوفة بشأر الحسين فجاء بعض وتناقل بعض والمختار يشبطهم فأقام بالنخيلة ثلاثا ثم سار في أربعة آلاف ونادى فيهم من أراد الدنيا ومتاعها في الفى والغنيمة فليرجع وليس معنا الا سيوفنا وزاد البلغة فوافقوه ثم أشار بعضهم بالرجوع الى الكوفة ومناجزة قتلة الحسين فأكثرهم هنالك فقال سليمان انما قتله الذى عبي الجنود اليه ومنعه الأمان حتى يستسلم وهو ابن زياد ومن بعده أهون منه ولحقه أميرا الكوفة عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد فعذلاه في المسير وأشار عليه بالرجوع حتى تجهز جميعا لهذا العدو فنلقاه بجمع كثيف وقد كان بلغهم اقبال عبيد الله بن زياد من الشام في الجنود فلم يوافقهما سليمان ولا أصحابه وساروا لوجههم وتخلف عنهم كثير من /أصحابهم ثم انتهوا الى قبر الحسين فصاحوا وبكوا وجددوا التوبة من خذلانه وأقاموا عنده يوما وليلة فزادهم ذلك حنقا وبلغهم كتاب عبد الله بن يزيد يشنيهم عن المسير فأبوا واستماتوا ثم انتهوا الى قرقيسيا على تعبئة وبها زفر بن الحرث الكلأى متحصنا من مروان وقومه ودخل اليه المسيب بن نجبه يطلبه في السوق لأصحابه فأمر ابنه الهذيل فأخرج لهم سوقا وبعث اليهم بعلف ودقيق وحرائر استغنوا بها عن السوق الا في غير الطعام وأعطى المسيب ألف درهم وفرسا فأخذ الفرس ورد المال ثم خرج زفر من الغداة يودعهم وأخبرهم بمن سار من الجنود اليهم وانهم عدد كبير وأن أمراءهم الحصين بن نمير وشرحبيل بن ذى الكلاع وأدهم بن محرز وجبله بن عبد الله الحثعمي وعبيد الله بن زياد فأقيموا معنا ونلقاهم جميعا فأبى سليمان وأصحابه من ذلك فأشار عليهم بوجه الرأى في المسير والحرب وودعهم فساروا مجددين الى عين الوردة فأقاموا بها خمسا وأراحوا حتى اذا كانت عساكر الشام على يوم وليلة عنهم خطبهم سليمان

ابن صرد وحرصهم وقال ان قتلت فأمير الناس المسيب بن نجبه فان قتل فعبد الله بن سعد بن نفيل فان قتل فعبد الله بن وال فان قتل فرفاعة بن شداد ثم سرح المسيب في أربعمئة فارس يشن عليهم الغارة فان رأى مأحب والا رجع فسار يومه وليلته وجاءه أصحابه بأعرابي فسأله عن العسكر فقال أدنى عسكر منهم شرحبيل بن ذى الكلاع على ميل وقد اختلف هو والحصين بن نمير في الامارة وهما ينتظران أمر ابن زياد فاغذوا اليهم السير وأشرفوا عليهم وهم غارون وحملوا فانهزم العسكر وغنم أصحاب المسيب ما فيه ورجعوا الى أصحابهم موفورين وسرح ابن زياد الحصين بن نمير مسرعا حتى نزل في اثني عشر ألفا ثم تراجعوا على التعبئة ولما دنا بعضهم من بعض دعاهم أهل الشام الى الجماعة على مروان ودعاهم أصحاب سليمان الى اسلام عبيد الله بن زياد اليهم وانهم يخرجون أصحاب ابن الزبير من العراق ويرد الأمر الى أهل البيت ثم اقتتلوا وكان الظهور لسليمان وأصحابه على الحصين وأمدته ابن زياد بثمانية آلاف فاقتتلوا من الغد على السواء وتحاجزوا عند المساء ولما أصبح أهل الشام أتاهم أدهم بن محرز الباهلي في عشرة آلاف مددا فقاتلوهم يوم الجمعة الى ارتفاع الضحى ولما رأى سليمان كثرتهم ومالقي أصحابه منهم كسر جفن سيفه واستمات واتبعه ناس منهم فقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة ثم قتل /سليمان وبعده المسيب بن نجبة بعد أن حمل مرارا وأخذ الراية عبد الله بن سعد بن نفيل فقاتل وجاءه وهو في القتال الخبر من عبد الله بن سعد بن حذيفة بمدد أهل المدائن في سبعين ومائة ومدد أهل البصرة مع المثنى بن مخزومة في ثلاثمئة فقال لو كان ذلك ونحن أحياء ثم قتل عبد الله بن سعد ونادوا عبد الله بن وال فاذا هو قد اصطلى الحرب فحمل رفاعة بن شداد حتى كشف عنه أهل الشام وجاء فأخذ الراية وقاتل واستماتوا وتولى قتالهم عند المساء أدهم بن محرز فقتل عبد الله بن وال وهو مقبل وأراد رفاعة بن شداد الانصراف بالناس فقال له بعض أصحابه لاتفعل حتى يغشانا الليل فنسير في دلجته على مهل فلما أمسوا رجع أهل الشام الى معسكرهم وأصحاب رفاعة الى

معسكرهم وقد قتل عامتهم وفشت الجراحة فيهم وفي خيلهم فسار بالناس ليلته وأصبح الحصين فلم يرهم وانتهوا الى قرقيسيا فأضافهم زفر ثلاثا وزودهم الى الكوفة وبلغ سعد بن حذيفة بن اليمان في أهل المدائن الى هيت فلقية خبرهم فرجع ولقيه المثنى بن مخزومة العبدى في أهل البصرة بصدد وأقاموا حتى جاء رفاعه وأصحابه فاستقبلوه وبكوا وافترقوا الى بلادهم ودخل رفاعه الكوفة وبعث اليه المختار بن أبى عبيد وهو محبوس يدعوه الى طاعته فى الطلب بدماء أهل البيت وجهاد المخلين وان سليمان لم يكن صاحبكم الذى تنصرون به وبلغ الخبر عبد الملك بن مروان بن الحكم فخطب الناس وأعلمهم بموت سليمان بن صرد وأصحابه .

وفاة مروان وبيعة عبد الملك

كان مروان عند ولايته تزوج أم خالد بن يزيد وهى بنت هاشم بن عتبة وأراد أن يقصر به بذلك لما كان حسان بن مجدل يميل اليه ودخل خالد يوما على مروان يمشى بين السماطين فقال مروان انه الأحمق تعال يا ابن الرطبة الاست يسقطه من عين أهل الشام فتوجع لأمه فقالت اكتم خبرك وأنا أكفيك ودخل عليها مروان فقال هل قال لك خالد شيئا قالت هو أشد لك تعظيما من هذا ثم نام عندها يوما فغطته بالوسادة فقتلته وأراد عبد الملك أن يثأر منها فقبل له لا يسمع أن امرأة قتلت أباك ولما توفى مروان بايع الناس لعبد الملك بعهد أبيه واجتمعوا عليه وبايع /له أخوه عبد العزيز بمصر.

فتنة خراسان

قد تقدم لنا كيف صارت لابن خازم وكيف أعانه بنو تميم على ربيعة فلما صفى له الأمر جفا بنو تميم وقد كان جعل ابنه محمدا على هراة وعلى شرطته بكير بن وشاح وضم اليه شماس بن ديار العطاردى وكانت أم محمد

تيمية فلما جفا ابن خازم بنى تيم أتوا بهراه فكتب الى ابنه محمد والى بكير وشماس بمنعهم عنها فخرج شماس وصار معهم ومنعهم بكير من هراه وبعث الى شماس بالأموال له ولبنى تيم على أن ينصرفوا فأبوا وأقاموا يترصدون محمدا حتى أخذوه وهو يتصيد فأوثقوه ثم اختلفوا فيه بين الابقاء والقتل ثم أمضوا قتله برجلين قتلها منهنم وولوا عليهم الحريش بن هلال وافتلوا الى مرو وحاربوا عبد الله بن خازم سنتين ثم دعاه الحريش الى المبارزة فتبارزوا وضرب الحريش ابن خازم على رأسه فقطع فروته وانقطع ركابا الحريش وافترقا ثم مل الفريقان وافترقوا وافترقت تيم على ثلاث فرق فرقة مع بجير بن ورقاء الى نيسابور وفرقة الى ناحية أخرى وفرقة مع الحريش الى مرو الروذ^(١)، ولحقه ابن خازم ببعض قراها وقد افترق عنه أصحابه وهو فى اثنى عشر رجلا وحمل عليه مولى لابن خازم فقتله الحريش وقال لابن خازم ماتريد منى وقد خليتك والبلاد ولاأعود فصالحه على ذلك وأعطاه ابن خازم أربعين ألفا وضمن له قضاء دينه وفتح له الحريش باب القصر فدخله ولجأت فرقة منهم الى بعض حصون خراسان فولوا أمرهم عثمان بن بشر المازنى وكانوا فرسان بنى تيم وشجعانهم فحاصروهم ابن خازم فى ستة آلاف وكان زهير بن ذؤيب شجاعا يسا^(٢) فحطم فيهم ورجع ثم يوما آخر كذلك ثم نزلوا بعد ذلك على حكمه وأشار عليهم زهيرا بأن لايفعلوا فلم يطيعوه فلما خرجوا قتل جميعهم وزهيرا معهم واستبقا ثلاثة منهم ثم رجع ابن خازم الى قتال بجير بن ورقاء التيمى الصريمى بنيسابور .

(١) هكذا بالأصل وعند ابن الأثير "مرو الروذ" .

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٤ ، ص ٢٠٩ .

(٢) هكذا بالأصل ولعل الكلمة فارسا .

وثوب المختار بالكوفة وأخباره

لما قتل سلميان بن صرد وقدم فل الشيعة الى الكوفة وكان المختار محبوسا كما مر كتب اليهم من السجن يعدهم ويمنيهم ويعرفهم انه الذى بعثه ابن الحنفية لطلب الثأر فقرأ كتابه رفاعه بن شداد والمثنى بن مخزومة العبدى وسعد بن حذيفة بن اليمان ويزيد بن أنس وأحمد بن شميظ البجلي وعبد الله بن شداد/البجلي وبعثوا اليه عبيد الله بن كامل منهم انا بجيث يسرك وان شئت أن نأتيك ونخرجك من الحبس فعلنا فسر بذلك وأمهلهم ثم شفع فيه ابن عمر الى عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة فأطلقاه واستحلفاه أن لا يخرج عليهما ونزل بداره واختلفت اليه الشيعة وبايعوه وقوى أمره ثم عزل ابن الزبير ابراهيم بن محمد بن طلحة وعبد الله بن يزيد واستعمل على الكوفة عبد الله بن مطيع فقدمها فى رمضان سنة خمس وستين وخطب الناس بأن ابن الزبير أمره أن لا يقسم فيئهم فى غيرهم وأن يسير فيهم بسيرة عمر وعثمان ثم توعدهم على الخلاف فقالوا أما فيئنا فلا يكون فيه غير ذلك وأما السيرة فسيرة على التى سار بها فى بلادنا ولا حاجة لنا فى سيرة عثمان ولا عمر فقال ابن مطيع نسير بكل سيرة ترضونها ثم بلغه أن المختار يدعوا لأهل البيت وبمن اجتمع له وأشاروا عليه بحبسه فبعثه عنه فاعتذر بالمرض وارتاب أصحاب المختار فيما أبلغهم عن ابن الحنفية فساروا اليه الى مكة يسألونه واستأذنوه فى اتباعه فقال وددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن يشاء من خلقه فرجعوا وأخبروا بذلك المختار وقالوا له قد أمرنا بنصرك فجمع الشيعة وأخبرهم بما قدم به أصحابهم من عند ابن الحنفية وأنه أخبرهم انى وزيره وظهره ورسوله وأمركم باتباعى وطاعى فيما دعوتكم اليه من قتال المخلين والطلب بدماء أهل البيت وشهد الوافدون بذلك فاجتمعت الشيعة ومن جملتهم الشعبي وأتوا^(١) شراحيل وأشار عليه بعض

(١) هكذا بالأصل وعند ابن الأثير "الشعبى وأبوه شراحيل".

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٤ ، ص ٢١٥ .

أصحابه بدعاء ابراهيم بن الأشتر ليقوى أمرهم به فمضى اليه الشعبي في جماعة منهم وذكره تقدم أبيه في ولاية على ودعاه الى الطلب بدم الحسين وأصحابه فقال على أن تولوني فقالوا قد جاء المختار بتوليه بن الحنفية وقد أمرنا بطاعته فسكت ابراهيم ثم جاء المختار بكتاب ابن الحنفية الى ابراهيم يسأله النصر ويعده بالولاية العامة وفيه من محمد المهدي الى ابراهيم بن مالك الأشتر ودفعه اليه الشعبي وقرأه وقال مازال ابن الحنفية يكاتبني فلايزيد على اسمه واسم أبيه فشهد جماعة منهم انه كتابه وسكت الشعبي وسأله ابراهيم بعد انصرافهم فقال هؤلاء الذين شهدوا سادة القراء ومشيخة المصر وفرسان العرب فكتب أسماءهم عنده ثم حمل عشيرته على اجابة المختار وصار يختلف اليه وتواعدوا الخروج منتصف ربيع سنة ست وستين / ونما الخبر الى ابن مطيع فبعث الى رؤوس الناس في كل ناحية من الكوفة يوقظهم لذلك وان لا يؤتى من قبلهم فاستعدوا وركب اياس بن مضارب في الشرط واجاط بالسوق والقصر ثم ركب ابراهيم بن الأشتر يريد المختار قبل الموعد بليلتين وهو مظهر للسلاح ولقى اياس بن مضارب فارتاب به وأرادته على الاتيان لابن مطيع فأبى وطعنه فقتله فافترق أصحاب اياس وجاءوا الى ابن مطيع وولى مكانه ابنه راشدا على الشرطة .

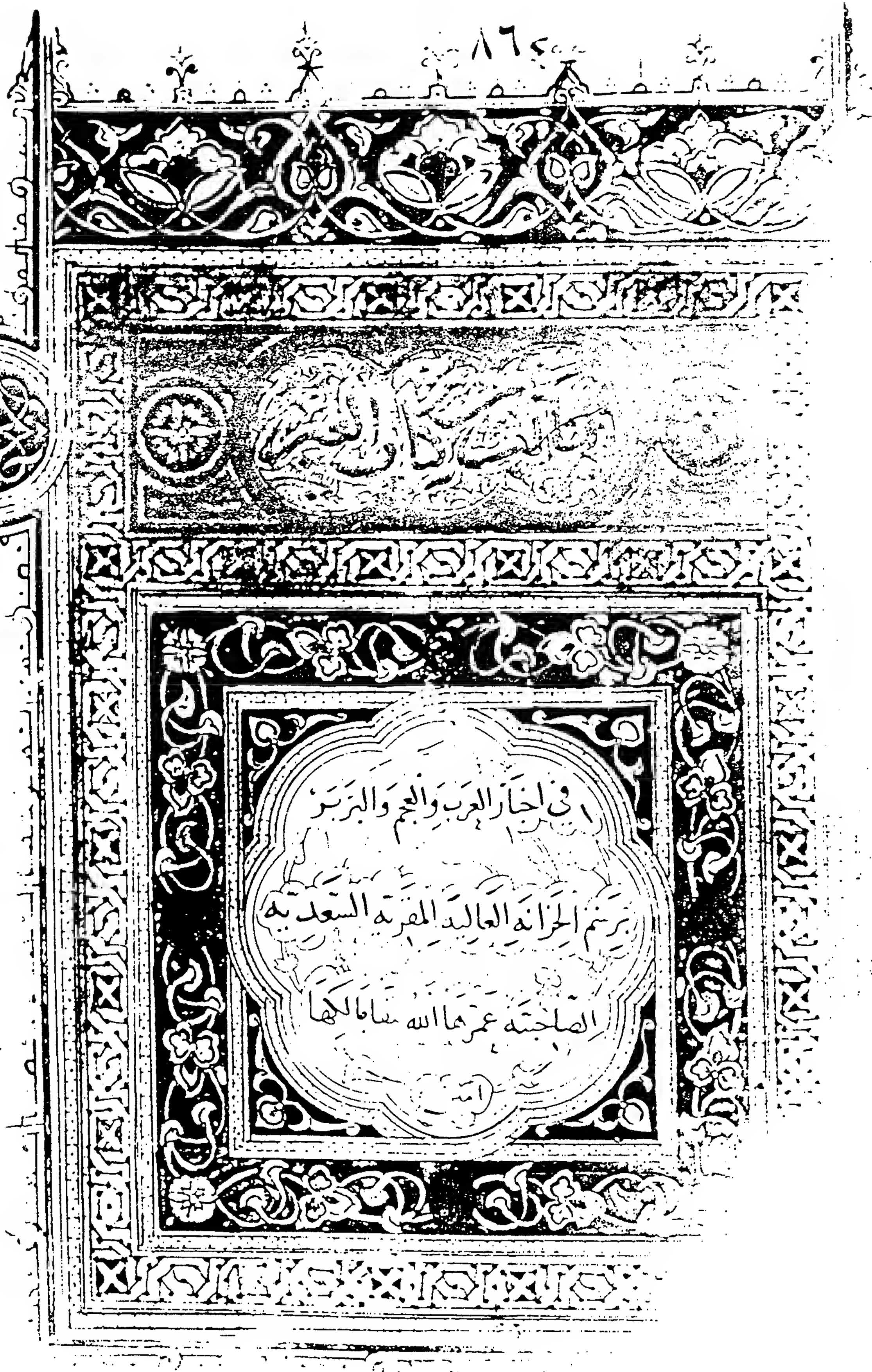
DAMAD İBRÂHİM PAŞA-864

240 dan Devam

Sn. Halil GÖNENCİ

حدیث من تاریخ حیدر و اسمی بالعبر

١٦٥



بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله رب العالمين
 والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله
 أما بعد

كان لني عبد مناف في قرش محل من العدد والشرف لا يناهضهم فيه أحد من
 سائر بطون قرش وكان لخدمته نوا أمة ونواهاشم حيا جعاسيون بعد
 مناف ومنتون اليه وقرش تعرف ذلك وتسلم لهم الرئاسة عليهم إلا أن عاتية
 كانوا الكثر عددا من هاشم وأوفر رجالا والعزة انما هي بالكنى قال الشاعر
 وأما العزة للكاثر وكان لهم قبل الإسلام شرف معروف انتهى إلى
 حرب ابن أمية وكان رئيسهم في حرب البحار وحدث الأبحارون إن قرشا توأما
 ذات يوم وحرب هذا فسند ظهره إلى الكعبة فتأذرا إليه غلة منهم يتأدون يا
 عبد أدرك قومك فقام تجرا زاره حتى أشرف عليهم من بعض التراب ولوح بطرف يديه
 اليهم أن تعالوا فدرت الطائفتان إليه بعد أن كان حرم وطيسهم ولما جاء
 الإسلام وذهش الناس لما وقع من أمر النبوة والوحي وتزلزل الملايكة وما وقع من
 خوارق الأمور نسي الناس أسدا لعصبة مسلم وكافهم أمما المشركون فهاهم
 الإسلام من أمم الجاهلية كما في الحديث أن الله أدمع عنكم عمة الجاهلية وفخرها
 لأنها زانت بنو آدم وأدمع من تراك وأمما المشركون فسخطهم ذلك الأمر العظيم
 من شأن العصابة وذهلوا عنه حشاش البهر ولذلك لما افترق امرئ إلى أمية
 فني هاشم بالإسلام ما كان ذلك إلا تفاق حصار بني هاشم في الشعب لا
 غير ولم يقع كبريته لأجل نسيان العصبية والدخول عنها بالإسلام حتى كانت
 الهجرة فشرع الجهاد ولم يبق إلا العصبية الطبيعية التي لا تشارك وهي نعر الرجل
 على أخيه فحار في النيل والعدوان عليه فلهذا لا يدعها شي ولا هي تطعن بل هي
 مطلوبة وناقصة في الجهاد والله قال الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
 فقلنا ما الكلف المبطلون فمخبر وهو يوم يدرك في الدنيا التي جعل له رسول

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله رب العالمين
 والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله
 أما بعد
 كان لني عبد مناف في قرش محل من العدد والشرف لا يناهضهم فيه أحد من
 سائر بطون قرش وكان لخدمته نوا أمة ونواهاشم حيا جعاسيون بعد
 مناف ومنتون اليه وقرش تعرف ذلك وتسلم لهم الرئاسة عليهم إلا أن عاتية
 كانوا الكثر عددا من هاشم وأوفر رجالا والعزة انما هي بالكنى قال الشاعر
 وأما العزة للكاثر وكان لهم قبل الإسلام شرف معروف انتهى إلى
 حرب ابن أمية وكان رئيسهم في حرب البحار وحدث الأبحارون إن قرشا توأما
 ذات يوم وحرب هذا فسند ظهره إلى الكعبة فتأذرا إليه غلة منهم يتأدون يا
 عبد أدرك قومك فقام تجرا زاره حتى أشرف عليهم من بعض التراب ولوح بطرف يديه
 اليهم أن تعالوا فدرت الطائفتان إليه بعد أن كان حرم وطيسهم ولما جاء
 الإسلام وذهش الناس لما وقع من أمر النبوة والوحي وتزلزل الملايكة وما وقع من
 خوارق الأمور نسي الناس أسدا لعصبة مسلم وكافهم أمما المشركون فهاهم
 الإسلام من أمم الجاهلية كما في الحديث أن الله أدمع عنكم عمة الجاهلية وفخرها
 لأنها زانت بنو آدم وأدمع من تراك وأمما المشركون فسخطهم ذلك الأمر العظيم
 من شأن العصابة وذهلوا عنه حشاش البهر ولذلك لما افترق امرئ إلى أمية
 فني هاشم بالإسلام ما كان ذلك إلا تفاق حصار بني هاشم في الشعب لا
 غير ولم يقع كبريته لأجل نسيان العصبية والدخول عنها بالإسلام حتى كانت
 الهجرة فشرع الجهاد ولم يبق إلا العصبية الطبيعية التي لا تشارك وهي نعر الرجل
 على أخيه فحار في النيل والعدوان عليه فلهذا لا يدعها شي ولا هي تطعن بل هي
 مطلوبة وناقصة في الجهاد والله قال الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
 فقلنا ما الكلف المبطلون فمخبر وهو يوم يدرك في الدنيا التي جعل له رسول

[illegible][illegible]

به وانه استخفى من رده وقد كان من امر ما بلغك وانا الان اعطيتك
 عهدا ورهينه حتى اخرجك من دارى في اعود اليك فقال له ابن زياد والله لا
 تفارقنى حتى ياخذنى فقال انيك بصفى تفضل والله لا فعلت ثم قام اليه مسلم
 ابن عمر الباهلي لم يكن هناك اعز منه فاستاذن ابن زياد وخلصه ناحية ونصحه
 ان ياتى فانه ابن عمر وليسوا فاليه ولا ضار به وليس عليك في ذلك منقصه
 فاما دفعه الى السلطان فامروا له وسعه ابن زياد فاستدناه وقال والله
 لن لم تاتنى به لاضرر عنك قال اذ او الله تكلم البارقه حول دارك فقال
 ان هاتيا لما راى الرجل الذي كان عنينا لعبد الله قال انها الامرات امر اهلك
 فصرحت شيئا فاشارة الى مهران مولاه وهو قائم على راسه فاحد بظفر في
 هاتين احد ابن زياد القصب من يد مهران ولم يزل يضربه وجهه حتى كسر
 انفه وتترلم خديه وحسبه على لحنه ثم اعلق عليه في بيت وها اسما من حاجه
 منك لذلك وانه جاءه في حواره فامر به ابن زياد فطرد عنه وجلس واطرد محمد بن
 الاشعث الرضى وجلس بلغ عمرو بن حجاج ان هاتين قتل فاقبل في مدح واحاطوا
 بالنصر وامر ابن زياد شرعا القاضي ان يخرج اليهم ويعلم بحاله هاتين بعد ان ادخله
 اليه وراه حيا فاجهرهم وانصروا وجاء الخبر الى مسلم بن عقييل وكان قد بايعه مائتيه
 عشر الفا وحوله في الدور اربعة الاف فتأدى فيهم وركب نحو القصر في الثعبه
 واحاط به واستلا المسجد والسوق من الناس الى المسا وضاق بعبد الله امره
 وليس معه في القصر الا نحو خمسين من اهل بيته وتواليه وتسلك اليه الاسراف
 وامر كثير من شهاب الحارثي ان يخرج فيمن اطاعه من مدح فيجوز الناس واسره
 الاشعث ان يخرج فيمن اطاعه من كنده وحضروا فيرفع راية امان لمجاه
 من الناس وبعث بمثل ذلك لفتح قلاع بن سواد كدهلى وشمر بن ربعي النيمي وحمار
 ابن اخير العجلي وشمر بن ذي الحوشن الضبابي وترك وجوه الناس عدة استنسا
 بهم وخرج اوليك القمل على الناس فانزوا عن ابن عقييل الى ان يفي في المسجد في ثلثين
 من الحنظلي عند مجوز من ذي الان اشعث وتعرف اليها فاحضه وخرج ابن زياد الى
 المسجد قبل العتمة وتأدى في الناس فاستلا المسجد وامر الحسين بن نيم وكان على الطريق

[illegible]

١٠٠
 ١٠١
 ١٠٢
 ١٠٣
 ١٠٤
 ١٠٥
 ١٠٦
 ١٠٧
 ١٠٨
 ١٠٩
 ١١٠
 ١١١
 ١١٢
 ١١٣
 ١١٤
 ١١٥
 ١١٦
 ١١٧
 ١١٨
 ١١٩
 ١٢٠
 ١٢١
 ١٢٢
 ١٢٣
 ١٢٤
 ١٢٥
 ١٢٦
 ١٢٧
 ١٢٨
 ١٢٩
 ١٣٠
 ١٣١
 ١٣٢
 ١٣٣
 ١٣٤
 ١٣٥
 ١٣٦
 ١٣٧
 ١٣٨
 ١٣٩
 ١٤٠
 ١٤١
 ١٤٢
 ١٤٣
 ١٤٤
 ١٤٥
 ١٤٦
 ١٤٧
 ١٤٨
 ١٤٩
 ١٥٠
 ١٥١
 ١٥٢
 ١٥٣
 ١٥٤
 ١٥٥
 ١٥٦
 ١٥٧
 ١٥٨
 ١٥٩
 ١٦٠
 ١٦١
 ١٦٢
 ١٦٣
 ١٦٤
 ١٦٥
 ١٦٦
 ١٦٧
 ١٦٨
 ١٦٩
 ١٧٠
 ١٧١
 ١٧٢
 ١٧٣
 ١٧٤
 ١٧٥
 ١٧٦
 ١٧٧
 ١٧٨
 ١٧٩
 ١٨٠
 ١٨١
 ١٨٢
 ١٨٣
 ١٨٤
 ١٨٥
 ١٨٦
 ١٨٧
 ١٨٨
 ١٨٩
 ١٩٠
 ١٩١
 ١٩٢
 ١٩٣
 ١٩٤
 ١٩٥
 ١٩٦
 ١٩٧
 ١٩٨
 ١٩٩
 ٢٠٠

۵

ان يطلع ما يخرج من الانبياء ويقتل ان الله تعالى
 خلق خلقا من نور
 ان يطلع ما يخرج من الانبياء ويقتل ان الله تعالى
 خلق خلقا من نور
 ان يطلع ما يخرج من الانبياء ويقتل ان الله تعالى
 خلق خلقا من نور

ومن ان النبي كان يخطب الى جنه في المسجده مستنثا اليه قبل ان يقسم له المنبر فيصبح
 له المنبر وخطبه عليه خطا والجنه كما يجوز ان يقسم به قوله ما فتزل النبي والزمه ومسجده
 وتكلم معه بشي جيت سئل في قوله يا رسول الله ما اذا سئل قال جاء جبريل عليه السلام
 في ذلك اليوم القيت بين يدي ان يكون من اشيا من الجنة وسكن وقال لو لم احضنه لحد الي يوم القيت
 ذلك وقام اليه شمر بن ذي الجوشن مكر ذلك وقال تغلب هذا منه وتذلل وروى عن ابي عبد الله
 بارضك ولين رحل ولم يضع يده في يد لكون اعز وتكون اعز ولكن ليزك على امرائه با حاتم
 حكك ولم يلقني ابن الحسين وعمره احدى اثنان عامه ليلتهما بين العسكرين فقال وغير اخذ
 ابن زياد نعم ما رلت اخرج انت اليه هذا الباب ليعرض على الحسن واصحابه الزور في حجة يكره
 على حكمي وسعت بهم سلا وان اشتعوا فليقتلهم وان ابا عمرو من ذلك فابى الامير الارضة وعاد
 وابتع الى راسه وكنت الى عمر وذلك وعنفه على المطاولة والشفاعة وان تا فاخذ منه
 يتعل ما امر به والافليغزل العسكر وعلى من شمر وعنه وكبت معه اما ان يترك في جفج
 على من طالب من لم النبي من حرام وهم العباس وعبد الله وجعفر وعثمان وهو الذي يزار
 سالة الامان لهم عبد الله بن خلفهم الى المحل من حرام وكان حاضرا عند ابن زياد الان ولم يروا
 فرد واما انه وقالوا الاحاجة لنا فيه ولما الى شمر الى عمر وقال له يا شمر اطلبك
 انت ثمنه عما كنت اليه وافدت علنا امر ارجوا ان يصلح والحسين والله يعي ما رواه من ثمنه
 لا يستسلم اندا وهض اليه عشية ناسوعا فركب العباس اخو الحسين اخرو منى ما روى
 في عشرين فارسا وتلقاهم فاخبروا بما جاء من امر ابن زياد فجاءه الى الحسين صاحب قضايل
 فقال ارجع اليهم ووخهم الى الغداة لتسكنكم من الصلاة والدعاء والاستغفار
 فوعدهم الحسين الى الغداة اما رضىناه واما رد دناه فشا وعمر واصحابه
 فاشار بعضهم بامهاله وهو عمر ومن الحجاج الزبيدي والله لو كان من الدم الوجع
 امهاله فاشار فليس من الاشعث بالمناجزة وقال ليصحبك بالقتال فرجع
 عمر وجمع الحسين اصحابه واستشارهم وجراهم خيرا واذن لهم في وقيل ان نور
 الانطلاق وقال هذا الليل قد عشيكم فاحذروه حذرا واقتروا في البلاد اشبه والقر
 والقوم اذا اصابوني هو اعن عري فابوا فقال يا بني عقيل حسمك من القتل بن نور ونور
 سلم واذ هو فقد اذنت لكم قالوا فامتنول الناس والله لا شعل ولتقاتل
 معك حتى ذموردك وقام اليه بعض اصحابه من غير عشيده فقال كيف تحلى
 منك ولم يعد الى الله في حيتك والله لا افارقك حتى اكسر رجلي وسقي فاقولهم
 بالجماعة ذوبك حتى اموت وتكلم اصحابه بمثل ذلك فحرام خيرا وسعي اخوانه
 ذلك فطعن فقولن فليطعن حتى تشي على بعضهم فجا اليهم وعمر ابن رسول

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ سَلَفَ مِنْ قَوْمِهِ وَفَاعَاهِدَهُمْ أَنْ لَا يُكْرِمُوا عَلَيْهِ الصُّرَاخَ
 وَلَا يَسْتَقْنُ الْجُيُوبَ وَلَا يَحْشُرُ الْوُجُوهَ وَلَا يَدْعُونَ بِالْوَلَدِ عَيْنَ الْوَلَدِ وَالشُّبُورَ ثَمَّ أَمَّا مَنْ دَخَلَ
 أَطْنَابَ السُّبُوتِ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ لِيَسْتَقْبِلُوا الْعَدُوَّ مِنْ أَمَانَتِهَا ثُمَّ قَامُوا بِصُلُوبِهِمْ وَدَعَوْا
 وَيَسْتَغْفِرُونَ حَتَّى أَصْبَحَ وَذَلِكَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَرَكِبَ عَمْرُ بْنُ سَعْدٍ فِي التَّجْبِيَةِ وَعَبَا
 الْحُسَيْنِ أَصْحَابَهُ أَشْنُ وَثَلَيْثَ فَارِسًا وَارْبَعِينَ رَاجِلًا وَأَعْطَى رَأْيَتَهُ أَخَاهُ الْغَبَّاسَ
 وَضَرَبَ لِلْحُسَيْنِ فِسْطَاطًا أَمَّا مَا أَخْبَيْنَهُ فَدَخَلَ فِيهِ وَاسْتَعْمَلَ الثُّورَةَ ثَمَّ أَمِيثَ
 فِي الْمَسْكِ فِي حِفْنِهِ وَأَطْلَاهُ ثَمَّ رَكِبَ وَوَضَعَ الْمَصْحَفَ أَمَانَةً وَقَاتَلَ أَصْحَابَهُ
 بِمَنْ يَدِيهِ وَهُوَ يَدْعُو أَمْ يَقْدُمُ عَلَى رَأْسِهِ وَيُنَادِي النَّاسَ وَعَرَفَهُمْ بِنَفْسِهِ وَوَعِظَ
 وَذَكَرَ حَقَّوْقَهُ وَقَالَ إِنْ كَذَبْتُمُونِي فَقَدْ كَذَبْتُمْ مَنْ جَبَرَكُمْ سُلُوكَ أَجَابَ بَنُو عَبْدِ اللَّهِ
 وَأَبَا سَعِيدٍ وَأَبْنَاءَ وَهْلٍ بَنُو سَعْدٍ وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ خَجَرُوا بِمَا سَأَلُوا مِنْ رَسُولِ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَقِّ أَهْلِ الْبَيْتِ أَمَّا فِي هَذَا أَجَازَ الْحَجَرُ عَنْ عَدِيٍّ
 أَنْ تَطْلُبُونِي بِمَا لَيْدَمَ أَوْ أَقْصَاصٍ فَلَمْ تَجِبُوهُ فَنَادَى بِأَشِيثَ بْنِ زَيْدٍ أَحْمَارِ بْنِ
 ابْنِ مَقْبِسَ بْنِ الْأَشْعَثِ بِأَزِيدَ بْنِ الْحَرْثِ الْمُرْتَكِبُوا إِلَيَّ الْقُدُومَ قَالُوا لَا
 قَالَ لِمَ قَدْ فَعَلْتُمْ فِدَعُونِي أَنْضِرَ إِلَى مَا نَسِيَ مِنَ الْأَرْضِ فَقَالَ لَهُ فَيْسُ أَفَلَا تَنْزِلُ عَلَى
 حُكْمِ ابْنِ زَيْدٍ وَكُفُّوا بِنَ عَمَلِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ لَا أُعْطِي يَدِي أَعْطَا الدَّيْلَ وَلَا أَفِرُّ رَأَى
 الْعَبْدَ عِبَادَ اللَّهِ أَنْيْ عَدَّتْ بَرِّي وَرَبِّكُمْ أَنْزِلُوا عُدَّتْ بَرِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مَكَرٍ
 لَا يُؤْمِنُ بِحُكْمِ الْحِسَابِ ثَمَّ أُنَاجَ رَأْسَهُ وَتَوَلَّى عَنْهَا وَخَرَجَ زُهَيْرُ بْنُ الثَّيْنِ وَهُوَ شَاكٍ
 السَّلَاحَ وَكَانَ صَاحِبَ الْحُسَيْنِ مِنْ مَكَّةَ تَوَقَّفَ بَيْنَ يَدَيْهِ لِكُفْرِهِ وَوَعِظَ أَهْلَ
 الْكُوفَةِ وَنَصَحَهُمْ وَدَعَاَهُمْ إِلَى نَصْرِ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ وَخَذَلَانِ بْنِ زِيَادٍ وَفَحَصَ فِي ذِمِّ عُمَيْدٍ
 اللَّهُ وَآبِيهِ وَقَالَ يَقْتُلُوكُمْ وَيَقْتَطَعَانَكُمْ وَيَسْلَانَكُمْ وَيَقْتُلَانِ أَمَّا تِلْكَ أَذْكَرَ وَاجْهَيْنِ
 عَدِيَّ هَانِيٍّ بَرَعَرَفَ فَنَسْتَمَوْا وَاشْتَوَا عَلَى ابْنِ زِيَادٍ وَقَالُوا لَا يَبْرَحُ حَتَّى أَتِيَهُمْ أَوْ يَأْتِيَهُمُ
 فَقَالَ لَهُمْ أَمِيدُكُمْ بِاللَّهِ أَنْ يَقْتُلُوا ابْنَ فَاطِمَةَ خُلَاطِئَتَهُ وَسَيِّدَ بَنِي مُعَاوِيَةَ فَإِنْ زَيْدُ
 يَرْضَى مِنْكُمْ بِدُونِ هَذَا ثَمَّ رَمَاهُ شَرُّ دُشْتِهِ فَتَسَاءَلُوا سَاعِدَهُ وَرَدَّهُ الْحُسَيْنُ فَجَعَلَ
 وَلِشَارِخَ عَمْرٍوسَ سَعْدُهَا الْحُسَيْنُ قَالَ لَهُ الْجَرْمُ مِنْ زَيْدٍ الَّذِي كَانَ جَائِلًا
 الْحُسَيْنُ أَمَّا تِلْكَ أَنْتَ هَذَا الرَّجُلُ قَالَ نَعَمْ قَالَ وَلَا تَسْأَلُونِ مِنْهُ وَاحِدٌ مِنَ الْحَصَا

لله المنة
والدنيا
والآخرة
دعير
مستغنى

3

انما
 الحق
 صدق
 نعم
 المراح
 رجل
 ربح
 دوما
 خاسر
 حياه
 وعظ
 الله
 ولا
 غنى
 ربح
 الا
 العمل
 في
 دنياه
 لعل
 يربح
 في
 الآخرة

نرى

يجب عليه من ...
 انما ...
 المصالح ...
 نجبه ما صنعك ان تجيبني الم بقول الله تعالى استجبوا لله وللرسول
 التي عرض عليك فقال عمر لو كان الامر لي لفعلت ولكن اميرنا قد ابادك دعاءكم ومنه
 ثم اقبل يد نواحو الحسين حتى استجاب به اصحابه ولحقه وقال يا ابن رسول الله طيب في
 الله انا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسائر ذلك في الطريق جمعت بك في ارضهم ففعلت
 هذا المكان والله لو ظننت انهم لا يقبلون منك واحدة مما عرضت عليهم او يلقون النبي وهذا
 بك هذه المنزلة ما فعلت الذي فعلت وقد حيك نايبا اموت دونك امراها مع غيري يبطل
 لي توبه قال نعم يتوب الله عليك ويغفر لك ثم انعطفت الى اصحابه وقال اوصاكم لا يكون
 الا تقبلون من الحسين واحد مما عرض عليكم فعاينكم الله من حربه وقاله فقال بكيفية لا تسير
 عمر وقد حرصت ذلك وما وجدت اليه سبيلا ثم نادى اهل الكوفة وخلصهم باسمه والآن
 على ان دعوه واسلموه ثم منعوه من التوجه في بلاد الله القريضة حتى ياتي من جاز وقه سبوه
 اهل بيته فاصبح كالاسير لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ومنعوه واصحابه ما افرا
 يشرب اليه يهودي والنصراني المجوسي ومنع فيه كلاب السواد وخنازير وهو النهر
 واهله صرع من العطش بين ما خلفهم محمد في دربه ودعا عليهم فمن النبل
 فرجع ثم قدم عمر بن سعد رايه ورقي بهم وقال اشهدوا لي اول من ربي
 وتبارز الناس وقتل في البرازيسار مولى نادر وسالم مولى عبيد الله بن زياد
 قتلها عبد الله بن عير الكلبي وكان قد لحق بالحسين من الكوفة ومعه امراته
 ثم حمل عمرو بن الحجاج على الحسين واصحابه فحشوا على الركبة اسرعا نحوهم الرياح فلم
 يقدروا وذهبوا ليرجعوا فاصابوهم بالنبل فصرعوا منهم رجلا وخرج يزيد
 ابن حمير من اصحاب الحسين يارز يزيد بن معقل فبارزه ثم قتله آخر دونه
 وخرج عمرو بن قرظة الانصاري فقاتل وقتل وقال الحر بن زيد مع الحسين قتالا
 شديدا وقتل من اصحاب عمر وصاح عمر ابن الحجاج بالناس فقاتلوا فرسان
 الميصر شتى منهم قليل قتل ما بقون ولوريتهم بالحجارة فقتلوا منهم
 فوافقه عمر ففتح الناس من البارزة ثم حمل عمرو بن الحجاج على جانيب الحسين
 واقتلوا ساقة وقتل مسلم بن عويجة الاسدي فاصرف عمرو وسلم صريح خاله
 الحسين ودعاه ودنا منه حبس من مطر فاستوصاه فقال اوصي اليك هذا ان يوت
 ذوقه فاشانالي الحسين فقال اقل ثم قضا مسلم وصاح حاربه وسحق شمس في احد يوم التمام
 مة الا تشبه قاتله

وقد سبغ أصحابه بدمهم لولا أن قتلنا مسلماً بن موسى ففكر قتله وتسخط وقال تفرحون
 مسلماً وعدد موافقه ثم حمل شمر في الميسرة فقتلوا له ثم حملوا على الحسين وأصحابه
 من كل جانب هم يكرهون ولا يحملون على جانب من خيل الكوفة إلا كسفتهم وبعث
 عمرو بن قيس وهو على خيل الكوفة إلى عمرو بن سعد أن استأثم الرجال والرماء
 فقال لست من بني تميم فقال مثل لا يبعث في الرماة وكان بكرهم ذللاً للمقاتلة
 للحسين بن تميم تقدم فرشقوا الحسين وأصحابه بالنبل فعمرو وأخيلهم وأرجلهم وقال
 الحر بن يزيد أشد قتالاً إلى أن انشعبت النار ولا يقدرون أن يوتهم إلا من وجه واحد
 لا اجتماع مضاربهم بعث عمرو بن موسى إلى الأبنية فكان أصحاب الحسين يخلعون
 الأبنية فيقتلون الرجل يتوص أو ينهب فامر عمرو بن سعد فامرنتاً وأمنعت العود
 إلى الخوازم من جانبها وبلغ شمر فسطاط الحسين لحرقة بالنار وصاح به الحرس
 وحاه شت من بني حنظل عن ذلك فرجع وأبعده زهير بن القين في عشرة فكشتمهم
 عن السيوف وقتلوا من أصحاب شمر أبا عروة الضبابي وعطف عليهم فأصابهم ثم حضروا
 وقت الصلاة وذكر أبو ثامة الصابري الصلاة فقال الحسين لا مهال لتصلين ووجع
 الكلام في ذلك بين الحسين بن زيد من أهل الكوفة وجيب بن مطهر من أصحاب
 الحسين وقتل جيب جلاماً من بني تميم وقتله الحسين ولما قتل جيب هدد ذلك الحسين
 ثم حمل الحر بن يزيد فقال حتى يقتل ثم صلى الحسين الظهر صلاة الخوف ثم استند
 القنك بعد الصلاة وخلصوا إلى الحسين فاستقدم الحنفى أمامه واستهدف
 لهم فرموا حتى سقط وقال زهير بن القين حتى قتل وأسرا فزع بن هلال الحملي بعد أن
 قتل اثني عشر منهم فقتله شمر وتناضل أصحاب الحسين أن يقتلوا بين يديه فقتل منهم جماعة
 ثم رمى الجحاش من كل جانب واستأذنه الصحابة بن عبد الله في الانصراف وانحازوا
 فاذن له فأنصرف ثم خلاص التوهم إلى أهل البيت فقتل علي الأكبر من الحسين بعد
 أن حمل عليهم مراراً فطعنه مرة بن منقذ بصرى فجاء الحسين بخلة حتى وضعه بين يدي
 فسطاطه ثم رمى عبد الله بن مسلم بن عقيل بسهم فقتل ثم حمل أبو حمزة على عون بن
 عبد الله بن جعفر فقتل ثم على عبد الرحمن بن عقيل فقتل ثم على جعفر بن عقيل فقتل
 ثم على القاسم بن الحسين فقتل وجالوا عدة جولة وطيشة فيها الخيل ثم لم يبق القصر

والحر بن

كثر
 من أصحابه
 وروى عنه
 أبو الرمان
 شاذان
 لم يلقه
 ولم يقاتل
 وحده ولحقه
 بين حلالين
 منع الحدود
 الحسنى
 ثم
 انضم إلى
 خلق روم
 محارب
 الحسين
 شد
 نهض
 إلى أربيل
 منهم جماعة
 والتمسوا
 فمات
 بدمه
 بعد

فالمطهر

[illegible]

زینب بنت فاطمہؑ و اس کے گھمن

[illegible]

د جبهه پنځو لارو
خونديج - ولسنگر
غزوات د موملي
پاړه او غلطي

د جبهه پنځو لارو
خونديج - ولسنگر
غزوات د موملي
پاړه او غلطي

۱۰۰
 ۱۰۱
 ۱۰۲
 ۱۰۳
 ۱۰۴
 ۱۰۵
 ۱۰۶
 ۱۰۷
 ۱۰۸
 ۱۰۹
 ۱۱۰
 ۱۱۱
 ۱۱۲
 ۱۱۳
 ۱۱۴
 ۱۱۵
 ۱۱۶
 ۱۱۷
 ۱۱۸
 ۱۱۹
 ۱۲۰
 ۱۲۱
 ۱۲۲
 ۱۲۳
 ۱۲۴
 ۱۲۵
 ۱۲۶
 ۱۲۷
 ۱۲۸
 ۱۲۹
 ۱۳۰
 ۱۳۱
 ۱۳۲
 ۱۳۳
 ۱۳۴
 ۱۳۵
 ۱۳۶
 ۱۳۷
 ۱۳۸
 ۱۳۹
 ۱۴۰
 ۱۴۱
 ۱۴۲
 ۱۴۳
 ۱۴۴
 ۱۴۵
 ۱۴۶
 ۱۴۷
 ۱۴۸
 ۱۴۹
 ۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲
 ۱۵۳
 ۱۵۴
 ۱۵۵
 ۱۵۶
 ۱۵۷
 ۱۵۸
 ۱۵۹
 ۱۶۰
 ۱۶۱
 ۱۶۲
 ۱۶۳
 ۱۶۴
 ۱۶۵
 ۱۶۶
 ۱۶۷
 ۱۶۸
 ۱۶۹
 ۱۷۰
 ۱۷۱
 ۱۷۲
 ۱۷۳
 ۱۷۴
 ۱۷۵
 ۱۷۶
 ۱۷۷
 ۱۷۸
 ۱۷۹
 ۱۸۰
 ۱۸۱
 ۱۸۲
 ۱۸۳
 ۱۸۴
 ۱۸۵
 ۱۸۶
 ۱۸۷
 ۱۸۸
 ۱۸۹
 ۱۹۰
 ۱۹۱
 ۱۹۲
 ۱۹۳
 ۱۹۴
 ۱۹۵
 ۱۹۶
 ۱۹۷
 ۱۹۸
 ۱۹۹
 ۲۰۰

[illegible]

وخلصت به یوگیا از قفس و من
و رسید به در و در و در و در
و رفتن و رفتن و رفتن و رفتن

میرزا محمد علی خان

١٠
 ١١
 ١٢
 ١٣
 ١٤
 ١٥
 ١٦
 ١٧
 ١٨
 ١٩
 ٢٠
 ٢١
 ٢٢
 ٢٣
 ٢٤
 ٢٥
 ٢٦
 ٢٧
 ٢٨
 ٢٩
 ٣٠
 ٣١
 ٣٢
 ٣٣
 ٣٤
 ٣٥
 ٣٦
 ٣٧
 ٣٨
 ٣٩
 ٤٠
 ٤١
 ٤٢
 ٤٣
 ٤٤
 ٤٥
 ٤٦
 ٤٧
 ٤٨
 ٤٩
 ٥٠
 ٥١
 ٥٢
 ٥٣
 ٥٤
 ٥٥
 ٥٦
 ٥٧
 ٥٨
 ٥٩
 ٦٠
 ٦١
 ٦٢
 ٦٣
 ٦٤
 ٦٥
 ٦٦
 ٦٧
 ٦٨
 ٦٩
 ٧٠
 ٧١
 ٧٢
 ٧٣
 ٧٤
 ٧٥
 ٧٦
 ٧٧
 ٧٨
 ٧٩
 ٨٠
 ٨١
 ٨٢
 ٨٣
 ٨٤
 ٨٥
 ٨٦
 ٨٧
 ٨٨
 ٨٩
 ٩٠
 ٩١
 ٩٢
 ٩٣
 ٩٤
 ٩٥
 ٩٦
 ٩٧
 ٩٨
 ٩٩
 ١٠٠

۱۲۲

بعث الوليد بانه اخق لا يجده لرشيد ولا يرعوي لخطبة فابعث رجلا سهيل
 الخلق ان يسهله من الامور ما استوعر وتجمع به ما افرق فعرك الوليد
 وولي عثمان بن محمد بن ابي سفيان خلع اهل المدينة يزيد ووقعه
 الحرة وحصار مكة لما ولي عثمان بن محمد بن ابي سفيان علي اهل الحجاز
 سنة ثنتين وستين بعث الى يزيد وقد امر اهل المدينة فيهم عبد الله بن خطلة
 الغسيل وعبد الله بن عمر بن ابي حنصن بن المغيرة والمندرك بن الزبير ورجال من
 اشراف اهل المدينة فاكثروهم يزيد واجازهم بمائة الف درهم لكل واحد
 منهم واستاذنه المندرك في المذموم على ابن زياد بالعراق فاذا له ورجع الوفد الى المدينة
 فقاموا بغايب يزيد فقالوا يشرب الخمر ويصرب بالطباير ويلعب بالكلاب ويسير
 عند الخراب واللعوص فذكر الناس ثلثه ويايعو عبد الله بن خطلة الغسيل
 على خلعه وبلغ الخبر الى يزيد فبعث الى ابن زياد بحبس المذموم وكان صدقائه ولا
 فكة ذلك واخذ له في الانصراف الى مكة فقدم المدينة وغاب يزيد اعظم من الاقل
 وحرص الناس عليه فبعث يزيد النعمان بن بشير الى المدينة ليردهم عما كانوا فيه من
 الانتاخص فاناهم وخولهم الفضة وقال لا طاقة لكم باهل الشام فقال له عبد
 الله بن مطيع يا نعمان تنفر جماعتنا ونفسد ما اصل الله من امرنا فقال له
 النعمان والله لكافي بل لو زلت بك الجموع ودارت الحرب ركنك الى مكة
 وترك هؤلاء المساكين يعني الانصار يتقلون في سبكم وساجدهم وعلى
 ابواب دورهم فغصاه الناس وانصرف الى يزيد فلما كان سنة ثلاث وستين
 وقد بايعوا عبد الله بن الغسيل على خلع يزيد اخروا عثمان بن محمد بن ابي سفيان
 عامل يزيد عليهم فاجتمع له ثوا اليه وتواليهم في الف رجل واشتعلوا بدار مروان
 ابن الحكم وكثروا الى يزيد يستجيشون فامر عمر بن سعيد ان يسير اليهم في الناس
 فاني قال كنت قد مضت البلاد والان هراق الهما بالصعيد فبعث الى عبد
 الله بن زياد بالسير الى المدينة وحصار ابن الزبير بمكة فاعظم عز الكعبة مع ما
 كان من قبله الحسين فاني واعذر فبعث الى مسلم بن عقبة المري واجره خسر
 في امية فقال اما يكونون الف رجل فقال الرسول لي قال فاستطاعوا الف قال

في سنة ثنتين وستين بعث يزيد الى ابن زياد بحبس المذموم وكان صدقائه ولا فكة ذلك واخذ له في الانصراف الى مكة فقدم المدينة وغاب يزيد اعظم من الاقل وحرص الناس عليه فبعث يزيد النعمان بن بشير الى المدينة ليردهم عما كانوا فيه من الانتاخص فاناهم وخولهم الفضة وقال لا طاقة لكم باهل الشام فقال له عبد الله بن مطيع يا نعمان تنفر جماعتنا ونفسد ما اصل الله من امرنا فقال له النعمان والله لكافي بل لو زلت بك الجموع ودارت الحرب ركنك الى مكة وترك هؤلاء المساكين يعني الانصار يتقلون في سبكم وساجدهم وعلى ابواب دورهم فغصاه الناس وانصرف الى يزيد فلما كان سنة ثلاث وستين وقد بايعوا عبد الله بن الغسيل على خلع يزيد اخروا عثمان بن محمد بن ابي سفيان عامل يزيد عليهم فاجتمع له ثوا اليه وتواليهم في الف رجل واشتعلوا بدار مروان ابن الحكم وكثروا الى يزيد يستجيشون فامر عمر بن سعيد ان يسير اليهم في الناس فاني قال كنت قد مضت البلاد والان هراق الهما بالصعيد فبعث الى عبد الله بن زياد بالسير الى المدينة وحصار ابن الزبير بمكة فاعظم عز الكعبة مع ما كان من قبله الحسين فاني واعذر فبعث الى مسلم بن عقبة المري واجره خسر في امية فقال اما يكونون الف رجل فقال الرسول لي قال فاستطاعوا الف قال

قُبِلَتْ وَبَرَّتْ إِلَى مَكَّةَ وَأَنَّ ابْنَيْكُمْ كَثَرُوا قَدِ اعْدَرْتُ وَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ قَالَ
 مَا تَصْنَعُونَ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ قَالُوا الْحَارِبُ فَلَا طَافَهُمْ فِي الطَّاعَةِ لِيَصْرَتْ إِلَى مَكَّةَ
 فَقَالُوا لَا نَدْعُكَ تَأْتِي بِنْتُ اللَّهِ وَتُحْدِثُ فِيهِ وَسْطَ حُرْمَتِهِ وَكَانُوا قَدْ خَدَعُوا
 عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُطِيعٍ فِي قُرَيْشٍ عَلَى رِجْلَيْهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زُهَيْرٍ
 ابْنُ عَبْدِ عَوْفٍ عَلَى رِجْلَيْهِ وَمَعْقِلُ بْنُ سِنَانٍ الْأَسْجَعِيُّ فِي الْمُهَاجِرِينَ عَلَى رِجْلَيْهِ وَآمِرُ
 جَمَاعَتِهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْغَسِيلِ عَلَى الْأَنْصَارِ فِي عَظَمِ ثَلَاثِ الْأَرْبَاعِ وَصَدَّ تَسْلِيمَهُ
 فِي الْعَسَاكِرِ فَانْكَسَتْ الْعَسَاكِرُ وَانْتَهَتْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ مَرَّحِلِينَ
 فَانْكَسَتْ الْعَسَاكِرُ وَانْتَهَتْ إِلَى مَسَلَمٍ فَهَضَمَ فِي وَجُوهِهِمُ بِالرَّحَالِ وَاسْتَدَّ الْقَتْلُ
 ثَرْجَا الْمُضِيلِ بْنِ عَنَاسٍ مِنْ رِبْعَةٍ بْنِ الْحَرِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ لِابْنِ الْغَسِيلِ فَقَابَلَتْهُ
 ثَمَانِيَةُ الشَّجْعَانِ زَيْدٌ قَتَلَ مُسْلِمَ لَحْلٍ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ فَانْفَرَجُوا وَحُتَّتِ الرِّجَالُ
 أَمَامَهُ عَلَى الرِّكَبِ وَمَضَى خُورَانًا مُسْلِمًا قَتَلَ صَاحِبَهَا بِطَنَهُ مُسْلِمٌ مِنْ عُبَيْدٍ فَآخَذَ
 مُسْلِمٌ زَايِدَةً وَسَارَ وَشَدَّتِ الرِّجَالُ أَمَامَهُ فَصَرَعَ الْمُضِيلُ بْنُ عَنَاسٍ وَقَتَلَ مَعَهُ
 زَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَتَعَدَّتْ خَيْلُ مَسَلَمٍ إِلَى ابْنِ الْغَسِيلِ حَتَّى دَابَّ بَعْضُهُمْ
 مِنْ بَعْضٍ وَأَسْمَاءُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ حَتَّى قَتَلَ الْكَبِيرُ مِنْهُمْ وَقَتَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْغَسِيلِ
 وَمَعَهُ أَخُوهُ لَأَيْدٍ مُحَمَّدُ بْنُ ثَابِتٍ بْنُ قَيْسٍ بْنُ شُعَاسٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ بْنُ عَامِرٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ
 عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ وَابِلَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ بْنُ أَبِي قَاصٍ ثَمَّ انْهَزَمَ النَّاسُ وَأَبَاحَ مُسْلِمُ الْمَدِينَةَ
 فَلَمَّا لَقِيَ الْقَتْلَ وَالنَّهْبَ وَأَفْرَعَ ذَلِكَ الْعَصَابَةُ الدِّنْ بَهَا وَخَرَجَ أَبُو سَعِيدٍ الْحَذْرِيُّ
 لِيَأْوِي إِلَى هَيْفٍ فِي الْجَبَلِ فَأَعْرَضَهُ رَجُلٌ مِنَ الْعَسْكَرِ لِيُقْتَلَ فَعَرَفَهُ بِنَفْسِهِ فَرَكَهُ
 وَتَقَاكَ أَنْ تَسْلِمَ لِمَا حَارَبَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَوَقَفَ ابْنُ الْغَسِيلِ وَالنَّاسُ لِقَائِهِ خَالِفَهُمْ
 بَنُو حَارِثَةَ مِنَ الْأَنْصَارِ وَأَدْخَلُوا أَهْلَ الشَّامِ مِنْ نَاحِيَّتِهِمْ فَاهْزَمَ النَّاسُ وَكَانَ مِنْ
 هَلَاكِ فِي الْحَدِّ قَاتِلٌ مِنْ قَتْلِهِمْ دَعَا مُسْلِمُ النَّاسَ لِلْبَيْعَةِ يَزِيدُ عَلَى أَنْهُمْ حَوْلُ لَهُ
 بِحُكْمِهِ دَعَا بِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ بِمَا سَأَلَ وَمَنْ أَمْنَعُ قَتْلَهُ وَجِيءَ بَعْدَ يَوْمٍ يَزِيدُ بْنُ
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْدَنٍ الْأَسَدُ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ حَرِثَةَ فَقَالَ لِبَنَاتِهِ عَلَى الْكَأْبِ
 وَالسُّنَّةِ فَنَلَّطْنَهَا وَأَنكَرَ عَلَيْهِ مَرَّانٍ قَتَلَ قُرَيْشِيًّا عَلَى أَمَانٍ فَطَعَنَهُ بِالْمَنْشَقِ فَمَاتَ
 وَفَاكَ وَاللَّهُ لَوَانَتْ فُلُهَا لَشَتْلَكَ ثُمَّ جِيءَ بِمَعْقِلِ بْنِ سِنَانٍ فَقَاتَلَ وَاللَّهُ لَأَمْلَكَكَ

في سنة ثمان وعشرين من الهجرة النبوية
 في شهر ربيع الثاني سنة ثمان وعشرين
 في يوم الاثنين
 في سنة ثمان وعشرين من الهجرة النبوية
 في شهر ربيع الثاني سنة ثمان وعشرين
 في يوم الاثنين
 في سنة ثمان وعشرين من الهجرة النبوية
 في شهر ربيع الثاني سنة ثمان وعشرين
 في يوم الاثنين

في سنة ثمان وعشرين من الهجرة النبوية
 في شهر ربيع الثاني سنة ثمان وعشرين
 في يوم الاثنين
 في سنة ثمان وعشرين من الهجرة النبوية
 في شهر ربيع الثاني سنة ثمان وعشرين
 في يوم الاثنين
 في سنة ثمان وعشرين من الهجرة النبوية
 في شهر ربيع الثاني سنة ثمان وعشرين
 في يوم الاثنين

قال
يا امك
دعوا
ارسل
سيرة
العلم
قنان
الامعة
باله
حدا
سعة
نعم
عبر
رشد
يا امك
عالمهم
لا
بر
انما
اشا
مؤلفه
عبد

[illegible]

اذهب بنا الى مسعود بن عمرو فقد علمت شرفه في الازد وطاعته لهم فاكون
 في داره والافرق عليك امر قومك فجاء الى مسعود فطير من ابن زياد وما ناك
 الحرب يلاطفه حتى سكر وقال له افترجه من منك بعد ما دخله فجعله في بيت
 اخيه عبد القادر بن عمرو ركب هو والحرب وجماعه من قومه فطافوا في الازد
 وقالوا الحمد ان زياد فقد ولانا من ان شئنا به فاصحوا في السلاح وقيل ان الحرب
 لم يلق مسعود بن عمرو واما جابعد الله ومعه مائة الف واتي بها امره مسعود
 وطلب منها الجوار لان زياد بان تلبسه ثياب مسعود فلما جاس مسعود فلفطوا
 به حتى رضي واصبح الناس في البصرة بغيا يريدون قتلهم الى قيس بن الهيثم
 السلمي وكان امويًا والى النعمان بن شبيب الراسي وكان هاشميًا يوم ان عليهم من
 بخارا انه قد قدم النعمان عليه عبد الله بن الحرب بن نوفل بن الحرب بن عبد
 المطلب وبلغ بيته فرضيه الناس ونايغوه وانزلوه بدار الامانة في حمادي
 الاخر سنة اربع وسنين ثم انفق ابن زياد امواله في جمع رعيه والازد وانفقوا
 على ان يرد ابن زياد الى امارته ورجوا لذلك تركوا ابن زياد في حيه وبعث
 نوايه معهم وجاس مسعود فدخل المسجد وصعد المنبر واخبر الامير عبد الله بن الحرب
 بذلك وقيل له اركب في بني تميم واصطحب من الناس فاني جابنوا تميم الى الاحنف
 ليركبوا ففعلوا لم يركب ثم اركب عباد بن حصين فطلق من بني عمرو بن تميم وعيس
 ابن طلق بن سعد بن زيد مناة ومسعود خطب فاستنزلوه وقتلوه ثم قتلوا
 مالك بن سبيع بن عبيد الله بن زياد فطلق بالشام ولزم عبد الله بن
 الحرب بيته وكتب اهل البصرة الى ابن الزبير فكتب الى انس بن مالك يصليهم
 حتى يبعث عمر بن عبيد الله بن عمر بعد ثلاثة اشهر فحبس عبد الله بن الحرب
 فاقام عمر في ولايته شهرا ثم جاءه الحرب بن عبيد الله بن ابي ربيعة الخزومي من
 قبل ابن الزبير وبلغت القبايع وفي ايامه سار نافع بن الاروق من البصرة الى الكوفة
 واما الكوفة فلما طرد يزيد بن الحرب بن تميم رسول ابن زياد اجتمع اهل الكوفة
 على عمرو بن سعد بن ابي ناص ثم عزلوه واجمعوا على عامر بن مسعود بن ابيه رطل
 ابن حنافة الحمصي وكتبوا بذلك الى ابن الزبير فاقامه واقام عامر اهل الكوفة وبلغه اسائر

انهم من بني تميم
 بنو تميم بنو تميم

ابن الزبير
 ابن الزبير

١ - لغيره
٢ - وماله
٣ - تبليغ
٤ - الامم
٥ - والحق
٦ - والحق
٧ - والحق

ابني يزيد فاقبلوا ثم افرقوا من يومهم وبعث الضحاك الى بني امية يخذل
 اليهم ويواعدهم الاجتماع عسان بن محمد بالحايبة وكتبوا اليه جميعا بذلك
 وساروا نحو الحايبة ثم شاه ثور بن معن السلمي غزاه في ذلك خشيته ان يميل
 حسان الى ابن اخيه خالد بن زيد واسار عليه بالديار من الزبير فوجع الضحاك
 وترك مرج راھط واجتمع بنو امية وحسان بالحايبة واقام يصلي بهم اربعين يوما
 وهم يشتمون واسار مالك بن هبيرة السكوني على الحصين بن مبربيعة خالد
 لان اباه يزيد ابن اخيه فاما الحصين فقال ثانيا الغرب تشيع ونايتها بصبي
 فقال له مالك الله ليس لي مروان لكوني عبدا له ولقومه فانه ابو عسرة
 واخو عسرة وعم عسرة ثم قام روح بن رباع فخطب الناس وذكر فضل ابن عمر
 وسابغته واسار الى ضيقه ثم ذكر ابن الزبير واشي عليه بابيه وامه ثم ذكر
 دخوله في البنية وسنك الدنيا وسق العصا وخلع الامية ومثل هذا الا يكون
 اما ما فعلكم مروان بن الحكم فلا يكون صدع الاسجد ولا تعدوا عن الكبر الى
 الصغير ثم اجتمع رايهم على البيعة لمروان ثم لحا لدن يزيد ثم لعرو بن سعيد بن
 العاص على ان امره بسق لعرو وامر حمص لخالد وقال حسان لخالد ان الناس
 ابوك لصغر ك وما يريد الا اهل بيتك لكن فعلته نظرا لكرم ما يعوامروان
 اول ذي القعدة سنة اربع وستين وسار الناس من الحاسه الى الضحاك وقد
 بعث الى النعمان بن بشير فاحص فامده بشير جيل بن ذي الحلاع وامده زفر بن الحرث
 باهل قيس بن نائل بن قيس باهل فلسطين فاجتمع على مروان حلة عسان والشكا
 والسكون وجعل على يمينه عمرو بن سعيد وعلى يساره عبيد الله بن زياد وسار
 على الضحاك بدسق يزيد بن ابي النضر الفسافي فاخرج عنها عامله وابيع لمروان
 وامده بالاموال والرجال والسلاح واقتل مروان الضحاك بمرج راھط عشرين
 ليلة ثم افرم الضحاك وقتله دحية بن عبد الله الكلبي وقتل معه في المعركة ثمانون
 من اشراف اهل الشام واستلمت قيس القائل وكانت الوقعة اعرس سنة اربع
 وستين في ليلة الاحد من سنة خمس واقي مروان تراس الضحاك فساء وبلغ
 خبر الهزيمة الى النعمان بن بشير فاحص مع العجل فخرج هاربا منها باهله وبسته

كان ضحاك

موج

... ورواها في تاريخه ...
 ... ورواها في تاريخه ...
 ... ورواها في تاريخه ...
 ... ورواها في تاريخه ...

وخرج في طلبه عمرو بن الحارث الكلابي فقتله وجار برأسه وهرب زفر بن الحرث
 من قسرين فلقن بقر قيسيا وعليها عياض الحرثي كان يربد ولاه فخذعه وغلب
 عليها وتخصن بها واجتعت اليه قيس وهرب ثائل بن قيس الحذامي عن فلسطين
 ولحق ابن الزبير عكة واستحل مروان بعدة على فلسطين وروح بن سباع واستول
 الشام لمروان وتزوج ام خالد بن زيد وقيل ان عبيد الله بن زياد اناجا الى
 امية بن مروان مجمع على المسير لابن الزبير فقتله عن ذلك واخذله البعة
 على بني امية واهل ندم وثاروا الى الفخاك فلهزموا فلما ملك مروان الشام
 الى مصر وعليها عبد الرحمن بن حيدر الفهري يدعي ابن الزبير فخرج للثانية وحش
 مروان عمرو بن سعيد فحالف عبد الرحمن الى مصر فرجع واشتغل امره وبيع النبا
 مروان فملك مصر ورجع الى دمشق فبلغه ان مصعب بن الزبير اقبل في الجيوش
 فبعث اليه عمرو بن سعيد وخال بينه وبين الشام وانهم مصعب ورجع مروان
 الى دمشق فاستقر بها وبعث عبد الله بن زياد الى الجزيرة وادافغ منها سار
 الى العراق وبعث جيش بن رجة القيني الى المدينة وعليها جابر بن الاسود
 ابن عوف لعبد الله بن الزبير فهرب البصر للقا جيش فسار اليهم وبعث عبد
 الله بن الزبير عباس بن سهل بن سعد اميرا على المدينة ويسير في طلب جيش حتى
 بواقي عسكر البصر فلهزم بالرياء وقتل جيش واعظم من عسكره بالمدينة
 حسن تاية فارس فقتلهم عباس وكان مع جيش الحجاج وابو يوسف بن
 الحكم على جبل واحد وكان عمرو بن سعيد لا يرجع من قتال مصعب ففلسطين
 فهو عنه الى مروان انه يقول الامر لي من بعد فشكل ذلك الى حسان بن عدل
 فقام في الناس وقال بلغنا ان رجلا لا يمتنع اناني فوافقا يعوا عبد الملك عبد
 العزيز فبايعوا من عندهم وولى ابن الزبير اخاه عبد الله على المدينة ثم عله
 وولى مصعبا استفاض خراسان على سلم بن زياد واستقر اهلها لابي خازم
 ولما بلغ الخبر موت زيد الى خراسان دعا سلم بن زياد الناس الى البيعة
 على الرمي حتى يستقيم الناس على خليفة فبايعوه ثم تكلوا بعد شهر وكان
 مصعبا فخرج عنهم واستخلف المهلب بن ابي صفرة ووليه سليمان بن زيد

س
 ...
 ...

من بني قيس بن ثعلبة بن ربيعة فعذله على ولاية الازد واليمن والعدول عن زبولة
 مرو والرواد والعاريات والطالقان والجورجان وولى اوس بن عتبة من قريش
 ثم لقيه عبد الله بن حازم السلمي بن سبأ بن ربيعة فعذله في ولاية الازد وربيعة والعدول
 عن مضر فكتب له بالعهد على خراسان واعطاه مائة الف درهم وسار ابن حازم الى
 مرو وبلغ خيم الملب فخرج منها الى العراق واستخلف رجلا من قريش فلما وصل ابن
 حازم قاتله فقتله على مرو ومات التميمي من جراحة اصابته ثم سار الى مرو والرواد
 فقاتله سليمان بن غلبه ابن حازم وقتله ثم سار الى الطالقان بها عمرو بن ميثم بن
 سليمان فقتله وقتله ولحق اصحابه باوس بن ثعلبة في هراة واجتمع اليهم من كان
 خراسان من بكر بن وائل ورجع ابن حازم الى مرو ثم سار الى هراة فخرج اوس وبكر
 ابن وائل وخندقوا على انفسهم وقتلهم ابن حازم سنة ثمان مائة وقتلهم قتلا دريا
 نحو من ثمانية الاف وهرب اوس الى سجستان فمات بها وغلب ابن حازم
 على هراة واستعمل عليها ابنه محمدا وعلى شرطه بكر بن وائل التميمي ورجع الى مرو
 مع رقه الخوارج لابن الزبير

كان الخوارج عند اشتداد ابن زياد عليهم بالكوفة ومسير الصائمين الشام
 الى ابن الزبير قال لهم نافع بن الازرق منهم سيروا بنا الى ابن الزبير فجاهدوا
 كان على رايانا والاندلس عن البيت فجاؤا اليه وقالوا نفع اهل الشام ثم اريدوا
 اخبار رايه فمهم فسالوا وقال يتوفى من الغداة وجمع اصحابه بالصلاح فلما جاؤا من الغد
 ونظروا اليهم قال لهم ابن الازرق ان الرجل يزع خلافتكم ثم قال له عبيد بن
 هلال من الخوارج ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم يدعوا الى الدين فاجابه
 المسلمون عمل فيهم كتاب الله حتى قبضه الله واستخلف ابو بكر وعمر فملا الكتاب
 والسنة ثم استخلف عثمان فملا الاحكام والقرآن في رقع الورق ووضع السوط وورق
 الكتاب وضرب بنكري الجور واولى طريق الرسول وضرب الساسن بالنصل
 وحرهم واخذ في الله الذي اياه عليهم فقسمة في ساق فريش وجمان العرب
 فسارت اليه طائفة فقتلوا فقتلوا اولياؤهم ومن ابن عثمان واولياؤه ثم اقامت
 انت فقال ابن الزبير ان الذي ذكرتموه النبي صلى الله عليه وسلم فهو فقه وما ذكرتموه

ابن

مسجد جامع و طوله اربعون ذراعاً و عرضه اربعون ذراعاً و ارتفاعه اربعون ذراعاً

[illegible]

[illegible]

۱۰۰
 ۱۰۱
 ۱۰۲
 ۱۰۳
 ۱۰۴
 ۱۰۵
 ۱۰۶
 ۱۰۷
 ۱۰۸
 ۱۰۹
 ۱۱۰
 ۱۱۱
 ۱۱۲
 ۱۱۳
 ۱۱۴
 ۱۱۵
 ۱۱۶
 ۱۱۷
 ۱۱۸
 ۱۱۹
 ۱۲۰
 ۱۲۱
 ۱۲۲
 ۱۲۳
 ۱۲۴
 ۱۲۵
 ۱۲۶
 ۱۲۷
 ۱۲۸
 ۱۲۹
 ۱۳۰
 ۱۳۱
 ۱۳۲
 ۱۳۳
 ۱۳۴
 ۱۳۵
 ۱۳۶
 ۱۳۷
 ۱۳۸
 ۱۳۹
 ۱۴۰
 ۱۴۱
 ۱۴۲
 ۱۴۳
 ۱۴۴
 ۱۴۵
 ۱۴۶
 ۱۴۷
 ۱۴۸
 ۱۴۹
 ۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲
 ۱۵۳
 ۱۵۴
 ۱۵۵
 ۱۵۶
 ۱۵۷
 ۱۵۸
 ۱۵۹
 ۱۶۰
 ۱۶۱
 ۱۶۲
 ۱۶۳
 ۱۶۴
 ۱۶۵
 ۱۶۶
 ۱۶۷
 ۱۶۸
 ۱۶۹
 ۱۷۰
 ۱۷۱
 ۱۷۲
 ۱۷۳
 ۱۷۴
 ۱۷۵
 ۱۷۶
 ۱۷۷
 ۱۷۸
 ۱۷۹
 ۱۸۰
 ۱۸۱
 ۱۸۲
 ۱۸۳
 ۱۸۴
 ۱۸۵
 ۱۸۶
 ۱۸۷
 ۱۸۸
 ۱۸۹
 ۱۹۰
 ۱۹۱
 ۱۹۲
 ۱۹۳
 ۱۹۴
 ۱۹۵
 ۱۹۶
 ۱۹۷
 ۱۹۸
 ۱۹۹
 ۲۰۰

كَانَ مُرْوَانُ عِنْدَ وَلِيِّهِ تَزُوجَ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ هَاشِمٍ بِنْتِ عُبَيْدِ بْنِ
أَبِي صَرْفٍ بِدَلِّكَ لَمَّا كَانَ حَسَنُ بْنُ عَبْدِ يَسِيلَ إِلَيْهِ وَدَخَلَ خَالِدٌ يَوْمًا عَلَى مُرْوَانَ
يَمِينُ بْنُ السَّاطِنِ فَقَالَ مُرْوَانُ إِنَّهُ لَأَحَقُّ بِكَ يَا ابْنَ الرُّطْبَةِ الْأَسْتِ بِسِقْطِهِ
مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الشَّامِ فَتَوَجَّعَ لَامَهُ فَقَالَتْ أُمُّ خَالِدٍ وَأَنَا أَكْثَرُكَ وَدَخَلَ عَلَيْهِ مُرْوَانُ
فَقَالَ هَلْ قَالَتْ لَكَ خَالِدٌ سَيِّئًا قَالَتْ هُوَ أَشَدُّ لَكَ عَظِيمًا مِنْ هَذَا ثُمَّ نَامَ عِنْدَهَا
يَوْمًا فَقَطَعَتْهُ بِالْوَسَادَةِ فَمَاتَ وَارَادَ عَبْدُ الْمَلِكِ أَنْ يَسَارِعَ فِي تَقْيِيلِ لَهَا لَسَمْعِ أَنْ أَمْرًا
فَقَالَتْ بَاكَ وَلَمَّا تَوَفَّى مُرْوَانَ بَايَعَ النَّاسُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بَعْدَ أَبِيهِ وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ وَبَايَعُوا

ون يقين عن خوف
 ليعا استوفى في كل
 وكنتم يعلمون ان
 فاني قد ارادوا ان
 اربا دكانه اغفل
 من نفسي على
 انتم طقات لا
 الي بعد يا امير
 الموشن ظرا
 مباركة الخش
 صورة الخال فر
 وق لا الف حيا
 عكر يا اسر الموش
 ولفوا بخرتني
 في نصف ط لفسو
 انتهى برت يهاد
 رعا لم يحرك من
 الفزع حتى سمع
 بصوتها واسوا
 الخلق فقام فراء
 انصر على السور
 داس ووقف
 بين يدي وزير الملك
 المرحوم وجد له
 ان لا يتوب
 عنه بعد السنين
 في كل يوم
 معولنا قد ب
 ام انصر ودين

له اخوه عبد العزيز بن مضر بن قننه خراسان قد تقدم
 لنا كيف ماتت لابن حازم وكيف اغتاله بنو تميم على ربيعة فلما صفي له الاخي
 بني تميم وقد كان جعل ابنه محمد اعلى هراة وعلى شرطته بكير بن وشاح وضم اليه
 شناس بن ديار العطاردي وكانت ام محمد تميمية فلما جئنا ابن حازم بن تميم لمعتوا
 بهراة فكتب الي ابنه محمد والي بكير وشناس بمنعهم عنها فخرج شناس وصار معهم
 ومنعهم بكير بهراة ونعت الي شناس بالاموال له ولبن تميم على ان يصرقوا فابوا وقلعوا
 يرضهون محمد بن احمد بن اخذوه وهو يصيد فقتلوه فاقسموه ثم اختلفوا فيه بين الاغا
 والقتل ثم امنوا قتله برجلين قطنا منهم وولوا عليهم الحريش بن هلال واقبلوا
 الي مرو وخاروا عبد الله بن حازم سنين ثم دعاه الحريش الي البارزة فبارزوا
 وضرب الحريش ابن حازم على راسه فقطع وروته وانقطع ركايا الحريش وافر قاتر مل
 الفريشان وافر قوا وافرقت تميم ثلاث فرق فرقة مع نجير بن ورقا الي نيسابور وفرقة
 الي ناحية اخرى وفرقة مع الحريش الي مرو والرودي ولحقه ابن حازم بعض قراها
 وقدا فرق عنه اصحابه وهو في اثني عشر رجلا وحمل عليه مولى لابن حازم فقتله
 الحريش وقال لابن حازم ما تريد مني وقد خيلتك والبلاد ولا اعود فصالحه على ذلك
 واعطاه ابن حازم اربعين الفا وضمن له قصا دينه وفتح له الحريش باب القصر
 فدخله ولجأت فرقة منهم الي بعض حصون خراسان فلو امرهم عثمان بن بشير المازني
 وكانوا فريشان بني تميم واستجمعهم فحاصهم ابن حازم في سنة الالف وكان يهر
 ابن دويب شجاعا عسا فحطم فيهم ورجع ثم رما اخر ذلك ثم رزوا بعد ذلك
 على حكمه واسار عليهم زهرا بان لا يفعلوا فكم بطيعوه فلما خرجوا قتل جميعهم وزيرو
 معهم واستبقا لك منهم ثم رجع ابن حازم الي قتال نجير بن ورقا التميمي الصري
 بنيسابور وثوب المحاربا الكوفة واحسان
 لما قتل سليمان بن صرد وقدم فل الشيعة الي الكوفة وكان الحارثي
 كما تركب اليهم من السبعين بعدهم ومنهم ويعرفهم انه الذي بعث ابن الحنفية
 يطلب الثار فقرأ كتابه رفاعة بن شداد والمثنى بن مخزوم العدي وسعد بن
 حديفة بن البيان بن زيد بن اسف واهمد بن شيط الجلي وعبد الله بن شداد

من اجل ان جبريل بن شفيث قد اصابه الموت احتاج الى من ينقله فاستدعى في نفسه
ربيعه و... الخ خرج الف... معجده اما ارتقاء... مرارا فقالا انا اعطيك سبعين
... الخ اجتمع بربريل وسنة المليون... الخ اوله... الخ
المسجون بنفسه الذي معه به الجنة مرور لا يقبل ثم شفاه... الخ
عن سنة بعد سنة

الصلی وبعثوا الیه عبد الله بن کامل منهم انا حیث یسرك وان شئت ان نابلک
وخرجک من الحسین فقلنا فسر بذلك وامنهم ثم شفع فيه ابن عمر الى عبد الله
ابن جبرید واربهم بن محمد بن طلحة فاطلقاه واستغلقاه ان لا يخرج علیهما وترك
بدارهم واختلفت الیه الشیعة ویا یحیی و یقوی امره ثم عزک ابن الزبیر اربهم
ابن محمد بن طلحة وعبد الله بن جبرید واستجبل علی الکوفة عبد الله بن مطیع ففدا
فی رمضان سنة خمس وستین وخطب الناس بان ابن الزبیر امره ان لا یقسم
قیهم فی غیرهم وان یشرفهم بسیره عمر وعثمان ثم وعدهم علی الخلاف فقالوا
اما قیافا فلا یكون فیه غیر ذلك واما السیره فسیرة علی الی سار بها فی بلادنا
ولا حاجة لنا فی سیره عثمان ولا عمر فقال ابن مطیع نسر بكل شیء رضونا ثم بلغه ان
المختار یدعو اهل البیت ومن اجتمع له و اشاروا علیه بحسبه فبعثه عنده فاعتمر
بالمرض وارتاب اصحاب المختار فاما اسلمهم عن ابن الحنفیة فساروا الیه الی سکه
یسألونه واستاذنوه فی اتباعه فقال وددت ان الله انصر لنا بن عدونا بمن یشام
خلفه فرجعوا واجروا بذلك المختار وقالوا له قد امرنا بنصرک فجمع الشیعة والخبر
بما قدم به اصحابهم من عند ابن الحنفیة وانه اخبرهم فی ریه وظهیر ورسوله
وامرکم باتباعی وطاعتی فیما دعوتکم الیه من قتال المخلیف والطلب بدنا اهل البیت
وشهدوا فدونک فاجتنب الشیعة ومن جلتهم الشیعی واثار ارجل و اشار
علیه بعض اصحابه بدعا اربهم بن الاشتر لیولی امرهم به ففی الیه الشیعی جماعة
منهم وذكرهم تقدم ابيه في ولايته على ودعاه الى الطلب بدم الحسين واصحابه فقال
على ان تولوني فقالوا قد جاء المختار بتولية بن الحنفية وقد امرنا بطاعته فكذبهم
ثم جاء المختار بكتاب ابن الحنفية الى اربهم يساله النصر ويعد بالولاية العامة
فغيب من محمد المهدي الى اربهم بن ملك الاشتر ودفعه اليه الشیعی وقرأه وقال
ما ذاك ان الحنفية يكاتبني فلا يزيد على اسم واسم ابيه فشهد جماعه منهم انه
كاتبه وسكت الشیعی في ساله اربهم بعد انصرافهم فقال هؤلاء الذين شهدوا ساد
الفراد مشيخه البصر وقرسان العرب فكتب اسماهم عنده ثم حمل عشيته على الحار
المختار وصار يخطب اليه وتواعدوا للخروج منصف ربيع سنة ست وستين

ونما الجراحي ابن مطيع فبعث الى رؤس الناس في كل ناحية من الكوفة وقطن
 لذلك وان لا يوثق من قتلهم فاستعدوا وركب اياس بن مضارب في الشرطة واجا ط
 بالسوق والقصر ثم ركب ابراهيم بن الاشتر يزيد المختار قبل الموعد ليلا وهو
 مظفر للسلح ولقي اياس بن مضارب فارتاب به وازاده على الاثنيان لابن مطيع
 فامى طعنه فقتله فافترق اصحاب اياس وجاءوا الى ابن مطيع وولى مكانه ابنه
 راشد اعلى الشرطة ونصى ابراهيم الى المختار واحة الخبر وبعثوا في الشيعة وتادوا
 بنار الحسين ونصى ابراهيم الى الخضر فاستركبهم وسار بهم في المدينة ليلا وهو محجب
 المواضع التي في الامراء لقي بعضهم فصرهم ثم اخرجهم كذلك ثم رجع الى المختار فوجد
 شئت من بني حجاز بن الجراحي بقا نلله فصرهم ما وحاشيت الى ابن مطيع فلما
 عليه جميع الناس والنهوض الى القوم فقد قوي امرهم فرك واجتمع الناس وتوافوا
 الى المختار فواربعة الاف من الشيعة وبعث ابن مطيع شئت من ربي في ثلاث
 الاف وراشد بن اياس في اربعة الاف فسرح اليهم المختار ابراهيم بن الاشتر
 لراشد في ستاية فاربع ستاية راجل نعيم بن هبة لشئت في ثمانية فارس
 وستاية راجل وانكروا من بعد صلاة الصبح وقتل نعيم وصر المختار لقتله وظهر
 شئت واصحابه عليهم وقال ابراهيم بن الاشتر راشد بن اياس فقتله وانزله اصحابه
 وركبهم القتل وبعث ابن مطيع جيشا كشافهم ابراهيم ثم رجع على شئت فصره
 ورجع المختار فقتله الرماة من حول الكوفة ورجع المهزومون الى ابن مطيع فصر
 فقتله عمر بن الحجاج الرميدي وقال له اخرج واندب الناس فتعل وقام في الناس
 ووخضهم على امرهم وندبهم ثم بعث عمر بن الحجاج في القين وصرهم في الحوشن
 في القين ووقل بن سباح في خمسة الاف ووقفت هو كاسه واستطعت على القصر
 شئت من ربي فحمل ابن الاشتر على ابن سباح فصره واسرهم من عليه ودخل ابن
 مطيع القصر وجامعه ابراهيم بن الاشتر لاما ومعه يزيد بن اسر واهدين شيطوا
 اشتد الحصار على ابن مطيع اشار عليه شئت من ربي ان يستامر المختار ويطعن ابن
 الرزيقة فله ما بعد فخرج عنهم شاة وترك دارا في يميني واستامر القوم المختار فدخل
 القصر وقد اعل الناس في المسجد فخطبهم ودعاهم الى جهة ابن الحسين فابعد اسرهم

مذكر على منابر هذه الأيالة تعظيماً لبيهم الطاهر وجرأ على منابر السليم
 وكمال الإيمان في محبتهم وتوفيه لشروط الأمانة معتمهم وما زال ملوك
 الهند وغيرهم من ملوك الإسلام بالتواحي يطلبون التقليد منه ومن سلفه بمصر
 ويكاتبون في ذلك ملوك الأتراك بما في قلاوون وغيرهم فحيوهم إلى ذلك
 ويتبعون إلهم التقليد والخلق والألوية بالشعار العباسي على الغادة القوية
 بغداد والله حفظ سياج الإسلام والأمة ويهد القايين بأموالهم يومئذ النافذة
 والأغاني من الله وفضلته في تم الجزء الثالث من تاريخ بني خلدون المسمى

بالعبر
 ويليه في الجزء الرابع أخبار الدولة العلوية المراجعة لدولة
 بني العباس



SÜLEYMANİYE K. ÜTÜP N. SI	
Kismi	Damat İbrahim paşa
Yeni Kayıt No.	
Eski Kayıt No.	864
Tasnif No.	



ثبت المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولا : المصادر المخطوطة .

- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨/١٤٠٥م)
(١) تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب
والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر . الجزء الثالث .
تاريخ . خط نسخ واضح .
استنبول . المكتبة السليمانية . قطعة مفقودة من الأصل .
رقم : ٨٦٤ . نسخة مصورة
٣٦٣ ورقة - ٢٥ سطر .

ثانيا : المصادر المطبوعة .

آبادى : أبى الطيب محمد شمس الحق العظيم (ولد ١٢٧٣هـ/١٨٩٦م)

(٢) عون المعبود شرح سنن أبى داود

تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان .

الطبعة الثانية ، المدينة المنورة .

المكتبة السلفية : ١٣٨٨هـ .

ابن الأثير : عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم

الشيبانى (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)

(٣) الكامل فى التاريخ

بيروت . دار صادر : ١٤٠٢هـ .

(٤) أسد الغابة فى معرفة الصحابة

بيروت . دار احياء التراث العربى .

ابن الأحمر : أبى الوليد اسماعيل بن يوسف بن الأحمر الغرناطى الأندلسى

(ت ٨٠٧هـ/١٤٠٥م)

(٥) أعلام المغرب والأندلس فى القرن الثامن وهو كتاب نثر الجمان فى

شعر من نظمى واياه الزمان

تحقيق : محمد رضوان الداية .

الطبعة الأولى . بيروت .

مؤسسة الرسالة : ١٣٩٦هـ .

(٦) نثر فرائد الجمان فى نظم فحول الزمان

تحقيق : محمد رضوان الداية .

بيروت . دار الثقافة : ١٩٦٧م .

الأصفهانى : أبى الفرج على بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم

(ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م)

(٧) مقاتل الطالبين . تحقيق : السيد أحمد صقر .

بيروت . دار المعرفة للطباعة والنشر .

توزيع دار الباز للنشر والتوزيع . مكة المكرمة .

ابن أعثم : أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي ت نحو (٣١٤هـ/٩٢٦م)
(٨) كتاب الفتوح

بيروت . دار الندوة الجديدة .

البستي : محمد بن حبان (ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م)

(٩) مشاهير علماء الأمصار

دار الكتب العلمية .

ابن بطوطة : محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)

(١٠) تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار

تحقيق محمد عبد المنعم العريان .

الطبعة الأولى . بيروت .

دار احياء العلوم : ١٤٠٧هـ .

البغدادى : عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م)

(١١) الفرق بين الفرق . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

بيروت . دار المعرفة .

البكرى : أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسي (ت ٤٨٧هـ/

١٠٩٤م)

(١٢) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع . تحقيق : مصطفى السقا .

بيروت . عالم الكتب .

الترمذى : محمد بن عيسى بن سوره الترمذى (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)

(١٣) الجامع الصحيح المسمى سنن الترمذى . تحقيق : أحمد محمد شاكر .

بيروت . دار الكتب العلمية .

ابن تغرى بردى : جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغرى بردى

(ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م)

(١٤) الدليل الشافى على المنهل الصافى . تحقيق : فهم محمد شلتوت .

القاهرة . مكتبة الخانجي .

نشر جامعة أم القرى بمكة .

- (١٥) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي . تحقيق : محمد محمد أمين .
الهيئة المصرية العامة للكتاب : ١٩٨٤م
- (١٦) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة
القاهرة . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .
نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب : ١٣٨٣ هـ .
- ابن تيمية : أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم (ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م)
(١٧) منهاج السنة النبوية
بيروت . دار الكتب العلمية .
- ابن جبیر : أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبیر الكنانی الأندلسی الشاطبی
البلنسی (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م)
- (١٨) رحلة ابن جبیر
بيروت . دار بيروت للطباعة والنشر : ١٤٠٤ هـ .
- ابن حزم : أبو محمد علی بن أحمد بن سعید بن حزم الأندلسی (ت ٥٦هـ / ١٠٦٤م)
- (١٩) جمهرة أنساب العرب
بيروت . دار الكتب العلمية .
- (٢٠) رسائل ابن حزم الأندلسی . تحقيق : احسان عباس .
الطبعة الثانية . بيروت .
- المؤسسة العربية للدراسات والنشر : ١٩٨٧ م .
- (٢١) الفصل في الملل والأهواء والنحل
مكتبة السلام العالمية .
- الحموی : شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموی الرومی
البغدادی (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)
- (٢٢) معجم البلدان
بيروت . دار صادر ودار بيروت : ١٤٠٤ هـ .
- خسرو : أبي معين الدين ناصر خسرو القبادياني المروزي (ت ٤٨١هـ / ١٠٨٨م)

(٢٣) سفرنامه رحلة ناصر خسرو القبادياني . ترجمة : أحمد خالد البدلي .
الطبعة الأولى . الرياض .

مطابع جامعة الملك سعود : ١٤٠٣ هـ .

ابن الخطيب : لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني (ت ٧٧٦هـ /
١٣٧٤م)

(٢٤) الاحاطة في أخبار غرناطة . تحقيق : محمد عبد الله عنان .
الطبعة الثانية . القاهرة .

الشركة المصرية للطباعة والنشر . نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة : ١٣٩٣ هـ
ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)

(٢٥) تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب
والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر
الطبعة الثانية . بيروت .

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع : ١٤٠٨ هـ

(٢٦) التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا . تحقيق : محمد بن تاويت
الطنجي .

القاهرة . لجنة التأليف والترجمة والنشر : ١٣٧٠ هـ .

(٢٧) مقدمة ابن خلدون . تحقيق : على عبد الواحد وافي .
الطبعة الثالثة . القاهرة .

دار نهضة مصر للطبع والنشر .

ابن خلكان : أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر
(ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)

(٢٨) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . تحقيق : احسان عباس .
بيروت . دار صادر .

ابن خياط : أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م)
(٢٩) تاريخ خليفة بن خياط . تحقيق : أكرم ضياء العمرى .

الطبعة الثانية . الرياض .

دار طيبة للنشر والتوزيع : ١٤٠٥ هـ .

ابن دقماق : ابراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي (ت ٨٠٩هـ / ١٠٤٦م)
(٣٠) الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين . تحقيق : سعيد عبد
الفتاح عاشور .

مكة المكرمة . جامعة أم القرى .
مركز البحث العلمي و احياء التراث الاسلامي .
الديار بكري : حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٦٦هـ / ١٥٥٩م)

(٣١) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس
بيروت . مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع .
الديوري : أبي حنيفة بن داود (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م)
(٣٢) الأخبار الطوال

بيروت . دار الفكر الحديث للطباعة والنشر : ١٩٨٨م .
الذهبي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله التركماني
الأصل الدمشقي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)
(٣٣) العبر في خبر من غير . تحقيق : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني
زغلول .

الطبعة الأولى . بيروت .
دار الكتب العلمية : ١٤٠٥هـ .
(٣٤) تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام . المغازي . تحقيق : عمر عبد
السلام تدمري .

الطبعة الأولى . بيروت .
دار الكتاب العربي : ١٤٠٧هـ .
(٣٥) سير أعلام النبلاء . تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون .
الطبعة الثانية . بيروت .
مؤسسة الرسالة : ١٤٠٢هـ .

السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م)
(٣٦) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ
بيروت . دار الكتاب العربي : ١٤٠٣هـ .

(٣٧) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع

بيروت . نشر دار مكتبة الحياة .

ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع البصرى الزهرى (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م)

(٣٨) الطبقات الكبرى

بيروت . دار صادر .

السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)

(٣٩) بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة . تحقيق : محمد أبو الفضل

ابراهيم .

الطبعة الأولى . مطبعة عيسى البابى الحلبي وشركاه : ١٣٨٤هـ .

(٤٠) تاريخ الخلفاء

الطبعة الرابعة . دار مصر للطباعة : ١٣٨٩هـ .

الشهرستانى : أبو الفتح محمد بن أبى القاسم عبد الكريم بن أبى بكر أحمد

(ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م)

(٤١) الملل والنحل

مكتبة السلام العالمية .

الشوكانى : محمد بن على (ت ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م)

(٤٢) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع

بيروت . دار المعرفة .

ابن أبى الضياف : أبو العباس أحمد بن عمر أحمد بن نصر (ت ١٢٩١هـ /

١٨٧٤م)

(٤٣) اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان . تحقيق : لجنة

من كتابة الدولة للشئون الثقافية والأخبار .

تونس . نشر كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار : ١٩٦٣م .

الطبرى : أبى جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)

(٤٤) تاريخ الرسل والملوك . تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم .

الطبعة الرابعة .

القاهرة . دار المعارف : ١٣٨٠هـ .

الطرطوشى : محمد بن الوليد (ت ٥٢٠هـ / ١١٢٦م)

(٤٥) سراج الملوك

تحقيق : جعفر البياق . ط ١ . رياض الريس للكتب والنشر : ١٩٩٠م .

ابن الطقطقا : محمد بن على بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م)

(٤٦) الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية

بيروت . دار بيروت للطباعة والنشر : ١٤٠٠هـ .

ابن العبرى : أبو الفرج غوريغوريوس بن أهرون الطبيب الملقى (ت ٦٨٥هـ /

١٢٨٦م)

(٤٧) تاريخ مختصر الدول

لبنان . دار الرائد اللبنانى : ١٤٠٣هـ .

ابن العربى : أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد

(ت ٥٤٣هـ / ١١٤٨م)

(٤٨) العواصم من القواصم فى تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبى صلى

الله عليه وسلم . تحقيق : محب الدين الخطيب .

الطبعة الثانية . بيروت .

دار الجيل : ١٤٠٧هـ .

العسقلانى : شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على بن حجر (ت ٨٥٢هـ /

١٤٤٨م)

(٤٩) انباء الغمر بأبناء العمر . تحقيق : حسن حبشى .

القاهرة . المجلس الأعلى للشئون الاسلامية : ١٣٨٩هـ .

(٥٠) رفع الاصر عن قضاة مصر . تحقيق : حامد عبد المجيد وآخرون .

القاهرة . المطبعة الأميرية .

نشر وزارة التربية والتعليم : ١٩٥٧م .

(٥١) تهذيب التهذيب

الطبعة الأولى . حيدر آباد .

مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية : ١٣٢٥هـ .

- (٥٢) الاصابة في تمييز الصحابة
بيروت . دار الكتاب العربي .
- (٥٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري . تحقيق : الشيخ عبد العزيز بن باز
بيروت . دار المعرفة .
- ابن العماد : أبي الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م)
(٥٤) شذرات الذهب في أخبار من ذهب
الطبعة الأولى . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع : ١٣٩٩ هـ .
- العمري : ياسين الخطيب العمري بن خير الله الخطيب العمري الموصلى ت
بعد (١٢٣٢هـ / ١٨١٧م)
- (٥٥) الروضة الفيحاء في تواريخ النساء . تحقيق : عماد على حمزة .
الطبعة الأولى . الدار العالمية للطباعة والنشر : ١٤٠٧ هـ .
- الغزالي : أبي حامد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ / ١١١١م)
(٥٦) الحكمة في مخلوقات الله . تحقيق : محمد رشيد رضا قباني .
الطبعة الثانية . بيروت .
دار احياء العلوم : ١٤٠٤ هـ .
- الفيروز آبادى : مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م)
(٥٧) القاموس المحيط
بيروت . دار المعرفة .
- ابن قتيبة : أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينورى (ت ٢٧٦هـ /
٨٨٩م)
- (٥٨) الامامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء . تحقيق : طه محمد الزينى .
بيروت . دار المعرفة .
- (٥٩) عيون الأخبار
الطبعة الأولى . بيروت .
دار الكتب العلمية : ١٤٠٦ هـ .

القرطبي : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي المالكي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)

(٦٠) الاستيعاب في أسماء الأصحاب

بيروت . دار الكتاب العربي .

القزويني : زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م)

(٦١) آثار البلاد وأخبار العباد

بيروت . دار بيروت للطباعة والنشر : ١٤٠٤هـ .

القشيري : أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ / ٨٧٤م)

(٦٢) الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم

بيروت . دار المعرفة .

القلقشندي : أبي العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله (ت ٨٢٠هـ / ١٤١٧م)

(٦٣) مآثر الانافة في معالم الخلافة . تحقيق : عبد الستار أحمد فراج .

بيروت . عالم الكتب .

ابن قنفذ القسطنطيني : أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب (ت ٨١٠هـ / ١٤٠٧م)

(٦٤) كتاب الوفيات . تحقيق : عادل نويهض .

الطبعة الرابعة . بيروت .

دار الآفاق الجديدة ١٤٠٣هـ .

ابن كثير : أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)

(٦٥) البداية والنهاية

طبع ونشر دار الفكر . بيروت . ومكتبة الرياض الحديثة . الرياض :

١٤٠٢هـ .

الكندي : أبي عمر محمد بن يوسف الكندي المصري (ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م)

(٦٦) تاريخ ولاية مصر

الطبعة الأولى . بيروت .

مؤسسة الكتب الثقافية : ١٤٠٧ هـ .

ابن مزاحم : نصر بن مزاحم المنقرى (ت ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م)

(٦٧) وقعة صفين . تحقيق : عبد السلام محمد هارون .

الطبعة الثالثة . القاهرة .

مكتبة الخانجي بمصر . المؤسسة العربية الحديثة للنشر والتوزيع : ١٤٠١ هـ

المسعودي : أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)

(٦٨) مروج الذهب ومعادن الجوهر

الطبعة الثالثة . بيروت .

دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع : ١٩٧٨ م .

(٦٩) التنبيه والاشراف

بيروت . دار ومكتبة الهلال : ١٩٨١ م .

المقرى : أحمد بن محمد بن أحمد التلمساني (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م)

(٧٠) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب . تحقيق : احسان عباس .

بيروت . دار صادر : ١٣٨٨ هـ .

المقريزي : تقى الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)

(٧١) خطط المقريزي

طبعة بولاق . نشر دار التحرير مصر : ١٩٧٠ م .

(٧٢) كتاب السلوك في معرفة دول الملوك . تحقيق : سعيد عبد الفتاح

عاشور .

القاهرة . مطبعة دار الكتب : ١٩٧٠ م .

ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري

(ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م)

(٧٣) لسان العرب . تحقيق : عبد الله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله

هاشم محمد الشاذلي .

القاهرة . دار المعارف .

ابن النديم : محمد بن اسحاق النديم (ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥م)
(٧٤) الفهرست

بيروت . دار المعرفة للطباعة والنشر : ١٣٩٨هـ .

ابن النعمان : محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣هـ / ١٠٢٢م)
(٧٥) أوائل المقالات في المذاهب والمختارات

بيروت . دار الكتاب الاسلامي : ١٤٠٣هـ .

الواقدي : محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٣م)

(٧٦) كتاب المغازي . تحقيق : مارسدن جونسون .

الطبعة الثالثة . بيروت .

عالم الكتب : ١٤٠٤هـ .

اليافعي : أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني
المكي (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م)

(٧٧) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان

الطبعة الثانية . بيروت .

منشورات مؤسسة الأعلمي للطبوعات : ١٣٩٠هـ .

اليقوبى : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح
(ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م)

(٧٨) تاريخ اليقوبى

بيروت . دار صادر .

ثالثا : المراجع العربية والمعرّبة .

ابراهيم : فاضل خليل

(٧٩) خالد بن يزيد ، سيرته واهتماماته العلمية

الجمهورية العراقية . منشورات وزارة الثقافة والاعلام .

البغدادى : اسماعيل باشا (ت١٣٣٩هـ/١٩٢٠م)

(٨٠) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين

بيروت . دار العلوم الحديثة .

بدوى : عبد الرحمن

(٨١) مؤلفات ابن خلدون

الطبعة الثانية . ليبيا . تونس . الدار العربية للكتاب : ١٣٩٩ هـ .

الجابرى : محمد عابد

(٨٢) فكر ابن خلدون . العصبية والدولة

الطبعة الثالثة . بيروت .

دار الطليعة : ١٩٨٢ م .

الجندي : عبد الحليم

(٨٣) أحمد بن حنبل امام أهل السنة

دار المعارف . مصر .

الحاجرى : محمد طه

(٨٤) ابن خلدون بين حياة العلم ودنيا السياسة

بيروت . دار النهضة العربية .

حسن : حسن ابراهيم

(٨٥) تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى

الطبعة السابعة . القاهرة .

مكتبة النهضة المصرية : ١٩٦٤ م .

حسن : على ابراهيم

(٨٦) التاريخ الاسلامى العام

القاهرة . مكتبة النهضة المصرية .

الحصرى : ساطع

(٨٧) دراسات عن مقدمة ابن خلدون

الطبعة الثالثة . القاهرة . بيروت .

مكتبة الخانجي . دار الكتاب العربى : ١٣٨٧ هـ .

حماده : محمد ماهر

(٨٨) المصادر العربية والمعربة

الطبعة الخامسة . بيروت .

مؤسسة الرسالة : ١٤٠٦ هـ .

الحوافى : أحمد محمد

(٨٩) أدب السياسة فى العصر الأموى

بيروت . دار القلم : ١٣٨٤ هـ .

الخطيب : عبد الكريم محمود

(٩٠) ينبع

الطبعة الأولى . الرياض . الرئاسة العامة لرعاية الشباب : ١٤١٣ هـ .

الخضرى بك : محمد

(٩١) محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية (الدولة الأموية)

دار الفكر .

الخضيرى : زينب محمود

(٩٢) فلسفة التاريخ عند ابن خلدون

الطبعة الثانية . بيروت .

دار التنوير للطباعة والنشر : ١٩٨٥ م .

خليل : عماد الدين

(٩٣) التفسير الاسلامى للتاريخ

الطبعة الرابعة . بيروت .

دار العلم للملايين : ١٩٨٣م .

(٩٤) ملاح الانقلاب الاسلامى فى خلافة عمر بن عبد العزيز

الطبعة الثانية . بيروت .

الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع : ١٣٩١هـ .

خماش : نجده

(٩٥) الادارة فى العصر الأموى

دار الفكر : ١٣٩٨هـ .

دى بور : ت . ج .

(٩٦) تاريخ الفلسفة فى الاسلام . ترجمة: محمد عبد الهادى أبوريده .

الجزائر . الدار التونسية للنشر . المؤسسة الوطنية للكتاب .

ربيع : محمد محمود

(٩٧) النظرية السياسية لابن خلدون

الطبعة الأولى . مصر .

دار الهنا للطباعة : ١٤٠١هـ .

الريس : محمد ضياء الدين

(٩٨) عبد الملك بن مروان والدولة الأموية

الطبعة الثانية . مطابع سجل العرب : ١٩٦٩م

الزركلى : خير الدين

(٩٩) الأعلام

الطبعة السادسة . بيروت . دار العلم للملايين : ١٩٨٤م .

السامرائى : نعمان عبد الرزاق

(١٠٠) فى التفسير الاسلامى للتاريخ

الطبعة الأولى . الأردن .

مكتبة المنار : ١٤٠٦هـ .

سالم : السيد عبد العزيز

(١٠١) المغرب الكبير

بيروت . دار النهضة العربية : ١٩٨١م .

سرور : محمد جمال الدين

(١٠٢) الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية خلال القرنين الأول

والثاني بعد الهجرة

القاهرة . دار الفكر العربي : ١٣٨٠هـ .

الشامي : أحمد

(١٠٣) الدولة الاسلامية في العصر العباسي الأول

الدمام . دار الاصلاح : ١٤٠٤هـ .

شرف الدين : خليل

(١٠٤) ابن خلدون

بيروت . منشورات دار ومكتبة الهلال .

شريط : عبد الله

(١٠٥) الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون

الطبعة الثالثة . الجزائر .

المؤسسة الوطنية للكتاب : ١٩٨٤م .

شعبان : محمد عبد الحى

(١٠٦) التاريخ الاسلامي في تفسير جديد . ترجمة : عبد المجيد حسيب

القيسى .

أبو ظبي . دار الدراسات الخليجية .

دار الوفاق : ١٩٨٢م .

الشكعة : مصطفى

(١٠٧) الأسس الاسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته

الطبعة الأولى . القاهرة .

الدار المصرية اللبنانية : ١٤٠٦هـ .

شيخ الأرض : تيسير

(١٠٨) ابن خلدون

الطبعة الأولى . بيروت .

دار الأنوار : ١٩٦٦ م .

صالح : محمد أمين

(١٠٩) العرب والاسلام من البعثة النبوية حتى نهاية الخلافة الأموية

القاهرة . مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي .

نشر مكتبة نهضة الشرق : ١٩٨٠ م .

صبحي : أحمد محمود

(١١٠) في فلسفة التاريخ

الاسكندرية . مؤسسة الثقافة الجامعية .

صعب : حسن

(١١١) علم السياسة

الطبعة الثامنة . بيروت .

دار العلم للملايين : ١٩٨٥ م .

ضرار : ضرار صالح

(١١٢) العرب من معين الى الأمويين

الطبعة الرابعة . بيروت .

دار مكتبة الحياة : ١٩٧٨ م .

عابدين : محمد أبو اليسر

(١١٣) أغاليط المؤرخين

دمشق . دار العروبة للطباعة والنشر : ١٣٩١ هـ .

العامري : محمد الهادي

(١١٤) تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الازدهار والذبول من القرن

السابع الهجري الى ختام القرن الثالث عشر

تونس . طبع شركة فنون الرسم والنشر والصحافة .

نشر الشركة التونسية للتوزيع بتونس : ١٩٧٤ م .

عبد الرزاق : ناهض

(١١٥) المسكوكات

الكويت . مطابع دار السياسة .

عثمان : حسن

(١١٦) منهج البحث التاريخي

الطبعة الخامسة . القاهرة .

دار المعارف .

عطوان : حسين

(١١٧) الدعوة العباسية مبادئ وأساليب

بيروت . دار الجيل : ١٩٨٤م .

عمار : الصغير ابن عمار

(١١٨) الفكر العلمي عند ابن خلدون

الطبعة الثالثة . الجزائر .

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع : ١٩٨١م .

عويس : عبد الحليم

(١١٩) بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهياد الداخلي

الطبعة الأولى . القاهرة .

هجر للطباعة والنشر : ١٤٠٨هـ .

(١٢٠) فقه التاريخ وأزمة المسلمين الحضارية

الطبعة الأولى . القاهرة .

دار الصحوة للنشر والتوزيع : ١٤٠٧هـ .

(١٢١) تفسير التاريخ علم اسلامي

القاهرة . دار الصحوة للنشر : ١٤٠٦هـ .

(١٢٢) ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري

الطبعة الثانية . القاهرة .

الزهراء للاعلام العربي : ١٤٠٩هـ .

عيسى : رياض

(١٢٣) النزاع بين أفراد البيت الأموي ودوره في سقوط الخلافة الأموية
الطبعة الأولى . دار حسان للطباعة والنشر : ١٤٠٦ هـ .

فروخ : عمر

(١٢٤) عبقرية العرب في العلم والفلسفة

الطبعة الرابعة . بيروت .

المكتبة العصرية : ١٤٠٥ هـ .

(١٢٥) كلمة في تحليل التاريخ

بيروت . دار العلم للملايين : ١٤٠٤ هـ .

فضل الله : محمد جواد

(١٢٦) صلح الامام الحسن

الطبعة الأولى . بيروت .

دار الغدير للطباعة والنشر والتوزيع : ١٣٩٢ هـ .

قربان : ملحم

(١٢٧) خلدونيات . نظرية المعرفة في مقدمة ابن خلدون

الطبعة الأولى . بيروت .

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ١٤٠٥ هـ .

(١٢٨) خلدونيات . قوانين خلدونية

الطبعة الأولى . بيروت .

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ١٤٠٤ هـ .

قمير : يوحنا

(١٢٩) ابن خلدون

بيروت . دار المشرق : ١٩٨٣ م .

آل كاشف الغطاء : محمد الحسين

(١٣٠) أصل الشيعة وأصولها

الطبعة الرابعة . بيروت .

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات : ١٤٠٢ هـ .

الكتانى : عبد الحى

(١٣١) نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية

بيروت . دار الكتاب العربى .

كحاله : عمر رضا

(١٣٢) معجم المؤلفين

بيروت . مكتبة المثنى .

بيروت . دار احياء التراث العربى .

الكردى : محمود السعيد

(١٣٣) ابن خلدون : مقال فى المنهج التجريبي

الطبعة الأولى . طرابلس .

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان : ١٣٩٣ هـ .

لابيكا : جورج

(١٣٤) السياسة والدين عند ابن خلدون . ترجمة : موسى وهبى وشوقى

دويهى .

الطبعة الأولى . بيروت .

دار الفارابى : ١٩٨٠ م .

لاكوست : ايف

(١٣٥) ابن خلدون واضع علم ومقرر استقلال . ترجمة : زهير فتح الله

الطبعة الأولى . بيروت .

مكتبة المعارف : ١٩٥٨ م .

اللميلم : عبد العزيز محمد

(١٣٦) وضع الموالى فى الدولة الأموية

الطبعة الأولى . الأردن .

جمعية عمال المطابع التعاونية : ١٤١٠ هـ .

ماجد : عبد المنعم

(١٣٧) التاريخ السياسى للدولة العربية

الطبعة السابعة . مكتبة الانجلو المصرية : ١٩٨٢ م .

(٣٩١)

محمود : حسن أحمد وأحمد إبراهيم الشريف
(١٣٨) العالم الاسلامى فى العصر العباسى
الطبعة الخامسة . دار الفكر العربى .

المظفر : محمد حسين

(١٣٩) تاريخ الشيعة

بيروت . دار الزهراء : ١٣٨٥ هـ .

معروف : نايف

(١٤٠) الخوارج فى العصر الأموى

الطبعة الثالثة . بيروت . دار الطليعة : ١٤٠٦ هـ .

موافى : عثمان

(١٤١) منهج النقد التاريخى الاسلامى والمنهج الأوروبى

الطبعة الثانية . الاسكندرية .

مؤسسة الثقافة الجامعية : ١٩٧٦ م .

مؤنس : حسين

(١٤٢) تاريخ قريش

الطبعة الأولى . جدة .

الدار السعودية للنشر والتوزيع : ١٤٠٨ هـ .

الناصرى : أبو العباس أحمد بن خالد (ت ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م)

(١٤٣) الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى . تحقيق : جعفر الناصرى

ومحمد الناصرى .

الدار البيضاء . دار الكتاب ١٩٥٤ م .

نبى : مالك بن نبى

(١٤٤) شروط النهضة . ترجمة : عبد الصبور شاهين .

نشر بيروت .

النجار : محمد الطيب

(١٤٥) الدولة الأموية في الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء

القاهرة . مطابع دار الكتاب العربي بمصر : ١٣٨٢ هـ .

(١٤٦) الموالي في العصر الأموي

الطبعة الأولى . القاهرة .

دار النيل للطباعة : ١٣٦٨ هـ .

هارت : مايكل

(١٤٧) دراسة في المائة الأوائل . ترجمة : خالد أسعد عيسى وأحمد غسان

سبانو .

الطبعة الثانية . دمشق .

دار قتيبة : ١٣٩٩ هـ .

وافى : على عبد الواحد

(١٤٨) عبد الرحمن بن خلدون حياته وآثاره ومظاهر عبقريته

نشر مكتبة مصر .

(١٤٩) عبقریات ابن خلدون

الطبعة الأولى . جدة .

عكاظ للنشر والتوزيع : ١٤٠٤ هـ .

الوردی : على

(١٥٠) منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته

الشركة التونسية للتوزيع : ١٩٧٧ م .

اليازجى : كمال

(١٥١) معالم الفكر العربى

الطبعة السادسة . بيروت .

دار العلم للملايين : ١٩٧٩ م .

رابعاً : الدوريات والموسوعات والمجلات العلمية .

الحبابي : محمد عزيز

(١٥٢) "أصالة المنهجية عند ابن خلدون"

مهرجان ابن خلدون : ١٩٦٢م . ص ٩-٢١ .

نظمتها كلية الآداب . جامعة محمد الخامس .

الدار البيضاء . نشر وتوزيع دار الكتاب .

زياده : معن

(١٥٣) "ابن خلدون بين الفكر والسياسة"

مجلة الفكر العربي . السنة السابعة . العدد الثالث والأربعون

١٩٨٦م . ص ٢٠٦-٢١٥ .

ماجد : عبد المنعم

(١٥٤) "منهجية جديدة لابن خلدون في علم التاريخ"

مجلة المؤرخ العربي . العدد الثالث عشر .

ابريل ١٩٨٠م . ص ٩٤-١٠٠ .

ناجي : عبد الجبار

(١٥٥) "تتبع تاريخي لمحاولة ابن خلدون في اعادة كتابة التاريخ العربي"

مجلة المؤرخ العربي . العدد الثاني والعشرون .

١٩٨٢م . ص ١١٣-١٤٨ .

(١٥٦) الموسوعة العربية الميسرة

بيروت . دار نهضة لبنان للطبع والنشر .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة

٤ المقدمة
١٧ التمهيد
١٨ ابن خلدون : حياته وعصره

الفصل الأول

منهجية ابن خلدون فى تدوين التاريخ

٤٥ منهج ابن خلدون التاريخى فى مقدمته
٤٥ أولا : منهجه العلمى فى التاريخ
٥٦ ثانيا : مميزات ابن خلدون عن المؤرخين الآخرين
 ثالثا : مآخذ على بعض آراء ابن خلدون فى مقدمته
٧١ ومدى تطبيقه لهذه الآراء

الفصل الثانى

التقويم التاريخى لقيام الدول وسقوطها

٨٥ التقويم التاريخى لقيام الدول وسقوطها
٨٩ (أ) قيام الدول فى فكر ابن خلدون
٩٩ (ب) أطوار الدولة فى فكر ابن خلدون وسقوطها
 ثانيا : آراء ابن خلدون فى قيام الدولة الأموية بين المؤيدين
١١٣ والمعارضين
١١٤ (أ) قيام دولة بنى أمية فى رأى ابن خلدون
١٢٦ (ب) المؤرخون المسلمون وموقفهم من بنى أمية
١٤١ (ج) تقويم آراء ابن خلدون فى قيام دولة بنى أمية

الفصل الثالث

العرض التاريخي للدولة الأموية فى رأى ابن خلدون

١٤٨	أولا : الفرع السفىانى
١٥٩	ثانيا : الفرع المروانى
١٨٠	ثالثا : سياسة خلفاء بنى أمية ازاء القوى المعارضة لهم
١٨٣	(أ) حركة الحسين بن على
١٨٧	(ب) حركة عبد الله بن الزبير
١٨٩	(ج) حركة أهل المدينة بقيادة حنظلة بن عبد الله الغسيل
١٩١	(د) حركات الخوارج على الدولة الأموية فى المشرق
١٩٥	(هـ) حركات شيعة آل البيت
٢٠٣	(و) حركة الزنج
٢٠٤	(ز) حركات أخرى فى المشرق
٢١١	(ح) حركات البربر فى العهد الأموى
٢١٩	رابعا : الفتوحات الاسلامية والسياسة الخارجية لبنى أمية
	(أ) منهج الطبرى وابن الأثير وابن كثير فى عرض فتوحات
٢٢٠	بنى أمية
	(ب) خصائص المنهج الخلدونى فى عرض فتوحات بنى أمية
٢٣٢	وسياستهم الخارجية

الفصل الرابع

التطور الحضارى للدولة الأموية فى رأى ابن خلدون

	أولا : انتشار الاسلام وعروبة الدولة ودورها فى تعريب شعوب
٢٥٢	الأمصار الاسلامية
٢٦٧	ثانيا : الحياة الاقتصادية وسك العملة الاسلامية

الفصل الخامس

أقوال المؤرخين فى أسباب سقوط الدولة الأموية

ورأى ابن خلدون فيها

٢٨١ أولا : أسباب السقوط فى رأى المؤرخين المسلمين
٢٨٢ (أ) أسباب السقوط فى رأى المؤرخين المتقدمين
٢٩٦ (ب) أسباب السقوط فى رأى المؤرخين المحدثين
٣٠٧ ثانيا : مرحلة السقوط وطبيعتها
٣١٥ ثالثا : أسباب سقوط بنى أمية فى رأى ابن خلدون
٣٢٢ الخاتمة
٣٢٩ الملاحق
٣٣٠ ملحق رقم (١)
٣٧٠ ثبت المصادر والمراجع
٣٩٥ فهرس الموضوعات